الاحتجاج

تأليف

الحبر أبي منصور أحمد بن علي بن أبي

طالب الطبرسي

من علماء القرن السادس

منشورات الشريف الرضي















تأليف:

العلامة الخبير أبي منصور أحمد بن علي بن أبي طالب الطبرسي

من علماء القرن السادس

انتشارات الشريف الرضي

احتجاج الحسن بن علي عليه السلام على معاوية في الإمامة من يستحقها ومن لا يستحقها بعد مضي النبي

وقد جرى قبل ذلك إيراد كثير من الحجج لعبدالله بن جعفر بن أبي طالب ، وعبدالله بن عبّاس ، وغيرهما ، على معاوية في الإمامة وغيرها ، بمحضر من الحسن عليه السلام ، والفضل بن عبّاس ، وغيرهما .

روى سليم بن قيس قال : سمعت عبدالله بن جعفر بن أبي طالب قال : قال لي معاوية : ما أشدّ تعظيمك للحسن والحسين ، ما هما بخير منك ، ولا أبوهما بخير من أبيك ، ولولا أنّ فاطمة بنت رسول الله لقلت : ما اُمّك أسماء بنت عميس بدونها .

قال : فغضبت من مقالته ، وأخذني ما لا أملك ، فقلت : أنت لقليل المعرفة بهما ، وبأبيهما ، واُمّهما ، بلى والله إنّهما خير منّي ، وأبوهما خير من أبي ، واُمّهما خير من اُمّي ، ولقد سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول فيهما وفي أبيهما وأنا غلام فحفظته منه ورعيته .

فقال معاوية ـ وليس في المجلس غير الحسن والحسين عليهما السلام ، وابن جعفر رحمه الله ، وابن عبّاس ، وأخيه الفضل ـ : هات ما سمعت ! فوالله ما أنت بكذّاب .

فقال : إنّه أعظم ممّا في نفسك .

قال : وإن كان أعظم من اُحد وحرى ، فآته ! ما لم يكن أحدٌ من أهل الشام ، أمّا إذا قتل الله طاغيتكم ، وفرّق جمعكم ، وصار الأمر في أهله ومعدنه ، فما نبالي ما قلتم ، ولا يضرّنا ما ادّعيتم .

قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول : «أنا أولى بالمؤمنين من أنفسهم ، فمن كنت أولى به من نفسه فأنت يا أخي أولى به من نفسه» وعليٌّ بين يديه في البيت ، والحسن ، والحسين ، وعمرو بن اُم سلمة ، واُسامة بن زيد ، وفي البيت فاطمة عليها السلام واُم أيمن ، وأبوذر ، والمقداد ، والزبير بن العوام ، وضرب رسول الله صلى الله عليه وآله على عضده وأعاد ما قال فيه ثلاثاً ، ثمّ نصّ بالإمامة على الأئمّة الإثنى عشر عليهم السلام .

ثمّ قال صلوات الله عليه : «لأُمّتي اثنا عشر إمام ضلالة ،كلّهم ضالّ مضلّ ؛ عشرة من بني أُميّة ، ورجلان من قريش ، وزر جميع الإثنا عشر وما أضلّوا في أعناقهما ، ثمّ سمّاهما رسول الله ﷺ وسمّى العشرة منهما» .

قال : فسمّهم لنا .

قال : فلان و فلان ، و صاحب السلسلة وابنه من آل أبي سفيان ، وسبعة من ولد الحكم بن أبي العاص ، أوّلهم مروان .

قال معاوية : لئن كان ما قلت حقّاً هلكت ، وهلكت الثلاثة قبلي ، وجميع من تولّاهم من هذه الأُمّة ، ولقد هلك أصحاب رسول الله من المهاجرين والأنصار والتابعين ، من غيركم وأهل البيت وشيعتكم .

قال ابن جعفر : فإنّ الّذي قلت والله حقٌّ سمعته من رسول الله ﷺ .

قال معاوية ـ للحسن والحسين وابن عبّاس ـ : ما يقول ابن جعفر ؟

قال ابن عبّاس : ومعاوية بالمدينة أوّل سنة اجتمع عليه النّاس بعد قتل عليٍّ عليه السلام أرسل إلى الّذي سُمّي ، فأرسل إلى عمرو بن أُم سلمة وأُسامة ، فشهدوا جميعاً أنّ الّذي قال ابن جعفر حقٌّ ، قد سمعوا من رسول الله ﷺ كما سمعه .

ثمّ أقبل معاوية إلى الحسن ، والحسين ، وابن عبّاس ، والفضل ، وابن أُم سلمة ، وأُسامة ، قال : كلّكم على ما قال ابن جعفر ؟

قالوا : نعم .

قال معاوية : فإنّكم يا بني عبدالمطّلب لتدّعون أمراً ، وتحتجّون بحجّة قويّة إن كانت حقّاً ، وإنّكم لتبصرون على أمر وتسترونه والنّاس في غفلة وعمى ، ولئن ماكان تقولون حقّاً لقد هلكت الأُمّة ، ورجعت عن دينها ، وكفرت بربّها ، وجحدت نبيّها ، إلّا أنتم أهل البيت ومن قال بقولكم ، وأولئك قليل في النّاس .

فأقبل ابن عبّاس على معاوية فقال : قال الله تعالى : ﴿ وَقَلِيلٌ مِنْ عِبَادِيَ الشكور ﴾[1] وقال : ﴿ وَقَلِيلٌ مَا هُمْ ﴾[2] . وما تعجب منّي يا معاوية أعجب من بني إسرائيل : إنّ السحرة قالوا لفرعون

---

(١) سبأ ١٣.

(٢) ص ٢٤.

«اقض ما أنت قاض» فآمنوا بموسى وصدّقوه ، ثمّ سار بهم ومن اتّبعهم من بني إسرائيل فأقطعهم البحر ، وأراهم العجائب ، وهم مصدّقون بموسى وبالتوراة ، يقرّون له بدينه ، ثمّ مرّوا بأصنام تعبد فقالوا : «يا موسى اجعل لنا إلهاً كما لهم آلهة قال إنّكم قوم تجهلون» وعكفوا على العجل جميعاً غير هارون فقالوا : «هذا إلهكم وإله موسى» ، وقال لهم موسى ـ بعد ذلك ـ : «اُدخلوا الأرض المقدّسة» فكان من جوابهم ما قصّ الله عزّ وجلّ عليهم : قال موسى : ﴿ رَبِّ إِنِّي لاَ أَمْلِكُ إِلَّا نَفْسِي وَأَخِي فَافْرُقْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ ٱلْقَوْمِ ٱلْفَاسِقِينَ ﴾[1] ؛ فما اتّباع هذه الأُمّة رجالاً سوّدوهم وأطاعوهم ، لهم سوابق مع رسول الله صلى الله عليه وآله ومنازل قريبة منها ، وأصهاره مقرّين بدين محمّد صلى الله عليه وآله وبالقرآن ، حملهم الكبر والحسد أن خالفوا إمامهم ووليّهم ، بأعجب من قوم صاغوا من حليّهم عجلاً ثمّ عكفوا عليه يعبدونه ، ويسجدون له ، ويزعمون أنّه ربّ العالمين ، واجتمعوا على ذلك كلّهم غير هارون وحده ، وقد بقي مع صاحبنا الّذي هو من نبيّنا بمنزلة هارون من موسى ، من أهل بيته ناس : سلمان ، وأبوذر ، والمقداد ، والزبير ، ثمّ رجع الزبير وثبت هؤلاء الثلاثة مع إمامهم حتّى لقوا الله .

وتعجب يا معاوية أن سمّى الله من الأئمّة واحداً بعد واحد ، وقد نصّ عليهم رسول الله بغدير خم وفي غير موطن ، واحتجّ بهم عليهم ، وأمرهم بطاعتهم ، وأخبر أنّ أوّلهم عليّ بن أبي طالب وليّ كلّ مؤمن ومؤمنة من بعده ، وأنّه خليفته فيهم ووصيّه ، وقد بعث رسول الله صلى الله عليه وآله جيشاً يوم مؤتة فقال : «عليكم بجعفر ، فإن هلك فزيد ، فإن هلك فعبدالله بن رواحة» ؛ فقتلوا جميعاً ، أفترى يترك الأُمّة ولم يبيّن لهم من الخليفة بعده ، ليختاروا هم لأنفسهم خليفة ، كأن رأيهم لأنفسهم أهدى لهم وارشد من رأيه واختياره ، وما ركب القوم ما ركبوا إلّا بعد ما بيّنه ، وما تركهم رسول الله صلى الله عليه وآله في عمى ولا شبهة .

فأمّا ما قال الرهط الأربعة الّذين تظاهروا على عليّ عليه السلام وكذبوا على رسول الله ، وزعموا أنّه قال : إنّ الله لم يكن ليجمع لنا أهل البيت النبوّة والخلافة ، فقد شبّهوا على النّاس بشهادتهم ، وكذبهم ، ومكرهم .

قال معاوية : ما تقول يا حسن ؟

قال : «يا معاوية قد سمعت ما قلت ، وما قال ابن عبّاس ، العجب منك يا معاوية ، ومن قلّة حيائك ، و من جرأتك على الله حين قلت : «قد قتل الله طاغيتكم ، وردّ الأمر إلى معدنه» فأنت يا

---

(١) المائدة ٢٥.

معاوية معدن الخلافة دوننا ، ويل لك يا معاوية وللثلاثة قبلك الّذين أجلسوك هذا المجلس ، وسنّوا لك هذه السنّة ، لأقولنّ كلاماً ما أنت أهله ، ولكنّي أقول ليسمعه بنو أبي هؤلاء حولي : إنّ النّاس قد اجتمعوا على أُمور كثيرة ليس بينهم اختلاف فيها ، ولا تنازع ولا فرقة ، على : شهادة أن لا إله إلّا الله ، وأنّ محمّداً رسول الله عبده ، والصلوات الخمس ، والزكاة المفروضة ، وصوم شهر رمضان ، وحجّ البيت ، ثمّ أشياء كثيرة من طاعة الله لا يحصى ولا يعدّها إلّا الله ، واجتمعوا على تحريم الزنا ، والسرقة ، والكذب ، والقطيعة ، والخيانة ، وأشياء كثيرة من معاصي الله لا يحصى ولا يعدّها إلّا الله ، واختلفوا في سنن اقتتلوا فيها ، وصاروا فرقاً يلعن بعضهم بعضاً ، وهي : «الولاية» ، ويتبرّأ بعضهم عن بعض ، ويقتل بعضهم بعضاً ، أيّهم أحقّ وأولى بها ، إلّا فرقة تتبع كتاب الله وسنّة نبيّه صلى الله عليه وآله ، فمن أخذ بما عليه أهل القبلة الّذي ليس فيه اختلاف ، وردّ علم ما اختلفوا فيه إلى الله ، سلم ونجا به من النّار ، ودخل الجنّة ، ومن وفّقه الله ومَنّ عليه واحتجّ عليه بأن نوّر قلبه بمعرفة ولاة الأمر من أئمّتهم ومعدن العلم أين هو ، فهو عند الله سعيد ، ولله وليّ ، وقد قال رسول الله صلى الله عليه وآله : «رحم الله امرئ علم حقّاً فقال ، أو سكت فسلم» .

نحن نقول أهل البيت أنّ الأئمّة منّا ، وأنّ الخلافة لا تصلح إلّا فينا ، وأنّ الله جعلنا أهلها في كتابه وسنّة نبيّه ، وأنّ العلم فينا ونحن أهله ، وهو عندنا مجموع كلّه بحذافيره ، وأنّه لا يحدث شيء إلى يوم القيامة حتّى أرش الخدش إلّا وهو عندنا مكتوب بإملاء رسول الله صلى الله عليه وآله وبخطّ عليّ عليه السلام بيده ، وزعم قوم أنّهم أولى بذلك منّا حتّى أنت يابن هند تدّعي ذلك ، وتزعم أنّ عمر أرسل إلى أبي أنّي أُريد أن أكتب «القرآن» في مصحف فابعث إليّ بما كتبت من «القرآن» ، فأتاه فقال : تضرب والله عنقي قبل أن يصل إليك .

قال : ولم ؟

قال : لأنّ الله تعالى قال : ﴿ والرَّاسِخُونَ فِي العلم ﴾[1] إيّاي عنى ، ولم يعنك ولا أصحابك .

فغضب عمر ثمّ قال : يابن أبي طالب تحسب أنّ أحداً ليس عنده علم غيرك ، من كان يقرأ من «القرآن» شيئاً فليأتني به ، إذا جاء رجل فقرأ شيئاً معه يوافقه فيه آخر كتبه وإلّا لم يكتبه .

ثمّ قالوا : قد ضاع منه «قرآن» كثير ، بل كذبوا والله بل هو مجموع محفوظ عند أهله ، ثمّ أمر عمر قضاته وولاته : اجتهدوا آرائكم واقضوا بما ترون أنّه الحقّ ، فلا يزال هو وبعض ولاته قد

---

(١) آل عمران ٧.

وقعوا في عظيمة ، فيخرجهم منها أبي ليحتجّ عليهم بها ، فتجمع القضاة عند خليفتهم وقد حكموا في شيء واحد بقضايا مختلفة فأجازها لهم ، لأنّ الله تعالى لم يؤته الحكمة وفصل الخطاب ، وزعم كلّ صنف من مخالفينا من أهل هذه القبلة أنّهم معدن الخلافة والعلم دوننا ، فنستعين بالله على من ظلمنا وجحدنا حقّنا ، وركب رقابنا ، وسنّ للنّاس علينا ما يحتجّ به مثلك ، وحسبنا الله ونعم الوكيل .

إنّما النّاس ثلاثة : **مؤمن** يعرف حقّنا ويسلّم لنا ويأتم بنا فذلك ناج محبّ لله ولي ، **وناصب** لنا العداوة يتبرّأ منّا ، ويلعننا ، ويستحلّ دمائنا ، ويجحد حقّنا ، ويدين الله بالبرائة منّا ، فهذا كافر مشرك ، وإنّما كفر وأشرك من حيث لا يعلم كما يسبّوا الله عدواً بغير علم ، كذلك يشرك بالله بغير علم ، **ورجل** آخذ بما لا يختلف فيه ، وردّ علم ما أشكل عليه إلى الله ، مع ولايتنا ، ولا يأتم بنا ، ولا يعادينا ، ولا يعرف حقّنا ، فنحن نرجو أن يغفر الله له ، ويدخله الجنّة ، فهذا مسلم ضعيف» .

فلمّا سمع معاوية أمر لكلّ منهم بمائة ألف درهم ، غير الحسن والحسين وابن جعفر فإنّه أمر لكلّ واحد منهم بألف ألف درهم .

احتجاجه عليه السلام على من أنكر عليه مصالحة معاوية ونسبه إلى التقصير في طلب حقّه

عن سليم بن قيس قال : قام الحسن بن علي بن أبي طالب عليه السلام على المنبر حين اجتمع مع معاوية ، فحمد الله وأثنى عليه ثمّ قال : «أيها النّاس إنّ معاوية زعم أنّي رأيته للخلافة أهلاً ولم أر نفسي لها أهلاً ، وكذب معاوية ، أنا أولى النّاس بالنّاس في كتاب الله وعلى لسان نبيّ الله ، فأُقسم بالله لو أنّ النّاس بايعوني وأطاعوني ونصروني ، لأعطتهم السماء قطرها ، والأرض بركتها ، ولما طمعتم فيها يا معاوية ، ولقد قال رسول الله صلى الله عليه وآله : «ما ولّت أُمّة امرها رجلاً قط وفيهم من هو أعلم منه إلّا لم يزل أمرهم يذهب سفالاً حتّى يرجعوا إلى ملّة عبدة العجل» .

وقد ترك بنو إسرائيل هارون واعتكفوا على العجل وهم يعلمون أنّ هارون خليفة موسى ، وقد تركت الأُمّة عليّاً وقد سمعوا رسول الله صلى الله عليه وآله يقول لعلي : «أنت منّي بمنزلة هارون من موسى غير النبوّة فلا نبيّ بعدي» وقد هرب رسول الله صلى الله عليه وآله من قومه وهو يدعوهم إلى الله حتّى فرّ إلى الغار ، ولو وجد عليهم أعواناً ما هرب منهم ، ولو وجدت أنا أعواناً ما بايعتك يا معاوية .

وقد جعل الله هارون في سعة حين استضعفوه وكادوا يقتلونه ، ولم يجد عليهم أعواناً ، وقد جعل

الله النبيّ في سعة حين فرّ من قومه لمّا لم يجد أعواناً عليهم ،كذلك أنا وأبي في سعة من الله حين تركنا الأُمّة وبايعت غيرنا ولم نجد أعواناً ، وإنّما هي السنن والأمثال يتبع بعضها بعضاً .

أيّها النّاس إنّكم لو التمستم فيما بين المشرق والمغرب لم تجدوا رجلاً من ولد النّبيّ غيري وغير أخي» .

وعن حنان بن سدير[1] عن أبيه سدير[2] عن أبيه[3] عن أبي سعيد عقيصي[4] قال : لمّا صالح الحسن بن عليّ بن أبي طالب معاوية بن أبي سفيان دخل عليه النّاس فلامه بعضهم على بيعته ، فقال عليه السلام : «ويحكم ما تدرون ما عملت ، والله للّذي عملت لشيعتي خير ممّا طلعت عليه الشّمس أو غربت ، ألا تعلمون أنّي إمامكم ، ومفترض الطاعة عليكم ، وأحد سيّدي شباب أهل الجنّة بنصّ من رسول الله عَلَيّ» ؟

قالوا : بلى .

قال : «أما علمتم أنّ الخضر لمّا خرق السفينة ، وأقام الجدار ، وقتل الغلام ،كان ذلك سخطاً لموسى بن عمران عليه السلام إذ خفي عليه وجه الحكمة في ذلك ، وكان ذلك عند الله تعالى ذكره حكمة وصواباً ؟ أما علمتم أنّه ما منّا أحد إلّا ويقع في عنقه بيعة لطاغية زمانه إلّا القائم الّذي يصلّي خلفه روح الله عيسى بن مريم عليه السلام ، فإنّ الله عزّ وجلّ يخفي ولادته ويغيّب شخصه لئلّا يكون لأحد في عنقه بيعة إذا خرج ، ذاك التاسع من ولد أخي الحسين ، ابن سيّدة الإماء ، يطيل الله عمره في غيبته ، ثمّ

---

(١) ذكره النجاشي في رجاله ص١٢ فقال : «حنان بن سدير بن حكيم بن صهيب أبوالفضل الصيرفي الكوفي ، روى عن أبي عبدالله وأبي الحسن عليهما السلام ، له كتاب في صفة الجنّة والنّار» ، وعدّه الشيخ في أصحاب الكاظم عليه السلام في رجاله ص٣٤٦ وقال : «حنان بن سدير الصيرفي واقفي» وفي الفهرست قال : «له كتاب ، وهو ثقة ، رحمه الله» وفي رجال الكشي ص٤٦٥ : «حنان بن سدير واقفي ، أدرك أباعبدالله ولم يدرك أباجعفر ، وكان يرتضي به سديداً» .

(٢) ذكر العلّامة في القسم الأوّل من الخلاصة من ٨٥ والشيخ في رجاله ص٩١ وعدّه من أصحاب عليّ بن الحسين عليهما السلام وص١٢٥ من أصحاب الباقر عليه السلام وص٢١٩ من أصحاب الصادق عليه السلام وقال : «سدير بن حكيم كوفي يكنّى أباالفضل والد حنان» وذكر الكشي ص١٨٣ عن أبي عبدالله عليه السلام قال : ذكر عنده سدير فقال : «سدير عصيدة بكلّ لون» .

(٣) عدّه الشيخ في رجاله ص٨٨ من أصحاب عليّ بن الحسين عليهما السلام .

(٤) ذكره العلّامة في القسم الأوّل من خلاصته ص١٩٣ في أولياء عليّ عليه السلام فقال : وأبو سعيد عقيصان ـ بفتح العين المهملة ، والقاف قبل الياء المنقّطة تحتها نقطتين ، والصاد المهملة والنون بعد الألف ـ من بني تيم الله بن ثعلبة. وذكره الشيخ في رجاله ص٤٠ فعدّه من أصحاب عليّ عليه السلام وقال : دينار يكنّى أباسعيد ، ولقّبه عقيصا ، وإنّما لقّب بذلك لشعر قاله ، وذكره أيضاً ص٩٦ في أصحاب الحسين عليه السلام .

يظهره بقدرته في صورة شاب دون أربعين سنة ، ذلك ليعلم أنّ الله على كلّ شيء قدير» .

عن زيد بن وهب الجهني[1] قال : لمّا طعن الحسن بن علي عليه السلام بالمدائن ، أتيته وهو متوجّع ، فقلت : ما ترى يابن رسول الله فإنّ النّاس متحيّرون ؟

فقال : «أرى والله أنّ معاوية خير لي من هؤلاء يزعمون أنّهم لي شيعة ، ابتغوا قتلي وانتهبوا ثقلي ، وأخذوا مالي ، والله لئن آخذ من معاوية عهداً أحقن به دمي ، وأُومن به في أهلي ، خير من أن يقتلوني فتضيع أهل بيتي وأهلي ، والله لو قاتلت معاوية لأخذوا بعنقي حتّى يدفعوني إليه سلماً ، والله لئن أُسالمه وأنا عزيز خير من أن يقتلني وأنا أسير ، أو يمنّ عَلَيّ فيكون سنّة على بني‌هاشم آخر الدّهر ولمعاوية لا يزال يمنّ بها وعقبه على الحيّ منّا والميّت» .

(قال :) قلت : تترك يابن رسول الله شيعتك كالغنم ليس لها راع ؟

قال : «وما أصنع يا أخا جهينة ؟ إنّي والله أعلم بأمر قد أدّى به إليّ ثقاته أنّ أميرالمؤمنين عليه السلام قال لي ـ ذات يوم وقد رآني فرحاً ـ : يا حسن أتفرح ؟كيف بك إذا رأيت أباك قتيلاً ؟كيف بك إذا ولي هذا الأمر بنو أُميّة وأميرها الرحب البلعوم[2] ، والواسع الإعفجاج[3] ، يأكل ولا يشبع ، يموت وليس له في السماء ناصر ولا في الأرض عاذر ، ثمّ يستولي على غربها وشرقها ، يدين له العباد ، ويطول ملكه ، يستنّ بسنن أهل البدع والضلال ، ويميت الحقّ وسنّة رسول الله صلى الله عليه وآله ، يقسّم المال في أهل ولايته ، ويمنعه من هو أحقّ به ، ويذلّ في ملكه المؤمن ، ويقوي في سلطانه الفاسق ، ويجعل المال بين أنصاره دولاً ، ويتّخذ عباد الله خولاً ، يدرس في سلطانه الحق ، ويظهر الباطل ، ويقتل من ناواه على الحق ، ويدين من لاواه على الباطل ، فكذلك حتّى يبعث الله رجلاً في آخر الزّمان ، وكلب من الدّهر[4] ، وجهل من النّاس ، يؤيّده الله بملائكته ، ويعصم أنصاره ، وينصره بآياته ، ويظهره على أهل الأرض حتّى يدينوا طوعاً وكرهاً ، يملأ الأرض قسطاً وعدلاً ، ونوراً

---

(١) ذكره العلّامة رحمه الله في أولياء عليّ عليه السلام في القسم الأوّل من خلاصته ص١٩٤ ، والشيخ في رجاله ص٤٢ في أصحابه عليّ عليه السلام ، وفي الفهرست ص٩٧ فقال : «زيد بن وهب له كتاب «خطب أميرالمؤمنين عليه السلام على المنابر في الجمع والأعياد وغيرها» ، وفي أُسد الغابة ٢٤٣ ج٢ أنّه كان في جيش عليّ عليه السلام حين مسيره إلى النهروان ، وقال ابن عبدالبر في هامش الإصابة ص٥٤٤ ج١ : إنّه ثقة ، توفي سنة (٩٦).

(٢) البُلعوم ـ بالضم ـ مجرىٰ الطعام في الحلق وهو المريء .

(٣) أي واسع الكرش والأمعاء .

(٤) الكلب : شبيه بالجنون .

وبرهاناً ، يدين له عرض البلاد وطولها ، لا يبقى كافر إلّا آمن به ، ولا طالح إلّا صلح ، ويصطلح في ملكه السباع ، وتخرج الأرض نبتها ، وتنزل السماء بركتها ، وتظهر له الكنوز ، يملك ما بين الخافقين أربعين عاماً ، فطوبى لمن أدرك أيّامه ، وسمع كلامه» .

وعن الأعمش[١] **عن سالم بن أبي الجعد**[٢] **قال** : حدّثني رجل منّا قال : أتيت الحسن بن عليّ عليه السلام فقلت : يابن رسول الله أذللت رقابنا ، وجعلتنا معشر الشيعة عبيداً ، ما بقي معك رجل .

قال : «وممّ ذاك» ؟

قال : قلت : بتسليمك الأمر لهذا الطاغية .

قال : «والله ما سلّمت الأمر إليه إلّا أنّي لم أجد أنصاراً ، ولو وجدت أنصاراً لقاتلته ليلي ونهاري حتّى يحكم الله بيني وبينه ، ولكنّي عرفت أهل الكوفة ، وبلوتهم ، ولا يصلح لي منهم من كان فاسداً ، إنّهم لا وفاء لهم ، ولا ذمّة في قول ولا فعل ، إنّهم لمختلفون ، ويقولون لنا أنّ قلوبهم معنا ، وإنّ سيوفهم لمشهورة علينا» .

قال : وهو يكلّمني إذ تنخّع الدم ، فدعا بطست فحمل من بين يديه ملئ ممّا خرج من جوفه من الدّم .

فقلت له : ما هذا يابن رسول الله إنّي لأراك وجعاً ؟

قال : «أجل دسّ إليّ هذا الطاغية من سقاني سمّاً ، فقد وقع على كبدي وهو يخرج قطعاً كما ترى» .

قلت : أفلا تتداوى ؟

قال : قد سقاني مرّتين وهذه الثالثة لا أجد لها دواء ، ولقد رُقي إليّ : أنّه كتب إلى ملك الرّوم يسأله أن يوجّه إليه من السمّ القتّال شربة ، فكتب إليه ملك الرّوم : إنّه لا يصلح لنا في ديننا أن نعين على قتال من لا يقاتلنا ، فكتب إليه أنّ هذا ابن الرّجل الّذي خرج بأرض تهامة ، وقد خرج يطلب

---

(١) الأعمش : أبو محمّد سليمان بن مهران الأسدي ، مولاهم الكوفي ، معروف بالفضل والثقة ، والجلالة ، والتشيّع والإستقامة ، والعامة أيضاً يثنون عليه ، مطبقون على فضله وثقلته ، مقرّون بجلالته ، مع اعترافهم بتشيّعه ، وقرنوه بالزهري ، ونقلوا منه نوادر كثيرة ، بل صنّف ابن طولون الشامي كتاباً في نوادره سمّاه : «الزهر الأنعش في نوادر الأعمش» ، مات سنة ١٤٨ . [راجع الكنى والألقاب ٣٩/٢ ، رجال الشيخ ٢٠٦]

(٢) عدّه الشيخ ص٤٣ من رجاله في أصحاب عليّ عليه السلام ، وص ٩١ في أصحاب عليّ بن الحسين عليهما السلام ، فقال : «سالم بن أبي الجعد الأشجعي مولاهم الكوفي يكنّى أبا أسماء» وذكره العلامة في القسم الأوّل من خلاصته ص١٩٣ في أولياء عليّ عليه السلام .

ملك أبيه ، وأنا أُريد أن أدسّ إليه من يسقيه ذلك ، فأُريع العباد والبلاد منه ، ووجّه إليه بهدايا وألطاف ، فوجّه إليه ملك الرّوم بهذه الشربة الّتي دسّ فيها فسقيها واشترط عليه في ذلك شروطاً» .

وروي أنّ معاوية دفع السمّ إلى امرأة الحسن بن علي عليهما السلام ؛ جعدة بنت الأشعث ، فقال لها : اسقيه فإذا مات هو زوّجتك ابني يزيد .

فلمّا سقته السمّ ومات عليه السلام جاءت الملعونة إلى معاوية فقالت : زوّجني يزيد .

فقال : إذهبي فإنّ امرأة لم تصلح للحسن بن علي لا تصلح لابني يزيد .

احتجاج الحسين بن علي عليهما السلام على عمر بن الخطاب في الإمامة والخلافة

روي أنّ عمر بن الخطّاب كان يخطب النّاس على منبر رسول الله صلى الله عليه وآله ، فذكر في خطبته أنّه أولى بالمؤمنين من أنفسهم ، فقال له الحسين عليه السلام ـ من ناحية المسجد ـ : «إنزل أيّها الكذّاب عن منبر أبي رسول الله لا منبر أبيك» !

فقال له عمر : فمنبر أبيك لعمري يا حسين لا منبر أبي ، مَن علّمك هذا ؛ أبوك عليّ بن أبي طالب ؟

فقال له الحسين عليه السلام : «إن أطع أبي فيما أمرني فلعمري إنّه لهاد وأنا مهتد به ، وله في رقاب النّاس البيعة على عهد رسول الله ، نزل بها جبرئيل من عند الله تعالى ، لا ينكرها إلّا جاحد بالكتاب ، قد عرفها النّاس بقلوبهم وأنكروها بألسنتهم ، وويل للمنكرين حقّنا أهل البيت ، ماذا يلقاهم به محمّد رسول الله صلى الله عليه وآله من إدامة الغضب وشدّة العذاب» !!

فقال عمر : يا حسين من أنكر حقّ أبيك فعليه لعنة الله ، أمّرنا النّاس فتأمّرنا ، ولو أمّروا أباك لأطعنا .

فقال له الحسين عليه السلام : «يابن الخطّاب فأيّ النّاس أمّرك على نفسه قبل أن تؤمّر أبابكر على نفسك ليؤمّرك على النّاس ، بلا حجّة من نبيّ ولا رضاً من آل محمّد ، فرضا كم كان لمحمّد صلى الله عليه وآله رضا ؟ أو رضا أهله كان له سخطاً ؟! أما والله لو أنّ للسان مقالاً يطول تصديقه ، وفعلاً يعينه المؤمنون ، لما تخطّأت رقاب آل محمّد ، ترقى منبرهم ، وصرت الحاكم عليهم بكتاب نزل فيهم ، لا تعرف معجمه ، ولا تدري تأويله ، إلّا سماع الآذان ، المخطئ والمصيب عندك سواء ، فجزاك الله جزاك ، وسألك عمّا أحدثت سؤالاً حفيّاً» .

(قال :) فنزل عمر مغضباً ، فمشى معه أُناس من أصحابه حتّى أتى باب أميرالمؤمنين عليه‌السلام ، فاستأذن عليه فأذن له ، فدخل فقال : يا أباالحسن ما لقيت اليوم من ابنك الحسين ؛ يجهرنا بصوت في مسجد رسول الله ويحرّض عَلَيّ الطّغام وأهل المدينة .

فقال له الحسن عليه‌السلام : «على مثل الحسين بن النبيّ صلى‌الله‌عليه‌وآله يشخب بمن لا حكم له ، أو يقول بالطغام على أهل دينه ؟ أما والله ما نلت إلّا بالطغام ، فلعن الله من حرّض الطغام» .

فقال له أميرالمؤمنين عليه‌السلام : «مهلاً يا أبامحمّد فإنّك لن تكون قريب الغضب ، ولا لئيم الحسب ، ولا فيك عروق من السودان ، إسمع كلامي ولا تعجل بالكلام» .

فقال له عمر : يا أباالحسن إنّهما ليهمّان في أنفسهما بما لا يرى بغير الخلافة .

فقال أميرالمؤمنين عليه‌السلام : «هما أقرب نسباً برسول الله من أن يهمّا ، أما فارضهما يابن الخطّاب بحقّهما يرض عنك من بعدهما» .

قال : وما رضاهما يا أباالحسن ؟

قال : «رضاهما الرجعة عن الخطيئة ، والتقيّة عن المعصية بالتوبة» .

فقال له عمر : أدّب يا أباالحسن ابنك أن لا يتعاطى السلاطين الّذين هم الحكماء في الأرض .

فقال له أميرالمؤمنين عليه‌السلام : «أنا أُودّب أهل المعاصي على معاصيهم ، ومَن أخاف عليه الزلّة والهلكة ، فأمّا من والده رسول الله ونحله أدبه فإنّه لا ينتقل إلى أدب خير له منه ، أما فارضهما يابن الخطّاب» .

قال : فخرج عمر فاستقبله عثمان بن عفّان ، وعبدالرّحمن بن عوف ، فقال له عبدالرّحمن : يا أباحفص ما صنعت فقد طالت بكما الحجّة ؟

فقال له عمر : وهل حجّة مع ابن أبي طالب وشبلَيه ؟!

فقال له عثمان : يابن الخطّاب ، هم بنو عبد مناف ، الأسمنون والنّاس عجاف .

فقال له عمر : ما أدع ما صرت إليه فخراً به بحمقك .

فقبض عثمان على مجامع ثيابه ثمّ نبذ به وردّه ، ثمّ قال له : يابن الخطّاب ، كأنّك تنكر ما أقول ؟

فدخل بينهما عبدالرحمن وفرّق بينهما ، وافترق القوم .

احتجاج الحسين عليه السلام بذكر مناقب أميرالمؤمنين وأولاده عليهم السلام حين أمر معاوية بلعن أميرالمؤمنين عليه السلام وقتل شيعته وقَتلِ من يروي شيئاً من فضائله

عن سليم بن قيس قال: قدم معاوية بن أبي سفيان حاجّاً في خلافته فاستقبله أهل المدينة، فنظر فإذا الّذين استقبلوه ما فيهم أحد من قريش، فلمّا نزل قال: ما فعلت الأنصار؟ وما بالها لم تستقبلني؟

فقيل له: إنّهم محتاجون ليس لهم دواب.

فقال معاوية: فأين نواضحهم؟

فقال قيس بن سعد بن عبادة ـ وكان سيّد الأنصار وابن سيّدها ـ: أفنوها يوم بدر وأُحد وما بعدهما من مشاهد رسول الله صلى الله عليه وآله، حين ضربوك وأباك على الإسلام حتّى ظهر أمر الله وأنتم كارهون.

فسكت معاوية.

فقال قيس: أمّا إنّ رسول الله صلى الله عليه وآله عهد إلينا أنّا سنلقي بعده إثرة.

فقال معاوية: فما أمركم به؟

فقال: أمرنا أن نصبر حتّى نلقاه.

قال: فاصبروا حتّى تلقوه!

ثمّ إنّ معاوية مرّ بحلقة من قريش، فلمّا رأوه قاموا غير عبدالله بن عبّاس، فقال له: يابن عبّاس ما منعك من القيام كما قام أصحابك إلّا لموجدة أنّي قاتلتكم بصفّين، فلا تجد من ذلك يابن عبّاس فإنّ ابن عمّي عثمان قد قتل مظلوماً!

قال ابن عبّاس: فعمر بن الخطّاب قد قتل مظلوماً.

قال: إنّ عمر قتله كافر.

قال ابن عبّاس: فمن قتل عثمان؟

قال: قتله المسلمون.

قال: فذلك أدحض لحجّتك.

قال: فإنّا قد كتبنا في الآفاق ننهي عن ذكر مناقب عليّ وأهل بيته، فكفّ لسانك.

فقال : يا معاوية أتنهانا عن قراءة «القرآن» ؟

قال : لا .

قال : أتنهانا عن تأويله ؟

قال : نعم .

قال : فنقرأه ولا نسأل عمّا عنى الله به ؟ ثمّ قال : فأيّهما أوجب علينا قرائته أو العمل به ؟

قال : العمل به .

قال : فكيف نعمل به ولا نعلم ما عنى الله ؟!

قال : سل عن ذلك من يتأوّله غير ما تتأوّله أنت وأهل بيتك .

قال : إنّما اُنزل «القرآن» على أهل بيتي فأسأل عنه آل أبي سفيان يا معاوية ؟ أتنهانا أن نعبد الله بالقرآن بما فيه من حلال وحرام ؟! فإن لم تسأل الاُمّة عن ذلك حتّى تعلم تهلك وتختلف .

قال : اقرؤوا «القرآن» وتأوّلوه ولا ترووا شيئاً ممّا أنزل الله فيكم ، وارووا ما سوى ذلك .

قال : فإنّ الله يقول في «القرآن» : ﴿ يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَٱللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَافِرُونَ ﴾[1] .

قال : يابن عبّاس إربع[2] على نفسك ، وكفّ لسانك ، وإن كنت لابدّ فاعلاً فليكن ذلك سرّاً لا يسمعه أحد علانية .

ثمّ رجع إلى بيته فبعث إليه بمائة ألف درهم ، ونادى منادي معاوية أن قد برئت الذمّة ممّن يروي حديثاً من مناقب علي وفضل أهل بيته ، وكان أشدّ النّاس بليّة أهل الكوفة ، لكثرة من بها من الشيعة ، فاستعمل زياد ابن أبيه وضمّ إليه العراقين ؛ الكوفة والبصرة ، فجعل يتتبّع الشيعة وهو بهم عارف يقتلهم تحت كلّ حجر ومدر ، وأخافهم ، وقطع الأيدي والأرجل ، وصلّبهم في جذوع النخل ، وسمل أعينهم ، وطرّدهم وشرّدهم ، حتّى نفوا عن العراق ، فلم يبق بها أحد معروف مشهور ، فهم بين مقتول أو مصلوب ، أو محبوس ، أو طريد ، أو شريد .

وكتب معاوية إلى جميع عمّاله في جميع الأمصار : أن لا تجيزوا لأحد من شيعة عليّ وأهل بيته شهادة ، وانظروا قِبَلكم من شيعة عثمان ومحبّيه ومحبّي أهل بيته وأهل ولايته ، والّذين يروون

---

(١) الصف ٨.

(٢) رَبَعَ ـ كمنع ـ: وقف وانتظر وتجسّس ، ومنه قولهم : إربع عليك أو على نفسك .

فضله ومناقبه فأدنوا مجالسهم ، وقرّبوهم ، وأكرموهم ، واكتبوا بمن يروي من مناقبه واسم أبيه وقبيلته ؛ ففعلوا ، حتّى كثرت الرواية في عثمان ، وافتعلوها لماكان يبعث إليهم من الصلات والخلع والقطايع ، من العرب والموالي ، وكثر ذلك في كلّ مصر ، وتنافسوا في الأموال والدنيا ، فليس أحد يجيء من مصر من الأمصار فيريوي في عثمان منقبة أو فضيلة إلّاكتب اسمه ، وأُجيز ، فلبثوا بذلك ما شاء الله .

ثمّ كتب إلى عمّاله : إنّ الحديث في عثمان قدكثر وفشا في كلّ مصر ، فادعوا النّاس إلى الرواية في معاوية وفضله وسوابقه ، فإنّ ذلك أحبّ إلينا ، وأقرّ لأعيننا ، وأدحض لحجة أهل هذا البيت ، وأشدّ عليهم ؛ فقرأكلّ أمير وقاض كتابه على النّاس ، فأخذ الرواة في فضائل معاوية على المنبر في كلّ كورة وكلّ مسجد زوراً ، وألقوا إلى معلّمي الكتاتيب فعلّموا ذلك صبيانهم ، كما يعلّمونهم «القرآن» ، حتّى علّموه بناتهم ونساءهم وحشمهم ، فلبثوا بذلك ما شاء الله .

وكتب زياد بن أبيه إليه في حقّ الحضرميين إنّهم على دين علي ، وعلى رأيه .

فكتب إليه معاوية : أُقتل كلّ من كان على دين عليّ ورأيه .

فقتلهم ومثّل بهم .

وكتب كتاباً آخر : أُنظروا من قبلكم من شيعة عليّ واتّهموه بحبّه فاقتلوه ، وإن لم تقم عليه البيّنة ، فاقتلوه على التهمة والظِنّة والشبهة تحت كلّ حجر ، حتّى لوكان الرّجل تسقط منه كلمة ضربت عنقه ، حتّى لوكان الرجل يرمى بالزندقة والكفر كان يكرَّم ويعظَّم ولا يتعرّض له بمكروه ، والرجل من الشيعة لا يأمن على نفسه في بلد من البلدان لاسيّما الكوفة والبصرة ، حتّى لو أنّ أحداً منهم أراد أن يلقي سرّاً إلى من يثق به لأتاه في بيته فيخاف خادمه ومملوكه ، فلا يحدّثه إلّا بعد أن يأخذ عليهم الأيمان المغلّظة : ليكتمنّ عليه ، ثمّ لا يزداد الأمر إلّا شدّة ، حتّى كثر وظهر أحاديثهم الكاذبة ، ونشأ عليها الصبيان يتعلّمون ذلك .

وكان أشدّ النّاس في ذلك القرّاء المراؤون المتصنّعون الّذين يظهرون الخشوع والورع ، فكذبوا وانتحلوا الأحاديث وولّدوها فيحظون بذلك عند الولاة والقضاة ويدنون مجالسهم ، ويصيبون بذلك الأموال والقطايع والمنازل ، حتّى صارت أحاديثهم ورواياتهم عندهم حقّاً وصدقاً ، فرووها وقبلوها ، وتعلّموها وعلّموها ، وأحبّوا عليها وأبغضوا من ردّها أو شكّ فيها ، فاجتمعت على ذلك جماعتهم ، وصارت في يد المتنسّكين والمتديّنين منهم الّذين لا يحبّون

الإفتعال إلى مثلها ، فقبلوها وهم يرون أنّها حقّ ، ولو علموا بطلانها وتيقّنوا أنّها مفتعلة لأعرضوا عن روايتها ولم يدينوا بها ، ولم يبغضوا من خالفها ، فصار الحقّ في ذلك الزمان عندهم باطلاً ، والباطل عندهم حقّاً ، والكذب صدقاً ، والصدق كذباً .

فلمّا مات الحسن بن علي ازداد البلاء والفتنة ، فلم يبق لله وليّ إلّا خائف على نفسه ، أو مقتول ، أو طريد ، أو شريد ، فلمّا كان قبل موت معاوية بسنتين حجّ الحسين بن علي عليه السلام وعبدالله بن جعفر ، وعبدالله بن عبّاس معه ، وقد جمع الحسين بن علي عليه السلام بني هاشم ، رجالهم ونساءهم ، ومواليهم ، وشيعتهم ، من حجّ منهم ومن لم يحج ، ومن الأنصار ممّن يعرفونه ، وأهل بيته ، ثمّ لم يدع أحداً منهم من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله ومن أبنائهم والتابعين ، ومن الأنصار المعروفين بالصلاح والنسك إلّا جمعهم ، فاجتمع عليه بمنى أكثر من ألف رجل ، والحسين عليه السلام في سرادقه ، عامّتهم التابعون وأبناء الصحابة ، فقام الحسين عليه السلام فيهم خطيباً ، فحمد الله وأثنى عليه ثمّ قال :

«أمّا بعد ؛ فإنّ الطاغية قد صنع بنا وشيعتنا ما قد علمتم ورأيتم وشاهدتم وبلغكم ، وإنّي أُريد أن أسألكم عن أشياء ؛ فإن صدقت فصدّقوني وإن كذبت فكذّبوني ، إسمعوا مقالتي ، واكتموا قولي ، ثمّ ارجعوا إلى أمصاركم وقبائلكم من أمنتموه ووثقتم به فادعوهم إلى ما تعلمون ، فإنّي أخاف أن يندرس هذا الحق ويذهب ، والله متمّ نوره ولو كره الكافرون» .

فما ترك الحسين شيئاً أنزل الله فيهم من «القرآن» إلّا قاله وفسّره ، ولا شيئاً قاله الرّسول في أبيه وأُمّه وأهل بيته إلّا رواه ، وكلّ ذلك يقول الصحابة : اللّهمّ نعم ، قد سمعناه وشهدناه ، ويقول التابعون : اللّهمّ قد حدّثنا من نصدّقه ونأتمنه ؛ حتّى لم يترك شيئاً إلّا قاله ، ثمّ قال : «أُنشدكم بالله إلّا رجعتم وحدّثتم به من تثقون به» ، ثمّ نزل وتفرّق النّاس على ذلك .

احتجاجه عليه السلام على معاوية توبيخاً له على قتل من قتله من شيعة أميرالمؤمنين وترحّمه عليهم

عن صالح بن كيسان[1] قال : لمّا قتل معاوية حجر بن عدي وأصحابه ، حجّ ذلك العام فلقي الحسين بن علي عليه السلام فقال : يا أباعبدالله هل بلغك ما صنعنا بحجر ، وأصحابه ، وأشياعه ، وشيعة أبيك ؟

---

(١) صالح بن كيسان المدني عدّه الشيخ من أصحاب عليّ بن الحسين عليهما السلام ص٩٣ من رجاله .

فقال عليه السلام : «وما صنعت بهم» ؟

قال : قتلناهم ، وكفنّاهم ، وصلّينا عليهم .

فضحك الحسين عليه السلام ثمّ قال : «خصمك القوم يا معاوية ، لكنّنا لو قتلنا شيعتك ماكفنّاهم ، ولا صلّينا عليهم ، ولا قبرناهم ، ولقد بلغني وقيعتك في علي وقيامك ببغضنا ، واعتراضك بني هاشم بالعيوب ، فإذا فعلت ذلك فارجع إلى نفسك ، ثمّ سلها الحقّ عليها ولها ، فإن لم تجدها أعظم عيباً فما أصغر عيبك فيك ، وقد ظلمناك يا معاوية فلا توترنّ غير قوسك ، ولا ترمينّ غير غرضك ، ولا ترمنا بالعداوة من مكان قريب ، فإنّك والله لقد أطعت فينا رجلاً ما قدم إسلامه ، ولا حدث نفاقه ، ولا نظر لك فانظر لنفسك أو دع ـ يعني عمرو بن العاص ـ» .

وقال عليه السلام ـ في جواب كتاب كتب إليه معاوية على طريق الإحتجاج ـ : «أمّا بعد ؛ فقد بلغني كتابك أنّه بلغك عنّي اُمور إنّ بي عنها غنى ، وزعمت أنّي راغب فيها ، وأنا بغيرها عنك جدير ، أما رقى إليك عنّي فإنّه إنّما رقاه إليك الملّاقون المشاؤون بالنمائم ، المفرّقون بين الجمع ، كذب الساعون الواشون ما أردت حربك ولا خلافاً عليك ، وأيم الله إنّي لأخاف الله عزّ ذكره في ترك ذلك ، وما أظنّ الله تبارك وتعالى براض عنّي بتركه ، ولا عاذري بدون الإعتذار إليه فيك ، وفي أولئك القاسطين الملبّين حزب الظالمين ، بل أولياء الشيطان الرجيم ، ألست قاتل حجر بن عدي أخي كندة وأصحابه الصالحين المطيعين العابدين ؛ كانوا ينكرون الظلم ، ويستعظمون المنكر والبدع ، ويؤثرون حكم الكتاب ، ولا يخافون في الله لومة لائم ، فقتلتهم ظلماً وعدواناً بعدماكنت أعطيتهم الأيمان المغلّظة والمواثيق المؤكّدة لا تأخذهم بحدث كان بينك وبينهم ، ولا بإحنة تجدها في صدرك عليهم ؟

أولست قاتل عمرو بن الحمق صاحب رسول الله ؛ العبد الصالح الّذي أبلته العبادة فصفرت لونه ، ونحلت جسمه ، بعد أن أمنته وأعطيته من عهود الله عزّ وجلّ وميثاقه ما لو أعطيته العصم ففهمته لنزلت إليك من شعف الجبال ، ثمّ قتلته جرأة على الله عزّ وجلّ ، واستخفافاً بذلك العهد ؟

أولست المدّعي زياد بن سميّة ؛ المولود على فراش عبيد عبد ثقيف ، فزعمت أنّه ابن أبيك ، وقد قال رسول الله : «الولد للفراش وللعاهر الحجر» فتركت سنّة رسول الله واتّبعت هواك بغير هدى من الله ، ثمّ سلّطته على أهل العراق فقطع أيدي المسلمين وأرجلهم وسمل أعينهم ، وصلبهم على جذوع النخل كأنّك لست من هذه الاُمّة وليسوا منك ؟

أولست صاحب الحضرميّين الّذين كتب إليك فيهم ابن سميّة أنّهم على دين عليٍّ ورأيه، فكتبت إليه : أُقتل كلّ من كان على دين عليّ ورأيه ؛ فقتلهم ، ومثّل بهم بأمرك ، ودين عليّ والله وابن علي الّذي ان يضرب عليه أباك ، وهو أجلسك بمجلسك الّذي أنت فيه ، ولولا ذلك لكان أفضل شرفك وشرف أبيك تجشّم الرحلتين اللّتين بنا منَّ الله عليكم فوضعهما عنكم ؟

وقلت فيما تقول أُنظر لنفسك ولدينك ولأُمّة محمّد ، واتّق شقّ عصا هذه الاُمّة ، وأن تردّهم في فتنة ، فلا أعرف فتنة أعظم من ولايتك عليها ، ولا أعلم نظراً لنفسي وولدي وأُمّة جدّي أفضل من جهادك ، فإن فعلته فهو قربة إلى الله ﷻ ، وإن تركته فأستغفر الله لذنبي وأسأله توفيقي لإرشاد أُموري .

وقلت فيما تقول إن أنكرك تنكرني ، وإن أكدك تكدني ، وهل رأيك إلّا كيد الصالحين منذ خلقت ؟ فكدني ما بدا لك إن شئت فإنّي أرجو أن لا يضرّني كيدك ، وأن لا يكون على أحد أضرّ منه على نفسك ، على أنّك تكيد فتوقظ عدوّك ، وتوبق نفسك ، كفعلك بهؤلاء الّذين قتلتهم ومثّلت بهم بعد الصلح والأيمان والعهد والميثاق ، فقتلتهم من غير أن يكونوا قتلوا إلّا لذكرهم فضلنا ، وتعظيمهم حقّنا ، بما به شرفت وعرفت ، مخالفة أمر لعلّك لو لم تقتلهم متّ قبل أن يفعلوا ، أو ماتوا قبل أن يدركوا ، إبشر يا معاوية بقصاص ، واستعدّ للحساب ، واعلم أنّ لله ﷻ كتاباً لا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلّا أحصاها ، وليس الله تبارك وتعالى بناس أخذك بالظنّة ، وقتلك أولياءه بالتهمة ، ونفيك إيّاهم من دار الهجرة إلى دار الغربة والوحشة ، وأخذك النّاس ببيعة ابنك ، غلام من الغلمان ، يشرب الشراب ، ويلعب بالكعاب ، لا أعلمك إلّا قد خسرت نفسك ، وشريت دينك ، وغششت رعيّتك ، وأخزيت أمانتك ، وسمعت مقالة السفيه الجاهل ، وأخفت التقي الورع الحليم» .

قال : فلمّا قرأ معاوية كتاب الحسين ﷺ قال : لقد كان في نفسه ضبّ عليّ ما كنت أشعر به .

فقال له ابنه يزيد وعبدالله بن أبي عمير بن جعفر : أجبه جواباً شديداً تصغر إليه نفسه ، وتذكر أباه بأسوأ فعله وآثاره .

فقال : كلّا أرأيتما لو أنّي أردت أن أعيب عليّاً محقّاً ما عسيت أن أقول ، إنّ مثلي لا يحسن به أن يعيب بالباطل ، وما لا يعرف النّاس ، ومتى عبت رجلاً بما لا يعرف لم يحفل به صاحبه ولم يره شيئاً ، وما عسيت أن أعيب حسيناً ، وما أرى للعيب فيه موضعاً إلّا أنّي قد أردت أن أكتب إليه

وأتوعّده وأُهدّده ، وأجهله ثمّ رأيت أن لا أفعل .

قال : فماكتب إليه بشيء يسوءه ، ولا قطع عنه شيئاًكان يصله به ،كان يبعث إليه في كلّ سنة ألف ألف درهم سوى عروض وهدايا من كلّ ضرب .

احتجاجه صلوات الله عليه بإمامته على معاوية وغيره وذكر طرف من مفاخراته ومشاجراته الّتي جرت له مع معاوية وأصحابه

عن موسى بن عقبة[(١)] **أنّه قال** : لقد قيل لمعاوية : إنّ النّاس قد رموا أبصارهم إلى الحسين عليه السلام ، فلو قد أمرته يصعد المنبر ويخطب فإنّ فيه حصراً وفي لسانه كلالة .

فقال لهم معاوية : قد ظننّا ذلك بالحسن ، فلم يزل حتّى عظم في أعين النّاس وفضحنا .

فلم يزالوا به حتّى قال للحسين : يا أباعبدالله لو صعدت المنبر فخطبت .

فصعد الحسين عليه السلام على المنبر ، فحمد الله وأثنى عليه ، وصلّى على النّبيّ صلى الله عليه وآله ، فسمع رجلاً يقول : مَن هذا الّذي يخطب ؟

فقال الحسين عليه السلام : «نحن حزب الله الغالبون ، وعترة رسول الله صلى الله عليه وآله الأقربون ، وأهل بيته الطيّبون ، وأحد الثقلين اللّذين جعلنا رسول الله صلى الله عليه وآله ثاني كتاب الله تبارك وتعالى ، الّذي فيه تفصيل كلّ شيء ، لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، والمعوّل علينا في تفسيره ، لا يبطينا تأويله ، بل نتّبع حقايقه ، فأطيعونا فإنّ طاعتنا مفروضة ، إن كانت بطاعة الله ورسوله مقرونة ، قال الله عزّ وجلّ : ﴿ يَاأَيُّهَا ٱلَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا ٱللهَ وَأَطِيعُوا ٱلرَّسُولَ وَأُولِي ٱلْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللهِ وَٱلرَّسُولِ ﴾[(٢)] وقال : ﴿ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى ٱلرَّسُولِ وَإِلَىٰ أُولِي ٱلْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ ٱلَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ وَلَوْلاَ فَضْلُ ٱللهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لاَتَّبَعْتُمُ ٱلشَّيْطَانَ إِلَّا قَلِيلاً ﴾[(٣)] ، وأُحذّركم الإصغاء إلى هتوف الشيطان بكم فإنّه لكم عدوّ مبين ، فتكونوا كأوليائه الّذين قال لهم : ﴿ لاَغَالِبَ لَكُمُ ٱلْيَوْمَ مِنَ ٱلنَّاسِ وَإِنِّي جَارٌ لَكُمْ فَلَمَّا تَرَاءَتِ ٱلْفِئَتَانِ نَكَصَ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ وَقَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِنكُمْ ﴾[(٤)] فتلقون للسيوف ضرباً ، وللرماح

---

(١) موسى بن عقبة بن أبي عيّاش المدني تابعي ، عدّه الشيخ رحمه الله في أصحاب الصادق عليه السلام ص٣٠٧.

(٢) النساء ٥٩.

(٣) النساء ٨٣.

(٤) الأنفال ٤٨.

وَرَداً ، وللعمد حطماً ، وللسهام غرضاً ، ثمّ لا يقبل من نفس إيمانها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت في إيمانها خيراً» .

قال معاوية : حسبك يا أباعبدالله قد بلغت .

وعن محمّد بن السايب[1] أنّه قال : قال مروان بن الحكم يوماً للحسين بن علي عليه السلام : لولا فخركم بفاطمة بِمَ كنتم تفتخرون علينا ؟

فوثب الحسين عليه السلام ـ وكان عليه السلام شديد القبضة ـ فقبض على حلقه فعصره ، ولوى عمامته على عنقه حتّى غشي عليه ، ثمّ تركه ، وأقبل الحسين عليه السلام على جماعة من قريش فقال : «أُنشدكم بالله إلّا صدّقتموني إن صدقت ، أتعلمون أنّ في الأرض حبيبين كانا أحبّ إلى رسول الله صلى الله عليه وآله منّي ومن أخي ؟ أو على ظهر الأرض ابن بنت نبيّ غيري وغير أخي» ؟

قالوا : اللّهمّ لا .

قال : «وإنّي لا أعلم أنّ في الأرض ملعون ابن معلون غير هذا وأبيه ، طريدَي رسول الله ، والله مابين جابرس[2] وجابلق أحدهما بباب المشرق والآخر بباب المغرب رجلان ممّن ينتحل الإسلام أعدى لله ولرسوله ولأهل بيته منك ومن أبيك إذاكان ، وعلامة قولي فيك أنّك إذا غضبت سقط رداؤك من منكبك» .

قال : فوالله ما قام مروان من مجلسه حتّى غضب فانتفض وسقط رداؤه عن عاتقه .

احتجاجه عليه السلام على أهل الكوفة بكربلا

عن مصعب بن عبدالله[3] : لمّا استكفّ[4] النّاس بالحسين عليه السلام ، ركب فرسه واستنصت النّاس ،

---

(١) محمّد بن السايب : عدّه الشيخ في أصحاب الصادق عليه السلام ص٢٨٩ .

(٢) قال الحموي : جابرس : مدينة بأقصىٰ المشرق يقول اليهود : إنّ أولاد موسى عليه السلام هربوا إمّا في حرب طالوت أو في حرب بخت نصر فسيّرهم الله وأنزلهم بهذا الموضع .
وقال أيضاً : جابلق ـ بالباء الموحدة المفتوحة وسكون اللّام ـ روىٰ أبو روح عن ضحّاك عن ابن عبّاس : أنّ جابلق مدينة بأقصىٰ المغرب ، وأهلها من ولد عاد ، وأهل جابرس من ولد ثمود ، ففي كلّ واحدة منها بقايا ولد موسى عليه السلام . [معجم البلدان ٢/٩٠]

(٣) مصعب بن عبدالله : من آل الزبير بن العوام ، مجهول الحال ، ذكره المامقاني في الجزء الثالث من رجاله ص٢١٩ .

(٤) استكفّ به النّاس : إذا أحدقوا به ، واستكفّوا حوله ينظرون إليه .

فحمد الله وأثنى عليه ، ثمّ قال : «تبّاً لكم أيتها الجماعة وترحاً وبؤساً لكم وتعساً ! حين استصرختمونا ولهين ، فأصرخناكم موجفين ، فشحذتم علينا سيفاً كان في أيدينا ، وحششتم علينا ناراً أضرمناها على عدوّكم وعدوّنا ، فأصبحتم إلباً[1] على أوليائكم ، ويداً لأعدائكم ، من غير عدل أفشوه فيكم ، ولا أمل أصبح لكم فيهم ، ولا ذنب كان منّا إليكم ، فهلّا لكم الويلات إذكرهتمونا والسيف مشيم ، والجاش طامن ، والرأي لم يستحصف ، ولكنّكم أسرعتم إلى بيعتنا كطيرة الدّبا[2] ، وتهافتّم إليها كتهافت الفراش ، ثمّ نقضتموها سفهاً وضلّة ، فبعداً وسحقاً لطواغيت هذه الأمّة ! وبقيّة الأحزاب ، ونَبَذة الكتاب ، ومطفئي السُّنن ، ومؤاخي المستهزئين ، الّذين جعلوا «القرآن» عضين ، وعصاة الإمام ، وملحقي العهرة[3] بالنسب ، ولبئس ما قدّمت لهم أنفسهم أن سخط الله عليهم وفي العذاب هم خالدون .

أفهؤلاء تعضدون وعنّا تتخاذلون ؟! أجل والله ، خذل فيكم معروف ، نبتت عليه أصولكم ، وتأزرت[4] عليه عروقكم ، فكنتم أخبث ثمر شجر للناظر ، وأكلة للغاصب ، ألا لعنة الله على الظالمين الناكثين الّذين ينقضون الأيمان بعد توكيدها وقد جعلوا الله عليهم كفيلا ، ألا وإنّ الدّعيّ[5] ابن الدّعي قد تركني بين السلّة والذلّة ، وهيهات له ذلك منّي ، هيهات منّا الذلّة !! أبى الله ذلك لنا ورسوله والمؤمنون ، وحجور طهرت وجدود طابت ، أن تؤثر طاعة اللئام على مصارع الكرام ، ألا وإنّي زاحف بهذه الأُسرة على قلّة العدد ، وكثرة العدو ، وخذلة النّاصر» .

ثمّ تمثّل عليه السلام فقال شعراً :

«فإن نهزم فهزّامون قدماً	وإن نهزم فغير مهزّمينا
وما إن طبّنا جبن ولكن	منايانا ودولة آخرينا
فلو خلد الملوك إذاً خلدنا	ولو بقي الكرام إذاً بقينا
فقل للشامتين بنا أفيقوا	سيلقى الشامتون بما لقينا»

وقيل : إنّه لمّا قتل أصحاب الحسين عليه السلام وأقاربه وبقي فريداً ليس معه إلّا ابنه علي زين

---

(١) الإلب ـ بالفتح والكسر ـ : القوم يجتمعون على عداوة إنسان .

(٢) الدّبا ـ مقصوراً ـ : الجراد قبل أن يطير .

(٣) العهرة : الزاني .

(٤) الأزر : القوة والشدّة .

(٥) الدّعيّ ـ كغني ـ : المتهم في نسبه .

العابدين عليه السلام ، وابن آخر في الرضاع اسمه عبدالله ، فتقدّم الحسين عليه السلام إلى باب الخيمة ، فقال : «ناولوني ذلك الطفل حتّى أُودّعه» .

فناولوه الصبي ، جعل يقبّله وهو يقول : «يا بني ويل لهؤلاء القوم إذا كان خصمهم محمّد صلى الله عليه وآله» .

قيل : فإذا بسهم قد أقبل حتّى وقع في لبة[١] الصبي فقتله ، فنزل الحسين عن فرسه وحفر للصبي بجفن[٢] سيفه ورمّله[٣] بدمه ودفنه ، ثمّ وثب قائماً وهو يقول :

«كفر القوم وقدماً رغبوا ... عن ثواب الله ربّ الثقلين
قتلوا قدماً عليّاً وابنه ... حسن الخير كريم الطرفين
حنقاً منهم وقالوا أجمعوا ... نفتك الآن جميعاً بالحسين
يا لقوم من أناس رذّل ... جمعوا الجمع لأهل الحرمين
ثمّ صاروا وتواصوا كلّهم ... باحتياج لرضاء الملحدين
لم يخافوا الله في سفك دمي ... لعبيدالله نسل الكافرين
وابن سعد قد رماني عنوة ... بجنود كوكوف الهاطلين[٤]
لا لشيء كان منّي قبل ذا ... غير فخري بضياء الفرقدين
بعليّ الخير من بعد النّبي ... والنبيّ القرشيّ الوالدين
خيرة الله من الخلق أبي ... ثمّ أُمّي فأنا ابن الخيرتين
فضّة قد خلقت من ذهب ... فأنا الفضّة وابن الذهبين
من له جدّ كجدّي في الورى ... أو كشيخي فأنا ابن القمرين
فاطم الزهراء أُمّي وأبي ... قاصم الكفر ببدر وحنين
عروة الدّين عليّ المرتضى ... هادم الجيش مصلّى القبلتين
وله في يوم أُحد وقعة ... شفت الغل بقبض العسكرين
ثمّ بالأحزاب والفتح معاً ... كان فيها حتف أهل القبلتين

---

(١) لبّة البعير : موضع نحره .

(٢) جفن السيف : غلافه .

(٣) رَمَلَ الثوب : لطخه بالدم .

(٤) وَكَفَ البيت بالمطر : تقاطر وسال قليلاً . والهطل : تتابع المطر والدمع وسيلانه .

في سبيل الله ماذا صنعت ... أُمّة السوء معاً بالعترتين

عترة البرّ التقيّ المصطفى ... وعليّ القرم يوم الجحفلين

عَبَدَ الله غلاماً يافعاً ... وقريش يعبدون الوثنين

وقلى الأوثان لم يسجدْ لها ... مع قريش لا ولا طرفة عين

طعن الأبطال لمّا برزوا ... يوم بدر وتبوك وحنين»

ثمّ تقدّم الحسين عليه السلام حتّى وقف قبالة القوم وسيفه مصلت في يده ، آيساً من نفسه ، عازماً على الموت ، وهو يقول :

«أنا ابن عليّ الطهر من آل هاشم ... كفاني بهذا مفخراً حين أفخر

وجدّي رسول الله أكرم من مشى ... ونحن سراج الله في الخلق نزهر

وفاطم أُمّي من سلالة أحمد ... وعمّي يدعى ذوالجناحين جعفر

وفينا كتاب الله أُنزل صادقاً ... وفينا الهدى والوحي بالخير تذكر

ونحن أمان الله للنّاس كلّهم ... نطول بهذا في الأنام ونجهر

ونحن حماة الحوض نسقي ولاتنا ... بكأس رسول الله ما ليس ينكر

وشيعتنا في الحشر أكرم شيعة ... ومبغضنا يوم القيامة يخسر

احتجاج فاطمة الصغرى على أهل الكوفة

عن زيد بن موسى بن جعفر[1] **عن أبيه عن آبائه عليهم السلام** قال : خطبت فاطمة الصغرى عليها السلام بعد أن ردّت من كربلا فقالت : «الحمد لله عدد الرمل والحصى ، وزنة العرش إلى الثرى ، أحمده وأُومن به وأتوكّل عليه ، وأشهد أن لا إله إلّا الله ، وحده لا شريك له ، وأنّ محمّداً عبده ورسوله ، وأنّ أولاده ذبحوا بشط الفرات من غير ذخل[2] ولا تراث ، اللّهمّ إنّي أعوذ بك أن أفتري عليك الكذب ، وأن أقول خلاف ما أنزلت عليه من أخذ العهود لوصيّه عليّ بن أبي طالب عليه السلام ، المسلوب حقّه ،

---

(١) زيد بن موسى بن جعفر عليه السلام ـ وهو لأمّ ولد ـ عقد له محمّد بن محمّد بن زيد بن عليّ بن الحسين بن عليّ بن أبي طالب عليه السلام أيّام أبي السرايا على الأهواز ، ولمّا دخل البصرة وغلب عليها أحرق دور بني العبّاس وأضرم النّار في نخيلهم وجميع أسبابهم فقيل له : زيد النّار . [عمدة الطالب ٢٢١]

(٢) الذَّحْلُ : الوِتر وطلب المكافأة بجناية جنيت عليه من قتل أو جرح ونحو ذلك ، والذحل العداوة أيضاً .

المقتول من غير ذنب ،كما قتل ولده بالأمس في بيت من بيوت الله ، وبها معشر مسلمة بألسنتهم ، تعساً لرؤوسهم ! ما دفعت عنه ضيماً في حياته ولا عند مماته ، حتّى قبضته إليك محمود النقيبة ، طيّب الضريبة ، معروف المناقب ، مشهور المذاهب ، لم تأخذه فيك لومة لائم ، ولا عذل عاذل ، هديته يا ربّ للإسلام صغيراً ، وحمدت مناقبه كبيراً ، ولم يزل ناصحاً لك ولرسولك صلواتك عليه وآله حتّى قبضته إليك ، زاهداً في الدّنيا غير حريص عليها ، راغباً في الآخرة مجاهداً لك في سبيلك ، رضيته فاخترته ، وهديته إلى طريق مستقيم .

أمّا بعد يا أهل الكوفة ! يا أهل المكر والغدر والخيلاء ، إنّا أهل بيت ابتلانا الله بكم ، وابتلاكم بنا ، فجعل بلائنا حسناً ، وجعل علمه عندنا وفهمه لدينا ، فنحن عيبة علمه ، ووعاء فهمه وحكمته ، وحجّته في الأرض في بلاده لعباده ، أكرمنا الله بكرامته ، وفضّلنا بنبيّه ﷺ على كثير من خلقه تفضيلاً ، فكذّبتمونا ، وكفرتمونا ، ورأيتم قتالنا حلالاً ، وأموالنا نهباً ،كأنّا أولاد الترك أو كابل ،كما قتلتم جدّنا بالأمس ، وسيوفكم تقطر من دمائنا أهل البيت لحقد متقدّم ، قرّت بذلك عيونكم ، وفرحت به قلوبكم ، اجتراءاً منكم على الله ، ومكراً مكرتم والله خير الماكرين ، فلا تدعونّكم أنفسكم إلى الجذل بما أصبتم من دمائنا[1] ، ونالت أيديكم من أموالنا ، فإنّ ما أصابنا من المصائب الجليلة ، والرزايا العظيمة ﴿ فِي كِتَابٍ مِن قَبْلِ أَن نَبْرَأَهَا إِنَّ ذٰلِكَ عَلَىٰ ٱللهِ يَسِيرٌ * لِكَيْلاَ تَأْسَوْا عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلاَ تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ وَٱللهُ لاَ يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴾ .

تبّاً لكم !فانتظروا اللعنة والعذاب ،فكأنّ قد حلّ بكم ،وتواترت من السماء نقمات فيسحتكم[2] بماكسبتم[3] ، ويذيق بعضكم بأس بعض ، ثمّ تخلدون في العذاب الأليم يوم القيامة بما ظلمتمونا ، ألا لعنة الله على الظالمين ، ويلكم أتدرون أيّة يد طاعنتنا منكم ؟ أو أيّة نفس نزعت إلى قتالنا ؟ أم بأيّة رجل مشيتم إلينا تبغون محاربتنا ؟ قست قلوبكم ، وغلظت أكبادكم ، وطبع على أفئدتكم ، وختم على سمعكم وبصركم ، وسوّل لكم الشيطان وأملى لكم ، وجعل على بصركم غشاوة فإنتم لا تهتدون .

تبّاً لكم يا أهل الكوفة !كم ترات لرسول الله ﷺ قبلكم ؟ وذحوله لديكم ؟ ثمّ غدرتم بأخيه

---

(١) الجذل : الفرح .

(٢) فيسحتكم بعذابٍ واقع : أي يهلككم ويستأصلكم .

(٣) يسحتكم : يستأصلكم .

عليّ بن أبي طالب عليه السلام جدّي ، وبنيه عترة النبيّ الطيّبين الأخيار .

وافتخر بذلك مفتخر فقال :

نحن قتلنا عليّاً وبني عليّ   بسيوف هنديّة ورماح

وسبينا نساءَهم سبيَ ترك   ونطحناهم فأيّ نطاح[١]

فقالت : بفيك أيّها القائل الكثكث[٢] ، ولك الأثلب[٣] ، افتخرت بقتل قوم زكّاهم الله وطهّرهم ، وأذهب عنهم الرّجس ، فأكظم واقع كما أقعى أبوك ، وإنّما لكلّ امرئ ما قدّمت يداه ، حسدتمونا ويلاً لكم على ما فضّلنا الله .

فما ذنبنا إن جاش دهر بحورنا   وبحرك ساج لا يواري الدعامصا[٤]

ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء ، ومن لم يجعل الله له نوراً فما له من نور» .

قال : فارتفعت الأصوات بالبكاء وقالوا : حسبكِ يا بنت الطيّبين ! فقد أحرقتِ قلوبنا ، وأنضجت نحورنا ، وأضرمت أجوافنا ، فسكتت عليها وعلى أبيها وجدّها السّلام .

خطبة زينب بنت علي بن أبي طالب بحضرة أهل الكوفة في ذلك اليوم تقريعاً لهم وتانيبا

عن حذيم بن شريك الأسدي[٥] قال : لمّا أتى عليّ بن الحسين زين العابدين بالنسوة من كربلاء ، وكان مريضاً ، وإذا نساء أهل الكوفة ينتدبن مشقّقات الجيوب ، والرّجال معهنّ يبكون .

فقال زين العابدين عليه السلام ـ بصوت ضئيل وقد نهكته العلّة ـ : «إنّ هؤلاء يبكون علينا ، فمن قتلنا غيرهم» ؟

فأومت زينب بنت عليّ بن أبي طالب عليهما السلام إلى النّاس بالسكوت .

قال حذيم الأسدي : لم أر والله خفرة قط أنطق منها ، كأنّها تنطق وتفرغ على لسان عليّ عليه السلام ، وقد أشارت إلى النّاس بأن أنصتوا ؛ فارتدّت الأنفاس ، وسكنت الأجراس ، ثمّ قالت ـ بعد حمدالله

---

(١) نطحه ، نطحاً : أصابه بقرنه .

(٢) الكثكث : دقاق التراب .

(٣) الأثلب : دقاق الحجر .

(٤) الدعامص ـ جمع دعموص ـ وهو : دويبة صغيرة تكون في مستنقع الماء ، والبيت للأعشى .

(٥) حذيم بن شريك الأسدي : عدّه الشيخ في رجاله ص٨٨ من أصحاب الإمام عليّ بن الحسين عليهما السلام .

تعالى والصّلاة على رسوله ﷺ ـ:

«أمّا بعد ؛ يا أهل الكوفة ، يا أهل الختل[١] والغدر ، والخذل والمكر !! ألا فلا رقأت العبرة[٢] ولا هدأت الزفرة ، إنّما مثلكم كمثل الّتي نقضت غزلها من بعد قوّة أنكاثاً[٣] تتخذون أيمانكم دخلاً بينكم[٤] هل فيكم إلّا الصّلف[٥] والعجب ، والشّنف[٦] والكذب ، وملق الإماء وغمز الأعداء[٧] ، أو كمرعى على دمنة[٨] أو كفصّة على ملحودة[٩] ألا بئس ما قدّمت لكم أنفسكم أن سخط الله عليكم وفي العذاب أنتم خالدون . أتبكون أخي ؟ أجل والله فابكوا فإنّكم أحرى بالبكاء ، فابكوا كثيراً واضحكوا قليلاً ، فقد بُليتم بعارها ، ومنيتم بشنارها[١٠] ولن ترحضوها أبداً[١١] وأنّىٰ ترحضون قتل سليل خاتم النبوّة ومعدن الرسالة ، وسيّد شباب أهل الجنّة ، وملاذ حربكم ، ومعاذ حزبكم ، ومقرّ سلمكم ، وأسى كلمكم[١٢] ومفزع نازلتكم ، والمرجع إليه عند مقاتلكم ، ومدرة حججكم[١٣] ومنار محجّتكم ، ألا ساء ما قدّمت لكم أنفسكم ، وساء ما تزرون ليوم بعثكم ، فتعساً تعساً ! ونكساً نكساً ! لقد خاب السّعي ، وتبّت الأيدي ، وخسرت الصفقة ، وبؤتم بغضب من الله وضربت عليكم الذلّة والمسكنة ، أتدرون ويلكم أيّ كبد لمحمّد ﷺ فرثتم ؟! وأيّ عهد نكثتم ؟! وأيّ كريمة له أبرزتم ؟! وأيّ حرمة له هتكتم ؟! وأيّ دم له سفكتم ؟! لقد جئتم شيئاً إدّاً ، تكاد السّماوات يتفطّرن منه وتنشقّ الأرض وتخرّ الجبال هدّا ! لقد

---

(١) الختل : الخداع .

(٢) رقأت : جفت .

(٣) أي : حلّته وأفسدته بعد إبرام .

(٤) أي : خيانة وخديعة .

(٥) الصلف : الّذي يمتدح بما ليس عنده .

(٦) الشنف : البغض بغير حق .

(٧) الغمز : الطعن والعيب .

(٨) الدمنة : المزبلة .

(٩) الفصّة : الجص . والملحودة : القبر .

(١٠) الشنار : العار .

(١١) أي : لن تغسلوها .

(١٢) أي : دواء جرحكم .

(١٣) المدرة : زعيم القوم ولسانهم المتكلّم عنهم .

جئتم بها شوهاء صلعاء، عنقاء، سوداء، فقماء، خرقاء[١] كطلاع الأرض، أو ملأ السماء[٢]، أفعجبتم أن تمطر السّماء دماً، ولعذاب الاوخرة أخزى وهم لا ينصرون، فلا يستخفّنّكم المهل، فإنّه عزّ وجلّ لا يحفزه البدار[٣] ولا يخشى عليه فوت الثار، كلّا إنّ ربّك لنا ولهم لبالمرصاد».

ثمّ أنشأت تقول عليها السلام:

«ماذا تقولون إذ قال النّبيّ لكم ... ماذا صنعتم وأنتم آخر الأُمم
بأهل بيتي وأولادي وتكرمتي ... منهم أُسارى ومنهم ضرّجوا بدم
ماكان ذاك جزائي إذ نصحت لكم ... أن تخلفوني بسوء في ذوي رحم
إنّي لأخشى عليكم أن يحلّ بكم ... مثل العذاب الّذي أودى على إرم»

ثمّ ولّت عنهم.

قال حذيم: فرأيت النّاس حيارى قد ردّوا أيديهم في أفواههم، فالتفتُّ إلى شيخ في جانبي يبكي وقد اخضلّت لحيته بالبكاء، ويده مرفوعة إلى السّماء وهو يقول: بأبي وأُمّي كهولكم خير كهول، ونساؤهم خير نساء، وشبابهم خير شباب، ونسلهم نسل كريم، وفضلهم فضل عظيم، ثمّ أنشد:

كهولكم خير الكهول ونسلكم ... إذا عدّ نسل لا يبور ولا يخزى

فقال عليّ بن الحسين عليه السلام: «يا عمّة اسكتي ففي الباقي من الماضي اعتبار، وأنت بحمد الله عالمة غير معلّمة، فهمة غير مفهّمة، إنّ البكاء والحنين لا يردّان من قد أباده الدهر».

فسكتت، ثمّ نزل عليه السلام وضرب فسطاطه، وأنزل نساءه ودخل الفسطاط.

احتجاج علي بن الحسين عليه السلام على أهل الكوفة حين خرج من الفسطاط وتوبيخه إيّاهم على غدرهم ونكثهم

قال حذيم بن شريك الأسدي: خرج زين العابدين عليه السلام إلى النّاس وأومى إليهم أن اسكتوا؛

---

(١) الشوهاء: القبيحة، والفقماء: إذا كانت ثناياها العليا إلى الخارج فلا تقع على السفلى، والخرقاء: الحمقاء.

(٢) طلاع الأرض: ملؤها.

(٣) يحفزه: يدفعه.

فسكتوا ، وهو قائم ، فحمد الله وأثنى عليه ، وصلّى على نبيّه ، ثمّ قال :

«أيّها النّاس من عرفني فقد عرفني ، ومن لم يعرفني فأنا عليّ بن الحسين ، المذبوح بشط الفرات من غير ذحل ولا ترات ، أنا ابن من انتهك حريمه ، وسلب نعيمه ، وانتهب ماله ، وسبي عياله ، أنا ابن من قتل صبراً ، فكفى بذلك فخراً .

أيّها النّاس ناشدتكم بالله هل تعلمون أنّكم كتبتم إلى أبي وخدعتموه ، وأعطيتموه من أنفسكم العهد والميثاق والبيعة ؟ وقاتلتموه وخذلتموه فتبّاً لكم ما قدّمتم لأنفسكم وسوءً لرأيكم ، بأيّة عين تنظرون إلى رسول الله ﷺ ، يقول لكم : قتلتم عترتي ، وانهتكتم حرمتي ، فلستم من اُمّتي».

قال : فارتفعت أصوات النّاس بالبكاء ، ويدعو بعضهم بعضاً : هلكتم وما تعلمون .

فقال عليّ بن الحسين : «رحم الله امرءاً قبل نصيحتي ، وحفظ وصيّتي في الله وفي رسوله وفي أهل بيته ، فإنّ لنا في رسول الله اُسوة حسنة» .

فقالوا بأجمعهم : نحن كلّنا يابن رسول الله سامعون مطيعون ، حافظون لذمامك ، غير زاهدين فيك ، ولا راغبين عنك ، فمرنا بأمرك رحمك الله فإنّا حرب لحربك ، سلم لسلمك ، لنأخذنّ ترتك وترتنا ، عمّن ظلمك وظلمنا .

فقال عليّ بن الحسين عليه السلام : «هيهات هيهات !! أيّها الغدرة المكرة ، حيل بينكم وبين شهوات أنفسكم ، أتريدون أن تأتوا إليّ كما أتيتم إلى آبائي من قبل ؟ كلّا وربّ الراقصات إلى منى ، فإنّ الجرح لما يندمل ! قُتل أبي بالأمس ، وأهل بيته معه ، فلم ينسني ثكل رسول الله ﷺ ، وثكل أبي وبني أبي وجدّي شقّ لهازمي[1] ، ومرارته بين حناجري وحلقي ، وغصصه تجري في فراش صدري ، ومسألتي أن لا تكونوا لنا ولا علينا» .

ثمّ قال عليه السلام :

«لا غرو إن قتل الحسين وشيخه	قد كان خيراً من حسين وأكرما
فلا تفرحوا يا أهل كوفة بالّذي	اُصيب حسين كان ذلك أعظما
قتيل بشطّ النهر نفسي فداؤه	جزاء الّذي أرداه نار جهنّما»

---

(١) اللهازم : اُصول الحنكين ، واحدتها : لهزمة ـ بالكسر ـ .

احتجاجه عليه السلام بالشام على بعض أهلها حين قدم به وبمن معه على يزيد لعنه الله

وعن ديلم بن عمر قال: كنت بالشام حتّى أُتِيَ بسبايا آل محمّد صلى الله عليه وآله، فأُقيموا على باب المسجد حيث تقام السبايا، وفيهم عليّ بن الحسين، فأتاهم شيخ من أشياخ أهل الشام، فقال: الحمد لله الّذي قتلكم، وأهلككم، وقطع قرون الفتنة، فلم يأل[1] عن سبّهم وشتمهم.

فلمّا انقضى كلامه، قال له عليّ بن الحسين عليه السلام: «إنّي قد أنصتُّ لك حتّى فرغت من منطقك، وأظهرت ما في نفسك من العداوة والبغضاء، فأنصت لي كما أنصتُّ لك».

فقال له: هات.

قال عليّ عليه السلام: «أما قرأت كتاب الله عزّ وجلّ»؟

قال: نعم.

فقال عليه السلام له: «أما قرأت هذه الآية ﴿ قُل لَّآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا ٱلْمَوَدَّةَ فِى ٱلْقُرْبَىٰ ﴾[2]»؟

قال: بلى.

فقال عليه السلام: «نحن أولئك، فهل تجد لنا في سورة بني إسرائيل حقّاً خاصّة دون المسلمين»؟

فقال: لا.

فقال عليه السلام: «أما قرأت هذه الآية ﴿ وَآتِ ذَاالْقُرْبىٰ حَقَّهُ ﴾[3]»؟

قال: نعم.

قال عليّ عليه السلام: «فنحن أولئك الّذين أمر الله نبيّه أن يؤتيهم حقّهم».

فقال الشّامي: إنّكم لأنتم هم؟

فقال عليّ عليه السلام: «نعم نحن هم، فهل قرأت هذه الآية ﴿ وَٱعْلَمُوٓا أَنَّمَا غَنِمْتُم مِّن شَىْءٍ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُۥ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِى ٱلْقُرْبَىٰ ﴾»؟

فقال له الشامي: بلى.

---

(١) وما ألوتك: أي ما قصرت في أمرك.

(٢) الشورى ٢٣.

(٣) الإسراء ٢٦.

فقال عليّ عليه السلام : «فنحن ذوالقربى ، فهل تجد لنا في سورة الأحزاب حقّاً خاصّة دون المسلمين» ؟
فقال : لا .

قال عليّ بن الحسين عليهما السلام : «أما قرأت هذه الآيـة ﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً ﴾[1]» ؟

قال : فرفع الشامي يده إلى السّماء ثمّ قال : اللّهمّ إنّي أتوب إليك ـ ثلاث مرّات ـ ، اللّـهمّ إنّـي أتوب إليك من عداوة آل محمّد ، وأبرأ إليك ممّن قتل أهل بيت محمّد ، ولقد قرأت «القرآن» منذ دهر فما شعرت بها قبل اليوم .

احتجاج زينب بنت عليّ بن أبي طالب حين رات يزيد لعنه الله يضرب ثنايا الحسين عليه السلام بالمخصرة

روى شيخ صدوق من مشايخ بني هاشم وغيره من النّاس : أنّه لمّا دخل عليّ بن الحسين عليهما السلام وحرمه على يزيد ، وجيء برأس الحسين عليه السلام ووضع بين يديه في طست ، فجعل يضرب ثـناياه بمخصرة كانت في يده ، وهو يقول :

لعـبت هـاشم بـالملك فـلا ... خـبر جـاء ولا وحـي نـزل
ليت أشـياخي بـبدر شـهدوا ... جزع الخزرج من وقع الأسل
لأهـلّوا واسـتهلّوا فـرحـاً ... ولقـالوا يـا يـزيد لا تشـل
فـجزيناهم بـبدرٍ مـثلاً ... وأقـمنا مـثل بـدر فـاعتدل
لست من خندف إن لم أنتقم ... من بني أحـمد مـاكـان فـعل

قالوا : فلمّا رأت زينب ذلك فأهوت إلى جيبها فشقّت ، ثمّ نادت بصوت حزين تقرع القلوب : «يا حسيناه ! يا حبيب رسول الله ! يابن مكّة ومنى ! يابن فاطمة الزهراء سيّدة النّساء ! يابن محمّد المصطفى» .

قال : فأبكت والله كلّ من كان ، ويـزيد سـاكت ، ثـمّ قـامت عـلى قـدميها ، وأشـرفت عـلى المجلس ، وشرعت في الخطبة ، إظهاراً لكمالات محمّد صلى الله عليه وآله ، وإعلاناً بأنّا نصبر لرضـاء الله ، لا

---

(١) الأحزاب ٣٣.

لخوف ولا دهشة ، فقامت إليه زينب بنت علي وأُمّها فاطمة بنت رسول الله ، وقالت :

«الحمد لله ربّ العالمين ، والصلاة على جدّي سيّد المرسلين ، صدق الله سبحانه كذلك يقول : ﴿ ثُمَّ كَانَ عَاقِبَةَ ٱلَّذِينَ أَسَاءُوا ٱلسُّوءَىٰ أَن كَذَّبُوا بِآيَاتِ ٱللَّهِ وَكَانُوا بِهَا يَسْتَهْزِءُونَ ﴾[1] أظننت يا يزيد حين أخذت علينا أقطار الأرض ، وضيّقت علينا آفاق السماء ، فأصبحنا لك في إسار ، نساق إليك سوقاً في قطار ، وأنت علينا ذو اقتدار ، أنّ بنا من الله هواناً وعليك منه كرامة وامتناناً ، وأنّ ذلك لعظم خطرك جلالة قدرك ، فشمخت بأنفك ، ونظرت في عطفك[2] تضرب أصدريك فرحاً[3] وتنقض مذرويك مرحاً[4] حين رأيت الدنيا لك مستوسقة[5] والأُمور لديك متّسقة[6] وحين صفا لك ملكنا ، وخلص لك سلطاننا ، فمهلاً مهلاً لا تطش جهلاً ، أنسيت قول الله ﷻ : ﴿ وَلَا يَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ خَيْرٌ لِأَنفُسِهِمْ إِنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ لِيَزْدَادُوا إِثْماً وَلَهُمْ عَذَابٌ مُهِينٌ ﴾[7] .

أمِنَ العدل يابن الطلقاء تخديرك حرائرك وإماءَك ، وسوقك بنات رسول الله سبايا ، قد هتكت ستورهنّ ، وأبديت وجوههنّ ، تحدوا بهنّ الأعداء من بلد إلى بلد ، وتستشرفهنّ المناقل[8] ويتبرّزن لأهل المناهل[9] ويتصفّح وجوههنّ القريب والبعيد ، والغائب والشهيد ، والشريف والوضيع ، والدنيّ والرفيع ، ليس معهنّ من رجالهنّ ولي ، ولا من حماتهنّ حمي ، عتوّاً منك على الله[10] ، وجحوداً لرسول الله ، ودفعاً لما جاء به من عند الله ، ولا غرو منك ولا عجب من فعلك ، وأنّى يرتجى مراقبة من لفظ فوه أكباد الشهداء ونبت لحمه بدماء السعداء ، ونصب الحرب لسيّد الأنبياء ، وجمع الأحزاب ، وشهر الحراب ، وهزّ السّيوف في وجه رسول الله ﷺ ، أشدّ العرب جحوداً ، وأنكرهم له رسولاً ، وأظهرهم له عدوانا ، وأعتاهم على الربّ كفراً وطغياناً ، إلّا إنّها

---

(١) الروم ١٠.

(٢) نظر في عطفه : أخذه العجب.

(٣) الأصدران : عرقان تحت الصدغين.

(٤) المذروان : أطراف الإليتين.

(٥) مستوسقة : مجتمعة.

(٦) متّسقة : مستوية.

(٧) آل عمران ١٧٨.

(٨) تستشرف : تنظر.

(٩) المناهل : مواضع شرب الماء في الطريق.

(١٠) عتوّاً : عناداً.

نتيجة خلال الكفر ، وضبّ يجرجر[١] في الصدر لقتلى يوم بدر ، فلا يستبطئ في بغضنا أهل البيت من كان نظره إلينا شنفاً وأحناً وأظغاناً ، يظهر كفره برسول الله ، ويفصح ذلك بلسانه ، وهو يقول :ـ فرحاً بقتل ولده وسبي ذرّيّته ، غير متحوب ولا مستعظم ـ :

لأهـلّوا واسـتهلّوا فـرحـاً   ولقـالوا يـا يـزيد لا تشل

منحنياً على ثنايا أبي عبدالله ـ وكان مقبّل رسول الله ﷺ ـ ينكتها بمخصرته ، قد التمع السرور بوجهه ، لعمري لقد نكأت القرحة[٢] واستأصلت الشأفة[٣] ، بإراقتك دم سيّد شباب أهل الجنّة ، وابن يعسوب الدين العرب ، وشمس آل عبدالمطّلب ، وهتفت بأشياخك ، وتقرّبت بدمه إلى الكفرة من أسلافك ، ثمّ صرخت بندائك ولعمري لقد ناديتهم لو شهدوك ! ووشيكاً تشهدهم ، ولن يشهدوك ، ولتودّ يمينك كما زعمت شلّت بك عن مرفقها وجذّت ، وأحببت أُمّك لم تحملك وأباك لم يلد ، أو حين تصير إلى سخط الله ومخاصمك رسول الله ﷺ .

اللّهمّ خذ بحقّنا ، وانتقم ممّن ظلمنا ، واحلل غضبك على من سفك دماءنا ، ونقض ذمارنا ، وقتل حماتنا ، وهتك عنّا سدولنا ، وفعلت فعلتك الّتي فعلت ، وما فريت إلّا جلدك ، وما جزرت إلّا لحمك ، وسترد على رسول الله بما تحمّلت من دم ذرّيّته ، وانتهكت من حرمته ، وسفكت من دماء عترته ولحمته ، حيث يجمع به شملهم ، ويلمّ به شعثهم ، وينتقم من ظالمهم ، ويأخذ لهم بحقّهم من أعدائهم ، فلا يستفزّنّك الفرح بقتلهم ﴿ وَلاَ تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ ٱللهِ أَمْوَاتاً بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ۞ فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ ٱللهُ مِن فَضْلِهِ ﴾ وحسبك بالله وليّاً وحاكماً ، وبرسول الله خصماً ، وبجبرئيل ظهيراً ، وسيعلم من بوّأك ومكّنك من رقاب المسلمين أن بئس للظّالمين بدلاً ، وأيّكم شرٌّ مكاناً وأضلّ سبيلاً ، وما استصغاري قدرك ، ولا استعظامي تقريعك[٤] توهّماً لانتجاع الخطاب فيك[٥] بعد أن تركت عيون المسلمين به عبرى ، وصدورهم عند ذكره حرّىٰ ، فتلك قلوب قاسية ، ونفوس طاغية ، وأجسام محشوّة بسخط الله ولعنة الرّسول ، قد عشش فيها الشيطان وفرخ ، ومن هناك مثلك ما درج ونهض فالعجب كلّ العجب لقتل الأتقياء ، وأسباط الأنبياء ، وسليل الأوصياء ،

---

(١) الضبّ : الحقد . والجرجرة : صوت يردّده البعير في حنجرته .

(٢) نكأت : قشرت قبل أن تبرأ .

(٣) الشأفة : قرحة تخرج في أسفل القدم فتقطع أو تكوىٰ فتذهب .

(٤) التقريع : التعنيف .

(٥) الإنتجاع : الإنتفاع .

بأيدي الطلقاء الخبيثة ، ونسل العهرة الفجرة ، تنطف أكفّهم من دمائنا[١] وتتحلب[٢] أفواههم من لحومنا[٣] تلك الجثث الزاكية على الجيوب الضاحية ، تنتابها العواسل[٤] وتعفّرها أُمّهات الفراعل[٥] فلئن اتّخذتنا مغنماً لتجد بنا وشيكاً مغرماً حين لا تجد إلّا ما قدّمت يداك ، وما الله بظلّام للعبيد ، فإلى الله المشتكى والمعوّل ، وإليه الملجأ والمؤمّل ، ثمّ كد كيدك ، واجهد جهدك فوالله الّذي شرّفنا بالوحي والكتاب ، والنبوّة والإنتخاب ، لا تدرك أمدنا ، ولا تبلغ غايتنا ، ولا تمحو ذكرنا ، ولا يرحض عنك عارنا ، وهل رأيك إلّا فند ، وأيّامك إلّا عدد ، وجمعك إلّا بدد ، يوم ينادي المنادي ألا لعن الله الظالم العادي .

والحمد لله الّذي حكم لأوليائه بالسعادة ، وختم لأصفيائه بالشهادة ، ببلوغ الإرادة ، ونقلهم إلى الرحمة والرأفة ، والرضوان والمغفرة ، ولم يشق بهم غيرك ، ولا ابتلى بهم سواك ، ونسأله أن يكمل لهم الأجر ، ويجزل لهم الثواب والذخر ، ونسأله حسن الخلافة ، وجميل الإنابة ، إنّه رحيم ودود» .

فقال يزيد مجيباً لها :

يا صيحة تحمد من صوايح ما أهون الموت على النوائح

ثمّ أمر بردّهم .

وقيل : إنّ فاطمة بنت الحسين كانت وضيئة الوجه ، وكانت جالسة بين النّساء ، فقام إلى يزيد رجل من أهل الشام أحمر ، فقال : يا أميرالمؤمنين هب لي هذه الجارية ـ يعني : فاطمة بنت الحسين ـ .

فأخذت بثياب عمّتها زينب بنت عليّ بن أبي طالب عليه السلام فقالت : «أُوتم وأُستخدم» ؟!

فقالت زينب للشامي : «كذبت ولؤمت ، والله ما ذاك لك ولا له» .

فغضب يزيد ثمّ قال : إنّ ذلك لي ولو شئت أن أفعل لفعلت .

قالت زينب : «كلّا ، والله ما جعل الله ذلك لك ، إلّا أن تخرج من ملّتنا ، وتدين بغير ديننا» .

---

(١) تنطف : أي تقطر .

(٢) تتحلّب : حَلَبْتُ النّبات حلباً ـ من باب قتل ـ قطعته ومنه المخالب للطائر .

(٣) تنحلب : تسيل .

(٤) تنتابها العواسل : تأتي مرّة بعد أُخرى . والعواسل : الذئاب .

(٥) تعفّرها : تمرّغها في التراب . والفُرْعُلْ . أولاد الضباع .

فقال يزيد : إنّما خرج من الدّين أبوك ، وأخوك .

قالت زينب : «بدين الله ، ودين أبي ، ودين أخي ، اهتديت أنت إن كنت مسلماً» .

قال يزيد :كذبت يا عدوّة الله .

فقالت زينب : «أنت أمير تشتم ظلماً ، وتقهر بسلطانك» .

فكأنّه استحى فسكت ، فعاد الشامي فقال : يا أميرالمؤمنين هب لي الجارية .

فقال يزيد : أغرب وهب الله لك حتفاً قاضياً .

احتجاج عليّ بن الحسين زين العابدين على يزيد بن معاوية لمّا أدخل عليه

روت ثقاة الرواة وعدولهم أنّه لمّا أُدخل عليّ بن الحسين زين العابدين عليه السلام في جملة من حُمل إلى الشام سبايا من أولاد الحسين بن علي عليه السلام وأهاليه على يزيد ، قال له : يا عليّ ، الحمد لله الّذي قتل أباك !

قال عليّ عليه السلام : «قتل أبي النّاس» .

قال يزيد : الحمد لله الّذي قتله فكفانيه !

قال عليّ عليه السلام : «على من قتل أبي لعنة الله ، أفتراني لعنت الله عزّ وجلّ»[1] ؟

قال يزيد : يا علي إصعد المنبر فأعلم النّاس حال الفتنة ، وما رزق الله أميرالمؤمنين من الظفر !

فقال عليّ بن الحسين عليه السلام : «ما أعرفني بما تريد» .

فصعد المنبر ، فحمد الله وأثنى عليه ، وصلّى على رسول الله صلى الله عليه وآله ثمّ قال : «أيّها النّاس من عرفني فقد عرفني ومن لم يعرفني فأنا أُعرّفه بنفسي ، أنا بن مكّة ومنى ، أنا بن المروة والصفا ، أنا ابن محمّد المصطفى ، أنا بن من لا يخفى ، أنا بن من علا فاستعلى فجاز سدرة المنتهى فكان من ربّه قاب قوسين أو أدنى» .

فضجّ أهل الشّام بالبكاء حتّى خشي يزيد أن يرحل من مقعده ، فقال ـ للمؤذّن ـ : أذّن .

---

(١) والمراد منه أنّه إذا لم يكن قاتل أبي مستحق اللّعنة ، فكيف لعنته لأنّ لعن المؤمن بمنزلة سبّ الله ولعنه ، نعوذ بالله منه ، وقد ورد في تفسير قوله تعالى : ﴿ولا تسبّوا الله عَدْوَاً بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ أنّ سبّ الأنبياء والأوصياء والصّالحين بمنزلة سبّ الله .

فلمّا قال المؤذّن : «الله أكبر ، الله أكبر» .

جلس عليّ بن الحسين على المنبر فقال : «أشهد أن لا إله إلّا الله ، وأشهد أنّ محمّداً رسول الله» .

بكى عليّ بن الحسين عليه السلام ثمّ التفت إلى يزيد فقال : «يا يزيد هذا أبي أم أبوك» ؟

قال : بل أبوك ، فانزل .

فنزل عليه السلام فأخذ بناحية باب المسجد ، فلقيه مكحول صاحب رسول الله صلى الله عليه وآله فقال : كيف أمسيت يابن رسول الله ؟

قال عليه السلام : «أمسينا بينكم مثل بني إسرائيل في آل فرعون ، يذبّحون أبناءهم ، ويستحيون نساءهم ، وفي ذلكم بلاء من ربّكم عظيم» .

فلمّا انصرف يزيد إلى منزله ، دعا بعليّ بن الحسين عليه السلام فقال : يا علي أتصارع ابني خالداً ؟

قال عليه السلام : «وما تصنع بمصارعتي إيّاه ، أعطني سكّيناً وأعطه سكّيناً فليقتل أقوانا أضعفنا» .

فضمّه يزيد إلى صدره ، ثمّ قال : لا تلد الحيّة إلّا الحيّة ، أشهد أنّك ابن عليّ بن أبي طالب .

ثمّ قال له عليّ بن الحسين عليه السلام : «يا يزيد بلغني أنّك تريد قتلي ، فإن كنت لابدّ قاتلي ، فوجّه مع هؤلاء النّسوة من يؤدّيهنّ إلى حرم رسول الله صلى الله عليه وآله» .

فقال له يزيد لعنه الله : لا يؤدّيهنّ غيرك ، لعن الله ابن مرجانة ، فوالله ما أمرته بقتل أبيك ، ولو كنت متولّياً لقتاله ما قتلته .

ثمّ أحسن جائزته وحمله والنّساء إلى المدينة .

احتجاجه عليه السلام في أشياء شتّى من علوم الدّين وذكر طرف من مواعظه البليغة

جاء رجل من أهل البصرة إلى عليّ بن الحسين عليه السلام فقال : يا عليّ بن الحسين ! إنّ جدّك عليّ بن أبي طالب قتل المؤمنين .

فهملت عينا عليّ بن الحسين عليه السلام دموعاً حتّى امتلأت كفّه منها ، ثمّ ضرب بها على الحصى ، ثمّ قال : «يا أخا أهل البصرة لا والله ما قتل عليٌّ مؤمناً ، ولا قتل مسلماً ، وما أسلم القوم ولكن استسلموا ، وكتموا الكفر وأظهروا الإسلام ، فلمّا وجدوا على الكفر أعواناً أظهروه ، وقد علمت

صاحبة الخدب[١] والمستحفظون من آل محمّد عليهم السلام أنّ أصحاب الجمل وأصحاب صفّين وأصحاب النهروان لعنوا على لسان النّبيّ الأُمّي وقد خاب من افترى».

فقال شيخ من أهل الكوفة: يا عليّ بن الحسين إنّ جدّك كان يقول: «إخواننا بغوا علينا».

فقال عليّ بن الحسين عليه السلام: «أما تقرأ كتاب الله ﴿ وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا ﴾[٢]؛ فهم مثلهم أنجى الله عزّ وجلّ هوداً والّذين معه وأهلك عاداً بالريح العقيم».

وبالإسناد المقدّم ذكره: إنّ عليّ بن الحسين عليه السلام كان يذكر حال من مسخهم الله قردة من بني إسرائيل ويحكي قصّتهم، فلمّا بلغ آخرها قال: «إنّ الله تعالى مسخ أولئك القوم لاصطيادهم السمك، فكيف ترى عند الله عزّ وجلّ يكون حال من قتل أولاد رسول الله صلى الله عليه وآله، وهتك حريمه؟! إنّ الله تعالى وإن لم يمسخهم في الدّنيا فإنّ المعدّ لهم من عذاب الآخرة أضعاف أضعاف عذاب المسخ».

فقيل له: يابن رسول الله فإنّا قد سمعنا منك هذا الحديث، فقال لنا بعض النصّاب: فإن كان قتل الحسين باطلاً فهو أعظم عند الله من صيد السمك في السبت، أفما كان الله غضب على قاتليه كما غضب على صيّادي السمك؟

قال عليّ بن الحسين عليه السلام: «قل لهؤلاء النصّاب فإن كان إبليس معاصيه أعظم من معاصي من كفر بإغوائه فأهلك الله من شاء منهم كقوم نوح، وفرعون، ولم يهلك إبليس، وهو أولى بالهلاك، فما باله أهلك هؤلاء الّذين قصروا عن إبليس في عمل الموبقات، وأمهل إبليس مع إيثاره لكشف المحرّمات، أما كان ربّنا عزّ وجلّ حكيماً بتدبيره وحكمه فيمن أهلك وفيمن استبقى؟ فكذلك هؤلاء الصائدون في السبت، وهؤلاء القاتلون للحسين، يفعل في الفريقين ما يعلم أنّه أولى بالصواب والحكمة، لا يُسئَل عمّا يفعل وعباده يُسْئَلون».

وقال الباقر عليه السلام: «فلمّا حدّث عليّ بن الحسين عليه السلام بهذا الحديث، قال له بعض من في مجلسه: يابن رسول الله كيف يعاتب الله ويوبّخ هؤلاء الأخلاف على قبائح أتاها أسلافهم، وهو يقول: ﴿ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ﴾[٣]؟

فقال زين العابدين عليه السلام: إنّ «القرآن» نزل بلغة العرب فهو يخاطب فيه أهل اللسان بلغتهم،

---

(١) الخدب: الجمل الشديد الصلب.

(٢) الأعراف ٦٥.

(٣) الأنعام ١٦٤.

يقول الرجل التميمي ـ قد أغار قومه على بلد وقتلوا من فيه ـ : أغرتم على بلد كذا ، وفعلتم كذا ، ويقول العربي : نحن فعلنا ببني فلان ، ونحن سبينا آل فلان ، ونحن خربنا بلد كذا ، لا يريد أنّهم باشروا ذلك ، ولكن يريد هؤلاء بالعذل وأولئك بالإفتخار : إنّ قومهم فعلوا كذلك ، وقول الله عزّ وجلّ في هذه الآيات إنّما هو توبيخ لأسلافهم ، وتوبيخ العذل على هؤلاء الموجودين ، لأنّ ذلك هو اللغة الّتي نزل بها «القرآن» ، والآن هؤلاء الأخلاف أيضاً راضون بما فعل أسلافهم ، مصوّبون لهم ، فجاز أن يقال : أنتم فعلتم أي إذ رضيتم قبيح فعلهم» .

وعن أبي حمزة الثمالي[1] **قال** : دخل قاض من قضاة أهل الكوفة على عليّ بن الحسين عليه السلام فقال له : جعلني الله فداك ! أخبرني عن قول الله عزّ وجلّ : ﴿ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ ٱلْقُرَى ٱلَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا قُرىً ظَاهِرَةً وَقَدَّرْنَا فِيهَا ٱلسَّيْرَ سِيرُوا فِيهَا لَيَالِيَ وَأَيَّاماً آمِنِينَ ﴾[2]» .

قال عليه السلام له : «ما يقول النّاس فيها قبلكم بالعراق» ؟

قال : يقولون : إنّها مكّة .

فقال عليه السلام : «وهل رأيت السرق في موضع أكثر منه بمكّة» ؟

قال : فما هو ؟

قال عليه السلام : «إنّما عنى الرّجال» .

قال : وأين ذلك من كتاب الله ؟

---

(١) قال الشيخ عبّاس القمّي في الكنى والألقاب ج٢ ص١١٨ : «الثمالي أبو حمزة ثابت بن دينار ، الثقة الجليل ، صاحب الدعاء المعروف في أسحار شهر رمضان ، كان من زهّاد أهل الكوفة ومشايخها ، وكان عربيّاً أزديّاً .

روى عن الفضل بن شاذان قال : سمعت الرّضا عليه السلام يقول : «أبو حمزة الثمالي في زمانه كسلمان الفارسي في زمانه ، وذلك أنّه خدم أربعة منّا : عليّ بن الحسين ، ومحمّد بن علي ، وجعفر بن محمّد ، وبرهة من عصر موسى بن جعفر» .

وعدّه الشيخ في أصحاب عليّ بن الحسين ص٨٤ من رجاله فقال : «ثابت بن أبي صفيّة دينار الثمالي الأزدي ، يكنّى أباحمزة الكوفي ، مات سنة خمسين ومائة» وذكره في أصحاب الباقر عليه السلام ص ١١٠ وص ١٦٠ في أصحاب الصادق عليه السلام .

وقال النجاشي ص٨٩ : لقي عليّ بن الحسين وأباجعفر وأباعبدالله وأباالحسن عليهم السلام وروى عنهم ، وكان من خيار أصحابنا ، وثقاتهم ، ومعتمديهم في الرواية والحديث .

و(قال) : وروى عنه العامّة ومات سنة خمسين ومائة ، له كتاب تفسير القرآن .

(٢) سبأ ١٨ .

فقال عليه السلام : «أوما تسمع إلى قوله عز وجل : ﴿ وَكَأَيِّن مِن قَرْيَةٍ عَتَتْ عَنْ أَمْرِ رَبِّهَا وَرُسُلِهِ ﴾[1] وقال : ﴿ وَتِلْكَ ٱلْقُرَىٰ أَهْلَكْنَاهُمْ ﴾[2] وقال : ﴿ وَاسْأَلِ ٱلْقَرْيَةَ ٱلَّتِي كُنَّا فِيهَا وَٱلْعِيرَ ٱلَّتِي أَقْبَلْنَا فِيهَا ﴾[3] أفيُسئَل القرية أو الرجال أو العير» ؟

قال : وتلا عليه آيات في هذا المعنى .

قال : جعلت فداك ! فمَن هم ؟

قال عليه السلام : «نحن هم» .

فقال : أوما تسمع إلى قوله: ﴿ سِيرُوا فِيهَا لَيَالِيَ وَأَيَّاماً آمِنِينَ ﴾ ؟

قال عليه السلام : «آمنين من الزيغ» .

وروي أنّ زين العابدين عليه السلام مرّ بالحسن البصري وهو يعظ النّاس بمنى ، فوقف عليه السلام عليه ثمّ قال : «أمسك أسألك عن الحال الّتي أنت عليها مقيم ، أترضاها لنفسك فيما بينك وبين الله إذا نزل بك غداً» ؟

قال : لا .

قال عليه السلام : «أفتحدّث نفسك بالتحوّل والإنتقال عن الحال الّتي لا ترضاها لنفسك إلى الحال الّتي ترضاها» ؟

(قال) : فأطرق مليّاً ثمّ قال : إنّي أقول ذلك بلا حقيقة .

قال عليه السلام : «أفترجو نبيّاً بعد محمّد صلى الله عليه وآله يكون لك معه سابقة» ؟

قال : لا .

قال عليه السلام : «أفترجو داراً غير الدار الّتي أنت فيها ترد إليها فتعمل فيها» ؟

قال : لا .

قال عليه السلام : «أفرأيت أحداً به مسكة عقل رضي لنفسه من نفسه بهذا ؟ إنّك على حال لا ترضاها ولا تحدّث نفسك بالإنتقال إلى حال ترضاها على حقيقة ، ولا ترجو نبيّاً بعد محمّد ، ولا داراً غير الدار الّتي أنت فيها فتردّ إليها فتعمل فيها ، وأنت تعظ النّاس» ؟!

---

(١) الطلاق ٨.

(٢) الكهف ٥٩.

(٣) يوسف ٨٢.

قال : فلمّا ولّى عليه السلام قال الحسن البصري : مَن هذا ؟

قالوا : عليّ بن الحسين .

قال : أهل بيت علم ؛ فما رُئِيَ الحسن البصري بعد ذلك يعظ النّاس .

وعن أبي حمزة الثمالي قال : سمعت عليّ بن الحسين عليه السلام يحدّث رجلاً من قريش ، قال : «لمّا تاب الله على آدم ، واقع حوّاء ولم يكن غشيها منذ خلق وخلقت إلّا في الأرض ، وذلك بعد ما تاب الله عليه» .

قال : «وكان آدم يعظّم البيت وما حوله من حرمة البيت ، فكان إذا أراد أن يغشي حوّاء خرج من الحرم وأخرجها معه ، فإذا جاز الحرم غشيها في الحل ، ثمّ يغتسلان إعظاماً منه للحرم ، ثمّ يرجع إلى فناء البيت» .

قال : «فولد لآدم من حوّاء عشرون ذكراً وعشرون اُنثى ، فولد له في كلّ بطن ذكر واُنثى ، فأوّل بطن ولدت حوّاء «هابيل» ومعه جارية يقال لها «إقليما» .

قال : وولدت في البطن الثاني «قابيل» ومعه جارية يقال لها «لوزا» ، وكانت لوزا أجمل بنات آدم» .

(قال) : «فلمّا أدركوا خاف عليهم آدم الفتنة فدعاهم إليه فقال : اُريد أن اُنكحك يا هابيل لوزا ، واُنكحك يا قابيل إقليما .

قال قابيل : ما أرضى بهذا ، أتنكحني اُخت هابيل القبيحة ، وتنكح هابيل اُختي الجميلة ؟

قال : فأنا أقرع بينكما ، فإن خرج سهمك يا قابيل على لوزا ، وخرج سهمك يا هابيل على إقليما ، زوّجت كلّ واحد منكما الّتي خرج سهمه عليها» .

(قال) : «فرضيا بذلك ، فاقترعا» .

(قال) : «فخرج سهم هابيل على لوزا اُخت قابيل ، وخرج سهم قابيل على إقليما اُخت هابيل» .

قال : «فزوّجهما على ما خرج لهما من عند الله» .

(قال) : «ثمّ حرّم الله نكاح الأخوات بعد ذلك» .

قال : فقال له القرشي : فأولدهما ؟

قال عليه السلام : «نعم» .

قال : فقال القرشي : فهذا فعل المجوس اليوم !

قال : فقال عليّ بن الحسين عليه السلام : «إنّ المجوس إنّما فعلوا ذلك بعد التحريم من الله» .

ثمّ قال له عليّ بن الحسين عليه السلام : «لا تنكر هذا ، إنّما هي الشرايع جرت ، أليس الله قد خلق زوجة آدم منه ثمّ أحلّها له ؟ فكان ذلك شريعة من شرايعهم ، ثمّ أنزل الله التحريم بعد ذلك» .

لقي عبّاد البصري عليّ بن الحسين عليه السلام في طريق مكّة فقال له : يا عليّ بن الحسين تركت الجهاد وصعوبته ، وأقبلت على الحج ولينه ، وإنّ الله عزّ وجلّ يقول : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلْجَنَّةَ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ ـ إلى قوله ـ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾[1] ؟

فقال عليّ بن الحسين عليه السلام : «إذا رأينا هؤلاء الّذين هذه صفتهم فالجهاد معهم أفضل من الحج» .

وسُئِلَ عليه السلام عن النبيذ فقال : «شربه قوم وحرّمه قوم صالحون ؛ فكان شهادة الّذين دفعوا بشهادتهم شهواتهم أولى أن تقبل من الّذين جرّوا بشهادتهم شهواتهم» .

وعن عبدالله بن سنان[2] **عن أبي عبدالله** عليه السلام **قال** : «قال رجل لعليّ بن الحسين عليه السلام : إنّ فلاناً ينسبك إلى أنّك ضالّ مبتدع !

فقال له عليّ بن الحسين عليه السلام : ما رعيت حقّ مجالسة الرّجل حيث نقلت إلينا حديثه ، ولا أدّيت حقّي حيث أبلغتني عن أخي ما لست أعلمه ، إنّ الموت يعمّنا ، والبعث محشرنا ، والقيامة موعدنا ، والله يحكم بيننا ، إيّاك والغيبة ، فإنّها أدام كلاب النّار ، واعلم أنّ من أكثر عيوب النّاس شهد عليه الإكثار إنّه إنّما يطلبها بقدر ما فيه» .

وسُئِلَ عليه السلام عن الكلام والسكوت أيّهما أفضل ، فقال عليه السلام : «لكلّ واحد منهما آفات ، فإذا سلما من الآفات ؛ فالكلام أفضل من السكوت» .

قيل : وكيف ذاك يابن رسول الله ؟

قال عليه السلام : «لأنّ الله عزّ وجلّ ما بعث الأنبياء والأوصياء بالسكوت ، إنّما بعثهم بالكلام ، ولا استحقّت الجنّة بالسكوت ، ولا استوجبت ولاية الله بالسكوت ، ولا توقّيت النّار بالسّكوت ، ولا نجنّب

---

(١) التوبة ١١١ـ١١٢.

(٢) عبدالله بن سنان : قال العلّامة في القسم الأوّل من خلاصته ص١٠٤ : «عبدالله بن سنان ـ بالسين المهملة والنون قبل الألف وبعدها ـ ابن طريف مولى بني هاشم ، ويقال مولى بني أبي طالب ، ويقال : مولى بني العبّاس . كان خازناً للمنصور والمهدي والهادي والرشيد ، وكان كوفياً ثقة من أصحابنا ، جليلاً لا يطعن عليه في شيء . روى عن الصّادق عليه السلام وقيل روى عن أبي الحسن موسى عليه السلام ولم يثبت . قال فيه الصّادق عليه السلام : «أمّا إنّه يزيد على السنّ خيراً» . رواه الكشي في حديث المرسل» .

سخط الله بالسكوت ، إنّما ذلك كلّه بالكلام ، وماكنت لأعدل بين القمر بالشّمس ، إنّك تصف فضل السّكوت بالكلام ، ولست تصف فضل الكلام بالسكوت» .

روي عن أبي جعفر الباقر عليه السلام قال: «لمّا قتل الحسين بن عليّ عليه السلام ، أرسل محمّد بن الحنفيّة إلى عليّ بن الحسين عليه السلام فخلا به ثمّ قال : يابن أخي قد علمت أنّ رسول الله كان جعل الوصيّة والإمامة من بعده لعليّ بن أبي طالب عليه السلام ، ثمّ إلى الحسن ، ثمّ الحسين ، وقد قُتل أبوك رضي الله عنه وصلّى عليه ولم يوص ، وأنا عمّك وصنو أبيك ، وأنا في سنّي وقدمتي أحقّ بها منك في حداثتك ، فلا تنازعني الوصيّة والإمامة ، ولا تخالفني .

فقال له عليّ بن الحسين عليه السلام : اتّق الله ولا تدّع ما ليس لك بحق ، إنّي أعظك أن تكون من الجاهلين . يا عم ! إنّ أبي صلوات الله عليه أوصى إليّ قبل أن يتوجّه إلى العراق ، وعهد إليّ في ذلك قبل أن يستشهد بساعة ، وهذا سلاح رسول الله صلى الله عليه وآله عندي ، فلا تعرض لهذا فإنّي أخاف عليك بنقص العمر ، وتشتّت الحال ، وإنّ الله تبارك وتعالى أبى إلّا أن يجعل الوصيّة والإمامة إلّا في عقب الحسين ، فإن أردت أن تعلم فانطلق بنا إلى الحجر الأسود حتّى نتحكّم إليه ونسأله عن ذلك» .

قال الباقر عليه السلام : «وكان الكلام بينهما وهما يومئذ بمكّة ، فانطلقا حتّى أتيا الحجر الأسود ، فقال عليّ بن الحسين عليه السلام لمحمّد : إبدأ فابتهل إلى الله واسأله أن يُنطق لك الحجر ثمّ سله .

فابتهل محمّد في الدعاء وسأل الله ثمّ دعا الحجر فلم يجبه .

فقال علي بن الحسين عليه السلام : أمّا إنّك يا عم لو كنت وصيّاً وإماماً لأجابك !

فقال له محمّد : فادع أنت يابن أخي !

فدعا الله عليّ بن الحسين عليه السلام بما أراد ثمّ قال : «أسألك بالّذي جعل فيك ميثاق الأنبياء وميثاق الأوصياء وميثاق النّاس أجمعين لمّا أخبرتنا بلسان عربيّ مبين من الوصيّ والإمام بعد الحسين بن علي» !

فتحرّك الحجر حتّى كاد أن يزول عن موضعه ، ثمّ أنطقه الله بلسان عربيّ مبين ، فقال : اللّهمّ إنّ الوصيّة والإمامة بعد الحسين بن عليّ بن أبي طالب إلى عليّ بن الحسين بن عليّ بن أبي طالب ، وابن فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وآله .

فانصرف محمّد وهو يتولّى عليّ بن الحسين عليه السلام» .

وعن ثابت البناني[1] **قال** :كنت حاجّاً وجماعة من عبّاد البصرة مثل أيّوب السجستاني ، وصالح المروي ، وعتبة الغلام ، وحبيب الفارسي ، ومالك بن دينار فلمّا أن دخلنا مكّة رأينا الماء ضيّقاً ، وقد اشتدّ بالنّاس العطش لقلّة الغيث ، ففزع إلينا أهل مكّة والحجّاج يسألوننا أن نستسقي لهم ، فأتينا الكعبة وطفنا بها ثمّ سألنا الله خاضعين متضرّعين بها ؛ فمنعنا الإجابة ، فبينما نحن كذلك إذا نحن بفتى قد أقبل وقد أكربته أحزانه ، وأقلقته أشجانه ، فطاف بالكعبة أشواطاً ثمّ أقبل علينا فقال : «يا مالك بن دينار !ويا ثابت البناني !ويا أيّوب السجستاني !ويا صالح المروي !ويا عتبة الغلام ! ويا حبيب الفارسي !ويا سعد !ويا عمر !ويا صالح الأعمى !ويا رابعة !ويا سعدانة !ويا جعفر بن سليمان» !

فقلنا : لبّيك وسعديك يا فتى !

فقال : «أما فيكم أحد يحبّه الرّحمان» ؟

فقلنا : يا فتى علينا الدّعاء وعليه الإجابة .

فقال : «أبعدوا عن الكعبة فلو كان فيكم أحد يحبّه الرّحمان لأجابه» ، ثمّ أتى الكعبة فخرّ ساجداً فسمعته يقول ـ في سجوده ـ : «سيّدي بحبّك لي إلّا سقيتهم الغيث» .

قال : فما استتمّ الكلام حتّى أتاهم الغيث كأفواه القرب .

فقلت : يا فتى من أين علمت أنّه يحبّك ؟

قال : «لو لم يحبّني لم يستزرني ، فلمّا استزارني علمت أنّه يحبّني ، فسألته بحبّه لي ، فأجابني».

ثمّ ولّى عنّا وأنشأ يقول :

«من عرف الربّ فلم تغنه   معرفة الربّ فذاك الشقي
ما ضرّ في الطاعة ما ناله   في طاعة الله وماذا لقي

---

(١) ثابت البناني : قال العلّامة في القسم الأوّل من الخلاصة ص٢٩ : «ثابت البناني يكنّى أبا فضالة ، من أهل بدر من أصحاب أمير المؤمنين عليه السلام قُتل بصفّين» .

وفي أصحاب علي من رجال الشيخ ص٣٦ : ثابت الأنصاري البناني يكنّى أبافضالة من أهل بدر قتل معه عليه السلام بصفّين .

ما يصنع العبد بغير التقى والعزّ كلّ العزّ للمتّقي»

فقلت : يا أهل مكّة من هذا الفتى ؟

قالوا : عليّ بن الحسين بن عليّ بن أبي طالب عليهم السلام .

وعن جعفر بن محمّد عن أبيه عن جدّه عليّ بن الحسين عليه السلام قال : «نحن أئمّة المسلمين ، وحجج الله على العالمين ، وسادة المؤمنين ، وقادة الغرّ المحجّلين ، وموالي المؤمنين ، ونحن أمان لأهل الأرض ،كما أنّ النّجوم أمان لأهل السّماء ، ونحن الّذين بنا يمسك الله السّماء أن تقع على الأرض إلّا بإذنه ، وبنا يمسك الأرض أن تميد بأهلها ، وبنا ينزّل الغيث ، وينشر الرحمة ، وتخرج بركات الأرض ، ولولا ما في الأرض منّا لساخت الأرض بأهلها .

ثمّ قال : ولم تخلُ الأرض منذ خلق الله آدم من حجّة لله فيها ؛ ظاهر مشهور أو غائب مستور ، ولا تخلو إلى أن تقوم الساعة من حجّة الله ، ولولا ذلك لم يعبد الله» .

وعن أبي حمزة الثمالي عن أبي خالد الكابلي[1] قال : دخلت على سيّدي عليّ بن الحسين زين العابدين عليه السلام ، فقلت له : يابن رسول الله أخبرني بالّذين فرض الله طاعتهم ومودّتهم ، وأوجب على خلقه الإقتداء بهم بعد رسول الله صلى الله عليه وآله ؟

فقال عليه السلام لي : «يا أبا كنكر ! إنّ أُولي الأمر الّذين جعلهم الله أئمّة النّاس وأوجب عليهم طاعتهم : أميرالمؤمنين عليّ بن أبي طالب ، ثمّ انتهى الأمر إلينا» ثمّ سكت .

فقلت له : يا سيّدي روي لنا عن أميرالمؤمنين عليه السلام أنّه قال : «لا تخلو الأرض من حجّة الله على عباده ، فمن الحجّة والإمام بعدك ؟

قال عليه السلام : «إبني «محمّد» واسمه في «التوراة» «باقر» ؛ يبقر العلم بقراً ، هو الحجّة والإمام بعدي ، ومن بعد محمّد ابنه «جعفر» اسمه عند أهل السماء «الصادق» .

---

(١) في الكنى والألقاب للشيخ عبّاس القمّي ج ١ ص ٦٠ قال : «قال الفضل بن شاذان : ولم يكن في زمن عليّ بن الحسين عليه السلام في أوّل أمره إلّا خمسة أنفس : سعيد بن جبير ، سعيد بن المسيّب ، محمّد بن جبير بن مطعم ، يحيى ابن أمّ الطويل ، أبو خالد الكابلي ، واسمه وردان ، ولقبه كنكر ، ثمّ قال : وفي خبر الحواريين أنّه من حواري عليّ بن الحسين عليه السلام ، وقد شاهد كثيراً من دلائل الأئمّة عليهم السلام ، ويأتي في الطاقي رواية تتعلّق به ، ويظهر من رسالة أبي غالب الزراري أنّ آل أعين وهم أكبر بيت في الكوفة من الشيعة أنّ أوّل من عرف منهم عبدالملك عرفه من صالح ابن ميثم ثمّ عرفه حمران من أبي خالد الكابلي .

فقلت له : يا سيّدي فكيف صار اسمه الصادق وكلّكم صادقون ؟

فقال عليه السلام : «حدّثني أبي عن أبيه أنّ رسول الله قال : «إذا ولد ابني جعفر بن محمّد بن عليّ بن الحسين بن عليّ بن أبي طالب ، فسمّوه الصّادق ، فإنّ الخامس من ولده الّذي اسمه جعفر يدّعي الإمامة اجتراءً على الله ، وكذباً عليه ، فهو عند الله «جعفر الكذّاب» المفتري على الله ، المدّعي لما ليس له بأهل ، المخالف على أبيه ، والحاسد لأخيه ، وذلك الّذي يكشف سرّ الله عند غيبة وليّ الله».

ثمّ بكى عليّ بن الحسين بكاءاً شديداً ، ثمّ قال : «كأنّي بجعفر الكذّاب وقد حمل طاغية زمانه على تفتيش أمر وليّ الله ، والمغيب في حفظ الله ، والتوكيل بحرم أبيه جهلاً منه بولادته ، وحرصاً على قتله إن ظفر به ، طمعاً في ميراث أبيه حتّى يأخذه بغير حقّه» .

قال أبو خالد : فقلت له : يابن رسول الله وإنّ ذلك لكائن ؟

فقال عليه السلام : «إي وربّي إنّه لمكتوب عندنا في الصحيفة الّتي فيها ذكر المحن الّتي تجري علينا بعد رسول الله صلى الله عليه وآله» .

قال أبو خالد : فقلت : يابن رسول الله ثمّ يكون ماذا ؟

قال عليه السلام : «ثمّ تمتدّ الغيبة بوليّ الله الثاني عشر من أوصياء رسول الله والأئمّة بعده . يا أباخالد ! إنّ أهل زمان غيبته القائلين بإمامته والمنتظرين لظهوره أفضل أهل كلّ زمان ، لأنّ الله تعالى ذكره أعطاهم من العقول والأفهام والمعرفة ما صارت به الغيبة عندهم بمنزلة المشاهدة ، وجعلهم في ذلك الزمان بمنزلة المجاهدين بين يدي رسول الله ، بالسيف ، أولئك المخلصون حقّاً وشيعتنا صدقاً ، والدعاة إلى دين الله سرّاً وجهراً» .

وقال عليه السلام : «إنتظار الفرج من أعظم الفرج» .

وبالإسناد المتقدّم ذكره عن عليّ بن الحسين عليه السلام في تفسير قوله تعالى : ﴿ وَلَكُمْ فِي ٱلْقِصَاصِ حَيَاةٌ يَا أُوْلِي ٱلْأَلْبَابِ ﴾[1] الآية : ولكم يا أُمّة محمّد في القصاص حياة لأنّ من همّ بالقتل فعرف أنه يقتصّ منه فكفّ لذلك عن القتل ،كان حياة للّذي همّ بقتله ، وحياة لهذا الجاني الّذي أراد أن يقتل ، وحياة لغيرهما من النّاس ، إذا علموا أنّ القصاص واجب لا يجسرون على القتل مخافة

---

(١) البقرة ١٧٩.

القصاص ، يا أُولي الألباب ـ أُولي العقول ـ لعلّكم تتقون» .

ثمّ قال عليه السلام : «عباد الله هذا قصاص قتلكم لمن تقتلونه في الدّنيا ، وتفنون روحه ، أفلا أُنبّئكم بأعظم من هذا القتل ، وما يوجبه الله على قاتله ممّا هو أعظم من هذا القصاص» ؟

قالوا : بلى يابن رسول الله .

قال عليه السلام : «أعظم من هذا القتل أن يقتله قتلاً لا يجبر ولا يحيا بعده أبداً» .

قالوا : ما هو ؟

قال عليه السلام : «أن يضلّه عن نبوّة محمّد ، وعن ولاية عليّ بن أبي طالب ، ويسلك به غير سبيل الله ، ويغيّر به باتّباع طريق أعداء علي والقول بإمامتهم ، ودفع عليّ عن حقّه ، وجحد فضله ، وألّا يبالي بإعطائه واجب تعظيمه ، فهذا هو القتل الّذي هو تخليد المقتول في نار جهنّم خالداً مخلّداً أبداً ، فجزاء هذا القتل مثل ذلك الخلود في نار جهنّم» .

وقال أبو محمّد الحسن العسكري صلوات الله عليه : «إنّ رجلاً جاء إلى عليّ بن الحسين برجل يزعم أنّه قاتل أبيه ، فاعترف فأوجب عليه القصاص ، وسأله أن يعفو عنه ليعظّم الله ثوابه ، فكأنّ نفسه لم تطب بذلك .

فقال عليّ بن الحسين ـ للمدّعي الدم الّذي هو الوليّ المستحق للقصاص ـ : إن كنت تذكر لهذا الرّجل عليك فضلاً فهب له هذه الجناية ، واغفر له هذا الذنب .

قال : يابن رسول الله له عَلَيّ حقّ ، ولكن لم يبلغ به أن أعفو له عن قتل والدي .

قال : فتريد ماذا ؟

قال : أُريد القود ، فإن أراد لحقّه عَلَيّ أن أُصالحه على الدية صالحته وعفوت عنه .

قال عليّ بن الحسين عليه السلام : فماذا حقّه عليك ؟

قال : يابن رسول الله لقّنني توحيد الله ، ونبوّة رسول الله صلى الله عليه وآله ، وإمامة عليّ والأئمّة عليهم السلام .

فقال عليّ بن الحسين : فهذا لا يفي بدم أبيك ؟ بلى والله هذا يفي بدماء أهل الأرض كلّهم من الأوّلين والآخرين سوى الأنبياء والأئمّة ، إن قُتِلوا فإنّه لا يفي بدمائهم شيء» تمام الخبر .

وبالإسناد المتقدّم ذكره أنّ محمّد بن علي الباقر عليه السلام قال : «دخل محمّد بن مسلم بن شهاب

الزهري[1] على عليّ بن الحسين عليه السلام، وهو كثيب حزين، فقال له زين العابدين عليه السلام: ما بالك مغموماً؟

قال: يابن رسول الله غموم وهموم تتوالى عَلَيّ لما امتحنت به من جهة حسّاد نعمي، والطامعين فيّ، وممّن أرجو، وممّن أحسنت إليه، فيخلف ظنّي.

فقال له عليّ بن الحسين عليه السلام: إحفظ عليك لسانك تملك به إخوانك.

قال الزُّهَري: يابن رسول الله إنّي أُحسن إليهم بما يبدر من كلامي.

قال عليّ بن الحسين عليه السلام: هيهات هيهات! إيّاك أن تعجب من نفسك بذلك، وإيّاك أن تتكلّم بما يسبق إلى القلوب إنكاره، وإن كان عندك اعتذاره، فليس كلّ من تسمعه شرّاً يمكنك أن توسعه عذراً.

ثمّ قال: يا زهري من لم يكن عقله من أكمل ما فيه كان هلاكه في أيسر ما فيه.

ثمّ قال: يا زهري أمّا عليك أن تجعل المسلمين منك بمنزلة أهل بيتك فتجعل كبيرهم منك بمنزلة والدك، وتجعل صغيرهم منك بمنزلة ولدك، وتجعل تربك منهم بمنزلة أخيك، فأيّ هؤلاء تحبّ أن تظلم؟ وأيّ هؤلاء تحبّ أن تدعوا عليه؟ وأيّ هؤلاء تحبّ أن تهتك ستره؟ وإن عرض لك إبليس لعنه الله بأنّ لك فضلاً على أحدٍ من أهل القبلة، فانظر إن كان أكبر منك فقل: قد سبقني بالإيمان والعمل الصالح فهو خير منّي، وإن كان أصغر منك فقل: قد سبقته بالمعاصي والذنوب فهو خير منّي، وإن كان تربك فقل: أنا على يقين من ذنبي في شكٍّ من أمره فمالي أدع يقيني لشكّي، وإن رأيت المسلمين يعظّمونك ويوقّرونك ويبجّلونك فقل: هذا فضل أخذوا به، وإن رأيت منهم جفاءً وانقباضاً عنك فقل: هذا لذنب أحدثته، فإنّك إذا فعلت ذلك سهّل الله عليك عيشك، وكثر أصدقاءك، وقلّ أعداءك، وفرحت بما يكون من برّهم، ولم تأسف على ما يكون من جفائهم.

---

(١) قال الشيخ عبّاس القمّي في الكنى والألقاب ج٢ ص ٢٧٠: «الزهري -بضمّ الزاي وسكون الهاء- أبوبكر محمّد بن مسلم بن عبيدالله بن عبدالله بن الحرث بن شهاب بن زهرة بن كلاب، الفقيه المدني التابعي المعروف، وقد ذكره علماء الجمهور وأثنوا عليه ثناء بليغاً، قيل: إنّه قد حفظ علم العلماء السبعة، ولقى عشرة من الصحابة، وروى عنه جماعة من أئمّة علم الحديث، وأمّا علمائنا فقد اختلفت كلماتهم في مدحه وقدحه، وقد ذكرنا ما يتعلّق به في سفينة البحار».

واعلم أنّ أكرم النّاس على النّاس من كان خيره عليهم فايضاً ، وكان عنهم مستغنياً متعفّفاً ، وأكرم النّاس بعده عليهم من كان متعففاً ، وإن كان إليهم محتاجاً ، فإنّما أهل الدّنيا يتعقّبون الأموال ؛ فمن لم يزاحمهم فيما يتعقّبونه كرم عليهم ، ومن لم يزاحمهم فيها ومكّنهم من بعضها كان أعزّ عليهم وأكرم» .

وبالإسناد المقدّم ذكره عن الرّضا عليه السلام أنّه قال : «قال عليّ بن الحسين : إذا رأيتم الرجل قد حسن سمته وهديه ، وتماوت[1] في منطقه ، وتخاضع في حركاته ؛ فرويداً لا يغرّنّكم ، فما أكثر من يعجزه تناول الدّنيا وركوب الحرام منها لضعف نيّته ومهانته ، وجبن قلبه ، فنصب الدّين فخّاً لها ، فهو لا يزال يختلّ النّاس بظاهره ، فإن تمكّن من حرام اقتحمه .

وإذا وجدتموه يعفّ عن المال الحرام ؛ فرويداً لا يغرّنّكم ! فإنّ شهوات الخلق مختلفة ، فما أكثر من ينبوا عن المال الحرام وإن كثر ، ويحمل نفسه على شوها قبيحة ، فيأتي منها محرّماً .

فإذا وجدتموه يعفّ عن ذلك ؛ فرويداً لا يغرّنّكم ، حتّى تنظروا ما عقدة عقله ، فما أكثر من ترك ذلك أجمع ثمّ لا يرجع إلى عقل متين ، فيكون ما يفسد بجهله أكثر ممّا يصلحه بعقله .

فإذا وجدتم عقله متيناً ؛ فرويداً لا يغرّنّكم ! حتّىٰ تنظروا أمع هواه يكون على عقله أم يكون مع عقله على هواه ؟ وكيف محبّته للرّياسات الباطله وزهده فيها ، فإنّ في النّاس من خسر الدّنيا والآخرة ؛ يترك الدّنيا للدّنيا ، ويرى أنّ لذّة الرياسة الباطلة أفضل من لذّة الأموال والنّعم المباحة المحلّلة ؛ فيترك ذلك أجمع طلباً للرياسة حتّى إذا قيل له اتّق الله أخذته العزّة بالإثم فحسبه جهنّم ولبئس المهاد ، فهو يخبط خبط عشواء ، يقوده أوّل باطل إلى أبعد غايات الخسارة ، ويمدّه ربّه بعد طلبه لما لا يقدر عليه في طغيانه ، فهو يحلّ ما حرّم الله ، ويحرّم ما أحلّ الله ، لا يبالي ما فات من دينه إذا سلمت له رئاسته الّتي قد شقي من أجلها ، فأولئك الّذين غضب الله عليهم ولعنهم وأعدّ لهم عذاباً مهيناً .

ولكن الرّجل كلّ الرّجل نعم الرّجل هو : الّذي جعل هواه تبعاً لأمر الله ، وقواه مبذولة في رضى الله ، يرى الذلّ مع الحقّ أقرب إلى عزّ الأبد من العزّ في الباطل ، ويعلم أنّ قليل ما يحتمله من ضرّائها يؤدّيه إلى دوام النّعيم في دار لا تبيد ولا تنفد ، وإنّ كثيراً ما يلحقه من سرّائها إن اتّبع هواه

---

(١) قال الجزري : يُقال : تماوت الرجل : إذا أظهر من نفسه التخافت والتضاعف ، من العبادة والزهد والصوم . المتماوت : الناسك المرائي .

يؤدّيه إلى عذاب لا انقطاع له ولا يزول ، فذلكم الرّجل نعم الرّجل ، فيه فتمسّكوا ، وبسنّته فاقتدوا ، وإلى ربّكم فتوسّلوا فإنّه لا تردّ له دعوة ولا يخيّب له طلبة» .

احتجاج أبي جعفر محمّد بن عليّ الباقر عليهما السلام في شيء ممّا يتعلّق بالأصول والفروع

عن محمّد بن مسلم عن أبي جعفر الباقر عليه السلام في قوله تعالى : ﴿ وَمَن كَانَ فِي هَٰذِهِ أَعْمَىٰ فَهُوَ فِي الْآخِرَةِ أَعْمَىٰ ﴾[1] قال : «من لم يدلّه خلق السّماوات والأرض ، واختلاف اللّيل والنّهار ، ودوران الفلك بالشمس والقمر ، والآيات العجيبات على أنّ وراء ذلك أمراً هو أعظم منه ؛ فهو في الآخرة أعمى» . قال : «فهو عمّا لم يعاين أعمى وأضلّ سبيلا» .

سأل نافع بن الأزرق أباجعفر عليه السلام **قال** : أخبرني عن الله عزّ وجلّ متى كان ؟

قال عليه السلام : «متى لم يكن حتّى أُخبرك متى كان ؟ سبحان من لم يزل ولا يزال فرداً صمداً لم يتّخذ صاحبة ولا ولدا» .

عن عبدالله بن سنان عن أبيه قال : حضرت أباجعفر عليه السلام وقد دخل عليه رجل من الخوارج ، فقال له : يا أباجعفر أيّ شيء تعبد ؟

قال عليه السلام : «الله» .

قال : رأيته ؟

قال عليه السلام : «بلى ، لم تره العيون بمشاهدة الأبصار ، ولكن رأته القلوب بحقايق الإيمان ، لا يعرف بالقياس ، ولا يدرك بالحواس ، ولا يشبه بالنّاس ، موصوف بالآيات ، معروف بالدلالات ، لا يجور في حكمه ، ذلك الله لا إله إلّا الله» .

قال : فخرج الرّجل وهو يقول : الله أعلم حيث يجعل رسالته .

وروى محمّد بن مسلم عن أبي جعفر عليه السلام **قال ـ في صفة القديم ـ** : «إنّه واحد صمد ، أحديّ المعنى ، ليس بمعانٍ كثيرة مختلفة» .

قال : قلت له : جعلت فداك إنّه يزعم قوم من أهل العراق أنّه يسمع بغير الّذي يبصر ، ويبصر بغير الّذي يسمع ؟

---

(١) الإسراء ٧٢.

قال : فقال عليه السلام : «كذبوا وألحدوا ، وشبّهوا الله تعالى إنّه سميع بصير ، يسمع بما به يبصر ، ويبصر بما به يسمع» .

قال : فقلت : يزعمون أنّه بصير على ما يعقله ؟

قال : فقال عليه السلام : «تعالى الله ، إنّما يعقل من كان بصفة المخلوق ، وليس الله كذلك» .

وروى بعض أصحابنا أنّ عمرو بن عبيد دخل على الباقر عليه السلام فقال له : جعلت فداك ! قول الله ﴿ وَمَن يَحْلِلْ عَلَيْهِ غَضَبِي فَقَدْ هَوَىٰ ﴾[1] ؟

قال عليه السلام : «العذاب يا عمرو ! وإنّما يغضب المخلوق الّذي يأتيه الشيء فيستفزّه ، ويغرّه عن الحال الّتي هو بها إلى غيرها ، فمن زعم أنّ الله يغيّره الغضب والرّضا ، ويزول عن هذا ، فقد وصفه بصفة المخلوق» .

وعن أبي الجارود[2] قال : قال أبو جعفر عليه السلام : «إذا حدّثتكم بشيء فسألوني من كتاب الله» .

ثمّ قال ـ في بعض حديثه ـ : «إنّ النّبيّ صلى الله عليه وآله نهى عن القيل والقال ، وفساد المال ، وكثرة السؤال» .

فقيل له : يابن رسول الله أين هذا من كتاب الله عزّ وجلّ ؟

قال عليه السلام : «قوله : ﴿ لَا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِن نَّجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ ﴾[3]

---

(١) طه ٨١.

(٢) أبو الجارود ، في ج ١ ص ٣١ من الكنى والألقاب للشيخ القمي : «زياد المنذر ، قال شيخنا صاحب المستدرك في ترجمته في الخاتمة : وأمّا أبو الجارود فالكلام فيه طويل ، والّذي يقتضيه النظر بعد التأمّل فيما ورد فيما قالوا فيه : إنّه كان ثقة في النّقل ، مقبول الرواية ، معتمداً في الحديث ، إمامياً في أوّله وزيدياً في آخره ، ثمّ أطال الكلام في حاله إلى أن قال : وفي تقريب ابن حجر : «زياد بن المنذر أبو الجارود الأعمى الكوفي رافضي ، كذّبه يحيى بن معين من السابعة ، مات بعد الخمسين أي بعد المائة و(قال) وعن دعوات الراوندي عن أبي الجارود قال : قلت لأبي جعفر عليه السلام : إنّي امرء ضرير البصر ، كبير السن ، والشقة فيما بيني وبينكم بعيدة ، وأنا أُريد أمراً أدين الله به ، وأحتجّ به ، وأتمسّك به ، وأُبلّغه من خلّفت .

قال : عجب بقولي فاستوى جالساً فقال : «كيف قلت يا أباالجارود ردّ عَلَي» .

قال : فرددت عليه .

فقال : «يا أباالجارود ، شهادة أن لا إله إلّا الله وحده لا شريك له ، وأنّ محمّداً عبده ورسوله صلى الله عليه وآله ، وإقام الصلاة ، وايتاء الزكاة ، وصوم شهر رمضان ، وحجّ البيت ، وولاية وليّنا ، وعداوة عدوّنا ، والتسليم لأمرنا ، وانتظار قائمنا ، والورع ، والإجتهاد» .

(٣) النساء ١١٤.

﴿ وَلاَ تُؤْتُوا ٱلسُّفَهَاءَ أَمْوَالَكُمُ ٱلَّتِي جَعَلَ ٱللهُ لَكُمْ قِيَاماً ﴾[١] وقال : ﴿ لاَ تَسْأَلُوا عَنْ أَشْيَاءَ إِن تُبْدَ لَكُمْ تَسُؤْكُمْ ﴾[٢]» .

وروى حمران بن أعين[٣] قال : سألت أباجعفر عليه السلام قول الله عزّ وجلّ ﴿ وَرُوح مِنْه ﴾[٤] ؟

قال عليه السلام : «هي مخلوقة خلقها الله بحكمته في آدم وفي عيسى عليه السلام» .

محمّد بن مسلم قال : سألت أباجعفر عن قول الله عزّ وجلّ : ﴿ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي ﴾[٥] كيف هذا النفخ ؟

فقال عليه السلام : «إنّ الروح متحرّك كالرّيح ، إنّما سمّي روحاً لأنّه اشتقّ اسمه من الرّيح ، وإنّما أخرجه عن لفظة الرّيح لأنّ الرّوح متجانس للرّيح ، وإنّما أضافه إلى نفسه لأنّه اصطفاه على ساير الأرواح ، كما اصطفى بيتاً من البيوت ، وقال : «بيتي» وقال ـ لرسول من الرسل ـ : «خليلي» وأشباه ذلك مخلوق مصنوع مربوب مدبّر» .

وعن محمّد بن مسلم أيضاً قال : سألت أباجعفر عليه السلام عمّا روي : «إنّ الله خلق آدم على صورته»؟

فقال عليه السلام : «هي صورة محدثة مخلوقة ، اصطفاها الله واختارها ، على أساس الصور المختلفة ، فأضافها إلى نفسه ، كما أضاف الكعبة إلى نفسه والروح ، فقال : «بيتي» وقال : ﴿ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي ﴾» .

---

(١) النساء ٥.

(٢) المائده ١٠١.

(٣) قال السيّد بحر العلوم في رجاله ج ١ ص ٢٢٢ : «آل أعين أكبر بيت في الكوفة من شيعة أهل البيت عليهم السلام ، وأعظمهم شأناً ، وأكثرهم رجالاً وأعياناً ، وأطولهم مدّة وزماناً ، أدرك أوائلهم السجّاد والباقر والصّادق عليهم السلام ، وبقي أواخرهم إلى أوائل الغيبة الكبرى ، وكان فيهم العلماء والفقهاء ، والقرّاء والأدباء ، ورواة الحديث . ثمّ ذكر أنّ من مشاهيرهم حمران ـ إلى أن قال : ـ قال أبو غالب رحمه الله : «إنّا أهل بيت أكرمنا الله جلّ وعزّ بدينه ، واختصّنا بصحبة أوليائه وحججه ، من أوّل ما نشأنا إلى وقت الفتنة الّتي امتحنت بها الشيعة ، فلقي عمّنا «حمران» سيّدنا وسيّد العابدين عليّ بن الحسين عليه السلام» .

و(قال) : وكان حمران من أكابر مشايخ الشيعة المفضّلين الّذين لا يشكّ فيهم ، وكان أحد حملة القرآن ، ومن يعد ويذكر اسمه في كتب القرّاء .

وروى أنّه قرأ على أبي جعفر محمّد بن عليّ عليه السلام وكان ـ مع ذلك ـ عالماً بالنّحو واللغة ، ولقي «حمران ـ وجدّانا : زرارة وبكير» أباجعفر محمّد بن علي وأباعبدالله جعفر بن محمّد عليهما السلام الخ ...

وقال السيّد أيضاً ص ٢٥٥ : وقد جاء في مدح حمران بن أعين وجلالته وعظم محلّه أخبار كادت تبلغ التواتر .

(٤) النساء ١٧١.

(٥) الحجر ٢٩.

وعن عبدالرّحمن بن عبدالزُّهْري قال: حجّ هشام بن عبدالملك ، فدخل المسجد الحرام متكياً على يد سالم مولاه ، ومحمّد بن عليّ بن الحسين جالس ، فقال له سالم : يا أميرالمؤمنين هذا محمّد بن عليّ بن الحسين .

فقال له هشام : هذا المفتون به أهل العراق ؟

قال : نعم .

قال : إذهب إليه فقل له : يقول لك أميرالمؤمنين : ما الّذي يأكل النّاس ويشربون إلى أن يفصل بينهم يوم القيامة ؟

فقال أبو جعفر عليه السلام : «يحشر النّاس على مثل قرصة البرّ النقيّ ، فيها أنهار متفجّرة ، يأكلون ويشربون حتّى يفرغ من الحساب» .

قال : فرأى هشام أنّه قد ظفر به ، فقال : الله أكبر إذهب إليه فقل له : ما أشغلهم عن الأكل والشرب يومئذ !

فقال له أبوجعفر عليه السلام : «هم في النّار أشغل ، ولم يشغلوا عن أن قالوا : ﴿ أَفِيضُوا عَلَيْنَا مِنَ ٱلْمَاءِ أَوْ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ ﴾» .

فسكت هشام لا يرجع كلاماً .

وروي أنّ نافع بن الأزرق جاء إلى محمّد بن عليّ بن الحسين ، فجلس بين يديه يسأله عن مسائل في الحلال والحرام ، فقال له أبو جعفر ـ في عرض كلامه ـ : «قل لهذه المارقة ، بما استحللتم فراق أميرالمؤمنين عليه السلام ، وقد سفكتم دماءكم بين يديه ، وفي طاعته ، والقربة إلى الله تعالى بنصرته ؟ فسيقولون لك : إنّه حكّم في دين الله ، فقل لهم : قد حكّم الله تعالى في شريعة نبيّه رجلين من خلقه ، قال جلّ اسمه : ﴿ فَابْعَثُوا حَكَماً مِنْ أَهْلِهِ وَحَكَماً مِنْ أَهْلِهَا إِن يُرِيدَا إِصْلاَحاً يُوَفِّقِ ٱللَّهُ بَيْنَهُمَا ﴾[1] وحكّم رسول الله صلى الله عليه وآله سعد بن معاذ في بني قريظة ، فحكّم فيهم بما أمضاه الله ، أوما علمتم أنّ أميرالمؤمنين إنّما أمر الحكمين أن يحكما بالقرآن ولا يتعدّياه واشترط ردّ ما خالف «القرآن» من أحكام الرّجال ؟ وقال حين قالوا له : حكّمت على نفسك من حكم عليك ، فقال : ما حكّمت مخلوقاً فإنّما حكّمت كتاب الله ، فأين تجد المارقة تضليل من أمر الحكم بالقرآن ، واشترط ردّ ما خالفه ، ولا ارتكابهم في بدعتهم البهتان» .

---

(١) النساء ٣٥.

فقال نافع بن الأزرق : هذا والله ما طرق بسمعي قط ، ولا خطر منّي ببال ، هو الحقّ إنشاء الله تعالى .

وعن أبي الجارود قال: قال أبو جعفر عليه السلام : «يا أباالجارود ما يقولون في الحسن والحسين عليهما السلام» ؟

قلت : ينكرون عليهما أنّهما إبنا رسول الله .

قال عليه السلام : «فبأيّ شيء احتججتم عليهم» ؟

قال : قلت : بقول الله في عيسى : ﴿ وَمِن ذُرِّيَّتِهِ دَاوُدَ ـ إلى قوله ـ كُلٌّ مِّنَ ٱلصَّالِحِينَ ﴾[1] فجعل عيسىٰ من ذرّيّة إبراهيم ، واحتججنا عليهم بقوله تعالى : ﴿ قُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ ﴾[2]» .

ثمّ قال عليه السلام : «فأيّ شيء قالوا» ؟

قال : قلت : قالوا : قد يكون ولد البنت من الولد ولا يكون من الصلب .

قال : فقال أبو جعفر عليه السلام : «والله يا أباالجارود لأُعطينّكم من كتاب الله آية تسمّيهما أنّهما لصلب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لا يردّها إلّا كافر» .

قال : قلت : جعلت فداك وأين ؟

قال : قال عليه السلام : «حيث قال الله تعالىٰ : ﴿ حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَاتُكُمْ وَبَنَاتُكُمْ وَأَخَوَاتُكُمْ ـ إلى قوله ـ وَحَلَائِلُ أَبْنَائِكُمُ ٱلَّذِينَ مِنْ أَصْلَابِكُمْ ﴾[3] فسلهم يا أباالجارود وهل يحلّ لرسول الله نكاح حليلتيهما ؟ فإن قالوا : نعم ، فكذبوا والله ، وإن قالوا : لا ، فهما والله إبنا رسول الله لصلبه ، وما حرمن عليه إلّا للصلب» .

وعن أبي حمزة الثمالي عن أبي الربيع قال: حججت مع أبي جعفر عليه السلام في السنة الّتي حجّ فيها هشام بن عبدالملك ، وكان معه نافع مولى عمر بن الخطّاب ، فنظر نافع إلى أبي جعفر عليه السلام في ركن البيت وقد اجتمع عليه الخلق ، فقال : يا أميرالمؤمنين من هذا الّذي قد تكافأ عليه النّاس ؟

فقال : هذا محمّد بن عليّ بن الحسين .

قال : لآتينّه ولأسألنّه عن مسائل لا يجيبني فيها إلّا نبيّ أو وصيّ نبي .

---

(١) الأنعام ٨٤ـ٨٥.

(٢) آل عمران ٦١.

(٣) النساء ٢٣.

قال : فاذهب إليه لعلّك تخجله .

فجاء نافع حتّى اتّكأ على النّاس وأشرف على أبي جعفر فقال : يا محمّد بن علي إنّي قرأت «التوراة» و«الإنجيل» و«الزبور» و«الفرقان» ، وقد عرفت حلالها وحرامها ، وقد جئت أسألك عن مسائل لا يجيبني فيها إلاّ نبيّ أو وصيّ نبيّ أو ابن نبيّ» .

فرفع أبو جعفر ﷺ رأسه فقال : «سل عمّا بدا لك» !

قال : أخبرني كم بين عيسى ومحمّد من سنة ؟

قال ﷺ : «أُجيبك بقولك أم بقولي» ؟

قال : أجبني بالقولين !

قال ﷺ : «أمّا بقولي فخمسمائة سنة ، وأمّا بقولك فستمائة سنة» .

قال : فأخبرني عن قول الله ﷻ : ﴿ وَٱسْأَلْ مَنْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رُسُلِنَا أَجَعَلْنَا مِن دُونِ ٱلرَّحْمٰنِ آلِهَةً يُعْبَدُونَ ﴾[1] مَن الّذي سأل محمّد وكان بينه وبين عيسى خمسمائة سنة ؟

قال : فتلا أبو جعفر ﷺ هذه الآية : «﴿ سُبْحَانَ ٱلَّذِي أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِ لَيْلاً مِنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَىٰ ٱلْمَسْجِدِ ٱلأَقْصَىٰ ٱلَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا ﴾[2] كان من الآيات الّتي أراها محمّداً حيث أسرى به إلى بيت المقدّس ، أنّه حشر الله الأوّلين والآخرين ، من النبيّين والمرسلين ، ثمّ أمر جبرئيل ﷺ فأذّن شفعاً وأقام شفعاً وقال في أذانه : «حيّ على خير العمل» ثمّ تقدّم محمّد ﷺ فصلّى بالقوم ، فلمّا انصرف قال الله ﷻ : ﴿ وَٱسْأَلْ مَنْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رُسُلِنَا أَجَعَلْنَا مِن دُونِ ٱلرَّحْمٰنِ آلِهَةً يُعْبَدُونَ ﴾ ، فقال رسول الله : على من تشهدون ؟ وماكنتم تعبدون ؟ قالوا : نشهد أن لا إله إلاّ الله وحده لا شريك له ، وأنّك رسول الله ، أخذت على ذلك عهودنا ومواثيقنا» .

فقال : صدقت يا أباجعفر ! قال : فأخبرني عن قول الله ﷻ : ﴿ يَوْمَ تُبَدَّلُ ٱلأَرْضُ غَيْرَ ٱلأَرْضِ وَٱلسَّمَاوَاتُ ﴾[3] أيّ أرض تبدّل ؟

فقال أبو جعفر ﷺ : «خبزة بيضاء يأكلونها حتّى يفرغ الله من حساب الخلايق» .

فقال : إنّهم عن الأكل لمشغولون .

---

(١) الزخرف ٤٥.

(٢) الإسراء ١.

(٣) إبراهيم ٤٨.

فقال أبو جعفر عليه السلام : «أهم حينئذ أشغل أم هم في النّار» ؟

قال نافع : بل هم في النّار .

قال عليه السلام : «فقد قال الله عزّ وجلّ : ﴿ وَنَادَىٰ أَصْحَابُ ٱلنَّارِ أَصْحَابَ ٱلْجَنَّةِ أَنْ أَفِيضُوا عَلَيْنَا مِنَ ٱلْمَاءِ أَوْ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ ﴾[1] ما أشغلهم إذا دعوا بالطعام فأُطعموا الزقّوم ، ودعوا بالشراب فسقوا من الجحيم» !

فقال : صدقت يابن رسول الله ! وبقيت مسألة واحدة .

قال عليه السلام : «وما هي» ؟

قال : فأخبرني متى كان الله ؟

قال عليه السلام : «ويلك أخبرني متى لم يكن حتّى أُخبرك متى كان ؟ سبحان من لم يزل ولا يزال ، فرداً صمداً لم يتّخذ صاحبة ولا ولدا» .

ثمّ أتى هشام بن عبدالملك فقال : ما صنعت ؟

قال : دعني من كلامك ، والله هو أعلم النّاس حقّاً وهو ابن رسول الله حقّاً .

وعن أبان بن تغلب قال[2] : دخل طاووس اليماني إلى الطواف ومعه صاحب له ، فإذا هو بأبي جعفر عليه السلام يطوف أمامه ، وهو شاب حدث ، فقال طاوس لصاحبه : إنّ هذا الفتى لعالم ، فلمّا فرغ من طوافه صلّى ركعتين ، ثمّ جلس وأتاه النّاس ، فقال طاوس لصاحبه : نذهب إلى أبي جعفر ونسأله عن مسألة لا أدري عنده فيها شيء أم لا ، فأتياه فسلّما عليه ، ثمّ قال له طاوس : يا أباجعفر هل تدري أيّ يوم مات ثلث النّاس ؟

فقال عليه السلام : «يا أباعبدالرّحمن لم يمت ثلث النّاس قط ، إنّما أردت ربع النّاس» .

قال : وكيف ذلك ؟

قال عليه السلام : «كان آدم وحوّاء ، وقابيل وهابيل ، فقتل قابيل هابيل ، فذلك ربع النّاس» .

---

(١) الأعراف ٥٠.

(٢) في رجال النجاشي ص٧: «أبان بن تغلب بن رياح أبو سعيد البكري الجريري مولى بني جرير بن عبادة بن صبيعة بن قيس بن ثعلبة بن عكاشة بن صعب بن علي بن بكر بن وائل ، عظيم المنزلة في أصحابنا ، لقى عليّ بن الحسين وأباجعفر وأباعبدالله عليهم السلام ، روى عنهم ، وكانت له عندهم منزلة وقدم ، وذكره البلاذري قال : روى أبان عن عطيّة العوفي قال له أبوجعفر : «إجلس في مسجد المدينة وافت النّاس فإنّي أُحبّ أن يرى في شيعتي مثلك» . وقال أبو عبدالله عليه السلام لمّا أتاه نعيه : «أم والله لقد أوجع قلبي موت أبان» وكان قارياً من وجوه القرّاء ، فقيهاً لغويّاً ، سمع من العرب وحكى عنهم .

قال : صدقت .

قال أبو جعفر عليه السلام : «هل تدري ما صنع بقابيل» ؟

قال : لا .

قال عليه السلام : «عُلّق بالشمس ينضح[١] بالماء الحار إلى أن تقوم الساعة» .

وروي أنّ عمرو بن عبيد وفد على محمّد بن عليّ الباقر عليه السلام لامتحانه بالسؤال عنه ، فقال له : جعلت فداك ما معنى قوله تعالى : ﴿ أَوَ لَمْ يَرَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ ٱلسَّمَاوَاتِ وَٱلْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقاً فَفَتَقْنَاهُمَا ﴾[٢] ما هذا الرتق والفتق ؟

فقال أبو جعفر عليه السلام : «كانت السماء رتقاً لا تنزل القطر ، وكانت الأرض رتقاً لا تخرج النبات ، ففتق الله السماء بالقطر ، وفتق الأرض بالنبات» .

فانقطع عمرو ولم يجد اعتراضاً ، ومضى وعاد إليه فقال : خبّرني جعلت فداك عن قوله تعالى : ﴿ وَمَن يَحْلِلْ عَلَيْهِ غَضَبِي فَقَدْ هَوَىٰ ﴾ ما غضب الله ؟

فقال له أبو جعفر عليه السلام : «غضب الله تعالى عقابه يا عمرو ، ومن ظنّ أنّ الله يغرّه شيء فقد هلك» .

وعن أبي حمزة الثمالي قال : أتى الحسن البصري أباجعفر عليه السلام فقال : جئتك لأسألك عن أشياء من كتاب الله .

فقال أبو جعفر عليه السلام : «ألست فقيه أهل البصرة» ؟

قال : قد يقال ذلك .

فقال له أبو جعفر عليه السلام : «هل بالبصرة أحد تأخذ عنه» ؟

قال : لا .

قال عليه السلام : «فجميع أهل البصرة يأخذون عنك» ؟

قال : نعم .

فقال أبو جعفر عليه السلام : «سبحان الله ! لقد تقلّد عظيماً من الأمر ، بلغني عنك أمر فما أدري أكذلك أنت أم يُكذَب عليك» ؟

قال : ما هو ؟

---

(١) نضح الماء : رشّه .

(٢) الأنبياء ٣٠.

قال عليه السلام : «زعموا أنّك تقول : إنّ الله خلق العباد ففوّض إليهم أُمورهم» .

قال : فسكت الحسن .

فقال عليه السلام : «أفرأيت من قال الله له في كتابه : إنك آمن ، هل عليه خوف بعد هذا القول منه» ؟

فقال الحسن : لا .

فقال أبو جعفر عليه السلام : «إنّي أعرض عليك آية وأنهي إليك خطاباً ، ولا أحسبك إلّا وقد فسّرته على غير وجهه ، فإن كنت فعلت ذلك فقد هلكت وأهلكت» .

فقال له : ما هو ؟

قال عليه السلام : «أرأيت حيث يقول : ﴿ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ ٱلْقُرَى ٱلَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا قُرًى ظَاهِرَةً وَقَدَّرْنَا فِيهَا ٱلسَّيْرَ سِيرُوا فِيهَا لَيَالِيَ وَأَيَّاماً آمِنِينَ ﴾[1] يا حسن بلغني أنّك أفتيت النّاس فقلت : هي مكّة» ؟

فقال أبو جعفر عليه السلام : «فهل يُقطع على من حجّ مكّة ؟ وهل يخاف أهل مكّة ؟ وهل تذهب أموالهم» ؟

قال : بلى .

قال عليه السلام : «فمتى يكونون آمنين ؟ بل فينا ضرب الله الأمثال في «القرآن» ؛ فنحن القرى الّتي بارك الله فيها ، وذلك قول الله عزّ وجلّ ، فمن أقرّ بفضلنا حيث أمرهم بأن يأتونا فقال : ﴿ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ ٱلْقُرَى ٱلَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا ﴾ أي جعلنا بينهم وبين شيعتهم القرى الّتي باركنا فيها ﴿ قُرًى ظَاهِرَةً ﴾ والقرى الظاهرة الرسل ، والنقلة عنّا إلى شيعتنا ، وفقهاء شيعتنا ، إلى شيعتنا ، وقوله تعالى : ﴿ وَقَدَّرْنَا فِيهَا ٱلسَّيْرَ ﴾ ؛ فالسير مثل للعلم ، ﴿ سيروا فيها ليالي وأيّاماً ﴾ ، مثل لما يسير من العلم في الليالي والأيّام عنّا إليهم ، في الحلال والحرام ، والفرائض والأحكام ، آمنين فيها إذا أخذوا منه ، آمنين من الشكّ والضلال ، والنقلة من الحرام إلى الحلال ، لأنّهم أخذوا العلم ممّن وجب لهم أخذهم إيّاه عنهم ، بالمعرفة ، لأنّهم أهل ميراث العلم من آدم إلى حيث انتهوا ، ذرّيّة مصطفاة بعضها من بعض ، فلم ينته الإصطفاء إليكم ، بل إلينا انتهى ، ونحن تلك الذرّيّة المصطفاة لا أنت ولا أشباهك يا حسن ، فلو قلت لك حين دعيت ما ليس لك ، وليس إليك يا جاهل أهل البصرة ! لم أقل فيك إلّا ما علمته منك ، وظهر لي عنك ، وإيّاك أن تقول بالتفويض ، فإنّ الله عزّ وجلّ لم يفوّض الأمر إلى خلقه ، وهناً منه وضعفاً ، ولا أجبرهم على معاصيه ظلماً» .

---

(١) سبأ ١٨.

والخبر طويل أخذنا منه موضع الحاجة .

وروي أنّ سالماً دخل على أبي جعفر عليه السلام فقال : جئت أُكلّمك في أمر هذا الرّجل .

قال عليه السلام : «أيّما رجل» ؟

قال : عليّ بن أبي طالب .

قال عليه السلام : «في أيّ أُموره» ؟

قال : في أحداثه .

قال أبو جعفر عليه السلام : «اُنظر ما استقرّ عندك ممّا جاءت به الرّواة عن آبائهم» .

قال : ثمّ نسبهم ، ثمّ قال عليه السلام : «يا سالم أبلغك أنّ رسول الله بعث سعد بن عبادة براية الأنصار إلى خيبر ، فرجع منهزماً ، ثمّ بعث عمر بن الخطّاب براية المهاجرين والأنصار ، فأتى سعد جريحاً وجاء عمر يجبّن أصحابه ويجبّنونه ، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله : «هكذا يفعل المهاجرون والأنصار» حتّى قالها ثلاثاً ، ثمّ قال : «لأُعطينّ الرّاية غداً رجلاً كرّار ليس بفرّار ، يحبّه الله ورسوله ، ويحبّ الله ورسوله» ؟

قال : نعم ، وقال القوم جميعاً أيضاً .

فقال أبو جعفر عليه السلام : «يا سالم إن قلت أنّ الله عزّ وجلّ أحبّه وهو لا يعلم ما هو صانع فقد كفرت ، وإن قلت أنّ الله عزّ وجلّ أحبّه وهو يعلم ما هوصانع فأيّ حدث ترى له» ؟

فقال : أعد عَلَيَّ .

فأعاد عليه السلام عليه ، فقال سالم : عبدتُ الله على ضلالة سبعين سنة .

وعن أبي بصير قال : كان مولانا أبو جعفر محمّد بن عليّ الباقر عليهما السلام جالساً في الحرم وحوله عصابة من أوليائه ، إذ أقبل طاوس اليماني في جماعة من أصحابه ، ثمّ قال لأبي جعفر عليه السلام : أتأذن لي في السؤال ؟

فقال عليه السلام : «أذنّا لك ، فسل» !

قال : أخبرني متى هلك ثلث النّاس ؟

قال عليه السلام : «وهمت يا شيخ ! أردت أن تقول : متى هلك ربع النّاس ؟ وذلك يوم قتل قابيل هابيل ، كانوا أربعة : آدم ، وحوّاء ، وقابيل وهابيل ؛ فهلك ربعهم» .

فقال : أصبت ووهمت أنا ، فأيّهما كان أباً للنّاس ؛ القاتل أو المقتول ؟

قال عليه السلام : «لا واحد منهما بل أبوهم شيث بن آدم» .

قال : فلم سمّي آدم آدم ؟

قال عليه السلام : «لأنّه رفعت طينته من أديم الأرض السفلى» .

قال : ولِمَ سمّيت حوّاء حوّاء ؟

قال : «لأنّها خلقت من ضلع حيّ ، يعني ضلع آدم» .

قال : فلم سمّي إبليس إبليس ؟

قال عليه السلام : «لأنّه أبلس[1] من رحمة الله عزّ وجلّ فلا يرجوها» .

قال : فَلِمَ سمّي الجنّ جنّاً ؟

قال عليه السلام : «لأنّهم استجنّوا فلم يروا» .

قال : فأخبرني عن كذبة كذبت ، من صاحبها ؟

قال عليه السلام : «إبليس حين قال : أنا خير منه خلقتني من نار وخلقته من طين» .

قال : فأخبرني عن قوم شهدوا شهادة الحقّ وكانوا كاذبين ؟

قال عليه السلام : «المنافقون حين قالوا لرسول الله صلى الله عليه وآله : نشهد أنّك لرسول الله ؛ فأنزل الله عزّ وجلّ : ﴿ إِذَا جَاءَكَ ٱلْمُنَافِقُونَ قَالُوا نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ ٱللهِ وَٱللهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ وَٱللهُ يَشْهَدُ إِنَّ ٱلْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ ﴾[2]» .

قال : فأخبرني عن طائر طار مرّة ولم يطر قبلها ولا بعدها ، ذكره الله عزّ وجلّ في «القرآن» ما هو ؟

فقال عليه السلام : «طور سيناء أطاره الله عزّ وجلّ على بني إسرائيل حين أظلّهم بجناح منه ، فيه ألوان العذاب ، حتّى قبلوا «التوراة» ، وذلك قوله عزّ وجلّ : ﴿ وَإِذْ نَتَقْنَا ٱلْجَبَلَ فَوْقَهُمْ كَأَنَّهُ ظُلَّةٌ وَظَنُّوا أَنَّهُ وَاقِعٌ بِهِمْ ﴾ الآية[3]» .

قال : فأخبرني عن رسول الله بعثه الله تعالى ليس من الجنّ ، ولا من الإنس ، ولا من الملائكة ، ذكره الله تعالى في كتابه ؟

قال عليه السلام : «الغراب ، حين بعثه الله عزّ وجلّ ليري قابيل كيف يواري سوأة أخيه هابيل حين قتله ، قال الله عزّ وجلّ : ﴿ فَبَعَثَ ٱللهُ غُرَاباً يَبْحَثُ فِي ٱلْأَرْضِ لِيُرِيَهُ كَيْفَ يُوَارِي سَوْءَةَ أَخِيهِ ﴾[4]» .

---

(١) أَبْلَسَ : آيَسَ .

(٢) المنافقون ١ .

(٣) الأعراف ١٧١ .

(٤) المائدة ٣١ .

قال : فأخبرني عمّن أنذر قومه ليس من الجنّ ، ولا من الإنس ، ولا من الملائكة ، ذكره الله عزّ وجلّ في كتابه ؟

قال عليه السلام : «النملة ، حين قالت : ﴿ يَا أَيُّهَا ٱلنَّمْلُ ٱدْخُلُوا مَسَاكِنَكُمْ لاَ يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَانُ وَجُنُودُهُ وَهُمْ لاَ يَشْعُرُونَ ﴾[1]» .

قال : فأخبرني عمّن كذّب عليه ، ليس من الجنّ ، ولا من الإنس ، ولا من الملائكة ، ذكره الله عزّ وجلّ في كتابه ؟

قال عليه السلام : «الذئب الّذي كذّب عليه إخوة يوسف» .

قال : فأخبرني عن شيء قليله حلال وكثيره حرام ، ذكره الله عزّ وجلّ في كتابه ؟

قال عليه السلام : «نهر طالوت ، قال الله عزّ وجلّ : ﴿ إِلاَّ مَنِ ٱغْتَرَفَ غُرْفَةً بِيَدِهِ ﴾[2]» .

قال : فأخبرني عن صلاة فريضة تصلّى بغير وضوء ، وعن صوم لا يحجز عن أكل ولا شرب ؟

قال عليه السلام : «أمّا الصلاة بغير وضوء فالصلاة على النّبيّ وآله عليه وعليهم السّلام ، وأمّا الصوم فقول الله عزّ وجلّ : ﴿ إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَانِ صَوْماً فَلَنْ أُكَلِّمَ ٱلْيَوْمَ إِنسِيّاً ﴾[3]» .

قال : فأخبرني عن شيء يزيد وينقص ، وعن شيء يزيد ولا ينقص ، وعن شيء ينقص ولا يزيد ؟

فقال الباقر عليه السلام : « أمّا الشيء الّذي يزيد وينقص فهو : القمر ، والشيء الّذي هو يزيد ولا ينقص : فهو البحر ، والشيء الّذي ينقص ولا يزيد هو : العمر» .

وقد تكرّر إيراد أوّل هذا الخبر لما في آخره من الفوائد .

وبالإسناد المقدّم ذكره عن أبي محمّد الحسن العسكري عليه السلام أنّه قال : «كان عليّ بن الحسين زين العابدين جالساً في مجلسه ، فقال يوماً في مجلسه أنّ رسول الله صلّى الله عليه وآله لمّا أُمر بالمسير إلى تبوك ، أُمر بأن يخلّف عليّاً بالمدينة ، فقال عليّ عليه السلام : يا رسول الله ماكنت أحبّ أن أتخلّف عنك في شيء من أُمورك ، وأن أغيب عن مشاهدتك والنّظر إلى هديك ، وسمتك . فقال رسول الله : يا علي أما ترضى أن تكون منّي بمنزلة هارون من موسى إلّا أنّه لا نبيّ بعدي ؟ تقيم يا علي وإنّ لك في مقامك

---

(١) النمل ١٨.

(٢) البقرة ٢٤٩.

(٣) مريم ٢٦.

من الأجر مثل الّذي يكون لك لو خرجت مع رسول الله ، ولك أُجور كلّ من خرج مع رسول الله ﷺ موقناً طائعاً ، وإنّ لك على الله يا علي لمحبّتك أن تشاهد من محمّد سمته في ساير أحواله ، بأن يأمر جبرئيل في جميع مسيرنا هذا أن يرفع الأرض الّتي يسير عليها ، والأرض الّتي تكون أنت عليها ، ويقوّي بصرك حتّى تشاهد محمّداً وأصحابه في ساير أحوالك وأحوالهم ، فلا يفوتك الأُنس من رؤيته ورؤية أصحابه ويغنيك ذلك عن المكاتبة والمراسلة .

فقام رجل من مجلس زين العابدين لمّا ذكر هذا وقال له : يابن رسول الله ﷺ كيف يكون هذا لعليّ ؟ إنّما يكون هذا للأنبياء لا لغيرهم ؟

فقال زين العابدين عليه السلام : هذا هو معجزة لمحمّد رسول الله لا لغيره ، لأنّ الله إنّما رفعه بدعاء محمّد ، وزاد في نور بصره أيضاً بدعاء محمّد ، حتّى شاهد ما شاهد وأدرك ما أدرك .

ثمّ قال له الباقر عليه السلام : يا عبدالله ما أكثر ظلم كثير من هذه الأُمّة لعليّ بن أبي طالب عليه السلام ، وأقلّ إنصافهم له ؟ يمنعون عليّاً ما يعطونه ساير الصحابة ، وعليّ أفضلهم ، فكيف يمنع منزلة يعطونها غيره ؟

قيل : وكيف ذاك يابن رسول الله ؟

قال : لأنّكم تتولّون محبّي أبي بكر ابن أبي قحافة ، وتتبرّؤون من أعدائه كائناً من كان ، وكذلك تتولّون عمر بن الخطّاب ، وتتبرّؤون من أعدائه كائناً من كان ، وتتولّون عثمان بن عفّان وتتبرّؤون من أعدائه كائناً من كان ، حتّى إذا صار إلى عليّ بن أبي طالب عليه السلام ، قالوا : نتولّي محبّيه ، ولا نتبرّأ من أعدائه بل نحبّهم ، فكيف يجوز هذا لهم ، ورسول الله ﷺ يقول في علي : «اللّهمّ وال من والاه وعاد من عاداه ، وانصر من نصره ، واخذل من خذله» أفترونه لا يعادي من عاداه ؟ ولا يخذل من خذله ؟ ليس هذا بإنصاف .

ثمّ أُخرى : إنّهم إذا ذكر لهم ما أخصّ الله به عليّاً بدعاء رسول الله ﷺ ، وكرامته على ربّه تعالى ، جحدوه ، وهم يقبلون ما يذكر لهم في غيره من الصحابة ، فما الّذي منع عليّاً ما جعله لسائر أصحاب رسول الله ؟ هذا عمر بن الخطّاب ، إذا قيل لهم : إنّه كان على المنبر بالمدينة يخطب إذ نادى في خلال خطبته : يا سارية الجبل ، وعجب القوم وقالوا ما هذا الكلام الّذي في هذه الخطبة ، فلمّا قضى الخطبة والصلاة ، قالوا : ما قولك في خطبتك يا سارية الجبل ؟ فقال : إعلموا أنّي وأنا أخطب إذ رميت ببصري نحو الناحية الّتي خرج فيها إخوانكم إلى غزوة الكافرين بنهاوند ،

وعليهم سعد بن أبي وقّاص ، ففتح الله لي الأستار والحجب ، وقوّى بصري حتّى رأيتهم وقد اصطفوا بين يدي جبل هناك ، وقد جاء بعض الكفّار ليدور خلف سارية ، وساير من معه من المسلمين ، فيحيطوا بهم فيقتلوهم ، فقلت : يا سارية الجبل ، ليلتجئ إليه فيمنعهم ذلك من أن يحيطوا به ، ثمّ يقاتلوا ، ومنح الله إخوانكم المؤمنين أكناف الكافرين ، وفتح الله عليهم بلادهم ، فاحفظوا هذا الوقت ، فسيرد عليكم الخبر بذلك ، وكان بين المدينة ونهاوند مسيرة أكثر من خمسين يوماً .

قال الباقر عليه السلام : فإذا كان مثل هذا لعمر ، فكيف لا يكون مثل هذا لعليّ بن أبي طالب عليه السلام ؟ ولكنّهم قوم لا ينصفون بل يكابرون» .

وعن عبدالله بن سليمان[1] **قال** :كنت عند أبي جعفر عليه السلام فقال له رجل من أهل البصرة ـ يقال له عثمان الأعمى ـ : إنّ الحسن البصري يزعم أنّ الّذين يكتمون العلم يؤذي ريح بطونهم من يدخل النّار .

فقال أبو جعفر عليه السلام : «فهلك إذاً مؤمن آل فرعون ، والله مدحه بذلك ، وما زال العلم مكتوماً منذ بعث الله عزّ وجلّ رسوله نوحاً ، فليذهب الحسن يميناً وشمالاً ، فوالله ما يوجد العلم إلّا هاهنا» .

وكان عليه السلام يقول : «محنة النّاس علينا عظيمة ؛ إن دعوناهم يجيبونا ، وإن تركناهم لم يهتدوا بغيرنا».

احتجاج أبي عبدالله الصادق عليه السلام في أنواع شتّى من العلوم الدينيّة على أصناف كثيرة من أهل الملل والديانات

روي عن هشام بن الحكم[2] **أنّه قال** : مِن سؤال الزنديق الّذي أتى أباعبدالله عليه السلام أن قال : ما

---

(١) عبدالله بن سليمان النخعي ، كوفي ، عدّه الشيخ في رجاله ص ١٦٥ من أصحاب الصادق عليه السلام .

(٢) هشام بن الحكم الكندي مولاهم البغدادي ، وكان ينزل ببني شيبان بالكوفة ، وكان مولده بالكوفة ، ومنشؤه واسط وتجارته ببغداد ، ثمّ انتقل إليها في آخر عمره سنة تسع وتسعين ومائة ، وقيل : هذه السنة هي سنة وفاته .
عين الطائفة ووجهها ومتكلّمها وناصرها ، من أرباب الأُصول ، وله نوادر وحكايات ولطائف ومناظرات ممّن اتّفق علمائنا على وثاقته ، ورفعة شأنه ومنزلته عند أئمّتنا المعصومين عليهم السلام .
وكان ممّن فتق الكلام في الإمامة ، وهذّب المذهب بالنظر ، وكان حاذقاً بصناعة الكلام ، حاضر الجواب ، وكان ثقة بالروايات ، حسن التحقيق بهذا الأمر .

الدليل على صانع العالم ؟

فقال أبو عبدالله عليه السلام : «وجود الأفاعيل الّتي دلّت على أنّ صانعها صنعها ، ألا ترى أنّك إذا نظرت إلى بناء مشيّد مبني علمت أنّ له بانياً ، وإن كنت لم تَر الباني ، ولم تشاهده» ؟

قال : فما هو ؟

قال عليه السلام : «هو شيء بخلاف الأشياء ، إرجع بقولي شيء إلى إثباته ، وأنّه شيء بحقيقته الشيئيّة ، غير أنّه لا جسم ، ولا صورة ، ولا يحسّ ، ولا يجسّ ، ولا يدرك بالحواسّ الخمس ، لا تدركه الأوهام ، ولا تنقصه الدهور ، ولا يغيّره الزمان» .

قال السائل : فإنّا لم نجد موهوماً إلّا مخلوقاً .

قال أبو عبدالله عليه السلام : «لو كان ذلك كما تقول ، لكان التوحيد منّا مرتفعاً لأنّا لم نكلّف أن نعتقد غير موهوم ، لكنّا نقول : كلّ موهوم بالحواس مدرك بها ، تحدّه الحواس ممثلاً ، فهو مخلوق ، ولابدّ من إثبات كون صانع الأشياء خارجاً من الجهتين المذمومتين : إحداهما النفي إذا كان النفي هو الإبطال والعدم ، والجهة الثانية التشبيه بصفة المخلوق الظاهر التركيب والتأليف ، فلم يكن بدّ من إثبات الصانع لوجود المصنوعين ، والإضطرار منهم إليهم ، أنّهم مصنوعون ، وأنّ صانعهم غيرهم ، وليس مثلهم ، إن كان مثلهم شبيهاً بهم في ظاهر التركيب والتأليف وفيما يجري عليهم من حدوثهم بعد أن لم يكونوا ، وتنقلهم من صغر إلى كبر ، وسواد إلى بياض ، وقوّة إلى ضعف ، وأحوال موجودة لا حاجة بنا إلى تفسيرها لثباتها ووجودها» .

قال السائل : فأنت قد حدّدته إذا ثبتَّ وجوده !

قال أبو عبدالله عليه السلام : «لم أُحدّده ، ولكنّي أُثبته ، إذ لم يكن بين الإثبات والنفي منزلة» .

قال السائل : فقوله : ﴿ الرَّحْمَانُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَىٰ ﴾[1] ؟

قال أبو عبدالله عليه السلام : «بذلك وصف نفسه ، وكذلك هو مستولٍ على العرش ، بائن من خلقه ، من

روى عن أبي عبدالله وعن أبي الحسن عليهما السلام ، وعاش بعد أبي الحسن ، ولمّا توفّي ترحّم عليه الرّضا عليه السلام .

روي عن أبي هاشم الجعفري قال : قلت لأبي جعفر محمّد بن عليّ الثاني عليه السلام : ما تقول جعلت فداك في هشام بن الحكم ؟

فقال عليه السلام : «رحمه الله ما كان أذبّه عن هذه الناحية» . [راجع : سفينة البحار ٧١٩/٢، رجال الشيخ ٧٢٩، رجال العلّامة ١٧٨]

(١) طه ٥.

غير أن يكون العرش محلّاً له ، لكنّا نقول : هو حامل وممسك للعرش ، ونقول في ذلك ما قال : ﴿ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ ٱلسَّمَاوَاتِ وَٱلْأَرْضَ ﴾[1] فثبتنا من العرش والكرسي ما ثبته ، ونفينا أن يكون العرش والكرسي حاوياً له ، وأن يكون عزّ وجلّ محتاجاً إلى مكان ، أو إلى شيء ممّا خلق ، بل خلقه محتاجون إليه» .

قال السائل : فما الفرق بين أن ترفعوا أيديكم إلى السّماء وبين أن تخفضوها نحو الأرض ؟

قال أبو عبدالله عليه السلام : «في علمه وإحاطته وقدرته سواء ، ولكنّه عزّ وجلّ أمر أولياءه وعباده برفع أيديهم إلى السّماء نحو العرش ، لأنّه جعله معدن الرزق ، فثبتنا ما ثبّته «القرآن» والأخبار عن الرّسول ، حين قال : «إرفعوا أيديكم إلى الله عزّ وجلّ» وهذا تجمع عليه فِرَق الأُمّة كلّها» .

ومِن سؤاله أن قال : لِمَ لا يجوز أن يكون صانع العالم أكثر من واحد ؟

قال أبو عبدالله عليه السلام : «لا يخلو قولك إنّهما اثنان من أن يكونا قديمين قويّين أو يكونا ضعيفين ، أو يكون أحدهما قويّاً والآخر ضعيفاً ؛ فإن كانا قويّين فَلِم لا يدفع كلّ واحد منهما صاحبه ، ويتفرّد بالربوبيّة ، وإن زعمت أنّ أحدهما قويّ والآخر ضعيف ، ثبت أنّه واحد كما نقول للعجز الظاهر في الثاني ، وإن قلت أنّهما اثنان ؛ لم يخل من أن يكونا متّفقين من كلّ جهة ، أو مفترقين من كلّ جهة ، فلمّا رأينا الخلق منتظماً ، والفلك جارياً ، واختلاف الليل والنّهار والشمس والقمر ، دلّ ذلك على صحّة الأمر والتدبير ، وايتلاف الأمر ، وأنّ المدبّر واحد» .

وعن هشام بن الحكم قال : دخل ابن أبي العوجاء على الصّادق عليه السلام ، فقال له الصّادق عليه السلام : «يابن أبي العوجاء ! أنت مصنوع أم غير مصنوع» ؟

قال : لست بمصنوع .

فقال له الصادق عليه السلام : «فلو كنت مصنوعاً كيف كنت» ؟

فلم يحر ابن أبي العوجاء جواباً ، وقام وخرج .

قال : دخل أبو شاكر الديصاني ـ وهو زنديق ـ على أبي عبدالله عليه السلام وقال : يا جعفر بن محمّد دلّني على معبودي !

فقال أبو عبدالله عليه السلام : «إجلس» .

فإذا غلام صغير في كفّه بيضة يلعب بها ، فقال أبو عبدالله عليه السلام : «ناولني يا غلام البيضة» .

---

(١) البقرة ٢٥٥.

فناوله إيّاها .

فقال أبو عبدالله عليه السلام : «يا ديصاني هذا حصن مكنون ، له جلد غليظ ، وتحت الجلد الغليظ جلد رقيق ، وتحت الجلد الرقيق ذهبة مايعة ، وفضّة ذائبة ؛ فلا الذهبة المائعة تختلط بالفضّة الذائبة ، ولا الفضّة الذائبة تختلط بالذهبة المايعة ، فهي على حالها ، لا يخرج منها خارج مصلح فيخبر عن إصلاحها ، ولا يدخل إليها داخل مفسد فيخبر عن إفسادها ، لا يدرى للذكر خلقت أم للأُنثى ، تنفلق عن مثل ألوان الطواويس ، أترى له مدبّراً» ؟

قال : فأطرق مليّاً ثمّ قال : أشهد أن لا إله إلّا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أنّ محمّداً عبده ورسوله ، وأنّك إمام وحجّة من الله على خلقه ، وأنا تائب ممّا كنت فيه .

وعن هشام بن الحكم قال : سألت أباعبدالله عليه السلام عن أسماء الله عزّ ذكره واشتقاقها ، فقلت : الله ممّا هو مشتق ؟

قال عليه السلام : «يا هشام مشتقّ من إله ، وإله يقتضي مألوها ، والإسم غير المسمّى ، فمن عبد الإسم دون المعنى فقد كفر ولم يعبد شيئاً ، ومن عبد الإسم والمعنى فقد كفر وعبد الإثنين ، ومن عبد المعنى دون الإسم فذاك التوحيد ، أفهمت يا هشام» ؟

قال : قلت : زدني !

فقال عليه السلام : «إنّ لله تسعة وتسعين إسماً ، فلو كان الإسم هو المسمّى لكان كلّ اسم منه إلها ، ولكنّ الله معنى يدلّ عليه ، فهذه الأسماء كلّها غيره . يا هشام الخبز إسم للمأكول ، والماء إسم للمشروب ، والثوب إسم للملبوس ، والنّار اسم للمحروق ، أفهمت يا هشام فهماً تدفع به وتناضل به أعداءنا والمتّخذين مع الله غيره» ؟

قلت : نعم .

قال : فقال عليه السلام : «نفعك الله به وثبّتك» !

قال هشام : فوالله ما قهرني أحد في علم التوحيد حتّى قمت مقامي هذا .

وعن هشام بن الحكم قال : كان زنديق بمصر يبغله عن أبي عبدالله عليه السلام علم ، فخرج إلى المدينة ليناظره ، فلم يصادفه بها ، وقيل : هو بمكّة ، فخرج إلى مكّة ونحن مع أبي عبدالله عليه السلام ، فانتهى إليه ـ وهو في الطواف ـ فدنا منه وسلّم .

فقال له أبو عبدالله عليه السلام : «ما اسمك» ؟

قال : عبدالملك .

قال عليه السلام : «فما كنيتك» ؟

قال : أبو عبدالله .

قال أبو عبدالله عليه السلام : «فمن ذاالملك الّذي أن عبده ، أمِن ملوك الأرض أم من ملوك السّماء ؟ وأخبرني عن ابنك أعبد إله السماء أم عبد إله الأرض» ؟

فسكت .

فقال أبو عبدالله عليه السلام : «قل» .

فسكت .

فقال عليه السلام : «إذا فرغت من الطواف فأتنا» .

فلمّا فرغ أبو عبدالله عليه السلام من الطواف أتاه الزنديق ، فقعد بين يديه ونحن مجتمعون عنده ، فقال أبو عبدالله عليه السلام : «أعلم أنّ للأرض تحتاً وفوقاً» ؟

فقال : نعم .

قال عليه السلام : «فدخلت تحتها» ؟

قال : لا .

قال عليه السلام : «فهل تدري ما تحتها» ؟

قال : لا أدري إلّا أنّي أظنّ أن ليس تحتها شيء .

فقال أبو عبدالله عليه السلام : «فالظنّ عجز ما لم تستيقن» . ثمّ قال له : «صعدت إلى السّماء» ؟

قال : لا .

قال عليه السلام : «أفتدري ما فيها» ؟

قال : لا .

قال عليه السلام : «فأتيت المشرق والمغرب فنظرت ما خلفهما» ؟

قال : لا .

قال عليه السلام : «فالعجب لك ، لم تبلغ المشرق ، ولم تبلغ المغرب ، ولم تنزل تحت الأرض ، ولم تصعد إلى السماء ، ولم تخبر ما هناك فتعرف ما خلفهنّ ، وأنت جاحد بما فيهنّ ، وهل يجحد العاقل ما لا يعرف» ؟!

فقال الزنديق : ماكلّمني بهذا غيرك .

قال أبو عبدالله عليه السلام : «فأنت من ذلك في شكّ ، فلعلّ هو ولعلّ ليس هو» .

قال : ولعلّ ذلك .

فقال أبو عبدالله عليه السلام : «أيّها الرّجل ليس لمن لا يعلم حجّة على من يعلم ، ولا حجّة للجاهل على العالم ، يا أخا أهل مصر ، تفهّم عنّي ، أما ترى الشمس والقمر والليل والنّهار يلجان ولا يستبقان ، يذهبان ويرجعان ، قد اضطرّا ليس لهما مكان إلّا مكانهما ، فإن كانا يقدران على أن يذهبا فلم يرجعان ، وإن كانا غير مضطرّين فَلِمَ لا يصير الليل نهاراً والنّهار ليلاً ؟ اضطرّا والله يا أخا أهل مصر ، إنّ الّذي تذهبون إليه وتظنّون من الدّهر ، فإن كان هو يذهبهم فَلِمَ لا يردّهم ؟ وإن كان يردّهم فَلِمَ لا يذهب بهم ؟ أما ترى السماء مرفوعة ، والأرض موضوعة ، لا تسقط السماء على الأرض ، ولا تنحدر الأرض فوق ما تحتها ، أمسكها والله خالقها ومدبّرها» .

قال : فآمن الزنديق على يدي أبي عبدالله .

فقال عليه السلام لهشام : «خذه إليك وعلّمه» .

وعن عيسى بن يونس[1] **قال** : كان ابن أبي العوجا من تلامذة الحسن البصري ، فانحرف عن التوحيد ، فقيل له : تركت مذهب صاحبك ودخلت فيما لا أصل له ولا حقيقة ؟

قال : إنّ صاحبي كان مخلطاً ، يقول طوراً بالقدر ، وطوراً بالجبر ، فما أعلمه اعتقد مذهباً دام عليه ، فقدم مكّة متمرّداً ، وإنكاراً على من يحجّه ، وكان تكره العلماء مجالسته لخبث لسانه ، وفساد ضميره ، فأتى أباعبدالله عليه السلام فجلس إليه في جماعة من نظرائه ، فقال : يا أباعبدالله ! إنّ المجالس بالأمانات ، ولابدّ لكلّ من به سعال أن يسعل ، أفتأذن لي في الكلام ؟

فقال عليه السلام : «تكلّم» .

فقال : إلى كم تدوسون هذا البيدر ، وتلوذون بهذا الحجر ، وتعبدون هذا البيت المرفوع بالطوب والمدر ، وتهرولون حوله كهرولة البعير إذا نفر ، إنّ من فكّر في هذا وقدّر ، علم أنّ هذا فعل أسّسه غير حكيم ولا ذي نظر ، فقل فإنّك رأس هذا الأمر وسنامه ، وأبوك أسّسه ونظامه !

فقال أبو عبدالله عليه السلام : «إنّ من أضلّه الله وأعمى قلبه ، استوخم الحق ولم يستعذبه ، وصار

---

(١) عيسى بن يونس ذكره الشيخ في رجاله ص٢٥٨ في أصحاب الصادق عليه السلام وفي أصحاب الكاظم عليه السلام ص٣٥٥، فقال : عيسى بن يونس بزرج ، له كتاب .

الشيطان وليّه ، يورده مناهل الهلكة ، ثمّ لا يصدره ، وهذا بيت استعبد الله به عباده ، ليختبر طاعتهم في إتيانه ، فحثّهم على تعظيمه وزيارته ، وجعله محلّ أنبيائه ، وقبلة للمصلّين له ، فهو شعبة من رضوانه ، وطريق يؤدّي إلى غفرانه ، منصوب على استواء الكمال ، ومجتمع العظمة والجلال ، خلقه الله قبل دحو الأرض بألفي عام ، فأحقّ من اُطيع فيما أمر ، وانتهي عمّا نهى عنه وزجر ، الله المنشئ للأرواح والصور» .

فقال ابن أبي العوجاء : ذكرت الله فأحلت على الغائب .

فقال أبو عبدالله عليه السلام : «ويلك !كيف يكون غائباً من هو مع خلقه شاهد ، وإليهم أقرب من حبل الوريد ، يسمع كلامهم ويرى أشخاصهم ، ويعلم أسرارهم» ؟!

فقال ابن أبي العوجاء : فهو في كلّ مكان ، أليس إذا كان في السماء كيف يكون في الأرض ؟ وإذا كان في الأرض كيف يكون في السماء ؟

فقال أبوعبدالله عليه السلام : «إنّما وصفت المخلوق الّذي إذا انتقل من مكان اشتغل به مكان ، وخلا منه مكان ، فلا يدري في المكان الّذي صار إليه ما حدث في المكان الّذي كان فيه ، فأمّا الله العظيم الشأن ، الملك الديّان ، فلا يخلو منه مكان ، ولا يشتغل به مكان ، ولا يكون إلى مكان أقرب منه إلى مكان» .

وروي أنّ الصّادق عليه السلام قال لابن أبي العوجاء : «إن يكن الأمر كما تقول ـ وليس كما نقول ـ نجونا ونجوت ، وإن يكن الأمر كما نقول ـ وهو كما نقول ـ نجونا وهلكت» .

وروي أيضاً : إنّ ابن أبي العوجاء سأل الصّادق عليه السلام عن حدث العالم ، فقال : «ما وجدت صغيراً ولا كبيراً إلّا إذا ضمّ إليه مثله صار أكبر ، وفي ذلك زوال وانتقال عن الحالة الاُولى ، ولو كان قديماً ما زال ولا حال ، لأنّ الّذي يزول ويحول يجوز أن يوجد ويبطل ، فيكون بوجوده بعد عدمه دخول في الحدث ، وفي كونه في الأزل دخول في القدم ، ولن يجتمع صفة الحدوث والقدم في شيء واحد» .

قال ابن أبي العوجاء : هبك علمك في جري الحالتين والزمانين على ما ذكرت استدللت على حدوثها ، فلو بقيت الأشياء على صغرها من أين كان لك أن تستدلّ على حدوثها ؟

فقال عليه السلام : «إنّا نتكلّم على هذا العالم الموضوع ، فلو رفعناه ووضعنا عالماً آخر كان لا شيء أدلّ على الحدث ومن رفعنا إيّاه ووضعنا غيره ، لكن اُجيبك من حيث قدرت أن تلزمنا ، فنقول : إنّ

الأشياء لو دامت على صغرها لكان في الوهم أنّه متى ضمّ شيء منه إلى شيء منه كان أكبر ، وفي جواز التغيّر عليه خروجه من القدم كما أنّ في تغيّره دخوله في الحدث ، وليس لك وراءه شيء يا عبدالكريم» .

وعن يونس بن ظبيان قال : دخل رجل على أبي عبدالله عليه السلام قال : أرأيت الله حين عبدته ؟

قال عليه السلام : «ماكنت أعبد شيئاً لم أره» .

قال : فكيف رأيته ؟

قال عليه السلام : «لم تره الأبصار بمشاهدة العيان ، ولكن رأته القلوب بحقايق الإيمان ، لا يدرك بالحواس ، ولا يقاس بالناس ، معروف بغير تشبيه» .

وعن عبدالله بن سنان عن أبي عبدالله عليه السلام في قوله تعالى : ﴿ **لا تُدْرِكُهُ الأَبْصَارُ** ﴾[1] قال : «إحاطة الوهم ، ألا ترى إلى قوله : ﴿ **قَدْ جَاءَكُم بَصَائِرُ مِن رَبِّكُمْ** ﴾ ليس يعني بصر العيون ﴿ **فَمَنْ أَبْصَرَ فَلِنَفْسِهِ** ﴾ وليس يعني من أبصر نفسه ﴿ **وَمَنْ عَمِيَ فَعَلَيْهَا** ﴾[2] ليس يعني عمي العيون ، إنّما عنى : إحاطة الوهم ـ كما يقال : فلان بصير بالشعر ، وفلان بصير بالفقه ، وفلان بصير بالدراهم ، وفلا بصير بالثياب ـ الله أعظم من أن يرى بالعين» .

ومن سؤال الزنديق الّذي سأل أباعبدالله عليه السلام عن مسائل كثيرة أنّه قال : كيف يعبد الله الخلق ولم يروه ؟

قال عليه السلام : «رأته القلوب بنور الإيمان ، وأثبتته العقول بيقظتها إثبات العيان ، وأبصرته الأبصار بما رأته من حسن التركيب ، وإحكام التأليف ، ثمّ الرّسل وآياتها والكتب ومحكماتها ، واقتصرت العلماء على ما رأت من عظمته دون رؤيته» .

قال : أليس هو قادر أن يظهر لهم حتّى يروه فيعرفونه فيعبد على يقين ؟

قال عليه السلام : «ليس للمحال جواب» .

قال : فمن أين أثبت أنبياء ورسلاً ؟

قال عليه السلام : «إنّا لمّا أثبتنا أنّ لنا خالقاً صانعاً متعالياً عنّا وعن جميع ما خلق ، وكان ذلك الصانع حكيماً ، لم يجز أن يشاهده خلقه ، ولا أن يلامسوه ، ولا أن يباشرهم ويباشروه ، ويحاجّهم

---

(١) الأنعام ١٠٣.

(٢) الأنعام ١٠٤.

ويحاجّوه ، ثبت أنّ له سفراء في خلقه وعباده يدلّونهم على مصالحهم ومنافعهم ، وما به بقاؤهم ، وفي تركه فناؤهم ، فثبت الآمرون والناهون عن الحكيم العليم في خلقه ، وثبت عند ذلك أنّ له معبّرون هم أنبياء الله وصفوته من خلقه ، حكماء مؤدّبين بالحكمة ، مبعوثين عنه ، مشاركين للنّاس في أحوالهم على مشاركتهم لهم في الخلق والتركيب ، مؤيّدين من عند الحكيم العليم بالحكمة والدلائل والبراهين والشواهد من إحياء الموتى ، وإبراء الأكمه والأبرص ، فلا تخلو الأرض من حجّة يكون معه علم يدلّ على صدق مقال الرّسول ووجوب عدالته» .

ثمّ قال عليه السلام بعد ذلك : «نحن نزعم أنّ الأرض لا تخلو من حجّة ، ولا تكون الحجّة إلّا من عقب الأنبياء ، ما بعث الله نبيّاً قطّ من غير نسل الأنبياء ، وذلك أنّ الله شرع لبني آدم طريقاً منيراً ، وأخرج من آدم نسلاً طاهراً طيّباً ، أخرج منه الأنبياء والرسل ، هم صفوة الله ، وخلّص الجوهر ، طهّروا في الأصلاب ، وحفظوا في الأرحام ، لم يصبهم سفاح الجاهليّة ، ولا شاب أنسابهم ، لأنّ الله عزّ وجلّ جعلهم في موضع لا يكون أعلى درجة وشرفاً منه ، فمن كان خازن علم الله ، وأمين غيبه ، ومستودع سرّه ، وحجّته على خلقه ، وترجمانه ولسانه ، لا يكون إلّا بهذه الصفة ؛ فالحجّة لا يكون إلّا من نسلهم ، يقوم مقام النّبيّ صلى الله عليه وآله في الخلق بالعلم الّذي عنده ، وورثه عن الرّسول ، إن جحده النّاس سكت ، وكان بقاء ما عليه النّاس قليلاً ممّا في أيديهم من علم الرسول على اختلاف منهم فيه ، قد أقاموا بينهم الرأي والقياس ، وإنّهم إن أقرّوا به وأطاعوه وأخذوا عنه ، ظهر العدل ، وذهب الإختلاف والتشاجر ، واستوى الأمر وأبان الدّين ، وغلب على الشك اليقين ، ولا يكاد أن يقرّ النّاس به ولا يطيعوا له أو يحفظوا له بعد فقد الرّسول ، وما مضى رسول ولا نبيّ قط لم تختلف اُمّته من بعده ، وإنّما كان علّة اختلافهم على الحجّة وتركهم إيّاه» .

قال : فما يصنع بالحجّة إذا كان بهذه الصفة ؟

قال عليه السلام : «قد يقتدي به ويخرج عنه الشيء بعد الشيء مكانه منفعة الخلق وصلاحهم ، فإن أحدثوا في دين الله شيئاً أعلمهم ، وإن زادوا فيه أخبرهم ، وإن نقصوا منه شيئاً أفادهم» .

ثمّ قال الزنديق : من أيّ شيء خلق الله الأشياء ؟

قال عليه السلام : «لا من شيء» .

فقال : كيف يجيء من لا شيء شيء ؟

قال عليه السلام : «إنّ الأشياء لا تخلو إمّا أن تكون خلقت من شيء أو من غير شيء ؛ فإن كانت خلقت

من شيء كان معه فإنّ ذلك الشيء قديم ، والقديم لا يكون حديثاً ولا يفنى ولا يتغيّر ، ولا يخلو ذلك الشيء من أن يكون جوهراً واحداً ولوناً واحداً ، فمن أين جاءت هذه الألوان المختلفة والجواهر الكثيرة الموجودة في هذا العالم من ضروب شتّى ؟ ومن أين جاء الموت إن كان الشيء الّذي أُنشئت منه الأشياء حيّاً ؟! ومن أين جاءت الحياة إن كان ذلك الشيء ميّتاً ؟ ولا يجوز أن يكون من حيّ وميّت قديمين لم يزالا ، لأنّ الحيّ لا يجيء منه ميّت وهو لم يزل حيّاً ، ولا يجوز أيضاً أن يكون الميّت قديماً لم يزل لما هو به من الموت ، لأنّ الميّت لا قدرة له ولا بقاء» .

قال : فمن أين قالوا إنّ الأشياء أزليّة ؟

قال عليه السلام : «هذه مقالة قوم جحدوا مدبّر الأشياء فكذّبوا الرّسل ، ومقالتهم ، والأنبياء وما أنبأوا عنه ، وسمّوا كتبهم أساطير ، ووضعوا لأنفسهم ديناً بآرائهم واستحسانهم ، إنّ الأشياء تدلّ على حدوثها ، من دوران الفلك بما فيه ، وهي سبعة أفلاك ، وتحرّك الأرض ومن عليها ، وانقلاب الأزمنة ، واختلاف الوقت ، والحوادث الّتي تحدث في العالم ، من زيادة ونقصان ، وموت وبلى ، واضطرار النّفس إلى الإقرار بأنّ لها صانعاً ومدبّراً ، ألا ترى الحلو يصير حامضاً ، والعذب مرّاً ، والجديد بالياً ، وكلّ إلى تغيّر وفناء» ؟!

قال : فلم يزل صانع العالم عالماً بالأحداث الّتي أحدثها قبل أن يحدثها ؟!

قال عليه السلام : «فلم يزل يعلم فخلق ما علم» .

قال : أمختلف هو أم مؤتلف ؟

قال عليه السلام : «لا يليق به الإختلاف ولا الإيتلاف ، وإنّما يختلف المتجزّي ، ويأتلف المتبعّض ، فلا يُقال له مؤتلف ولا مختلف» .

قال : فكيف هو الله الواحد ؟

قال عليه السلام : «واحد في ذاته ، فلا واحد كواحد ، لأنّ ما سواه من الواحد متجزّي وهو تبارك وتعالى واحد لا يتجزّى ، ولا يقع عليه العد» .

قال : فلأيّ علّة خلق الخلق وهو غير محتاج إليهم ، ولا مضطرّ إلى خلقهم ، ولا يليق به التعبّث بنا ؟

قال عليه السلام : «خلقهم لإظهار حكمته ، وإنفاذ علمه ، وإمضاء تدبيره» .

قال : وكيف لا يقتصر على هذه الدار فيجعلها دار ثوابه ، ومحتبس عقابه ؟

قال عليه السلام : «إنّ هذه الدار دار ابتلاء ، ومتجر الثواب ، ومكتسب الرحمة ، مُلِئَت آفات ، وطبقت

شهوات ، ليختبر فيها عبيده بالطاعة ، فلا يكون دار عمل دار جزاء» .

قال : أفمن حكمته أن جعل لنفسه عدوّاً ، وقد كان ولا عدوّ له ، فخلق كما زعمت «إبليس» فسلّطه على عبيده يدعوهم إلى خلاف طاعته ، ويأمرهم بمعصيته ، وجعل له من القوّة كما زعمت ما يصل بلطف الحيلة إلى قلوبهم ، فيوسوس إليهم فيشكّكهم في ربّهم ، ويلبّس عليهم دينهم ، فيزيلهم عن معرفته ، حتّى أنكر قوم لمّا وسوس إليهم ربوبيّته ، وعبدوا سواه ، فلِمَ سلّط عدوّه على عبيده ، وجعل له السبيل إلى إغوائهم ؟

قال عليه السلام : «إن هذا العدوّ الّذي ذكرت لا تضرّه عداوته ، ولا تنفعه ولايته ، وعداوته لا تنقص من ملكه شيئاً ، وولايته لا تزيد فيه شيئاً ، وإنّما يتّقى العدوّ إذا كان في قوّة يضرّ وينفع ، إن همّ بملك أخذه ، أو بسلطان قهره ، فأمّا إبليس فعبد خلقه الله ليعبده ويوحّده ، وقد علم حين خلقه ما هو وإلى ما يصير إليه ، فلم يزل يعبده مع ملائكته حتّى امتحنه بسجود آدم ، فامتنع من ذلك حسداً ، وشقاوة غلبت عليه ، فلعنه عند ذلك ، وأخرجه عن صفوف الملائكة ، وأنزله إلى الأرض ملعوناً مدحوراً ، فصار عدوّ آدم وولده بذلك السبب ، ماله من السلطنة على ولده إلّا الوسوسة ، والدعاء إلى غير السبيل ، وقد أقرّ مع معصيته لربّه بربوبيّته» .

قال : أفيصلح السجود لغير الله ؟

قال عليه السلام : «لا» .

قال : فكيف أمر الله الملائكة بالسجود لآدم ؟

قال عليه السلام : «إنّ من سجد بأمر الله ، سجد لله ، إذا كان عن أمر الله» .

قال : فمن أين أصل الكهانة ؟ ومن أين يخبر النّاس بما يحدث ؟

قال عليه السلام : «إنّ الكهانة كانت في الجاهليّة في كلّ حين فترة من الرسل ، وكان الكاهن بمنزلة الحاكم يحتكمون إليه فيما يشتبه عليهم من الأُمور بينهم ، فيخبرهم عن أشياء تحدث ، وذلك من وجوه شتّى : فراسة العين ، وذكاء القلب ، ووسوسة النفس ، وفتنة الروح ، مع قذف في قلبه ، لأنّ ما يحدث في الأرض من الحوادث الظاهرة فذلك يعلم الشيطان ويؤدّيه إلى الكاهن ، ويخبره بما يحدث في المنازل والأطراف ، وأمّا أخبار السماء فإنّ الشياطين كانت تقعد مقاعد استراق السمع إذ ذاك ، وهي لا تحجب ، ولا ترجم بالنّجوم ، وإنّما منعت من استراق السمع لئلّا يقع في الأرض سبب تشاكل الوحي من خبر السماء ، فيلبس على أهل الأرض ما جاءهم عن الله ، لإثبات الحجّة ،

ونفي الشبهة ، وكان الشيطان يسترق الكلمة الواحدة من خبر السماء بما يحدث من الله في خلقه فيختطفها ، ثمّ يهبط بها إلى الأرض ، فيقذفها إلى الكاهن ، فإذا قد زاد كلمات من عنده ، فيخلط الحقّ بالباطل ، فما أصاب الكاهن من خبر ممّا كان يخبر به فهو ما أدّاه إليه الشيطان لما سمعه ، وما أخطأ فيه فهو من باطل ما زاد فيه ، فمنذ منعت الشياطين عن استراق السمع انقطعت الكهانة ، واليوم إنّما تؤدّي الشياطين إلى كهّانها أخباراً للنّاس بما يتحدّثون به ، وما يحدّثونه ، والشياطين تؤدّي إلى الشياطين ما يحدث في البعد من الحوادث ، من سارق سرق ، ومن قاتل قتل ، ومن غائب غاب ، وهم بمنزلة النّاس أيضاً ؛ صدوق وكذوب» .

قال : وكيف صعدت الشياطين إلى السماء وهم أمثال النّاس في الخلقة والكثافة ، وقد كانوا يبنون لسليمان بن داود عليه السلام من البناء ما يعجز عنه ولد آدم ؟

قال عليه السلام : «غلظوا لسليمان كما سخروا وهم خلق رقيق ، غذاؤهم النسيم ، والدليل على كلّ ذلك صعودهم إلى السماء لاستراق السمع ، ولا يقدر الجسم الكثيف على الإرتقاء إليها إلّا بسلّم أو بسبب» .

قال :فأخبرني عن السحر ما أصله ؟ وكيف يقدر الساحر على ما يوصف من عجائبه وما يفعل؟

قال عليه السلام : «إنّ السحر على وجوه شتّى :

وجه منها بمنزلة الطب ؛كما أنّ الأطبّاء وضعوا لكلّ داء دواء ، فكذلك علم السحر ، احتالوا لكلّ صحّة آفة ، ولكلّ عافية عاهة ، ولكلّ معنى حيلة .

ونوع آخر منه خطفة وسرعة ، ومخاريق وخفة .

ونوع آخر ما يأخذ أولياء الشياطين عنهم» .

قال : فمن أين علم الشياطين السحر ؟

قال عليه السلام : «من حيث عرف الأطبّاء الطب ، بعضه تجربة ، وبعضه علاج» .

قال : فما تقول في الملكين هاروت وماروت ؟ وما يقول النّاس بأنّهما يعلّمان النّاس السحر ؟

قال عليه السلام : «إنّهما موضع ابتلاء وموقع فتنة ، تسبيحهما : اليوم لو فعل الإنسان كذا وكذا لكان كذا وكذا ، ولو يعالج بكذا وكذا لكان كذا ، أصناف السحر فيتعلّمون منهما ما يخرج عنهما ، فيقولان لهم إنّما نحن فتنة فلا تأخذوا عنّا ما يضرّكم ولا ينفعكم» .

قال : أفيقدر الساحر أن يجعل الإنسان بسحره في صورة الكلب أو الحمار أو غير ذلك ؟

قال عليه السلام : «هو أعجز من ذلك وأضعف من أن يغيّر خلق الله ، إنّ من أبطل ما ركّبه الله وصوّره

وغيّره فهو شريك الله في خلقه ، تعالى الله عن ذلك علوّاً كبيراً ، لو قدر الساحر على ما وصفت لدفع عن نفسه الهرم والآفة والأمراض ، ولنفى البياض عن رأسه ، والفقر عن ساحته ، وإنّ من أكبر السحر النميمة ، يفرّق بها بين المتحابّين ، ويجلب العداوة على المتصافّيين ، ويسفك بها الدماء ، ويهدم بها الدور ، ويكشف بها الستور ، والنمّام أشرّ من وطئ الأرض بقدم ، فأقرب أقاويل السحر من الصواب أنّه بمنزلة الطب ، إنّ الساحر عالج الرجل فامتنع من مجامعة النّساء فجاء الطبيب فعالجه بغير ذلك العلاج فأبرىء» .

قال : فما بال ولد آدم فيهم شريف ووضيع ؟

قال عليه السلام : «الشريف المطيع ، والوضيع العاصي» .

قال : أليس فيهم فاضل ومفضول ؟

قال عليه السلام : «إنّما يتفاضلون بالتقوى» .

قال : فتقول إنّ ولد آدم كلّهم سواء في الأصل لا يتفاضلون إلّا بالتقوى ؟

قال عليه السلام : «نعم ، إنّي وجدت أصل الخلق التراب ، والأب آدم ، والأُم حوّاء ، خلقهم إله واحد ، وهم عبيده ، إنّ الله عزّ وجلّ اختار من ولد آدم أُناساً طهّر ميلادهم ، وطيّب أبدانهم ، وحفظهم في أصلاب الرجال وأرحام النساء ، أخرج منهم الأنبياء والرسل ، فهم أزكى فروع آدم ، فعل ذلك لأمر استحقّوه من الله عزّ وجلّ ، ولكن علم الله منهم حين ذرأهم أنّهم يطيعونه ويعبدونه ولا يشركون به شيئاً ، فهؤلاء بالطاعة نالوا من الله الكرامة والمنزلة الرفيعة عنده ، وهؤلاء الّذين لهم الشرف والفضل والحسب ، وساير النّاس سواء ، ألا من اتّقى الله أكرمه ، ومن أطاعه أحبّه ، ومن أحبّه لم يعذّبه بالنّار» .

قال : فأخبرني عن الله عزّ وجلّ كيف لم يخلق الخلق كلّهم مطيعين موحّدين وكان على ذلك قادراً ؟

قال عليه السلام : «لو خلقهم مطيعين ، لم يكن لهم ثواب ، لأنّ الطاعة إذا ماكانت فعلهم لم يكن جنّة ولا ناراً ، ولكن خلق خلقه فأمرهم بطاعته ، ونهاهم عن معصيته ، واحتجّ عليهم برسله ، وقطع عذرهم بكتبه ، ليكونوا هم الّذين يطيعون ويعصون ويستوجبون بطاعتهم له الثواب ، وبمعصيتهم إيّاه العقاب» .

قال : فالعمل الصالح من العبد هو فعله ، والعمل الشرّ من العبد هو فعله ؟

قال عليه السلام : «العلم الصالح من العبد بفعله ، والله به أمره ، والعمل الشر من العبد بفعله ، والله عنه نهاه» .

قال : أليس فعله بالآلة الّتي ركّبها فيه ؟

قال عليه السلام : «نعم ، ولكن بالآلة الّتي عمل بها الخير ، قدر على الشر الّذي نهاه عنه» .

قال : فإلى العبد من الأمر شيء ؟

قال عليه السلام : «ما نهاه الله عن شيء إلّا وقد علم أنه يطيق تركه ، ولا أمره بشيء إلّا وقد علم أنّه يستطيع فعله ، لأنّه ليس من صفة الجور ، والعبث ، والظلم ، وتكليف العباد ما لا يطيقون» .

قال : فمن خلقه الله كافراً أيستطيع الإيمان وله عليه بتركه الإيمان حجّة ؟

قال عليه السلام : «إنّ الله خلق خلقه جميعاً مسلمين ، أمرهم ونهاهم ، والكفر اسم يلحق الفعل حين يفعله العبد ، ولم يخلق الله العبد حين خلقه كافراً ، إنّه إنّما كفر من بعد أن بلغ وقتاً لزمته الحجّة من الله ، فعرض عليه الحق فجحده ، فبإنكاره الحق صار كافراً» .

قال : أفيجوز أن يقدّر على العبد الشر ، ويأمره بالخير وهو لا يستطيع الخير أن يعمله ، ويعذّبه عليه ؟

قال عليه السلام : «إنّه لا يليق بعدل الله ورأفته أن يقدّر على العبد الشر ويريده منه ، ثمّ يأمره بما يعلم أنّه لا يستطيع أخذه ، والإنزاع عمّا لا يقدر على تركه ، ثمّ يعذّبه على أمره الّذي علم أنّه لا يستطيع أخذه» .

قال : بماذا استحقّ الّذين أغناهم وأوسع عليهم من رزقه الغناء والسعة ؟ وبماذا استحقّ الفقير التقتير والتضييق ؟

قال عليه السلام : «اختبر الأغنياء بما أعطاهم لينظر كيف شكرهم ، والفقراء بما منعهم لينظر كيف صبرهم . ووجه آخر : إنّه عجّل لقوم في حياتهم ، ولقوم آخر ليوم حاجتهم إليه . ووجه آخر : فإنّه علم احتمال كلّ قوم فأعطاهم على قدر احتمالهم ، ولو كان الخلق كلّهم أغنياء لخربت الدّنيا ، وفسد التدبير ، وصار أهلها إلى الفناء ، ولكن جعل بعضهم لبعض عوناً ، وجعل أسباب أرزاقهم في ضروب الأعمال ، وأنواع الصناعات ، وذلك أدوم في البقاء ، وأصحّ في التدبير ، ثمّ اختبر الأغنياء بالإستعطاف على الفقراء ، كلّ ذلك لطف ورحمة من الحكيم الّذي لا يعاب تدبيره» .

قال : فبما استحقّ الطفل الصغير ما يصيبه من الأوجاع والأمراض بلا ذنب عمله ، ولا جرم سلف منه ؟

قال عليه السلام : «إنّ المرض على وجوه شتّى : مرض بلوى ، ومرض عقوبة ، ومرض جعل علّة

للفناء ، وأنت تزعم أنّ ذلك من أغذية رديّة ، وأشربة وبية ، أو من علّة كانت بأُمّه ، وتزعم أنّ من أحسن السياسة لبدنه ، وأجمل النظر في أحوال نفسه ، وعرف الضار ممّا يأكل من النافع ، لم يمرض ، وتميل في قولك إلى من يزعم : أنّه لا يكون المرض والموت إلّا من المطعم والمشرب ! قد مات ارسطاطاليس معلّم الأطبّاء ، وأفلاطون رئيس الحكماء ، وجالينوس شاخ ودقّ بصره ، وما دفع الموت حين نزل بساحته ، ولم يألوا حفظ أنفسهم ، والنظر لما يوافقها ، كم مريضاً قد زاده المعالج سقماً ؟ وكم من طبيب عالم وبصير بالأدواء والأدوية ماهر مات وعاش الجاهل بالطب بعده زماناً ؟ فلا ذاك نفعه علمه بطبّه عند انقطاع مدّته وحضور أجله ، ولا هذا ضرّه الجهل بالطب مع بقاء المدّة وتأخّر الأجل» .

ثمّ قال عليه السلام : «إنّ أكثر الأطبّاء قالوا : إنّ علم الطبّ لم تعرفه الأنبياء ، فما نصنع على قياس قولهم بعلم زعموا ليس تعرفه الأنبياء الّذين كانوا حجج الله على خلقه ، وأُمناءه في أرضه ، وخزّان علمه ، وورثة حكمته ، والأدلّاء عليه ، والدعاة إلى طاعته ؟ ثمّ إنّي وجدت أنّ أكثرهم يتنكّب[1] في مذهبه سبل الأنبياء ، ويكذّب الكتب المنزّلة عليهم من الله تبارك وتعالى ، فهذا الّذي أزهدني في طلبه وحامليه» .

قال : فكيف تزهد في قوم وأنت مؤدّبهم وكبيرهم ؟

قال عليه السلام : «إنّي رأيت الرجل الماهر في طبّه إذا سألته لم يقف على حدود نفسه ، وتأليف بدنه ، وتركيب أعضائه ، ومجرى الأغذية في جوارحه ، ومخرج نفسه وحركة لسانه ، ومستقرّ كلامه ، ونور بصره ، وانتشار ذكره ، واختلاف شهواته ، وانسكاب عبراته ، ومجمع سمعه ، وموضع عقله ، ومسكن روحه ، ومخرج عطسته ، وهيّج غمومه ، وأسباب سروره ، وعلّة ما حدث فيه من بكم وصمم ، وغير ذلك ، لم يكن عندهم في ذلك أكثر من أقاويل استحسنوها ، وعلل فيما بينهم جوّزوها» .

قال : فأخبرني عن الله أله شريك في ملكه أو مضادّ له في تدبيره ؟

قال عليه السلام : «لا» .

قال : فما هذا الفساد الموجود في العالم من سباع ضارية ، وهوامّ مخوّفة ، وخلق كثير مشوّهة ، ودود ، وبعوض ، وحيّات ، وعقارب ، وزعمت أنّه لا يخلق شيئاً إلّا لعلّة ، لأنّه لا يعبث ؟

---

(١) تَنَكَّبَ : عدل .

قال عليه السلام : «ألست تزعم أنّ العقارب تنفع من وجع المثانة والخصاة ، ولمن يبول في الفراش ، وأنّ أفضل الترياق ماعولج من لحوم الأفاعي ،فإنّ لحومها إذا أكلها المجذوم بشبٍّ[1] نفعه ؟ وتزعم أنّ الدود الأحمر الّذي يصاب تحت الأرض نافع للآكلة» ؟

قال : نعم .

قال عليه السلام : «فأمّا البعوض والبق فبعض سببه أنّه جعله أرزاق الطير ، وأهان بها جبّاراً تمرّد على الله وتجبّر ، وأنكر ربوبيّته ، فسلّط الله عليه أضعف خلقه ليريه قدرته وعظمته ، وهي البعوض ، فدخلت في منخره حتّى وصلت إلى دماغه فقتلته ، واعلم أنّا لو وقفنا على كلّ شيء خلقه الله تعالى لِمَ خلقه ، ولأيّ شيء أنشأه لكنّا قد ساويناه في علمه ، وعلمنا كلّما يعلم ، واستغنينا عنه ، وكنّا وهو في العلم سواء» .

قال : فأخبرني هل يُعاب شيء من خلق الله وتدبيره ؟

قال عليه السلام : «لا» .

قال : فإنّ الله خلق خلقه غرلاً[2] ، أذلك منه حكمة أم عبث ؟

قال عليه السلام : «بل منه حكمة» .

قال : غيّرتم خلق الله ، وجعلتم فعلكم في قطع الغلفة أصوب ممّا خلق الله لها ، وعبتم الأغلف ، والله خلقه ، ومدحتم الختان وهو فعلكم ، أم تقولون أنّ ذلك من الله كان خطأ غير حكمة ؟!

قال عليه السلام : «ذلك من الله حكمة وصواب ، غير أنّه سنّ ذلك وأوجبه على خلقه ،كما أنّ المولود إذا خرج من بطن اُمّه وجدنا سرّته متّصلة بسرّة اُمّه ،كذلك خلقها الحكيم فأمر العباد بقطعها ، وفي تركها فساد بيّن للمولود والاُم ، وكذلك أظفار الإنسان أمر إذا طالت أن تقلم ، وكان قادراً يوم دبّر خلق الإنسان أن يخلقها خلقة لا تطول ، وكذلك الشعر من الشارب والرأس ، يطول فيجز، وكذلك الثيران خلقها الله فحولة ، وأخصاؤها أوفق ، وليس في ذلك عيب في تقدير الله عزّ وجلّ» .

قال : ألست تقول يقول الله تعالى : ﴿ أُدْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ ﴾[3] وقد نرى المضطر يدعوه فلا يجاب له ، والمظلوم يستنصره على عدوّه لا ينصره ؟

(١) الشّبُّ : دواء معروف ، وقيل : الشبّ شيء يشبه الزاج .

(٢) الغرلة ـ مثل القلفة وزناً ومعناً ـ ، وغرل غرلاً ـ من باب تعب ـ : إذا لم يختن .

(٣) غافر ٦٠.

قال عليه السلام : «ويحك ما يدعوه أحد إلّا استجاب له ؛ أمّا الظالم فدعاؤه مردود إلى أن يتوب إليه ، وأمّا المحق فإنّه إذا دعاه استجاب له ، وصرف عنه البلاء من حيث لا يعلمه ، أو ادّخر له ثواباً جزيلاً ليوم حاجته إليه ، وإن لم يكن الأمر الّذي سأل العبد خيراً له إن أعطاه أمسك عنه ، والمؤمن العارف بالله ربّما عزّ عليه أن يدعوه فيما لا يدري أصواب ذلك أم خطأ ، وقد يسأل العبد ربّه هلاك من لم ينقطع مدّته ، أو يسأل المطر وقتاً ولعلّه أوان لا يصلح فيه المطر ، لأنّه أعرف بتدبير ما خلق من خلقه ، وأشباه ذلك كثيرة فافهم هذا» .

قال : أخبرني أيّها الحكيم ما بال السّماء لا ينزل منها إلى الأرض أحد ، ولا يصعد من الأرض إليها بشر ، ولا طريق إليها ، ولا مسلك ، فلو نظر العباد في كلّ دهر مرّة من يصعد إليها وينزل لكان ذلك أثبت في الربوبيّة ، وأنفى للشك ، وأقوى لليقين ، وأجدر أن يعلم العباد أنّ هناك مدبّراً إليه يصعد الصاعد ، ومن عنده يهبط الهابط .

قال عليه السلام : «إنّ كلّ ما ترى في الأرض من التدبير إنّما هو ينزل من السّماء ، ومنها يظهر ، أما ترى الشمس منها تطلع وهي نور النّهار ، وفيها قوام الدّنيا ، ولو حبست حار من عليها ، وهلك ، والقمر منها يطلع ، وهو نور الليل ، وبه يعلم عدد السنين والحساب ، والشهور والأيّام ، ولو حبس لحار من عليها ، وفسد التدبير ، وفي السماء النجوم الّتي يهتدى بها في ظلمات البر ، والبحر ، ومن السماء ينزل الغيث الّذي فيه حياة كلّ شيء من الزرع ، والنبات ، والأنعام ، وكلّ الخلق لو حبس عنهم لما عاشوا ، والريح لو حبست إيّاه لفسدت الأشياء جميعاً ، وتغيّرت ، ثمّ الغيم والرعد والبرق والصواعق ، كلّ ذلك إنّما هو دليل على أنّ هناك مدبّراً يدبّر كلّ شيء ومن عنده ينزل ، وقد كلّم الله موسى وناجاه ، ورفع الله عيسى بن مريم والملائكة تتنزّل من عنده ، غير أنّك لا تؤمن بما لم تره بعينك ، وفيما تراه بعينك كفاية أن تفهم وتعقل» .

قال : فلو أنّ الله ردّ إلينا من الأموات في كلّ مائة عام واحداً لنسأله عن من مضى منّا إلى ما صاروا ؟ وكيف حالهم ؟ وماذا لقوا بعد الموت ؟ وأيّ شيء صنع بهم ؟ ليعمل النّاس على اليقين ، واضمحلّ الشكّ ، وذهب الغل عن القلوب .

قال عليه السلام : «إنّ هذه مقالة من أنكر الرّسل وكذّبهم ، ولم يصدّق بما جاؤوا به من عند الله ، إذ أخبروا وقالوا : إنّ الله أخبر في كتابه عزّ وجلّ على لسان أنبيائه حال من مات منّا ، أفيكون أحد أصدق من الله قولاً ومن رسله ، وقد رجع إلى الدّنيا من مات خلق كثير منهم أصحاب الكهف ؛ أماتهم الله

ثلاثمائة عام وتسعة ثمّ بعثهم في زمان قوم أنكروا البعث ، ليقطع حجّتهم ، وليريهم قدرته ، وليعلموا أنّ البعث حق ، وأمات الله «ارمياء» النّبيّ عليه السلام الّذي نظر إلى خراب بيت المقدس وما حوله حين غزاهم بخت نصّر[1] ، وقال : ﴿ أَنَّىٰ يُحْيِي هَٰذِهِ اللهُ بَعْدَ مَوْتِهَا فَأَمَاتَهُ اللهُ مِائَةَ عَامٍ ﴾[2] فأماته الله مائة عام ثمّ أحياه ، ونظر إلى أعضائه كيف تلتئم ، وكيف تلبس اللحم ، وإلى مفاصله وعروقه كيف توصل ، فلمّا استوى قاعداً قال : ﴿ أَعْلَمُ أَنَّ اللهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾[3] وأحيا الله قوماً خرجوا عن أوطانهم هاربين من الطاعون ، لا يحصى عددهم ، وأماتهم الله دهراً طويلاً ، حتّى بليت عظامهم ، وتقطّعت أوصالهم ، وصاروا تراباً ، فبعث الله في وقت أحبّ أن يري خلقه قدرته نبيّاً يقال له «حزقيل» فدعاهم فاجتمعت أبدانهم ، ورجعت فيها أرواحهم ، وقاموا كهيئة يوم ماتوا ، لا يفقدون من أعدادهم رجلاً ، فعاشوا بعد ذلك دهراً طويلاً ، وإنّ الله أمات قوماً خرجوا مع موسى عليه السلام حين توجّه إلى الله فقالوا : «أرنا الله جهرة» ؛ «فأماتهم الله ثمّ أحياهم» .

قال : فأخبرني عمّن قال بتناسخ الأرواح ، من أيّ شيء قالوا ذلك ؟ وبأيّ حجّة قاموا على مذاهبهم ؟

قال عليه السلام : «إنّ أصحاب التناسخ قد خلّفوا وراءهم منهاج الدين ، وزيّنوا لأنفسهم الضلالات ، وأمرجوا أنفسهم في الشهوات[4] ، وزعموا أنّ السماء خاوية ما فيها شيء ممّا يوصف ، وأنّ مدبّر هذا العالم في صورة المخلوقين ، بحجّة من روى أنّ الله عزّ وجلّ خلق آدم على صورته ، وأنّه لا جنّة ولا نار ، ولا بعث ولا نشور ، والقيامة عندهم خروج الروح من قالبه وولوجه في قالب آخر ، فإن كان محسناً في القالب الأوّل أُعيد في قالب أفضل منه حسناً في أعلى درجة من الدّنيا ، وإن كان مسيئاً أو غير عارف صار في بعض الدواب المتعبة في الدّنيا ، أو هوام مشوّهة الخلقة وليس عليهم صوم ولا صلاة ، ولا شيء من العبادة أكثر من معرفة من تجب عليهم معرفته ، وكلّ شيء من شهوات الدّنيا مباح لهم ، من فروج النّساء ، وغير ذلك من الأخوات ، والبنات ، والخالات ، وذوات البعولة ، وكذلك الميتة ، والخمر ، والدم ، فاستقبح مقالتهم كلّ الفرق ، ولعنهم كلّ الأُمم ، فلمّا سُئلوا الحجّة

---

(١) بخت نصّر ـ بالتشديد ـ أصله : بوخت ومعناه : إبن ، ونصّر ـ كبقّم ـ : صنم ، وكان وُجد عند الصنم ولم يعرف له أب فنسب إليه ، خرّب القدس . [القاموس المحيط]

(٢) البقرة ٢٥٩ .

(٣) البقرة ٢٥٩ .

(٤) أمرج الدابة : تركها تذهب حيث شاءت .

زاغوا وحادوا ، فكذّب مقالتهم «التوراة» ، ولعنهم «الفرقان» ، وزعموا مع ذلك أنّ إلههم ينتقل من قالب إلى قالب ، وأنّ الأرواح الأزليّة هي الّتي كانت في آدم ، ثمّ هلمّ جرّا تجري إلى يومنا هذا في واحد بعد آخر ، فإذا كان الخالق في صورة المخلوق فبما يستدلّ على أنّ أحدهما خالق صاحبه ؟! وقالوا : إنّ الملائكة من ولد آدم كلّ من صار في أعلى درجة من دينهم خرج من منزلة الإمتحان والتصفية فهو ملك فطوراً تخالهم نصارى في أشياء ، وطوراً دهريّة يقولون : إنّ الأشياء على غير الحقيقة ، فقد كان يجب عليهم أن لا يأكلوا شيئاً من اللحمان ، لأنّ الدّواب عندهم كلّها من ولد آدم حوّلوا من صورهم ، فلا يجوز أكل لحوم القربات» .

قال : ومن زعم أنّ الله لم يزل ، ومعه طينة مؤذية ، فلم يستطع التفصّي منها[1] إلّا بامتزاجه بها ودخوله فيها ، فمن تلك الطينة خلق الأشياء !!

قال عليه السلام : «سبحان الله وتعالى ! ! ما أعجز إلهاً يوصف بالقدرة لا يستطيع التفصّي من الطينة ! إن كانت الطينة حيّة أزليّة فكانا إلهين قديمين فامتزجا ودبّرا العالم من أنفسهما ، فإن كان ذلك كذلك ، فمن أين جاء الموت والفناء ؟ وإن كانت الطينة ميتة فلا بقاء للميّت مع الأزلي القديم ، والميّت لا يجيء منه حي ، وهذه مقالة الديصانيّة[2] ، أشدّ الزنادقة قولاً ، وأمهنهم مثلاً ، نظروا في كتب قد صنّفتها أوائلهم ، وحبّروها بألفاظ مزخرفة من غير أصل ثابت ، ولا حجّة توجب إثبات ما ادّعوا ، كلّ ذلك خلافاً على الله وعلى رسله ، بما جاؤوا عن الله ، فأمّا من زعم أنّ الأبدان ظلمة ، والأرواح نور ، وأنّ النّور لا يعمل الشر ، والظلمة لا تعمل الخير ، فلا يجب عليهم أن يلوموا أحداً على معصية ، ولا ركوب حرمة ولا إتيان فاحشة وأنّ ذلك عن الظلمة غير مستنكر ، لأنّ ذلك فعلها ، ولا له أن يدعو ربّا ، ولا يتضرّع إليه ، لأنّ النّور ربّ ، والربّ لا يتضرّع إلى نفسه ، ولا يستعبد بغيره ، ولا لأحد من أهل هذه المقالة أن يقول : «أحسنت» يا محسن أو «اسأت» لأنّ الإساءة من فعل الظلمة ، وذلك فعلها ، والإحسان من النّور ، ولا يقول النّور لنفسه أحسنت يا محسن ، وليس هناك ثالث ، وكانت الظلمة على قياس قولهم ، أحكم فعلاً وأتقن تدبيراً وأعزّ أركاناً من النّور ، لأنّ الأبدان محكمة ، فمن صوّر هذا الخلق صورة واحدة على نعوت مختلفة ، وكلّ شيء يرى ظاهراً

---

(١) التفصّ التخلّص ، وتفصّى عن الشيء بان عنه .

(٢) الدّيصَانِيّة : أصحاب «ديصان» . أثبتوا أصلين : نوراً وظلاماً ؛ فالنور يفعل الخير قصداً واختياراً ، والظلام : يفعل الشر طبعاً واضطراراً . [الملل والنحل ١/٣٣٠]

من الزهر ، والأشجار والثمار ، والطير والدواب ، يجب أن يكون إلهاً ، ثمّ حبست النّور في حبسها والدولة لها ، وأمّا ما ادّعوا بأنّ العاقبة سوف تكون للنّور ، فدعوى ، وينبغي على قياس قولهم أن لا يكون للنّور فعل ، لأنّه أسير ، وليس له سلطان ، فلا فعل له ولا تدبير ، وإن كان له مع الظلمة تدبير ، فما هو بأسير ، بل هو مطلق عزيز ، فإن لم يكن كذلك ، وكان أسير الظلمة ، فإنّه يظهر في هذا العالم إحسان ، وجامع فساد وشر ، فهذا يدلّ على أنّ الظلمة تحسن الخير وتفعله ، كما تحسن الشر وتفعله ، فإن قالوا محال ذلك ، فلا نور يثبت ولا ظلمة ، وبطلت دعواهم ، ورجع الأمر إلى أنّ الله واحد وما سواه باطل ، فهذه مقالة ماني[1] الزنديق وأصحابه . وأمّا من قال : النّور والظلمة بينهما حكم ، فلابدّ من أن يكون أكبر الثلاثة الحكم ، لأنّه لا يحتاج إلى الحاكم إلّا مغلوب أو جاهل أو مظلوم ، وهذه مقالة المانويّة والحكاية عنهم تطول» .

قال : فما قصّة ماني ؟

قال عليه السلام : «متفحّص أخذ بعض المجوسيّة فشابها ببعض النصرانيّة ، فأخطأ الملّتين ولم يصب مذهباً واحداً منهما ، وزعم أنّ العالم دبّر من إلهين : نور وظلمة ، وأنّ النّور في حصار من الظلمة على ما حكينا منه ، فكذّبته النّصارى ، وقبلته المجوس» .

قال : فأخبرني عن المجوس أفبعث الله إليهم نبيّاً ؟ فإنّي أجد لهم كتباً محكمة ومواعظ بليغة ، وأمثالاً شافية ، يقرّون بالثواب والعقاب ، ولهم شرايع يعملون بها .

قال عليه السلام : «ما من أُمّة إلّا خلا فيها نذير ، وقد بعث إليهم نبيّ بكتاب من عند الله ، فأنكروه ، وجحدوا كتابه» .

ومن هو ، فإنّ النّاس يزعمون أنّه خالد بن سنان ؟

قال عليه السلام : «إنّ خالداً كان عربيّاً بدويّاً ، ما كان نبيّاً ، وإنّما ذلك شيء يقوله النّاس» .

---

(١) المانويّة : أصحاب «ماني بن فاتك» الحكيم الذي ظهر في زمان «سابور بن أردشير» وقتله «بهرام بن هرمز بن سابور» وذلك بعد عيسىٰ بن مريم عليه السلام . أحدث ديناً بين المجوسيّة والنصرانيّة وكان يقول بنبوّة المسيح عليه السلام ، ولا يقول بنبوّة موسى عليه السلام .

حكىٰ محمّد بن هارون المعروف بـ«أبي عيسىٰ الورّاق» وكان في الأصل مجوسياً عارفاً بمذاهب القوم : أنّ الحكيم «ماني» زعم أنّ العالم مصنوع مركب من أصلين قديمَين : أحدهما نور ، والآخر ظلمة ، وأنّهما أزليّان لم يزالا قويّين ، حسّاسَين ، درّاكَين ، سميعَين ، بصيرَين ، وهما مع ذلك في النفس والصورة ، والفعل ، والتدبير ....، متضادان . وفي الخير : متحاذيان ، تحاذي الشخص والظل . [الملل والنحل]

قال : أفزردشت ؟

قال عليه السلام : «إنّ زردشت أتاهم بزمزمة ، وادّعى النبوّة ؛ فآمن منهم قوم وجحده قوم ، فأخرجوه فأكلته السباع في بريّة من الأرض» .

قال : فأخبرني عن المجوس كانوا أقرب إلى الصواب في دهرهم أم العرب ؟

قال عليه السلام : «العرب في الجاهليّة كانت أقرب إلى الدّين الحنيفي من المجوس ؛ وذلك أنّ المجوس كفرت بكلّ الأنبياء ، وجحدت كتبهم ، وأنكرت براهينهم ، ولم تأخذ بشيء من سننهم ، وآثارهم ، وإنّ كيخسرو ملك المجوس في الدهر الأوّل قتل ثلاثمائة نبي ، وكانت المجوس لا تغتسل من الجنابة ، والعرب كانت تغتسل والإغتسال من خالص شرايع الحنيفيّة ، وكانت المجوس لا تختتن والعرب تختتن ، وهو من سنن الأنبياء ، وأوّل من فعل ذلك إبراهيم خليل الله ، وكانت المجوس لا تغسل موتاها ولا تكفّنها ، وكان العرب تفعل ذلك ، وكانت المجوس ترمي موتاها في الصحاري والنواويس ، والعرب تواريها في قبورها وتلحدها ، وكذلك السنّة على الرسل أنّ أوّل من حفر له قبر آدم أبوالبشر ، وألحد له لحد ، وكانت المجوس تأتي الأمّهات وتنكح البنات والأخوات ، وحرّمت ذلك العرب ، وأنكرت المجوس بيت الله الحرام وسمّته بيت الشيطان ، والعرب كانت تحجّه وتعظّمه وتقول : بيت ربّنا ، وتقرّ بالتوراة و«الإنجيل» ، وتسأل أهل الكتاب وتأخذ ، وكانت العرب في كلّ الأسباب أقرب إلى الدّين الحنيفيّة من المجوس» .

قال : فإنّهم احتجّوا بإتيان الأخوات أنّها سنّة من آدم .

قال عليه السلام : «فما حجّتهم في إتيان البنات والأمّهات وقد حرّم ذلك آدم ، وكذلك نوح وإبراهيم وموسى وعيسى وسائر الأنبياء ، وكلّ ما جاء عن الله عزّ وجلّ» ؟

قال : ولم حرّم الله الخمر ولا لذّة أفضل منها ؟

قال عليه السلام : «حرّمها لأنّها أُمّ الخبائث ، ورأس كلّ شر ، يأتي على شاربها ساعة يسلب لبّه ، ولا يعرف ربّه ، ولا يترك معصية إلّا ركبها ، ولا حرمة إلّا انتهكها ، ولا رحماً ماسّة إلّا قطعها ، ولا فاحشة إلّا أتاها، والسكران زمامه بيد الشيطان ؛ إن أمره أن يسجد للأوثان سجد ، وينقاد حيث ما قاده».

قال : فلم حرّم الدم المسفوح ؟

قال عليه السلام : «لأنّه يورث القساوة ، ويسلب الفؤاد رحمته ، ويعفّن البدن ، ويغيّر اللون ، وأكثر ما يصيب الإنسان الجذام يكون من أكل الدم» .

قال : فأكل الغدد ؟

قال عليه السلام : «يورث الجذام» .

قال : فالميتة لِمَ حرّمها ؟

قال عليه السلام : «فرقاً بينها وبين ما يذكّى ويذكر اسم الله عليه ، والميتة قد جمد فيها الدم ، وتراجع إلى بدنها ، فلحمها ثقيل غير مريء ، لأنّها يؤكل لحمها بدمها» .

قال : فالسمك ميتة ؟

قال عليه السلام : «إنّ السمك ذكاته إخراجه حيّاً من الماء ، ثمّ يترك حتّى يموت من ذات نفسه ، وذلك أنّه ليس له دم ، وكذلك الجراد» .

قال : فَلِم حرّم الزنا ؟

قال عليه السلام : «لما فيه من الفساد ، وذهاب المواريث ، وانقطاع الأنساب ، لا تعلم المرأة في الزّنا من أحبلها ، ولا المولود يعلم من أبوه ، ولا أرحام موصولة ، ولا قرابة معروفة» .

قال : فلم حرّم اللواط ؟

قال عليه السلام : «من أجل أنّه لو كان إتيان الغلام حلالاً لاستغنى الرجال عن النساء وكان فيه قطع النسل ، وتعطيل الفروج ، وكان في إجازة ذلك فساد كثير» .

قال : فلم حرّم إتيان البهيمة ؟

قال عليه السلام : «كره أن يضيع الرجل ماءه ، ويأتي غير شكله ، ولو أباح ذلك لربط كلّ رجل أتاناً يركب ظهرها ويغشي فرجها ، وكان يكون في ذلك فساد كثير ، فأباح ظهورها ، وحرّم عليهم فروجها ، وخلق للرجال النساء ليأنسوا بهنّ ويسكنوا إليهنّ ، ويكنَّ مواضع شهواتهم ، وأُمّهات أولادهم» .

قال : فما علّة الغسل من الجنابة ، وإنّما أتى حلالاً وليس في الحلال تدنيس ؟

قال عليه السلام «إنّ الجنابة بمنزلة الحيض ، وذلك أنّ النطفة دم لم يستحكم ولا يكون الجماع إلّا بحركة شديدة ، وشهوة غالبة ، فإذا فرغ تنفّس البدن ، ووجد الرّجل من نفسه رائحة كريهة ، فوجب الغسل لذلك ، وغسل الجنابة مع ذلك أمانة ائتمن الله عليها عبيده ليختبرهم بها» .

قال : أيّها الحكيم ! فما تقول فيمن زعم أنّ هذا التدبير الّذي يظهر في العالم تدبير النجوم السبعة ؟

قال عليه السلام : «يحتاجون إلى دليل ، إنّ هذا العالم الأكبر والعالم الأصغر من تدبير النجوم الّتي تسبح

في الفلك، وتدور حيث دارت، متعبة لا تفتر، وسائرة لا تقف». ثمّ قال: «وإنّ لكلّ نجم منها موكّل مدبّر، فهي بمنزلة العبيد المأمورين المنهيين فلوكانت قديمة أزليّة لم تتغيّر من حال إلى حال».

قال: فمن قال بالطبايع؟

قال عليه السلام: «القدريّة، فذلك قول من لم يملك البقاء، ولا صرف الحوادث، وغيّرته الأيّام والليالي، لا يرد الهرم، ولا يدفع الأجل، ما يدري ما يصنع به».

قال: فأخبرني عمّن يزعم أنّ الخلق لم يزل يتناسلون ويتوالدون، ويذهب قرون ويجيء قرن، وتفنيهم الأمراض والأعراض، وصنوف الآفات، ويخبرك الآخر عن الأوّل، وينبئك الخلف عن السلف، والقرون عن القرون، إنّهم وجدوا الخلق على هذا الوصف بمنزلة الشجر والنبات في كلّ دهر يخرج منه حكيم عليم بمصلحة النّاس، بصير بتأليف الكلام، ويصنّف كتاباً قد حبره بفطنته، وحسّنه بحكمته، قد جعله حاجزاً بين النّاس، يأمرهم بالخير ويحثّهم عليه، وينهاهم عن السوء والفساد، ويزجرهم عنه لئلّا يتهارشوا، ولا يقتل بعضهم بعضاً.

قال عليه السلام: «ويحك إنّ من خرج من بطن اُمّه أمس، ويرحل عن الدنيا غداً، لا علم له بماكان قبله، ولا ما يكون بعده، ثمّ إنّه لا يخلو الإنسان من أن يكون خلقه نفسه، أو خلقه غيره، أو لم يزل موجوداً، فما ليس بشيء ليس يقدر أن يخلق شيء وهو ليس بشيء، وكذلك ما لم يكن فيكون شيئاً، يُسْئَل فلا يعلم كيف كان ابتداؤه، ولوكان الإنسان أزليّاً لم تحدث فيه الحوادث، لأنّ الأزلي لا تغيّره الأيّام، ولا يأتي عليه الفناء، مع أنّا لم نجد بناءاً من غير بانٍ، ولا أثراً من غير مؤثّر، ولا تأليفاً من غير مؤلّف، فمن زعم أنّ أباه خلقه، قيل: فمن خلق أباه، ولو أنّ الأب هو الّذي خلق ابنه، لخلقه على شهوته، وصوره على محبّته، ولملك حياته، ولجاز فيه حكمه، ولكنّه إن مرض فلم ينفعه، وإن مات فعجز عن ردّه، إنّ من استطاع أن يخلق خلقاً وينفخ فيه روحاً حتّى يمشي على رجليه سويّاً، يقدر أن يدفع عنه الفساد».

قال: فما تقول في علم النجوم؟

قال عليه السلام: «هو علم قلّت منافعه، وكثرت مضرّاته، لأنّه لا يدفع به المقدور، ولا يتّقى به المحذور، إن خبر المنجّم بالبلاء لم ينجه التحرّز من القضاء، وإن أخبر هو بخير لم يستطع تعجيله، وإن حدث به سوء لم يمكنه صرفه، والمنجّم يضادّ الله في علمه، بزعمه أن يردّ قضاء الله عن خلقه».

قال : فالرّسول أفضل أم الملك المرسل إليه ؟

قال عليه السلام : «بل الرّسول أفضل» .

قال : فما علّة الملائكة الموكّلين بعباده ، يكتبون ما عليهم ولهم ، والله عالم السرّ وما هو أخفى ؟

قال عليه السلام : «استعبدهم بذلك ، وجعلهم شهوداً على خلقه ، ليكون العباد لملازمتهم إيّاهم أشدّ على طاعة الله مواظبة ، وعن معصيته أشدّ انقباضاً ، وكم من عبد يهمّ بمعصيته فذكر مكانهما فارعوى وكفّ ، فيقول ربّي يراني ، وحفظتي عَلَيّ بذلك تشهد ، وإنّ الله برأفته ولطفه أيضاً وكلّهم بعباده ، يذبّون عنهم مردة الشيطان ، وهوامّ الأرض ، وآفات كثيرة من حيث لا يرون بإذن الله إلى أن يجيء أمر الله» .

قال : فخلق الخلق للرحمة أم للعذاب ؟

قال عليه السلام : «خلقهم للرحمة ، وكان في علمه قبل خلقه إيّاهم ، إنّ قوماً منهم يصيرون إلى عذابه بأعمالهم الرديّة ، وجحدهم به» .

قال : يعذّب من أنكر فاستوجب عذابه بإنكاره ، فبمَ يعذّب من وحّده وعرفه ؟

قال عليه السلام : «يعذّب المنكر لإلهيّته عذاب الأبد ، ويعذّب المقرّ به عذابه عقوبة لمعصيته إيّاه فيما فرض عليه ، ثمّ يخرج ، ولا يظلم ربّك أحداً» .

قال : فبين الكفر والإيمان منزلة ؟

قال عليه السلام : «لا» .

قال : فما الإيمان وما الكفر ؟

قال عليه السلام : «الإيمان أن يصدّق الله فيما غاب عنه من عظمة الله كتصديقه بما شاهد من ذلك وعاين ، والكفر : الجحود» .

قال : فما الشرك وما الشك ؟

قال عليه السلام : «الشرك هو : أن يضمّ إلى الواحد الّذي ليس كمثله شيء آخر والشك : ما لم يعتقد قلبه شيئاً» .

قال : أفيكون العالم جاهلاً ؟

قال عليه السلام : «عالم بما يعلم ، وجاهل بما يجهل» .

قال : فما السعادة وما الشقاوة ؟

قال عليه السلام : «السعادة : سبب الخير ، تمسّك به السعيد فيجرّه إلى النجاة ، والشقاوة سبب خذلان ، تمسّك به الشقي فجرّه إلى الهلكة ، وكلّ بعلم الله» .

قال : أخبرني عن السراج إذا انطفى أين يذهب نوره ؟

قال عليه السلام : «يذهب فلا يعود» .

قال : فما أنكرت أن يكون الإنسان مثل ذلك إذا مات وفارق الروح البدن ، لم يرجع إليه أبداً كما لا يرجع ضوء السراج إليه أبداً إذا انطفى ؟

قال عليه السلام : «لم تصب القياس ، إنّ النّار في الأجسام كامنة ، والأجسام قائمة بأعيانها كالحجر والحديد ، فإذا ضرب أحدهما بالآخر ، سقطت من بينهما نار ، تقتبس منهما سراج ، له ضوء ؛ فالنّار ثابت في أجسامها ، والضوء ذاهب ، والروح : جسم رقيق ، قد اُلبس قالباً كثيفاً ، وليس بمنزلة السراج الّذي ذكرت ، إنّ الّذي خلق في الرحم جنيناً من ماء صاف ، وركّب فيه ضروباً مختلفة : من عروق ، وعصب ، وأسنان ، وشعر ، وعظام ، وغير ذلك ، هو يحييه بعد موته ، ويعيده بعد فنائه» .

قال : فأين الروح ؟

قال عليه السلام : «في بطن الأرض حيث مصرع البدن إلى وقت البعث» .

قال : فمن صُلِب فأين روحه ؟

قال عليه السلام : «في كفّ الملك الّذي قبضها حتّى يودعها الأرض» .

قال : فأخبرني عن الروح أغير الدم ؟

قال عليه السلام : «نعم ، الروح على ما وصفت لك : مادّتها من الدم ، ومن الدم رطوبة الجسم ، وصفاء اللون ، وحسن الصوت ، وكثرة الضحك ، فإذا جمد الدم فارق الروح البدن» .

قال : فهل يوصف بخفة وثقل ووزن ؟

قال عليه السلام : «الروح بمنزلة الريح في الزق ، إذا نفخت فيه امتلأ الزق منها ، فلا يزيد في وزن الزق ولوجها فيه ، ولا ينقصها خروجها منه ، كذلك الروح ليس لها ثقل ولا وزن» .

قال : فأخبرني ما جوهر الريح ؟

قال عليه السلام : «الريح هواء إذا تحرّك يسمّى ريحاً ، فإذا سكن يسمّى هواء ، وبه قوام الدّنيا ، ولو

كفّت الريح ثلاثة أيّام لفسد كلّ شيء على وجه الأرض ونتن ، وذلك أنّ الرّيح بمنزلة المروحة ؛ تذبّ وتدفع الفساد عن كلّ شيء وتطيّبه ، فهي بمنزلة الروح إذا خرج عن البدن نتن البدن وتغيّر ، وتبارك الله أحسن الخالقين» .

قال : أفيتلاشى الروح بعد خروجه عن قالبه أم هو باق ؟

قال عليه السلام : «بل هو باق إلى وقت ينفخ في الصور ، فعند ذلك تبطل الأشياء وتفنى ، فلا حسّ ولا محسوس ، ثمّ أُعيدت الأشياء كما بدأها مدبّرها ، وذلك أربعمائة سنة يسبت[1] فيها الخلق ، وذلك بين النفختين» .

قال : وأنّىٰ له بالبعث والبدن قد بلي ، والأعضاء قد تفرّقت ، فعضو ببلدة يأكلها سباعها ، وعضو بأُخرى تمزّقه هوامّها ، وعضو قد صار تراباً بني به مع الطين حائط ؟

قال عليه السلام : «إنّ الّذي أنشأه من غير شيء ، وصوّره على غير مثال كان سبق إليه ، قادر أن يعيده كما بدأه» .

قال : أوضح لي ذلك !

قال عليه السلام : «إنّ الرّوح مقيمة في مكانها ، روح المحسن في ضياء وفسحة ، وروح المسيء في ضيق وظلمة ، والبدن يصير تراباً كما منه خلق ، وما تقذف به السباع والهوام من أجوافها ، ممّا أكلته ومزّقته كلّ ذلك في التراب ، محفوظ عنده من لا يعزب عنه مثقال ذرّة في ظلمات الأرض ، ويعلم عدد الأشياء ووزنها ، وإنّ تراب الروحانيين بمنزلة الذهب في التراب ، فإذا كان حين البعث مطرت الأرض مطر النشور ، فتربو الأرض ثمّ تمخّضوا مخض السقاء ، فيصير البشر كمصير الذهب من التراب إذا غسل بالماء ، والزبد من اللبن إذا مخض ، فيجتمع تراب كلّ قالب إلى قالبه ، فينتقل بإذن الله القادر إلى حيث الروح ، فتعود الصور بإذن المصوّر كهيئتها ، وتلج الروح فيها ، فإذا قد استوى لا ينكر من نفسه شيئاً» .

قال : فأخبرني عن النّاس يحشرون يوم القيامة عراة ؟

قال عليه السلام : «بل يحشرون في أكفانهم» .

قال : أنّى لهم بالأكفان وقد بليت ؟!

قال عليه السلام : «إنّ الّذي أحيا أبدانهم جدّد أكفانهم» .

---

(١) سُبتَ ـ بالبناء المفعول ـ : غشي عليه وأيضاً مات.

قال : فمن مات بلا كفن ؟

قال عليه السلام : «يستر الله عورته بما يشاء من عنده» .

قال : أفيعرضون صفوفاً ؟

قال عليه السلام : «نعم ، هم يومئذ عشرون ومائة ألف صف في عرض الأرض» .

قال : أوليس توزن الأعمال ؟

قال عليه السلام : «لا إنّ الأعمال ليست بأجسام ، وإنّما هي صفة ما عملوا ، وإنّما يحتاج إلى وزن الشيء من جهل عدد الأشياء ، ولا يعرف ثقلها أو خفّتها ، وإنّ الله لا يخفى عليه شيء» .

قال : فما معنى الميزان ؟

قال عليه السلام : «العدل» .

قال : فما معناه في كتابه : ﴿ فَمَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ ﴾[١] ؟

قال عليه السلام : «فمن رجح عمله» .

قال : فأخبرني أوليس في النّاس مقتنع أن يعذّب خلقه بها دون الحيّات والعقارب ؟

قال عليه السلام : «إنّما يعذّب بها قوماً زعموا أنّها ليست من خلقه ، إنّما شريكه الّذي يخلقه ، فيسلّط الله عليهم العقارب والحيّات في النّار ليذيقهم بها وبال ماكذبوا عليه فجحدوا أن يكون صنعه» .

قال : فمن أين قالوا : «إنّ الجنّة يأتي الرجل منهم إلى ثمرة يتناولها فإذا أكلها عادت كهيئتها»؟

قال عليه السلام : «نعم ذلك على قياس السراج يأتي القابس فيقتبس عنه فلا ينقص من ضوئه شيئاً ، وقد امتلت الدّنيا منه سراجاً» .

قال : أليسوا يأكلون ويشربون ، وتزعم أنّه لا يكون لهم الحاجة ؟

قال عليه السلام : «بلى ، لأنّ غذاءهم رقيق لا ثقل له ، بل يخرج من أجسادهم بالعرق» .

قال : فكيف تكون الحوراء في جميع ما أتاها زوجها عذراء ؟

قال عليه السلام : «لأنّها خلقت من الطيب لا يعتريها عاهة ، ولا يخالط جسمها آفة ، ولا يجري في ثقبها شيء ، ولا يدنّسها حيض ، فالرحم ملتزقة ملدم[٢] ، إذ ليس فيها لسوى الإحليل مجرى» .

قال : فهي تلبس سبعين حلّة ويرى زوجها مخّ ساقها من وراء حللها وبدنها ؟

---

(١) الأعراف ٨.

(٢) المِلدم ـ كمِنبَر ـ : الأحمق الثقيل اللّحم.

قال عليه السلام : «نعم ، كما يرى أحدكم الدراهم إذا لقيت في ماء صاف قدره قدر رمح» .

قال : فكيف تنعّم أهل الجنّة بما فيه من النّعيم ، وما منهم إلّا وقد فقد ابنه ، وأباه ، أو حميمه ، أو اُمّه ، فإذا افتقدوهم في الجنّة لم يشكّوا في مصيرهم إلى النّار ، فما يصنع بالنّعيم من يعلم أنّ حميمه في النّار ويعذّب ؟

قال عليه السلام : «إنّ أهل العلم قالوا : إنّهم ينسون ذكرهم . وقال بعضهم : إنتظروا قدومهم . ورجوا أن يكونوا بين الجنّة والنّار في أصحاب الأعراف» .

قال : فأخبرني عن الشمس أين تغيب ؟

قال عليه السلام : «إنّ بعض العلماء قال : إذا انحدرت أسفل القبّة دار بها الفلك إلى بطن السماء صاعدة أبداً إلى أن تنحط إلى موضع مطلعها يعني : أنّها تغيب في عين حامية ثمّ تخرق الأرض راجعة إلى موضع مطلعها، فتحيّر تحت العرش حتّى يؤذن لها بالطلوع ، ويسلب نورها كلّ يوم ، وتجلّل نوراً آخر».

قال : فالكرسي أكبر أم العرش ؟

قال عليه السلام : «كلّ شيء خلقه الله في جوف الكرسي ما خلا عرشه فإنّه أعظم من أن يحيط به الكرسي» .

قال : فخلق النّهار قبل الليل ؟

قال عليه السلام : «خلق النّهار قبل الليل ، والشمس قبل القمر ، والأرض قبل السماء ، ووضع الأرض على الحوت ، والحوت في الماء ، والماء في صخرة مجوّفة ، والصخرة على عاتق ملك ، والملك على الثرى ، والثرى على الريح العقيم ، والريح على الهواء ، والهواء تمسكه القدرة ، وليس تحت الريح العقيم إلّا الهواء والظلمات ، ولا وراء ذلك سعة ولا ضيق ، ولا شيء يتوّهم ، ثمّ خلق الكرسي فحشاه السماوات والأرض ، والكرسي أكبر من كلّ شيء خلقه الله ، ثمّ خلق العرش فجعله أكبر من الكرسي» .

وعن أبان بن تغلب أنّه قال : كنت عند أبي عبدالله عليه السلام إذ دخل عليه رجل من أهل اليمن ، فسلّم عليه ، فردّ عليه أبو عبدالله ، فقال له : «مرحباً يا سعد» !

فقال الرجل : بهذا الإسم سمّتني اُمّي ، وما أقلّ من يعرفني به .

فقال له أبو عبدالله عليه السلام : «صدقت يا سعد المولى» !

فقال الرجل : جعلت فداك بهذا اللقب كنت اُلَقَّب .

فقال أبو عبدالله عليه السلام : «لا خير في اللقب ، إنّ الله تبارك وتعالى يقول في كتابه : ﴿ وَلاَ تَنَابَزُوا

بِالأَلْقَابِ بِئْسَ ٱلاسْمُ ٱلْفُسُوقُ بَعْدَ ٱلإِيمَانِ ﴾[1] ، ما صناعتك يا سعد» ؟

قال : جعلت فداك ، إنّا أهل بيت ننظر في النّجوم ، لا يقال إنَّ باليمن أحداً أعلم بالنّجوم منّا .

فقال أبو عبدالله عليه السلام : «كم يزيد ضوء الشمس على ضوء القمر درجة» ؟

فقال اليماني : لا أدري .

فقال عليه السلام : «صدقت» . فقال : «فكم ضوء القمر يزيد على ضوء المشتري درجة» ؟

قال اليماني : لا أدري !

فقال أبو عبدالله عليه السلام : «صدقت» . قال : «فكم يزيد ضوء المشتري على ضوء العطارد درجة»؟

قال اليماني : لا أدري !

فقال أبو عبدالله عليه السلام : «صدقت» . قال : «فكم ضوء عطارد يزيد درجة على ضوء الزهرة» ؟

قال اليماني : لا أدري !

قال أبو عبدالله عليه السلام : «صدقت» . قال : «فما اسم النجم الّذي إذا طلع هاجت الإبل» ؟

فقال اليماني : لا أدري !

فقال له أبو عبدالله عليه السلام : «صدقت» . قال : «فما اسم النجم الّذي إذا طلع هاجت الكلاب» ؟

فقال اليماني : لا أدري !

فقال له أبو عبدالله عليه السلام : «صدقت في قولك لا أدري ! فما زحل عندكم في النّجوم» ؟

فقال اليماني : نجم نحس .

فقال أبو عبدالله عليه السلام : «لا تقل هذا ، فإنّه نجم أميرالمؤمنين صلوات الله عليه وهو نجم الأوصياء ، وهو النجم الثاقب الّذي قال الله تعالى في كتابه» .

فقال اليماني : فما معنى الثاقب ؟

فقال عليه السلام : «إنّ مطلعه في السماء السابعة ، فإنّه ثقب بضوئه حتّى أضاء في السماء الدّنيا ، فمن ثَمّ سمّاه الله النجم الثاقب» . ثمّ قال : «يا أخا العرب أعندكم عالم» ؟

فقال اليماني : نعم جعلت فداك إنّ باليمن قوماً ليسوا كأحد من النّاس في علمهم .

فقال أبو عبدالله عليه السلام : «وما يبلغ من علم عالمهم» ؟

فقال اليماني : إنّ عالمهم ليزجر الطير ، ويقفو الأثر في ساعة واحدة مسيرة شهر للراكب المحث».

---

(١) الحجرات ١١.

فقال أبو عبدالله عليه السلام : «فإنّ عالم المدينة أعلم من عالم اليمن» .

قال اليماني : وما يبلغ علم عالم المدينة ؟

قال عليه السلام : «إنّ علم عالم المدينة ينتهي إلى أن لا يقفو الأثر ، ولا يزجر الطير ، ويعلم ما في اللحظة الواحدة مسيرة الشمس ، تقطع اثني عشر برجاً ، واثنى عشر برّاً ، واثنى عشر بحراً ، واثنى عشر عالماً» .

فقال له اليماني : ما ظننت أنّ أحداً يعلم هذا ، وما يدري ماكنهه !

قال : ثمّ قام اليماني وخرج .

وعن سعيد بن أبي الخضيب[1] **قال** : دخلت أنا وابن أبي ليلى المدينة ، فبينما نحن في مسجد الرّسول صلى الله عليه وآله إذ دخل جعفر بن محمّد عليه السلام ، فقمنا إليه فسألني عن نفسي وأهلي ، ثمّ قال : «من هذا معك» ؟

فقلت : ابن أبي ليلى قاضي المسلمين !

فقال عليه السلام : «نعم» ، ثمّ قال له : «أتأخذ مال هذا فتعطيه هذا ، وتفرّق بين المرء وزوجه ، ولا تخاف في هذا أحداً» ؟

قال : نعم .

قال عليه السلام : «فبأيّ شيء تقضي» ؟

قال : بما بلغني عن رسول الله صلى الله عليه وآله ، وعن أبي بكر ، وعمر !

قال عليه السلام : «فبلغك أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله قال : «أقضاكم عليّ بعدي» ؟

قال : نعم .

قال عليه السلام : «فكيف تقضي بغير قضاء عليّ عليه السلام ، وقد بلغك هذا» ؟!

قال : فاصفرّ وجه ابن أبي ليلى ، ثمّ قال : التمس مثلاً لنفسك ، فوالله لا أُكلّمك من رأسي كلمة أبداً .

وعن الحسين بن زيد[2] **عن جعفر الصّادق** عليه السلام : «إنّ رسول الله قال لفاطمة : يا فاطمة إنّ الله عزّ وجلّ يغضب لغضبك ، ويرضى لرضاك» .

---

(١) سعيد ابن أبي الخضيب البجلي : عدّه الشيخ في رجاله ص ٢٠٥ من أصحاب الصّادق عليه السلام .

(٢) ذكره العلاّمة في القسم الأوّل من خلاصته ص ٥١ فقال : الحسين بن زيد بن عليّ بن الحسين عليهما السلام ، أبو عبدالله ، يلقّب ذاالدمعة ، كان أبوعبدالله تبنّاه وربّاه ، وزوّجه بنت الأرقط . روى عن أبي عبدالله وأبي الحسن عليهما السلام ، وكتابه مختلف الرواية .

قال : فقال المحدّثون بها .

قال : فأتاه ابن جريح فقال : يا أباعبدالله حُدِّثْنا اليوم حديثاً استهزأه النّاس !

قال عليه السلام : «وما هو ؟

قال : حديث أنّ رسول الله قال لفاطمة : «إنّ الله ليغضب لغضبك ، ويرضى لرضاك» .

(قال) : فقال عليه السلام : «إنّ الله ليغضب فيما تروون لعبده المؤمن ، ويرضى لرضاه» ؟

فقال نعم .

قال عليه السلام : «فما تنكر أن تكون ابنة رسول الله صلى الله عليه وآله مؤمنة ، يرضى الله لرضاها ، ويغضب لغضبها» ؟!

قال : صدقت ! الله أعلم حيث يجعل رسالاته .

وعن حفص بن غياث[1] **قال** : شهدت المسجد الحرام وابن أبي العوجاء[2] يسأل أباعبدالله عليه السلام عن قوله تعالى : ﴿كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُم بَدَّلْنَاهُمْ جُلُوداً غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا الْعَذَابَ﴾[3] ما ذنب الغير ؟

قال عليه السلام : «ويحك هي وهي غيرها» !

قال : فمثّل لي ذلك شيئاً من أمر الدّنيا !

قال عليه السلام : «نعم أرأيت لو أنّ رجلاً أخذ لبنة فكسّرها ، ثمّ ردّها في ملبنها ، فهي هي وهي غيرها» .

وروي أنّه سأل الصّادق عليه السلام عن قول الله عزّ وجلّ في قصّة إبراهيم عليه السلام : ﴿قَالَ بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَذَا فَسْأَلُوهُمْ إِن كَانُوا يَنطِقُونَ﴾[4] ؟

---

(١) حفص بن غياث : عدّه الشيخ في رجاله ص١١٨ من أصحاب الباقر عليه السلام ، وذكره في أصحاب الصّادق عليه السلام أيضاً ص١٧٥ ، فقال : حفص بن غياث بن طلق بن معاوية ، أبو عمر النخعي القاضي الكوفي أسند عنه . وذكره في باب من لم يرو عن الأئمة عليهم السلام ص ٤٧١ والعلّامة في القسم الثاني من خلاصته ص٢١٨ وقال : ولي القضاء لهارون ، وروى عن الصّادق عليه السلام ، وكان عامياً وله كتاب معتمد .

(٢) عبدالكريم بن أبي العوجاء هذا من تلامذة الحسن البصري وقد انحرف عن التوحيد ، وحبسه محمّد بن سليمان عامل الكوفة من جهة المنصور ، وهو خال معن بن زائدة ، فكثر شفعاءه بمدينة السلام وألحّوا على المنصور حتّى كتب إلى محمّد بالكفّ عنه ، وقبل أن يجيء الكتاب إلى محمّد بن سليمان بعث عليه وأمر بضرب عنقه ، فلمّا أيقن أنّه مقتول ، قال : أما والله لئن قتلتموني لقد وضعت أربعة آلاف حديث أُحرّم فيها الحلال وأُحلّ بها الحرام ، ولقد فطّرتكم في يوم صومكم ، وصوّمتكم في يوم فطركم ، ثمّ ضُرِبَت عنقه .

(٣) النساء ٥٦.

(٤) الأنبياء ٦٣.

قال عليه السلام : «ما فعله كبيرهم وماكذب إبراهيم عليه السلام» .

قيل : وكيف ذلك ؟

فقال عليه السلام : «إنّما قال إبراهيم : فاسألوهم إن كانوا ينطقون ، فإن نطقوا فكبيرهم فعل ، وإن لم ينطقوا فكبيرهم لم يفعل شيئاً ، فما نطقوا ، وماكذب إبراهيم عليه السلام» .

فسُئِل عن قوله في سورة يوسف : ﴿ أَيَّتُهَا ٱلْعِيرُ إِنَّكُمْ لَسَارِقُونَ ﴾[1] ؟

قال عليه السلام : «إنّهم سرقوا يوسف من أبيه ، ألا ترى أنّه قال لهم حين قالوا : ﴿ مَّاذَا تَفْقِدُونَ * قَالُوا نَفْقِدُ صُوَاعَ ٱلْمَلِكِ ﴾[2] ولم يقل سرقتم صواع الملك ، إنّما سرقوا يوسف من أبيه» .

فسُئِل عن قول إبراهيم : ﴿ فَنَظَرَ نَظْرَةً فِي ٱلنُّجُومِ * فَقَالَ إِنِّي سَقِيمٌ ﴾[3] ؟

قال عليه السلام : «ماكان إبراهيم سقيماً ، وماكذب ، إنّما عنى سقيماً في دينه أي مرتاداً» .

وعن عبدالمؤمن الأنصاري[4] قال : قلت لأبي عبدالله عليه السلام : إنّ قوماً رووا أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله قال : «اختلاف اُمّتي رحمة» ؟

فقال عليه السلام : «صدقوا» .

قلت : إن كان اختلافهم رحمة ، فاجتماعهم عذاب ؟

قال عليه السلام : «ليس حيث تذهب وذهبوا ، إنّما أراد قول الله عزّ وجلّ : ﴿ فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَائِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا فِي ٱلدِّينِ وَلِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ ﴾[5] أمرهم أن ينفروا إلى رسول الله ، ويختلفوا إليه ، ويتعلّموا ، ثمّ يرجعوا إلى قومهم فيعلّموهم ، إنّما أراد اختلافهم في البلدان ، لا اختلافاً في الدّين ، إنّما الدّين واحد» .

وروي عنه صلوات الله عليه أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله قال : «ما وجدتم في كتاب الله عزّ وجلّ فالعمل لكم به ، ولا عذر لكم في تركه ، وما لم يكن في كتاب الله عزّ وجلّ وكانت في سنّة منّي فلا عذر لكم في ترك

---

(١) يوسف ٧٠.

(٢) يوسف ٧١ـ٧٢.

(٣) الصافات ٨٨ـ٨٩.

(٤) ذكره الشيخ في أصحاب عليّ بن الحسين عليهما السلام ص٩٩ من رجاله وفي أصحاب الباقر عليه السلام ص١٣١، وعدّه في أصحاب الصادق عليه السلام ص٢٣٦، وذكره العلّامة في القسم الأوّل من خلاصته ص١٣١ فقال: «عبدالمؤمن بن القاسم ابن قيس ابن قهد ـ بفتح القاف وإسكان الهاء ـ الأنصاري، روى عن أبي عبدالله وأبي جعفر عليهما السلام، ثقة، وهو أخو أبي مريم الغفاري بن القاسم، وقيس بن فهد صحابي».

(٥) التوبة ١٢٢.

سنّتي ، وما لم يكن فيه سنّة منّي فما قال أصحابي فقولوا ، إنّما مثل أصحابي فيكم كمثل النّجوم، بأيّها أُخذ اهتدي ، وبأيّ أقاويل أصحابي أخذتم اهتديتم ، واختلاف أصحابي لكم رحمة .

قيل : يا رسول الله مَن أصحابك ؟

قال : أهل بيتي» .

قال محمّد بن الحسين بن بابويه القمي رحمه الله : إنّ أهل البيت لا يختلفون ولكن يفتون الشيعة بمرّ الحق ، وربّما أفتوهم بالتقيّة ، فما يختلف من قولهم فهو للتقيّة ، والتقيّة رحمة للشيعة ، ويؤيّد تأويله رحمه الله أخبار كثيرة .

منها ما رواه محمّد بن سنان عن نصر الخثعمي(١) **قال** : سمعت أباعبدالله عليه السلام يقول : من عرف من أمرنا أن لا نقول إلّا حقّاً فليكتف بما يعلم منّا ، فإن سمع منّا خلاف ما يعلم فليعلم أنّ ذلك منّا دفاع واختيار له» .

وعن عمر بن حنظلة(٢) **قال** : سألت أباعبدالله عليه السلام عن رجلين من أصحابنا بينهما منازعة في دَين أو ميراث ، فتحاكما إلى السلطان أو إلى القضاة أيحلّ ذلك ؟

قال عليه السلام : «من تحاكم إليهم في حقّ أو باطل فإنّما تحاكم إلى الجبت والطاغوت المنهي عنه ، وما حكم له به فإنّما يأخذ سحتاً ، وإن كان حقّه ثابتاً له ، لأنّه أخذه بحكم الطاغوت ، ومن أمر الله عزّ وجلّ أن يكفر به ، قال الله عزّ وجلّ : ﴿ يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوا أَن يَكْفُرُوا بِهِ ﴾(٣)» .

قلت : فكيف يصنعان وقد اختلفا ؟

قال عليه السلام : «ينظران من كان منكم ممّن قد روى حديثنا ، ونظر في حلالنا وحرامنا ، وعرف أحكامنا ، فليرضيا به حكماً ، فإنّي قد جعلته عليكم حاكماً ، فإذا حكم بحكم ولم يقبله منه فإنّما بحكم الله استخفّ ، وعلينا ردّ ، والرادّ علينا كافر ، ورادّ على الله ، وهو على حدّ من الشرك بالله» .

قلت : فإن كان كلّ واحد منهما اختار رجلاً من أصحابنا ، فرضيا أن يكونا الناظرين في حقّهما

---

(١) نصر الخثعمي : لم أعثر فيما بين يديّ من كتب الرّجال على ترجمة لصاحب هذا الإسم، ولعلّه نصير الخثعمي الّذي ذكره الأردبيلي في جامع الرواة ج٢ ص٢٩٢ فقال : نصير أبوالحكم الخثعمي . محمّد بن سنان عنه عن أبي عبدالله في محاسن البرقي في باب أنّ المؤمن صنفان .

(٢) عمر بن حنظلة البكري الكوفي ، عدّه الشيخ في رجاله ص ٢٥١ من أصحاب الصادق عليه السلام .

(٣) النساء ٦٠.

فيما حكما ، فإنّ الحكمين اختلفا في حديثكم ؟

قال عليه السلام : «إنّ الحكم ما حكم به أعدلهما ، وأفقههما ، وأصدقهما في الحديث ، وأورعهما ، ولا يلتفت إلى ما حكم به الآخر» .

قلت : فإنّهما عدلان مرضيّان ، عرفا بذلك لا يفضّل أحدهما صاحبه ؟

قال عليه السلام : «ينظر الآن إلى ماكان من روايتهما عنّا في ذلك الّذي حكما ، المجمع عليه بين أصحابك ، فيؤخذ به من حكمهما ويترك الشاذّ الّذي ليس بمشهور عند أصحابك ، فإنّ المجمع عليه لا ريب فيه ، وإنّما الأُمور ثلاث : أمرٌ بيّن رشده ؛ فيُتّبع ، وأمر بيّن غيّه ؛ فيُجتنب ، وأمر مشكل يردّ حكمه إلى الله وإلى رسوله صلى الله عليه وآله ، حلال بيّن ، وحرام بيّن ، وشبهات تتردّد بين ذلك ؛ فمن ترك الشبهات نجا من المحرّمات ، ومن أخذ بالشبهات ارتكب المحرّمات ، وهلك من حيث لا يعلم» .

قلت : فإن كان الخبران عنكما مشهورين قد رواهما الثقات عنكم ؟

قال عليه السلام : «ينظر ما وافق حكمه حكم الكتاب والسنّة وخالف العامّة فيؤخذ به ، ويترك ما خالف حكمه حكم الكتاب والسنّة ووافق العامّة» .

قلت : جعلت فداك أرأيت إن كان الفقيهان عرفا حكمه من الكتاب والسنّة ، ثمّ وجدنا أحد الخبرين يوافق العامّة ، والآخر يخالف بأيّهما نأخذ من الخبرين ؟

قال عليه السلام : «ينظر إلى ما هم إليه يميلون ، فإن خالف العامّة ففيه الرشاد» .

قلت : جعلت فداك فإن وافقهم الخبران جميعاً ؟

قال عليه السلام : «اُنظروا إلى ما تميل إليه حكّامهم وقضاتهم ، فاتركوا جانباً وخذوا بغيره» .

قلت : فإن وافق حكّامهم الخبرين جميعاً ؟

قال عليه السلام : «إذا كان كذلك فارجه وقِفْ عنده ، حتّى تلقى إمامك ، فإنّ الوقوف عند الشبهات خير من الإقتحام في الهلكات ، والله هو المرشد» .

جاء هذا الخبر على سبيل التقدير ، لأنّه قلّما يتّفق في الأثر أن يرد خبران مختلفان في حكم من الأحكام ، موافقَين للكتاب والسنّة ، وذلك مثل غسل الوجه واليدين في الوضوء ، لأنّ الأخبار جاءت بغسلهما مرّة مرّة وغسلهما مرّتين مرّتين ، فظاهر «القرآن» لا يقتضي خلاف ذلك ، بل يحتمل كلتا الروايتين ، ومثل ذلك يؤخذ في أحكام الشرع .

وأمّا قوله عليه السلام للسائل «أرجه وقف عنده حتّى تلقى إمامك» أمره بذلك عند تمكّنه من الوصول إلى الإمام ، فأمّا إذا كان غائباً ولا يتمكّن من الوصول إليه ، والأصحاب كلّهم مجمعون على الخبرين ، ولم يكن هناك رجحان لرواة أحدهما على الآخر بالكثرة والعدالة ،كان الحكم بهما من باب التخيير ، يدلّ على ما قلنا :

ما روي عن الحسن بن الجهم[1] عن الرّضا عليه السلام قال : قلت للرّضا عليه السلام : تجيئنا الأحاديث عنكم مختلفة ؟

قال : ما جاءك عنّا فقسه على كتاب الله عزّ وجلّ وأحاديثنا ، فإن كان يشبههما فهو منّا وإن لم يشبههما فليس منّا» .

قلت : «يجيئنا الرجلان وكلاهما ثقة ، بحديثين مختلفين ، فلا نعلم أيّهما الحق» .

فقال عليه السلام : «إذا لم تعلم فموسّع عليك بأيّهما أخذت» .

وما رواه الحرث بن المغيرة[2] عن أبي عبدالله عليه السلام قال : «إذا سمعت من أصحابك الحديث وكلّهم ثقة ، فموسّع عليك حتّى ترى القائم فتردّه عليه» .

وروى سماعة بن مهران[3] قال : سألت أباعبدالله عليه السلام قلت : يرد علينا حديثان ، واحد يأمرنا

---

(١) الحسن بن الجهم بن بكير بن أعين : أبو محمّد الشيباني ، ثقة ، روى عن أبي الحسن موسى والرضا عليهما السلام ، ذكره العلّامة في القسم الأوّل من خلاصته ص٤٣، والنجاشي في رجاله ص٤٠، والشيخ في أصحاب الكاظم ص٣٤٧ من رجاله .

(٢) قال العلّامة في القسم الأوّل من خلاصته ص٥٥: الحرث بن المغيرة النصري ـ بالنون والصاد غير المعجمة ـ روى الكشي عن محمّد بن قولويه قال : حدّثنا سعد بن عبدالله عن أحمد بن محمّد بن عيسى عن عبدالله بن محمّد الحجّال عن يونس بن يعقوب قال : كنّا عند أبي عبدالله عليه السلام فقال : «مالكم من مفزع ؟ أما لكم من مستراح تستريحون إليه ؟ ما يمنعكم من الحرث بن المغيرة النصري» ؟ وروى حديثاً في طريقه سجادة : أنّه من أهل الجنّة .
وقال النجاشي : حارث بن المغيرة النصري من بني نصر بن معاوية ، بصري ، عربي ، روى عن أبي جعفر الباقر والصادق والكاظم عليهم السلام وعن زيد بن عليّ عليه السلام ، ثقة ثقة .

(٣) قال النجاشي ص١٤٦ من رجاله : «سماعة بن مهران بن عبدالرحمن الحضرمي مولى عبد بن وايل بن حجر الحضرمي يكنّى : أباناشرة ، وقيل : أبامحمّد ، كان يتّجر في القزّ ، ويخرج به إلى حرّان ، ونزل من الكوفة كندة ، روى عن أبي عبدالله وأبي الحسن عليهما السلام ومات بالمدينة ، ثقة ثقة ، وله مسجد بحضرموت الكوفة وهو مسجد زرعة بن محمّد الحضرمي بعده ، وذكره أحمد بن الحسين رحمه الله وأنّه وجد في بعض الكتب أنّه مات سنة خمس وأربعين ومائة في حياة أبي عبدالله عليه السلام ، وذلك أنّ أباعبدالله عليه السلام قال : «إن رجعت لم ترجع إلينا» فأقام عنده فمات في تلك السنة ، وكان عمره نحواً من ستّين سنة ، وليس أعلم كيف هذه الحكاية لأنّ سماعة روى عن أبي الحسن وهذه

بالأخذ به ، والآخر به ينهانا عنه ؟

قال عليه السلام : «لا تعمل بواحد منهما حتّى تلقى صاحبك فتسأله عنه» .

قال : قلت : لابدّ من أن نعمل بأحدهما .

قال عليه السلام : «خذ بما فيه خلاف العامّة» .

فقد أمر عليه السلام بترك ما وافق العامّة ، لأنّه يحتمل أن يكون قد ورد مورد التقيّة ، وما خالفهم لا يحتمل ذلك .

وروي عنهم عليهم السلام أيضاً أنّهم قالوا : «إذا اختلف أحاديثنا عليكم فخذوا بما اجتمعت عليه شيعتنا ، فإنّه لا ريب فيه» .

وأمثال هذه الأخبار كثيرة لا يحتمل ذكرها هنا ، وما أوردناه عارض ليس هنا موضعه .

وعن بشير بن يحيى العامري عن ابن أبي ليلى[1] قال : دخلت أنا والنعمان

الحكاية يتضمّن أنّه مات في حياة أبي عبدالله عليه السلام ، والله أعلم . له كتاب يرويه عنه جماعة كثيرة» الخ . وذكره الشيخ في أصحاب الصادق عليه السلام ص ٢٤ ، وفي أصحاب الكاظم عليه السلام ص ٣١٥.

(١) في سفينة البحار ج ٢ ص ٥٢٠: «أقول : ابن أبي ليلى هو محمّد بن عبدالرّحمن القاضي الكوفي ، عدّه الشيخ من أصحاب الصادق عليه السلام ، كان بينه وبين أبي حنيفة منافرات ، توفّي سنة ١٤٨ ، وكان أبوه من أكابر تابعي الكوفة ، وجدّه أبو ليلى من الصحابة .

قال ابن النديم : واسم أبي ليلى يسار من ولد أحيحة بن الجلاح . وقال : ولي ابن أبي ليلى القضاء لبني أُميّة وولد العبّاس ، وكان يفتي بالرأي قبل أبي حنيفة .

وذكره في الخلاصة في القسم الأوّل ونقل عن ابن عقدة أنّه روى عن ابن نمير أنّه كان صدوقاً مأموناً ولكنّه سيّئ الحفظ جدّاً .

وقال ابن داود : إنّه ممدوح .

وقال المولى محمّد صالح : إنّه ممدوح مشكور صدوق مأمون .

وفي التعليقة : روى ابن أبي عمير عنه عن أبيه وقد أعزب أبو علي في رجاله وقال : إن نصب الرجل أشهر من كفر إبليس ، وهو من مشاهير المنحرفين ، وتولّى القضاء لبني أُميّة ثمّ لبني العبّاس برهة من السنين كما ذكره غير واحد من المؤرخين وردّه شهادة جملة من أجلاء أصحاب الصّادق عليه السلام لأنّهم رافضة مشهور ، وفي كتب الحديث مذكور ، من ذلك ما ذكره الكشي في ترجمة محمّد بن مسلم فلاحظ ، ومن ذلك في ترجمة عمّار الدهني ، ويجب ذكره في الضعفاء كما فعله الفاضل ...

قال شيخنا في المستدرك بعد نقل هذا الكلام من أبي علي : قلت : المدّعي صدقه وأمانته ووثاقته في الحديث ومجرّد القضاء والعامية لا ينافي ذلك .

وقال صدر المحقّقين العاملي في حواشيه على رجاله وفي تضاعيف الأخبار ما يدلّ على أنّ ابن أبي ليلى لم يكن

أبوحنيفة(١) على جعفر بن محمّد ، فرحّب بنا ، فقال : «يابن أبي ليلى من هذا الرجل» ؟

على ما ذكره المؤلف من النصب بل يظهر من الروايات ميله لآل محمّد عليهم السلام ، وروايات ردّ الشهادة تشهد بذلك لأنّه قبل شهادتهم بعد ردّها ، وفي صدر الوقوف من الكافي أنّ ابن أبي ليلى حكم في قضيّة يحكم فقال له محمّد بن مسلم : إنّ علياً عليه السلام قضى بخلاف ذلك ، وروى ذلك له عن الباقر عليه السلام فقال ابن أبي ليلى : هذا عندك ؟ قال : نعم . قال : فأرسل وأتني به . قال له محمّد بن مسلم : على أن لا تنظر في الكتاب إلّا في ذلك الحديث ، ثمّ أراه الحديث عن الباقر عليه السلام فردّ قضيّته ونقضه للقضاء بعد الحكم دليل على عدم التعصّب فضلاً عن النصب ...

وبالجملة فمن تتبّع الأخبار وجد أنّ ابن أبي ليلى كان يقضي بما يبلغه عن الصّادقين عليهما السلام ويحكم بذلك بعد التوقّف بل ينقض ماكان قد حكم به إذا بلغه عنهم عليهم السلام خلافه ، فكيف يكون من حاله ذلك من النواصب» ؟

(١) أبو حنيفة : واسمه النعمان بن ثابت بن زوطي ، وكان زوطي مملوكاً لبني تيم الله بن ثعلبة ، وأصله من كابل ، وقيل : مولى لبني قفل كما في الفهرست لابن النديم ص ٢٨٤.

وقال الخطيب البغدادي في تاريخ بغداد ج١٣ ص٣٢٤: «ولد أبو حنيفة وأبوه نصراني» ... إلى أن قال : «وكان زوطي مملوكاً لبني تيم الله بن ثعلبة فأُعتق ، فولاؤه لبني عبدالله بن ثعلبة ثمّ لبني قفل» .

وروى مسنداً عن الزيادي يقول : سمعت أباجعفر يقول : كان أبو حنيفة اسمه عتيك بن زوطرة فسمّي نفسه النعمان وأباه ثابتاً .. وقيل : كان والد أبي حنيفة من (نسا) وقيل أصله من (ترمذ) وقيل ثابت والد أبي حنيفة من أهل (الأنبار) .

وأورد الخطيب البغدادي في تاريخه عدّة روايات بأسانيد مختلفة تقول : إنّ أباحنيفة استتيب من الكفر مرّتين وفي بعضها ثلاثاً ، وفي رواية سفيان الثوري استتيب من الكفر مراراً . وفي رواية أبي عيينة استتيب من الدهر ثلاث مرّات . [راجع : تاريخ بغداد ج١٣ ص ٣٨٠ ـ ٣٨٣]

وفيه ص ٣٧٢ مسنداً أنّ أباحنيفة قال : لو أنّ رجلاً عبد هذه النعل يتقرّب بها إلى الله لم أر بذلك بأساً .

وكان شريك يقول : كفر أبو حنيفة بآيتين من كتاب الله ؛ قال الله تعالى : ﴿ **وَيُقِيمُوا الصَّلاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ** ﴾ وقال تعالى : ﴿ **يَزْدَادُوا إِيمَاناً مَعَ إِيمَانِهِمْ** ﴾ وزعم أبو حنيفة أنّ الايمان لا يزداد ولا ينقص ، وأنّ الصّلاة ليست من دين الله .

وفي ص٣٨٦ منه عن الجوهري روى مسنداً قال : سمعت أبامطيع يقول : قال أبو حنيفة : إن كانت الجنّة والنّار مخلوقتين فإنّهما يفنيان .

وفيه عن ابن أسباط : قال أبو حنيفة : لو أدركني رسول الله وأدركته لأخذ بكثير من قولي .

وقال سمعت أباإسحاق يقول : كان أبو حنيفة يجيئه الشيء عن النّبي فيخالفه إلى غيره .

وفي ص ٣٧٠ من نفس المصدر : سُئِل أبو حنيفة عن رجل قال : أشهد أنّ الكعبة حق ، ولكن لا أدري هي هذه الّتي بمكّة أم لا ؟ فقال : مؤمن حقّاً . وسُئِل عن رجل قال : أشهد أنّ محمّد بن عبدالله نبي ولكن لا أدري هو الّذي قبره بالمدينة أم لا ؟ فقال : : مؤمن حقّاً.

وهو أحد المذاهب الأربعة السنّيّة ، صاحب الرأي والقياس والفتاوي المعروفة في الفقه .

ذكر ابن خلّكان في ج٢ ص٨٦ من الوفيات في ترجمة محمّد بن سبكتكين عن إمام الحرمين أبوالمعالي

⬅ عبدالملك الجويني في كتابه الّذي سمّاه: «مغيث الخلق في اختيار الأحق» قال: إنّ السلطان محمود المذكور كان على مذهب أبي حنيفة، وكان مولعاً بعلم الحديث، وكانوا يسمعون الحديث من الشيوخ بين يديه وهو يسمع، وكان يستفسر الأحاديث فوجدها أكثرها موافقاً لمذهب الشافعي، فوقع في خلده حكمة، فجمع العلماء من الفريقين في مرو والتمس منهما الكلام في ترجيح أحد المذهبين على الآخر، فوقع الإتّفاق على أن يصلّوا بين يديه ركعتين على مذهب الشافعي وعلى مذهب أبي حنيفة ... فصلّى القفّال المروزي ... إلى أن قال: ثمّ صلّى ركعتين على ما يجوّز أبو حنيفة، فلبس جلد كلب مدبوغاً، ثمّ لطخ ربعه بالنجاسة، وتوضّأ بنبيذ التمر، وكان في صميم الصيف في المفازة، واجتمع عليه الذباب والبعوض، وكان وضوءه منكساً منعكساً، ثمّ استقبل القبلة وأحرم بالصلاة من غير نيّة في الوضوء، وكبّر بالفارسيّة، ثمّ قرأ آية بالفارسيّة «دو برگك سبز» ثمّ نقر نقرتين كنقرات الديك من غير فصل ومن غير ركوع وتشهّد، وضرط في آخره من غير نيّة السلام، وقال: أيّها السلطان هذه صلاة أبي حنيفة.

فقال السلطان: لو لم تكن هذه الصلاة صلاة أبي حنيفة لقتلتك.

فأنكرت الحنفية أن تكون هذه صلاة أبي حنيفة، فأمر القفال بإحضار كتب أبي حنيفة! وأمر السلطان نصرانيّاً كاتباً يقرأ المذهبين، فوجدت الصلاة على مذهب أبي حنيفة على ما حكاه القفّال، فأعرض السلطان عن مذهب أبي حنيفة.

وفي ج١٣ من تاريخ بغداد ص ٣٧٠ قال الحارث بن عمير: وسمعته يقول: لو أنّ شاهدين شهدا عند قاض أنّ فلان ابن فلان طلّق امرأته، وعلما جميعاً أنّهما شهدا بالزور، ففرّق القاضي بينهما، ثمّ لقيها أحد الشاهدين فله أن يتزوّج بها.

وفي ص٣٦٢ منه قال: قال مساور الورّاق:

كنّا من الدّين قبل اليوم في سعة ... حتّى ابتُلينا بأصحاب المقاييس
قاموا من السوق إذ قلّت مكاسبهم ... فاستعملوا الرأي عند الفقر والبؤس
أمّا العريب فأمسوا لاعطاء لهم ... وفي المولى علامات المفاليس

فلقيه أبو حنيفة فقال: هجوتنا، نحن نرضيك؛ فبعث إليه بدراهم، فقال:

إذا ما أهل مصر بادهونا ... بداهية من الفتيا لطيفه
أتيناهم بمقياس صحيح ... صليب من طراز أبي حنيفه
إذا سمع الفقيه به حواه ... وأثبته بحبر في صحيفه

فأجابه بعضهم يقول:

إذا ذوالرأي خاصم عن قياس ... وجاء ببدعة هنة سخيفه
أتيناه بقول الله فيها ... وآيات محبّرة شريفه
فكم من فرج محصنة عفيف ... أُحلّ حرامها بأبي حنيفه

وروى أيضاً أنّه اجتمع الثوري وشريك والحسن بن صالح وابن أبي ليلى فبعثوا إلى أبي حنيفة، فأتاهم، فقالوا له: ⬅

فقلت : جعلت فداك من أهل الكوفة ، له رأي وبصيرة ونفاذ .

قال عليه السلام : «فلعلّه الّذي يقيس الأشياء برأيه» ؟ ثمّ قال : «يا نعمان ! هل تحسن أن تقيس رأسك» ؟

قال : «لا» .

قال عليه السلام : «ما أراك تحسن أن تقيس شيئاً ، فهل عرفت الملوحة في العينين ، والمرارة في الأُذنين ، والبرودة في المنخرين ، والعذوبة في الفم» ؟

قال : لا .

قال عليه السلام : «فهل عرفت كلمة أوّلها كفر وآخرها إيمان» ؟

قال : لا .

قال ابن أبي ليلى : قلت : جعلت فداك لا تدعنا في عمياء ممّا وصفت .

قال عليه السلام : «نعم حدّثني أبي عن آبائه عليهم السلام أنّ رسول الله قال : إنّ الله خلق عيني ابن آدم شحمتين ، فجعل فيها الملوحة ، فلولا ذلك لذابتا ، ولم يقع فيهما شيء من القذى إلّا أذابه ، والملوحة تلفظ ما يقع في العين من القذى ، وجعل المرارة في الأُذنين حجاباً للدماغ ، وليس من دابّة تقع في الأُذن إلّا التمست الخروج ، ولولا ذلك لوصلت إلى الدماغ فأفسدته ، وجعل الله البرودة في المنخرين حجاباً للدماغ ، ولولا ذلك لسال الدماغ ، وجعل العذوبة في الفم منّاً من الله

⬅ ما تقول في رجل قتل أباه ، ونكح أمّه ، وشرب الخمر في رأس أبيه ؟

فقال : مؤمن .

فقال له ابن أبي ليلى : لا قبلت لك شهادة أبداً .

وقال الثوري : لا كلّمتك أبداً .

وقال شريك : لو كان لي من الأمر شيء لضربت عنقك .

وقال له الحسن : وجهي من وجهك حرام أن أنظر إلى وجهك أبداً .

وروى أيضاً عن الإمام مالك قال : ما ولد في الإسلام مولود أضرّ على أهل الإسلام من أبي حنيفة .

وقال : كانت فتنة أبي حنيفة أضرّ على هذه الأمّة من فتنة إبليس .

وأخرج عن الأوزاعي قال : عمد أبو حنيفة إلى عرى الإسلام فنقضه عروة عروة .

وعن عبدالرّحمن بن مهدي قال : ما علم في الإسلام فتنة بعد فتنة الدجّال أعظم من رأي أبي حنيفة .

وأخرج عن أبي صالح الفرّاء قال : سمعت يوسف بن أسباط يقول : ردّ أبو حنيفة على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أربعمائة حديث أو أكثر ، وأنّه سُئِل عن مسألة فأجاب فيها ثمّ قيل له : يروى عن النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم فيها كذا وكذا ، قال : دعنا من هذا . وفي رواية : حكّ هذا بذنب خنزيرة .

تعالى على ابن آدم ليجد لذّة الطعام والشراب . وأمّا كلمة أوّلها كفر وآخرها إيمان فقول لا إله إلّا الله» .

ثمّ قال عليه السلام : «يا نعمان إيّاك والقياس ، فإنّ أبي حدّثني عن آبائه عليهم السلام أنّ رسول الله قال : من قاس شيئاً من الدّين برأيه قرنه الله تبارك وتعالى مع إبليس ، فإنّه أوّل من قاس حيث قال : خلقتني من نار وخلقته من طين ؛ فدعوا الرأي والقياس ، فإنّ دين الله لم يوضع على القياس» .

وفي رواية أُخرى أنّ الصّادق عليه السلام قال لأبي حنيفة لمّا دخل عليه : «من أنت» ؟

قال : أبو حنيفة .

قال عليه السلام : «مفتي أهل العراق» ؟

قال : نعم .

قال عليه السلام : «بما تفتيهم» ؟

قال : بكتاب الله .

قال عليه السلام : «وإنّك لعالم بكتاب الله ؛ ناسخه ومنسوخه ، ومحكمه ومتشابهه» ؟

قال : نعم .

قال عليه السلام : «فأخبرني عن قول الله عزّ وجلّ : ﴿ وَقَدَّرْنَا فِيهَا ٱلسَّيْرَ سِيرُوا فِيهَا لَيَالِيَ وَأَيَّاماً آمِنِينَ ﴾[1] أيّ موضع هو» ؟

قال أبو حنيفة : هوما بين المكّة والمدينة .

فالتفت أبو عبدالله عليه السلام إلى جلسائه وقال : «نشدتكم بالله هل تسيرون بين مكّة والمدينة ولا تأمنون على دمائكم من القتل ، وعلى أموالكم من السرق» ؟

قالوا : اللّهمّ نعم .

فقال أبوعبدالله عليه السلام : «ويحك يا أباحنيفة ! إنّ الله لا يقول إلّا حقّاً ، أخبرني عن قول الله عزّ وجلّ : ﴿ وَمَنْ دَخَلَهُ كَانَ آمِناً ﴾[2] أيّ موضع هو» ؟

قال : ذلك بيت الله الحرام .

فالتفت أبوعبدالله عليه السلام إلى جلسائه وقال : «نشدتكم بالله هل تعلمون أنّ عبدالله بن الزبير وسعيد ابن جبير دخلاه فلم يأمنا القتل» ؟

---

(١) سبأ ١٨.

(٢) آل عمران ٩٧.

قالوا : اللّهمّ نعم .

فقال أبو عبدالله عليه السلام : «ويحك يا أباحنيفة ! إنّ الله لا يقول إلّا حقّاً» .

فقال أبو حنيفة : ليس لي علم بكتاب الله ، إنّما أنا صاحب قياس .

قال أبو عبدالله عليه السلام : «فانظر في قياسك إن كنت مقيساً أيّما أعظم عند الله ؛ القتل أو الزنا» ؟

قال : بل القتل .

قال عليه السلام : «فكيف رضى في القتل بشاهدين ، ولم يرض في الزنا إلّا بأربعة» ؟

ثمّ قال عليه السلام له : «الصلاة أفضل أم الصيام» ؟

قال : بل الصلاة أفضل .

قال عليه السلام : «فيجب على قياس قولك على الحايض قضاء ما فاتها من الصلاة في حال حيضها دون الصيام ، وقد أوجب الله تعالى عليها قضاء الصوم دون الصلاة» .

قال عليه السلام له : «البول أقذر أم المني» ؟

قال : البول أقذر .

قال عليه السلام : «يجب على قياسك أن يجب الغسل من البول دون المني ، وقد وجب الله تعالى الغسل من المني دون البول» .

قال : إنّما أنا صاحب رأي .

قال عليه السلام : «فهل ترى في رجل كان له عبد فتزوّج وزوّج عبده في ليلة واحدة ، فدخلا بامرأتيهما في ليلة واحدة ، ثمّ سافرا وجعلا امرأتيهما في بيت واحد وولدتا غلامَين ، فسقط البيت عليهم ، فقتل المرأتين وبقي الغلامان ، أيّهما في رأيك المالك وأيّهما المملوك ؟ وأيّهما الوارث وأيّهما الموروث» ؟

قال : إنّما أنا صاحب حدود .

قال عليه السلام : «فما ترى في رجل أعمى فقأ عين صحيح ، وأقطع قطع يد رجل ، كيف يقام عليهما الحد؟

قال : إنّما أنا رجل عالم بمباعث الأنبياء .

قال عليه السلام : «فأخبرني عن قول الله لموسى وهارون حين بعثهما إلى فرعون : ﴿ لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ ﴾[1] ولعلّ منك شك» ؟

---

(١) طه ٤٤.

قال : نعم .

قال عليه السلام : «وكذلك من الله شك إذ قال : «لعلّه» ؟

قال أبو حنيفة : لا علم لي .

قال عليه السلام : «تزعم أنّك تفتي بكتاب الله ولست ممّن ورثه ، وتزعم أنّك صاحب قياس وأوّل من قاس إبليس لعنه الله ، ولم يبن دين الإسلام على القياس ، وتزعم أنّك صاحب رأي وكان الرأي من رسول الله صلى الله عليه وآله صواباً ، ومن دونه خطأ ، لأنّ الله تعالى قال : ﴿ فَاحْكُمْ بِمَا أَرَاكَ اللهُ ﴾[1] ولم يقل ذلك لغيره ، وتزعم أنّك صاحب حدود ، ومن أُنزلت عليه أولى بعلمها منك ، وتزعم أنّك عالم بمباعث الأنبياء ، ولخاتم الأنبياء أعلم بمباعثهم منك ، لولا أن يقال : دخل على ابن رسول الله فلم يسأله عن شيء ، ما سألتك عن شيء ، فقس إن كنت مقيساً» .

قال أبو حنيفة : لا أتكلّم بالرأي والقياس في دين الله بعد هذا المجلس .

قال عليه السلام : «كلّا إنّ حبّ الرياسة غير تاركك كما لم يترك من كان قبلك» تمام الخبر .

وعن عيسى بن عبدالله القرشي قال : دخل أبو حنيفة على أبي عبدالله عليه السلام فقال : «يا أباحنيفة قد بلغني أنّك تقيس» !

فقال : نعم .

فقال عليه السلام : «لا تقس فإنّ أوّل من قاس إبليس لعنه الله حين قال : خلقتني من نار وخلقته من طين ؛ فقاس بين النّار والطين ، ولو قاس نوريّة آدم بنوريّة النّار وعرف مابين النّورين ، وصفاء أحدهما على الآخر» .

وعن الحسن بن محبوب[2] عن سماعة قال : قال أبو حنيفة لأبي عبدالله عليه السلام : كم بين المشرق والمغرب؟

قال عليه السلام : «مسيرة يوم للشمس بل أقلّ من ذلك» .

قال : فاستعظمه .

قال عليه السلام : «يا عاجز لم تنكر هذا ؟ إنّ الشمس تطلع من المشرق ، وتغرب في المغرب في أقلّ

---

(١) المائدة ٥٧.

(٢) الحسن بن محبوب : قال العلّامة في القسم الأوّل من خلاصته : الحسن بن محبوب السراد ويقال الزراد ، يكنّى أباعلي ، مولى بجيلة ، كوفي ، ثقة ، عين ، روى عن الرّضا عليه السلام ، وكان جليل القدر ، يعدّ في الأركان الأربعة في عصره.

من يوم» تمام الخبر .

عن عبدالكريم بن عتبة الهاشمي[١] **قال** :كنت عند أبي عبدالله عليه السلام بمكّة إذ دخل عليه أُناس من المعتزلة ، فيهم عمرو بن عبيد ، وواصل بن عطاء ، وحفص بن سالم ، وأُناس من رؤسائهم ، وذلك حين قتل الوليد ، واختلف أهل الشام بينهم ، فتكلّموا فأكثروا وخطبوا فأطالوا .

فقال لهم أبو عبدالله جعفر بن محمّد عليه السلام : «إنّكم قد أكثرتم عَلَيّ فأطلتم ، فأسندوا أمركم إلى رجل منكم ، فليتكلّم بحجّتكم وليوجز» .

فأسندوا أمرهم إلى عمرو بن عبيد ، فأبلغ وأطال ، فكان فيما قال أن قال : قتل أهل الشام خليفتهم ، وضرب الله بعضهم ببعض ، وتشتّت أمرهم ، فنظرنا فوجدنا رجلاً له دين وعقل ومروّة ، ومعدن للخلافة وهو محمّد بن عبدالله بن الحسن ، فأردنا أن نجتمع معه فنبايعه ، ثمّ نظهر أمرنا معه ، وندعوا النّاس إليه ، فمن بايعه كنّا معه وكان منّا ، ومن اعتزلنا كففنا عنه ، ومن نصب لنا جاهدناه ونصبنا له على بغيه ونردّه إلى الحقّ وأهله ، وقد أحببنا أن نعرض ذلك عليك ، فإنّه لا غنىً بنا عن مثلك ، لفضلك ولكثرة شيعتك .

فلمّا فرغ قال أبو عبدالله عليه السلام : «أكُلّكم على مثل ما قال عمرو» ؟

قالوا : نعم .

فحمد الله وأثنى عليه ، وصلّى على النّبيّ ثمّ قال عليه السلام : «إنّما نسخط إذا عصي الله ، فإذا أُطيع الله رضينا ، أخبرني يا عمرو لو أنّ الأُمّة قلّدتك أمرها فملكته بغير قتال ولا مؤنة ، فقيل لك : «ولّها مَن شئت» ، مَن كنت تولّي» ؟

قال : كنت أجعلها شورى بين المسلمين .

قال عليه السلام : «بين كلّهم» ؟

قال : نعم .

فقال عليه السلام : «بين فقهائهم وخيارهم» ؟

قال : نعم .

قال عليه السلام : «قريش وغيرهم» ؟

---

(١) عبدالكريم بن عتبة : قال العلّامة في القسم الأوّل من الخلاصة : ـ بضمّ العين المهملة والتاء المنقّطة فوقها نقطتين ، والباء المنقّطة تحتها نقطة ـ الهاشمي من أصحاب أبي الحسن الكاظم عليه السلام ، ثقة .

قال : العرب والعجم .

قال : نعم .

قال ﷺ : «فأخبرنيى يا عمرو أتتولّى أبابكر وعمر أو تتبرّأ منهما» ؟

قال : أتولاّهما .

قال ﷺ : «يا عمرو إن كنت رجلاً تتبرّأ منهما فإنّه يجوز لك الخلاف عليهما ، وإن كنت تتولاّهما فقد خالفتهما ، قد عهد عمر إلى أبي بكر فبايعه ولم يشاور أحداً ، ثمّ ردّها أبوبكر عليه ولم يشاور أحداً ، ثمّ جعلها عمر شورى بين ستّة ، فأخرج منها الأنصار غير أولئك السّتّة من قريش ، ثمّ أوصى النّاس فيهم بشيء ما أراك ترضى أنت ولا أصحابك» .

قال : وما صنع ؟

قال ﷺ : «أمر صهيباً أن يصلّي بالنّاس ثلاثة أيّام ، وأن يتشاور أولئك السّتّة ليس فيهم أحد سواهم إلاّ ابن عمر ، ويشاورونه ، وليس له من الأمر شيء ، وأوصى من كان بحضرته من المهاجرين والأنصار إن مضت ثلاثة أيّام ولم يفرغوا ويبايعوه أن يضرب أعناق السّتّة جميعاً ، وإن اجتمع أربعة قبل أن يمضي ثلاثة أيّام وخالف اثنان أن يضرب أعناق الإثنين ، أفترضون بذا فيما تجعلون من الشورى في المسلمين» ؟

قالوا : لا .

قال ﷺ : «يا عمرو ودع ذا ، أرأيت لوبايعت صاحبك هذا الّذي تدعو إليه ، ثمّ اجتمعت لكم الاُمّة ولم يختلف عليكم منها رجلان ، فأفضيتم إلى المشركين الّذين لم يسلموا ولم يؤدّوا الجزية ، كان عندكم وعند صاحبكم من العلم ما تسيرون فيهم بسيرة رسول الله ﷺ في المشركين في الجزية»؟

قالوا : نعم .

قال ﷺ : «فتصنعون ماذا» ؟

قالوا : ندعوهم إلى الإسلام ، فإن أبوا دعوناهم إلى الجزية .

قال ﷺ : «فإن كانوا مجوساً ، وأهل كتاب ، وعبدة النيران والبهائم وليسوا بأهل كتاب» ؟

قالوا : سواء .

قال ﷺ : «فأخبرني عن «القرآن» أتقرئونه» ؟

قال : نعم .

قال عليه السلام : «إقرأ ﴿ قَاتِلُوا ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَلَا بِالْيَوْمِ ٱلآخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ ٱللهُ وَرَسُولُهُ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ ٱلْحَقِّ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا ٱلْكِتَابَ حَتَّىٰ يُعْطُوا ٱلْجِزْيَةَ عَن يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ ﴾[(١)]» قال : «فاستثنى الله عزّ وجلّ واشترط من الّذين أُوتوا الكتاب ، فهم والّذين لم يؤتوا الكتاب سواء» ؟

قال : نعم .

قال عليه السلام : «عمّن أخذت هذا» ؟

قال : سمعت النّاس يقولونه .

قال عليه السلام : «فدع ذا ، فإنّهم إن أبوا الجزية فقاتلتهم فظهرت عليهم كيف تصنع بالغنيمة» ؟

قال : أُخرج الخمس وأُقسّم أربعة أخماس بين من قاتل عليها .

قال عليه السلام : «تقسّمه بين جميع من قاتل عليها» ؟

قال : نعم .

قال عليه السلام : «فقد خالفت رسول الله في فعله وفي سيرته ، وبيني وبينك فقهاء أهل المدينة ومشيختهم ، فسلهم فإنّهم لا يختلفون ولا يتنازعون في أنّ رسول الله إنّما صالح الأعراب على أن يدعهم في ديارهم ، وأن لا يهاجروا ، على أنّه إن دهمه من عدوّه دهم فيستفزّهم فيقاتل بهم ، وليس لهم من الغنيمة نصيب ، وأنت تقول بين جميعهم ، فقد خالفت رسول الله صلّى الله عليه وآله في سيرته في المشركين ، دع ذا ، ما تقول في الصدقة» ؟

قال : فقرأ عليه هذه الآية : ﴿ إِنَّمَا ٱلصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَٱلْمَسَاكِينِ وَٱلْعَامِلِينَ عَلَيْهَا ﴾[(٢)] إلى آخرها .

قال عليه السلام : «نعم فكيف تقسّم بينهم» ؟

قال : أُقسّمها على ثمانية أجزاء ، فأُعطي كلّ جزء من الثمانية جزءاً .

فقال عليه السلام : «إن كان صنف منهم عشرة آلاف وصنف رجلاً واحداً أو رجلين أو ثلاثة ، جعلت لهذا الواحد مثل ما جعلت للعشرة آلاف» ؟

قال : نعم .

قال عليه السلام : «وما تصنع بين صدقات أهل الحضر وأهل البوادي فتجعلهم فيها سواء» ؟

قال : نعم .

---

(١) التوبة ٢٩.

(٢) التوبة ٦٠.

قال عليه‌السلام : «فخالفت رسول الله في كلّ ما أتى به ، كان رسول الله يقسّم صدقة البوادي في أهل البوادي ، وصدقة الحضر في أهل الحضر ، ولا يقسّم بينهم بالسويّة ، إنّما يقسّمه قدر ما يحضر منهم ، وعلى قدر ما يحضره ، فإن كان في نفسك شيء ممّا قلت لك فإنّ فقهاء أهل المدينة ومشيختهم كلّهم لا يختلفون في أنّ رسول الله كذا كان يصنع» .

ثمّ أقبل عليه‌السلام على عمرو وقال : «إتّق الله يا عمرو وأنتم يا أيّها الرّهط فاتّقوا الله ، فإنّ أبي حدّثني ، وكان خير أهل الأرض وأعلمهم بكتاب الله وسنّة رسوله ، أنّ رسول الله صلى‌الله‌عليه‌وآله قال : «من ضرب النّاس بسيفه ودعاهم إلى نفسه ، وفي المسلمين من هو أعلم منه ، فهو ضالٌّ متكلّف» .

وروي عن يونس بن يعقوب[1] قال : كنت عند أبي عبدالله عليه‌السلام فورد عليه رجل من أهل الشام فقال : إنّي رجل صاحب كلام وفقه وفرائض ، وقد جئت لمناظرة أصحابك .

فقال له أبوعبدالله عليه‌السلام : «كلامك هذا من كلام رسول الله صلى‌الله‌عليه‌وآله أو من عندك» ؟

فقال : من كلام رسول الله بعضه ، ومن عندي بعضه .

فقال أبو عبدالله عليه‌السلام : «فأنت إذاً شريك رسول الله صلى‌الله‌عليه‌وآله» !

قال : لا .

قال عليه‌السلام : «فسمعت الوحي من الله تعالى» ؟

قال : لا .

قال عليه‌السلام : «فتجب طاعتك كما تجب طاعة رسول الله» ؟

قال : لا .

قال : فالتفت إليّ أبو عبدالله عليه‌السلام فقال : «يا يونس هذا خصم نفسه قبل أن يتكلّم» . ثمّ قال : يا

---

(١) قال العلّامة في القسم الأوّل من خلاصته ص ١٨٥ : يونس بن يعقوب بن قيس ، أبو علي الجلاب البجلي الدهني ، اختلف علماءنا منه .

فقال الشيخ الطوسي رحمه‌الله : إنّه ثقة مولى شهد له وعدّ له في عدّة مواضع .

وقال النجاشي : إنّه اختصّ بأبي عبدالله عليه‌السلام وأبي الحسن عليه‌السلام ، وكان يتوكّل لأبي الحسن عليه‌السلام ، ومات في المدينة قريباً من الرّضا عليه‌السلام ، فتولّى أمره وكان حظيّاً عندهم موثّقاً ، وكان قد قال بعبدالله ثمّ رجع .

وقال أبو جعفر ابن بابويه : إنّه فطحي هو وأخوه يوسف .

قال الكشي : حدّثني حمدويه عن بعض أصحابنا أنّ يونس بن يعقوب فطحي كوفي مات بالمدينة وكفّنه الرّضا عليه‌السلام .

وروى الكشي أحاديث حسنة تدلّ على صحّة عقيدة هذا الرّجل والّذي اعتمد عليه قبول روايته .

يونس لو كنت تحسن الكلام كلّمته» .

قال يونس : فيالها من حسرة . فقلت : جعلت فداك سمعتك تنهى عن الكلام ، وتقول : «ويل لأصحاب الكلام ؛ يقولون : هذا ينقاد وهذا لا ينقاد ، وهذا ينساق ، وهذا لا ينساق ، وهذا نعقله ، وهذا لا نعقله» !

فقال أبو عبدالله عليه السلام : «إنّما قلت : ويل لقوم تركوا قولي بالكلام ، وذهبوا إلى ما يريدون» . ثمّ قال : «اُخرج إلى الباب فمن ترى من المتكلّمين فأدخله» .

قال : فخرجت فوجدت حمران بن أعين ؛ وكان يحسن الكلام ، ومحمّد بن نعمان الأحول ؛ وكان متكلّماً ، وهشام بن سالم ، وقيس الماصر ؛ وكانا متكلّمَين ، وكان قيس عندي أحسنهم كلاماً ، وكان قد تعلّم الكلام من عليّ بن الحسين عليهما السلام ، فأدخلتهم ، فلمّا استقرّ بنا المجلس وكنّا في خيمة لأبي عبدالله عليه السلام ، في طرف جبل في طريق الحرم ، وذلك قبل الحجّ بأيّام ، فأخرج أبو عبدالله رأسه من الخيمة فإذا هو ببعير يخب[1] ، قال عليه السلام : «هشام وربّ الكعبة» .

قال : وكنّا ظننّا أنّ هشاماً رجل من ولد عقيل ، وكان شديد المحبّة لأبي عبدالله عليه السلام ، فإذا هشام ابن الحكم ، وهو أوّل ما اختطّت لحيته ، وليس فينا إلّا من هو أكبر منه سنّاً ، فوسّع له أبو عبدالله عليه السلام وقال : «ناصرنا بقلبه ولسانه ويده» ، ثمّ قال لحمران : «كلّم الرّجل» يعني الشامي .

فكلّمه حمران وظهر عليه ثمّ قال عليه السلام : «يا طاقي كلّمه» ! فكلّمه فظهر عليه محمّد بن نعمان ، ثمّ قال لهشام بن سالم : «كلّمه» ! فتعارفا ، ثمّ قال لقيس بن الماصر : «كلّمه» ! وأقبل أبو عبدالله عليه السلام يتبسّم من كلامهما وقد استخذل الشامي في يده ، ثمّ قال للشامي : «كلّم هذا الغلام» ! يعني هشام بن الحكم .

فقال : نعم .

ثمّ قال الشامي لهشام : يا غلام سلني في إمامة هذا ؛ يعني أباعبدالله عليه السلام .

فغضب هشام حتّى ارتعد ، ثمّ قال له : أخبرني يا هذا أربّك أنظر لخلقه أم خلقه لأنفسهم ؟

فقال الشامي : بل ربّي أنظر لخلقه !

قال : ففعل بنظره لهم في دينهم ماذا ؟

---

(١) في يخبب . وقال الفيومي : خبَّ في الأمر خبباً ـ من باب طلب ـ : أسرع الأخذ فيه ومنه الخبب لضرب من العدو ، وهو خطو فسيح دون العنق.

قال : كلّفهم ، وأقام لهم حجّة ودليلاً على ماكلّفهم به ، وأزاح في ذلك عللهم .

فقال له هشام : فما هذا الدّليل الّذي نصبه لهم ؟

قال الشامي : هو رسول الله صلى الله عليه وآله .

قال هشام : فبعد رسول الله صلى الله عليه وآله مَن ؟

قال : الكتاب والسنّة .

فقال هشام : فهل نفعنا اليوم الكتاب والسنّة فيما اختلفنا فيه ، حتّى رفع عنّا الإختلاف ، ومكّننا من الإتّفاق ؟

فقال الشامي : نعم .

قال هشام : فلم اختلفنا نحن وأنت ؟ جئتنا من الشام تخالفنا ، وتزعم أنّ الرأي طريق الدين ، وأنت مقرّ بأنّ الرأي لا يجمع على القول الواحد المختلفين ؟

فسكت الشامي كالمفكّر .

فقال أبوعبدالله عليه السلام : «مالك لا تتكلّم» ؟

قال : إن قلت أنا : ما اختلفنا ؛ كابرت ، وإن قلت : إنّ الكتاب والسنّة يرفعان عنّا الإختلاف ، أبطلت ، لأنّهما يحتملان الوجوه ، ولكن لي عليه مثل ذلك .

فقال أبوعبدالله عليه السلام : «سله تجده مليّاً» !

فقال الشامي لهشام : من أنظر للخلق ؛ ربّهم أم أنفسهم ؟

فقال : بل ربّهم أنظر لهم .

فقال الشامي : فهل أقام لهم من يجمع كلمتهم ، ويرفع اختلافهم ، ويبيّن لهم حقّهم من باطلهم؟

فقال هشام : نعم .

قال الشامي : من هو ؟

قال هشام : أمّا في ابتداء الشريعة فرسول الله صلى الله عليه وآله ، وأمّا بعد النّبيّ فعترته .

قال الشامي : من هو عترة النّبيّ القائم مقامه في حجّته ؟

قال هشام : في وقتنا هذا أم قبله ؟

قال الشامي : بل في وقتنا هذا .

قال هشام : هذا الجالس ؛ يعني أباعبدالله عليه السلام ؛ الذي تشدّ إليه الرّحال ويخبرنا بأخبار السّماء وراثة أبيه عن جدّه .

قال الشامي : وكيف لي بعلم ذلك ؟

فقال هشام : سله عمّا بدا لك .

قال الشامي : قطعت عذري ، فعليّ السؤال .

فقال أبوعبدالله عليه السلام : «أنا أكفيك المسألة يا شامي ، أُخبرك عن مسيرك وسفرك ، خرجت يوم كذا ، وكان طريقك كذا ، ومررت على كذا ، ومرّ بك كذا» .

فأقبل الشامي كلّما وصف له شيئاً من أمره يقول : صدقت والله .

فقال الشامي : أسلمت لله الساعة !

فقال له أبوعبدالله عليه السلام : «بل آمنت بالله الساعة ، إنّ الإسلام قبل الإيمان وعليه يتوارثون ، ويتناكحون ، والإيمان عليه يثابون» .

قال : صدقت ، فأنا الساعة أشهد أن لا إله إلّا الله وأنّ محمّداً رسول الله وأنّك وصيّ الأنبياء .

قال : فأقبل أبوعبدالله عليه السلام على حمران فقال : «يا حمران تجري الكلام على الأثر فتصيب» .

فالتفت إلى هشام بن سالم فقال : «تريد الأثر ولا تعرف» !

ثمّ التفت إلى الأحول فقال : «قيّاس روّاغ[1] ، تكسر باطلاً بباطل ، إلّا أنّ باطلك أظهر» .

ثمّ التفت إلى قيس الماصر فقال : «تكلّم وأقرب ما يكون من الخبر عن الرّسول صلى الله عليه وآله أبعد ما تكون منه ، تمزج الحق بالباطل ، وقليل الحق يكفي من كثير الباطل ، أنت والأحول قفازان[2] حاذقان» .

وعن يونس بن يعقوب قال : كان عند أبي عبدالله عليه السلام جماعة من أصحابه فيه حمران بن أعين ، ومؤمن الطاق ، وهشام بن سالم ، والطيّار ، وجماعة من أصحابه ، فيهم هشام بن الحكم ـ وهو شاب ـ فقال أبو عبدالله عليه السلام : «يا هشام» !

قال : لبّيك يابن رسول الله !

قال عليه السلام : «ألا تخبرني كيف صنعت بعمرو بن عبيد وكيف سألته» ؟

قال هشام : جعلت فداك يابن رسول الله ، إنّي أجلّك وأستحييك ، ولا يعمل لساني بين يديك .

فقال أبو عبدالله عليه السلام : «إذا أمرتكم بشيء فافعلوه» !

قال هشام : بلغني ما كان فيه عمرو بن عبيد ، وجلوسه في مسجد البصرة ، وعظم ذلك عَلَيّ ،

---

(١) راغ الرّجل والثعلب روغاً وروغاناً : مال وحاد عن الشيء ، والمراوغة : المصارعة .

(٢) قَفَزَ قفزاً من باب ضَرَب ، وقفوزاً وقفزاناً وقفازاً ـ بالكسر ـ : وثب .

فخرجت إليه ، ودخلت البصرة يوم الجمعة ، وأتيت مسجد البصرة ، فإذا أنا بحلقة كبيرة ، وإذا بعمرو بن عبيد عليه شملة سوداء مؤتزر بها من صوف ، وشملة مرتدٍ بها ، والنّاس يسألونه ، فاستفرجت النّاس فأفرجوا لي ، ثمّ قعدت في آخر القوم على ركبتَي ، ثمّ قلت : أيّها العالم أنا رجل غريب ، أتأذن لي فأسألك عن مسألة ؟

قال : سل !

قلت له : ألك عين ؟

قال : يا بني أيّ شيء هذا من السؤال ، إذاً كيف تسأل عنه ؟

فقلت : هذا مسألتي .

فقال : يا بني ! سل وإن كانت مسألتك ، حمقاء .

قلت : أجبني فيها .

قال : فقال لي : سل !

فقلت : ألك عين ؟

قال : نعم .

قال : قلت : فما تصنع بها ؟

قال : أرى بها الألوان والأشخاص .

قال : قلت : ألك أنف ؟

قال : نعم .

قال قلت : فما تصنع به ؟

قال : أشمّ به الرائحة .

قال : قلت : ألك لسان ؟

قال : نعم .

قال : قلت : فما تصنع به ؟

قال : أتكلّم به .

قال : قلت : ألك أُذن ؟

قال : نعم .

قلت : فما تصنع بها ؟

قال : أسمع بها الأصوات .

قال : قلت : ألك يدان ؟

قال : نعم .

قلت : فما تصنع بهما ؟

قال : أبطش بهما ، وأعرف بهما اللين من الخشن .

قال : قلت : ألك رجلان ؟

قال : نعم .

قال : قلت : فما تصنع بهما ؟

قال : أنتقل بهما من مكان إلى مكان .

قال : قلت : ألك فم ؟

قال : نعم .

قال : قلت : فما تصنع به ؟

قال : أعرف به المطاعم والمشارب على اختلافها .

قال : قلت : ألك قلب ؟

قال : نعم .

قال : قلت : فما تصنع به ؟

قال : اُميّز به كلّما ورد على هذه الجوارح .

قال : قلت : أفليس في هذه الجوارح غنى عن القلب ؟

قال : لا .

قلت : وكيف ذاك وهي صحيحة سليمة ؟

قال : يا بني إنّ الجوارح إذا شكّت في شيء شمّته أو رأته أو ذاقته ، ردّته إلى القلب ؛ فتيقّن بها اليقين ، وأبطل الشك .

قال : فقلت : فإنّما أقام الله عزّ وجلّ القلب لشكّ الجوارح ؟

قال : نعم .

قلت : لابدّ من القلب وإلّا لم يستيقن الجوارح ؟

قال : نعم .

قلت : يا أبامروان ! إنّ الله تبارك وتعالى لم يترك جوارحكم حتّى جعل لها إماماً ، يصحّح لها الصحيح ، وينفي ما شكّت فيه ، ويترك هذا الخلق كلّه في حيرتهم ، وشكّهم ، واختلافهم ، لا يقيم لهم إماماً يردّون إليه شكّهم ، وحيرتهم ، ويقيم لك إماماً لجوارحك ، تردّ إليه حيرتك وشكّك ؟

قال : فسكت ولم يقل لي شيئاً .

قال : ثمّ التفت إليّ فقال لي : أنت هشام ؟

قال : قلت : لا .

فقال لي : أجالسته ؟

فقلت : لا .

قال : فمن أين أنت ؟

قلت : من أهل الكوفة .

قال : فأنت إذاً هو ، ثمّ ضمّني إليه ، وأقعدني في مجلسه ، وما نطق حتّى قمت .

فضحك أبو عبدالله عليه السلام ثمّ قال : «يا هشام من علّمك هذا» ؟

قلت : يابن رسول الله جرى على لساني .

قال عليه السلام : «يا هشام هذا والله مكتوب في صحف إبراهيم وموسى» .

وبالإسناد المقدّم ذكره عن الصّادق عليه السلام أنّه قال : ﴿ اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ﴾[1] يقول : أرشدنا للزوم الطريق المؤدّي إلى محبّتك والمبلّغ إلى جنّتك من أن نتّبع أهواءنا فنعطب ، ونأخذ بآرائنا فنهلك ، فإنّ من اتّبع هواه وأعجب برأيه كان كرجل سمعت غثاء النّاس تعظّمه وتصفه ، فأحببت لقاءه من حيث لا يعرفني لأنظر مقداره ومحلّه ، فرأيته في موضع قد أحدق به جماعة من غثاء العامّة فوقفت منتبذاً عنهم ، متغشّياً بلثام أنظر إليه وإليهم ، فما زال يراوغهم حتّى خالف طريقهم ، وفارقهم ، ولم يقرّ ، فتفرّقت جماعة العامّة عنه لحوائجهم ، وتبعته أقتفي أثره ، فلم يلبث أن مرّ بخبّاز فتغفّله فأخذ من دكّانه رغيفين مسارقة ، فتعجّبت منه ، ثمّ قلت في نفسي : لعلّه معامله ، ثمّ مرّ بعده بصاحب رمّان ، فما زال به حتّى تغفّله فأخذ من عنده رمّانتين مسارقة ، فتعجّبت منه ، ثمّ قلت

---

(١) الفاتحة ٦.

في نفسي : لعلّه معامله ، ثمّ أقول : وما حاجته إذاً إلى المسارقة ؟ ثمّ لم أزل أتبعه حتّى مرّ بمريض ، فوضع الرغيفين والرمّانتين بين يديه ، ومضى وتبعته ، حتّى استقرّ في بقعة من صحراء ، فقلت له : يا أباعبدالله لقد سمعت بك وأحببت لقاءك ، فلقيتك لكنّي رأيت منك ما شغل قلبي ، وإنّي سائلك عنه ليزول به شغل قلبي .

قال : ما هو ؟

قلت : رأيتك مررت بخبّاز وسرقت منه رغيفين ، ثمّ بصاحب الرمّان فسرقت منه رمّانتين .

فقال لي : قبل كلّ شيء حدّثني من أنت ؟

قلت : رجل من ولد آدم من أُمّة محمّد صلّى الله عليه وآله .

قال : حدّثني ممّن أنت ؟

قلت : رجل من أهل بيت رسول الله .

قال : أين بلدك ؟

قلت : المدينة .

قال : لعلّك جعفر بن محمّد بن عليّ بن الحسين بن عليّ بن أبي طالب عليهم السلام ؟

قلت : بلى .

قال لي : فما ينفعك شرف أصلك مع جهلك بما شرّفت به ، وتركك علم جدّك وأبيك ، لأنّه لا ينكر ما يجب أن يحمد ويمدح فاعله .

قلت : وما هو ؟

قال : «القرآن» كتاب الله .

قلت : وما الّذي جهلت ؟

قال : قول الله عزّ وجلّ : ﴿ مَن جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا وَمَن جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلاَ يُجْزَىٰ إِلَّا مِثْلَهَا ﴾[1] وإنّي لمّا سرقت الرغيفين ، كانت سيّئتين ، ولمّا سرقت الرمّانتين ، كانت سيّئتين ، فهذه أربع سيّئات ، فلمّا تصدّقت بكلّ واحد منها كانت أربعين حسنة ، أُنقص من أربعين حسنة أربع سيّئات ، بقي ست وثلاثون !!

قلت : «ثكلتك أُمّك ! أنت الجاهل بكتاب الله ! أما سمعت قول الله عزّ وجلّ : ﴿ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ ٱللَّهُ مِنَ

(١) الأنعام ١٦٠.

ٱلْمُتَّقِينَ ﴾[1] ؛ إنّك لمّا سرقت رغيفتين ،كانت سيّئتين ، ولمّا سرقت الرمّانتين كانت سيّئتين ، ولمّا دفعتها إلى غيرها من غير رضا صاحبها ،كنت إنّما أضفت أربع سيّئات إلى أربع سيّئات ، ولم تضف أربعين حسنة إلى أربع حسنة» .

فجعل يلاحيني فانصرفت وتركته» .

وبالإسناد الّذي تقدّم: عن أبي محمّد الحسن بن عليّ العسكري عليه السلام أنّه قال : «قال بعض المخالفين بحضرة الصّادق عليه السلام لرجل من الشيعة : ما تقول في العشرة من الصحابة ؟

قال : أقول فيهم القول الجميل الّذي يحطّ الله به سيّئاتي ، ويرفع به درجاتي .

قال السائل : الحمد لله على ما أنقذني من بغضك ،كنت أظنّك رافضيّاً تبغض الصحابة .

فقال الرّجل : ألا من أبغض واحداً من الصحابة فعليه لعنة الله .

قال : لعلّك تتأوّل ما تقول ، فمن أبغض العشرة من الصحابة ؟

فقال : من أبغض العشرة من الصحابة فعليه لعنة الله ، والملائكة ، والنّاس أجمعين .

فوثب فقبّل رأسه .

فقال : إجعلني في حلّ ممّا قذفتك به من الرفض قبل اليوم .

قال : أنت في حلّ وأنت أخي .

ثمّ نصرف السائل .

فقال له الصادق عليه السلام : جوّدت لله درّك ! لقد عجبت الملائكة من حسن توريتك ، وتلفّظك بما خلّصك ، ولم تثلم دينك ، زاد الله في قلوب مخالفينا غمّاً إلى غمّ ، وحجب عنهم مراد منتحلي مودّتنا في تقيّتهم .

فقال أصحاب الصادق عليه السلام : يابن رسول الله ما عقلنا من كلام هذا إلّا موافقته لهذا المتعنّت النّاصب .

فقال الصّادق عليه السلام : لئن كنتم لم تفهموا ما عنى ، فقد فهمناه نحن ، فقد شكّره الله له ، إنّ وليّنا الموالي لأوليائنا ، المعادي لأعدائنا ، إذا ابتلاه الله بمن يمتحنه من مخالفيه ، وفّقه لجواب يسلم معه دينه وعرضه ، ويعظم الله بالتقيّة ثوابه ، إنّ صاحبكم هذا قال : من عاب واحداً منهم فعليه لعنة الله أي : من عاب واحداً منهم هو : أميرالمؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام ، وقال في الثانية : من عابهم وشتمهم فعليه لعنة الله ، وقد صدق لأنّ من عابهم فقد عاب عليّاً عليه السلام لأنّه أحدهم ، فإذا لم يعب عليّاً

(١) المائدة ٢٧.

ولم يذمّه فلم يعبهم جميعاً ، وإنّما عاب بعضهم ، ولقد كان لحزقيل المؤمن مع قوم فرعون الّذين وشوا به إلى فرعون مثل هذه التورية ؛كان حزقيل يدعوهم إلى توحيد الله ، ونبوّة موسى ، وتفضيل محمّد رسول الله صلى الله عليه وآله على جميع رسل الله وخلقه ، وتفضيل عليّ بن أبي طالب عليه السلام والخيار من الأئمّة على سائر أوصياء النبيّين ، وإلى البراءة من فرعون ، فوشى به الواشون إلى فرعون ، وقالوا : إنّ حزقيل يدعو إلى مخالفتك ، ويعين أعداءك على مضادّتك .

فقال لهم فرعون : ابن عمّي ، وخليفتي في ملكي ، ووليّ عهدي ، إن كان قد فعل ما قلتم فقد استحقّ العذاب على كفره نعمتي ، وإن كنتم عليه كاذبين فقد استحققتم أشدّ العذاب لإيثاركم الدخول في مساءته ؛ فجاء بحزقيل وجاء بهم ، فكاشفوه وقالوا : أنت تجحد ربوبيّة فرعون الملك ، وتكفر نعماءه .

فقال حزقيل : أيّها الملك هل جرّبت عَلَيّ كذباً قط ؟

قال : لا .

قال : فسلهم مَن ربّهم ؟

قالوا : فرعون .

قال : ومن خلقكم ؟

قالوا : فرعون هذا .

قال : ومن رازقكم الكافل لمعايشكم ، والدافع عنكم مكارهكم ؟

قالوا : فرعون هذا .

قال حزقيل : أيّها الملك فأُشهدك وكلّ من حضرك أنّ ربّهم هو ربّي ، وخالقهم هو خالقي ، ورازقهم هو رازقي ، ومصلح معايشهم هومصلح معايشي ، لا ربّ ولا خالق ولا رازق غير ربّهم وخالقهم ورازقهم ، فأنا بريء منه ، ومن ربوبيّته ، وكافر بالهيّته .

يقول حزقيل هذا وهو يعني : أنّ ربّهم هو الله ربّي ، ولم يقل إنّ الّذي قالوا هم أنّه ربّهم هو ربّي ، وخفي هذا المعنى على فرعون ومن حضره ، وتوهّموا أنّه يقول : فرعون ربّي وخالقي ورازقي .

فقال لهم : يا رجال السوء ويا طلّاب الفساد في ملكي ، ومريدي الفتنة بيني وبين ابن عمّي ، وهو عضدي ، أنتم المستحقّون لعذابي ، لإرادتكم فساد أمري ، وهلاك ابن عمّي ، والفتّ في

عضدي ، ثمّ أمر بالأوتاد ، فجعل في ساق كلّ واحد منهم وتد ، وفي صدره وتد ، وأمر أصحاب أمشاط الحديد فشقّوا بها لحومهم من أبدانهم ، فذلك ما قال الله تعالى : ﴿ فَوَقَاهُ اللهُ سَيِّئَاتِ مَا مَكَرُوا ﴾[1] لمّا وشوا به إلى فرعون ليهلكوه ﴿ وَحَاقَ بِآلِ فِرْعَوْنَ سُوءُ الْعَذَابِ ﴾[2] ، وهم الّذين وشوا بحزقيل إليه لمّا أوتد فيهم الأوتاد ، ومشط عن أبدانهم لحومهم بالأمشاط» .

ومثل هذه التورية قدكانت لأبي عبدالله عليه السلام في مواضع كثيرة :

فمن ذلك ما رواه معاوية بن وهب[3] عن سعيد بن سمان[4] قال :كنت عند أبي عبدالله إذ دخل رجلان من الزيديّة[5] ، فقالا له : أفيكم إمام مفترض طاعته ؟

قال : فقال عليه السلام : «لا» .

فقالا له : قد أخبرنا عنك الثقاة أنّك تقول به ، وسمّوا أقواماً وقالوا : هم أصحاب ورع وتشمير ، وهم ممّن لا يكذب .

فغضب أبوعبدالله عليه السلام وقال : «ما أمرتهم بهذا» .

فلمّا رأيا الغضب في وجهه خرجا .

فقال عليه السلام لي : «أتعرف هذين» ؟

قلت : هما من أهل سوقنا ، وهما من الزيديّة ، وهما يزعمان أنّ سيف رسول الله صلى الله عليه وآله عند عبدالله بن الحسن .

فقال عليه السلام : «كذبا لعنهما الله ، وهو ما رآه عبدالله بن الحسن بعينيه ، ولا بواحدة من عينيه ، ولا

---

(١) غافر ٤٥.

(٢) غافر ٤٥.

(٣) عدّه الشيخ في أصحاب الصادق عليه السلام ص ٣٨٠ من رجاله ، وذكره العلّامة في القسم الأوّل من خلاصته فقال : «معاوية بن وهب البجلي ، أبوالحسن ، عربي ، صميم ، ثقة ، صحيح ، حسن الطريق ، روى عن أبي عبدالله وأبي الحسن عليهما السلام» .

(٤) سعيد بن عبدالرحمن وقيل : ابن عبدالله الأعرج السمان ، أبو عبدالله التمي مولاهم كوفي ، ثقة ، روى عن أبي عبدالله عليه السلام ، ذكره ابن عقدة وابن نوح ، له كتاب يرويه عن جماعة ... [رجال النجاشي ١٣٧]

(٥) الزَّيْدِيَّة : أتباع زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهم ، ساقوا الإمامة في أولاد فاطمة رضي الله عنها ، ولم يجوزوا ثبوت الإمامة في غيرهم ؛ إلّا أنّهم جوزوا أن يكون كل فاطمي : عالم ، زاهد ، شجاع ، سخي ، خرج بالإمامة أن يكون ـ إماماً واجب الطاعة ؛ سواء كان من أولاد الحسن ، أو من أولاد الحسين رضي الله عنهما . [الملل والنحل ١٣٨/١]

رآه أبوه ، اللّهمّ إلّا أن يكون رآه عند عليّ بن الحسين عليه السلام ، فإن كانا صادقَين فما علامة في مقبضه ؟ وما أثر في موضع مضربه ؟ وإنّ عندي لسيف رسول الله ، وإنّ عندي لراية رسول الله صلى الله عليه وآله ، ودرعه ، ولامته ، ومغفره ، فإن كانا صادقَين فما علامة في درع رسول الله صلى الله عليه وآله ؟ وإنّ عندي لراية رسول الله صلى الله عليه وآله المغلبة ، وإنّ عندي ألواح موسى وعصاه ، وإنّ عندي لخاتم سليمان ابن داود ، وإنّ عندي الطست الّذي كان موسى يقرّب بها القربان ، وإنّ عندي الإسم الّذي كان رسول الله إذا وضعه بين المسلمين والمشركين ، لم يصل من المشركين إلى المسلمين نشابة ، وإنّ عندي لمثل التابوت الّذي جاءت به الملائكة ، ومثل السلاح فينا كمثل التابوت في بني إسرائيل ، كانت بنو إسرائيل في أيّ أهل بيت وجد التابوت على أبوابهم أُوتوا النبوّة ، ومن صار إليه السلاح منّا أُوتي الإمامة ، ولقد لبس أبي درع رسول الله صلى الله عليه وآله فخطّت على الأرض خطّطاً ، ولبستها أنا وكانت تخطّ على الأرض - يعني : طويلة - مثل ما كانت على أبي ، وقائمنا من إذا لبسها ملأها إنشاء الله تعالى» .

وكان الصّادق عليه السلام يقول : «علمنا غابر ومزبور ، ونكت في القلوب ، ونقر في الأسماع ، وإنّ عندنا الجفر الأحمر ، والجفر الأبيض ، ومصحف فاطمة عليها السلام ، وعندنا الجامعة ؛ فيها جميع ما يحتاج إليه النّاس» .

فسُئِل عن تفسير هذا الكلام ؟

فقال عليه السلام : «أمّا الغابر ؛ فالعلم بما يكون ،

وأمّا المزبور ؛ فالعلم بما كان ،

وأمّا النكت في القلوب ؛ فهو الإلهام ،

والنقر في الإسماع ؛ فحديث الملائكة ، نسمع كلامهم ولا نرى أشخاصهم ،

وأمّا الجفر الأحمر ؛ فوعاء فيه سلاح رسول الله صلى الله عليه وآله ، ولن يخرج حتّى يقوم قائمنا أهل البيت ،

وأمّا الجفر الأبيض ؛ فوعاء فيه «توراة» موسى ، و«إنجيل» عيسى ، و«زبور» داود ، وكتب الله ،

وأمّا مصحف فاطمة ؛ ففيه ما يكون من حادث ، وأسماء من يملك إلى أن تقوم السّاعة ،

وأمّا الجامعة ؛ فهو كتاب طوله سبعون ذراعاً ؛ إملاء رسول الله من فلق فيه وخطّ عليّ بن أبي طالب عليه السلام بيده ، فيه والله جميع ما يحتاج النّاس إليه إلى يوم القيامة ، حتّى أنّ فيه أرش الخدش ، والجلدة ، ونصف الجلدة» .

ولقد كان زيد بن عليّ بن الحسين[(١)] يطمع أن يوصي إليه أخوه الباقر عليه السلام ، ويقيمه مقامه في الخلافة بعده ، مثل ما كان يطمع في ذلك محمّد بن الحنفيّة بعد وفاة أخيه الحسين صلوات الله عليه ، حتّى رأى من ابن أخيه زين العابدين عليه السلام من المعجزة الدالّة على إمامته ما رأى ـ وقد تقدّم ذكره في هذا الكتاب ـ فكذلك زيد رجا أن يكون القائم مقام أخيه الباقر صلوات الله عليه ، حتّى سمع ما

(١) قال السيّد عبدالرزّاق المقرّم في كتابه «زيد الشهيد» ص٤٣ : قال المحدّث النوري في رجال مستدرك الوسائل : «إنّ زيد بن علي جليل القدر ، عظيم الشأن ، كبير المنزلة ، وأمّا ما ورد ممّا يوهم خلاف ذلك مطروح أو محمول على التقيّة».

وقال الشيخ المفيد في الإرشاد ص٥١ : كان زيد بن عليّ بن الحسين عليهما السلام عين إخوته بعد أبي جعفر عليه السلام وأفضلهم ، وكان عابداً ورعاً فقيهاً ، سخيّاً ، شجاعاً ، وظهر بالسيف يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر ، ويأخذ بثأر الحسين عليه السلام .

وفي عيون أخبار الرّضا عليه السلام ج١ ص٢٤٨ : بسنده عن محمّد بن يزيد النحوي عن ابن أبي عبدون عن أبيه قال : لمّا حمل زيد بن موسى بن جعفر إلى المأمون ـ وكان قد خرج بالبصرة وأحرق دور بني العبّاس ـ وهب المأمون جرمه لأخيه عليّ بن موسى الرّضا عليه السلام وقال : يا أباالحسن لئن خرج أخوك وفعل ما فعل ، لقد خرج من قبله زيد ابن عليّ فقتل ، ولولا مكانك لقتلته ، فليس ما أتاه بصغير .

فقال الرّضا عليه السلام : «لا تقس أخي زيداً إلى زيد بن علي فإنّه كان من علماء آل محمّد صلّى الله عليه وآله ، غضب لله عزّ وجلّ فجاهد أعداءه حتّى قتل في سبيله ، ولقد حدّثني أبي موسى بن جعفر أنّه سمع أباه جعفر بن محمّد يقول : رحم الله عمّي زيداً ؛ إنّه دعا إلى الرضا من آل محمّد ، ولو ظفر لوفى بما دعا إليه ، ولقد استشارني في خروجه فقلت له : يا عمّي رضيت أن تكون المقتول المصلوب بالكناسة ، فشأنك ، فلمّا ولّى ، قال جعفر بن محمّد : ويل لمن سمع داعيته فلم يجبه».

فقال المأمون : يا أباالحسن أليس قد جاء فيمن ادّعى الإمامة بغير حقّها ما جاء ؟

فقال الرّضا عليه السلام : «إنّ زيد بن علي لم يدّع ما ليس له بحقّ ، وإنّه كان أتقى لله من ذاك ، إنّه قال : أدعوكم إلى الرّضا من آل محمّد ، وإنّما جاء فيمن يدّعي أنّ الله نصّ عليه ثمّ يدعو إلى غير دين الله ويضلّ عن سبيله بغير علم ، وكان زيد ابن علي والله ممّن خوطب بهذه الآية : ﴿ وَجَاهِدُوا فِي اللهِ حَقَّ جِهَادِهِ هُوَ اجْتَبَاكُمْ ﴾».

وروى الكليني في روضة الكافي ص٢٦٤ مسنداً عن الصادق عليه السلام أن قال : «لا تقولوا : خرج زيد ، فإنّ زيداً كان عالماً ، وكان صدوقاً ، ولم يدعكم إلى نفسه ، إنّما دعا إلى الرضا من آل محمّد صلّى الله عليه وآله ولو ظفر لوفى بما دعاكم إليه ، إنّما خرج إلى سلطان مجتمع لينقضه».

وفي إرشاد المفيد رحمه الله ص٢٥٢ قال : ولمّا قتل بلغ ذلك من أبي عبدالله الصّادق عليه السلام كلّ مبلغ ، وحزن له حزناً عظيماً حتّى بان عليه وفرّق من ماله في عيال من أُصيب معه من أصحابه ألف دينار . وروى ذلك أبو خالد الواسطي قال : سلّم إليّ أبوعبدالله عليه السلام ألف دينار وأمرني أن أقسّمها في عيال من أُصيب مع زيد ، فأصاب عيال عبدالله بن الزبير أخي فضيل الرسان منها أربعة دنانير .

وكان مقتله يوم الإثنين لليلتين خلتا من صفر سنة عشرين ومائة ، وكانت سنّه يومئذ اثنين وأربعين سنة .

سمع من أخيه ، ورأى ما رأى من ابن أخيه ؛ أبي عبدالله الصّادق .

فمن ذلك ما رواه صدقة بن أبي موسى عن أبي بصير قال : لمّا حضر أباجعفر محمّد بن عليّ الباقر عليه السلام الوفاة ، دعا بابنه الصّادق عليه السلام ليعهد إليه عهداً ، فقال له أخوه زيد بن علي : لمّا امتثلت في مثال الحسن والحسين عليهما السلام رجوت أن لا تكون أتيت منكراً .

فقال له الباقر عليه السلام : «يا أباالحسن إنّ الأمانات ليست بالمثال ، ولا العهود بالرسوم ، إنّما هي أُمور سابقة عن حجج الله تبارك وتعالى» .

ثمّ دعا بجابر بن عبدالله الأنصاري فقال : «يا جابر حدّثنا بما عاينت من الصحيفة» .

فقال له : نعم يا أباجعفر ، دخلت على مولاتي فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وآله لأُهنّيها بولادة الحسن عليه السلام ، فإذا بيدها صحيفة بيضاء من درّة ، فقلت : يا سيّدة النّسوان ما هذه الصحيفة الّتي أراها معك ؟

قالت عليها السلام : «فيها أسماء الأئمّة من ولدي» .

قلت لها : ناوليني لأنظر فيها !

قالت عليها السلام : «يا جابر لولا النهي لكنت أفعل ، ولكنّه قد نهي أن يمسّها إلّا نبيّ أو وصيّ نبيّ ، أو أهل بيت نبيّ ، ولكنّه مأذون لك أن تنظر إلى باطنها من ظاهرها» .

قال جابر : فقرأت فإذا فيها :

أبوالقاسم محمّد بن عبدالله المصطفى بن عبدالمطّلب بن هاشم بن عبد مناف ، أُمّه آمنة .

أبوالحسن عليّ بن أبي طالب عليه السلام المرتضى ، أُمّه فاطمة بنت أسد بن هاشم بن عبد مناف .

أبو محمّد الحسن بن علي البرّ التقي ، أبو عبدالله الحسين بن علي أُمّهما فاطمة بنت محمّد .

أبو محمّد عليّ بن الحسين العدل ، أُمّه شهربانويه بنت يزدجرد بن شهريار .

أبو جعفر محمّد بن علي الباقر ، أُمّه أُم عبدالله بنت الحسن بن عليّ بن أبي طالب .

أبو عبدالله جعفر بن محمّد الصّادق ، أُمّه أُم فروة بنت القاسم بن محمّد بن أبي بكر .

أبو إبراهيم موسى بن جعفر الثقة ، أُمّه جارية اسمها حميدة المصفّاة .

أبوالحسن عليّ بن موسى الرّضا ، أُمّه جارية اسمها نجمة .

أبو جعفر محمّد بن عليّ الزكي ، أُمّه جارية اسمها خيزران .

أبوالحسن عليّ بن محمّد الأمين ، أُمّه جارية اسمها سوسن .

أبو محمّد الحسن بن عليّ الرّضي ، اُمّه جارية اسمها سمانة ، تُكنّى اُم الحسن .

أبوالقاسم محمّد بن الحسن ، وهو حجّة القائم ، اُمّه جارية اسمها نرجس ، صلوات الله عليهم أجمعين .

وعن زرارة بن أعين قال : قال لي زيد بن عليّ وأنا عند أبي عبدالله عليه السلام : يا فتى ما تقول في رجل من آل محمّد استنصرك .

قال : قلت : إن كان مفروض الطاعة نصرته ، وإن كان غير مفروض الطاعة ، فلي أن أفعل ولي أن لا أفعل .

فلمّا خرج ، قال أبو عبدالله عليه السلام : «أخذته والله من بين يديه ومن خلفه ، وما تركت له مخرجاً» .

وقيل للصّادق عليه السلام **:** ما يزال يخرج رجل منكم أهل البيت فيقتل ويقتل معه بشر كثير .

فأطرق طويلاً ثمّ قال عليه السلام : «إنّ فيهم الكذّابين وفي غيرهم المكذّبين» .

وروي عنه صلوات الله عليه أنّه قال : «ليس منّا أحد إلّا وله عدوّ من أهل بيته» .

فقيل له : بنوالحسن لا يعرفون لمن الحق ؟

قال عليه السلام : «بلى ولكن يحملهم الحسد» .

عن أبي يعقوب[1] قال : لقيت أنا ومعلّى بن خنيس[2] الحسن بن الحسن بن عليّ بن أبي طالب عليه السلام فقال : يا يهودي فأخبرنا بما قال فينا جعفر بن محمّد .

فقال : «هو والله أولى باليهودية منكما ، إنّ اليهودي من شرب الخمر» .

---

(١) عدّه الشيخ الطوسي رحمه الله في رجاله ص٣٣٩ من أصحاب الإمام جعفر بن محمّد الصّادق عليه السلام فقال : «أبو يعقوب الأسدي إمام بني الصيد ، كوفي» .

(٢) المعلّى بن خنيس ذكره الشيخ الطوسي رحمه الله في عداد أصحاب الصادق عليه السلام ص ٣٢٠ من رجاله ، وذكره العلّامة في القسم الثاني من خلاصته ص٢٥٩ فقال : معلّى بن خنيس ـ بضمّ الخاء المعجمة وفتح النون والسين المهملة بعد الياء المنقّطة تحتها نقطتين ـ أبو عبدالله مولى الصّادق جعفر بن محمّد عليهما السلام ، ومن قبله كان مولى بني أسد ، كوفي .

قال النجاشي : إنّه بزّاز ـ بالزاي قبل الألف وبعدها ـ وهو ضعيف جدّاً .

وقال الغضايري : إنّه كان أوّل أمره مغيرياً ، ثمّ دعى إلى محمّد بن عبدالله المعروف بالنفس الزكيّة ، وفي هذه الظنّة أخذه داود بن علي فقتله ، والغلاة يضيفون إليه كثيراً . قال : ولا أرى الإعتماد على شيء من حديثه . وروى فيه أحاديث تقتضي الذم وأُخرى تقتضي المدح ، وقد ذكرناها في الكتاب الكبير .

وقال الشيخ أبو جعفر الطوسي ـ في الغيبة بغير إسناد ـ إنّه كان من قوام أبي عبدالله عليه السلام ، وكان محموداً عنده ، ومضى على منهاجه ، وهذا يقتضي وصفه بالعدالة .

أقول : يريد بقوله كان مغيرياً أي من أصحاب المغيرة بن سعيد مولى بجيلة الّذي لعنه الإمام الصّادق عليه السلام مراراً .

وبهذا الإسناد قال: سمعت أباعبدالله يقول: «لو توفّي الحسن بن الحسن على الزنا والربا وشرب الخمر، كان خيراً له ممّا توفّي عليه».

وعن أبي بصير قال: سألت أباعبدالله عليه السلام عن هذه الآية: ﴿ ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا ﴾[1] ؟

قال عليه السلام: «أيّ شيء تقول» ؟

قلت: إنّي أقول أنّها خاصّة لولد فاطمة.

فقال عليه السلام: «أمّا من سلّ سيفه ودعا النّاس إلى نفسه إلى الضلال من ولد فاطمة وغيرهم، فليس بداخل في الآية».

قلت: من يدخل فيها ؟

قال عليه السلام: «الظالم لنفسه؛ الّذي لا يدعو النّاس إلى ضلال ولا هدي، والمقتصد منّا أهل البيت؛ هو العارف حق الإمام، والسابق بالخيرات؛ هو الإمام».

عن محمّد بن أبي عمير الكوفي[2] عن عبدالله بن الوليد السمان[3] قال: قال أبو عبدالله عليه السلام: «ما يقول النّاس في أُولي العزم وصاحبكم أميرالمؤمنين عليه السلام» ؟

قال: قلت: ما يقدّمون على أُولي العزم أحداً.

قال: فقال أبوعبدالله عليه السلام: «إنّ الله تبارك وتعالى قال لموسى: ﴿ وَكَتَبْنَا لَهُ فِي الْأَلْوَاحِ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ

---

(١) فاطر ٣٢.

(٢) محمّد بن أبي عمير، واسم أبي عمير: زياد بن عيسى، ويكنّى: أبا محمّد، مولى الأزد، من موالي المهلّب بن أبي صفرة، وقيل: موالي بني أُميّة، والأوّل أصح، بغدادي الأصل والمقام، لقى أباالحسن موسى عليه السلام وسمع منه أحاديث كنّاه في بعضها فقال: يا أباأحمد. وروى عن الرّضا عليه السلام، كان جليل القدر، عظيم المنزلة عندنا وعند المخالفين.

قال الكشي: إنّه ممّن جمع أصحابنا على تصحيح ما يصحّ عنه، وأقرّوا له بالفقه والعلم.

وقال الشيخ الطوسي رحمه الله: إنّه كان أوثق النّاس عند الخاصّة والعامّة، وأنسكهم نسكاً، وأزهدهم وأعبدهم، أدرك من الأئمّة ثلاثة: أبا إبراهيم موسى بن جعفر عليه السلام، ولم يرو عنه، وروى عن أبي الحسن الرضا عليه السلام.

قال أبو عمرو الكشي: قال محمّد بن مسعود: حدّثني علي بن الحسين قال: ابن أبي عمير أفقه من يونس بن عبدالرّحمن وأصلح وأفضل، وله حكاية ذكرناها في كتابنا الكبير، مات رحمه الله سنة سبع عشر ومائتين. [القسم الأوّل من خلاصة العلّامة ١٤١]

(٣) خلاصة العلّامة ص ١١١: عبدالله بن الوليد السمّان ـ بالسين المهملة والنون أخيراً ـ النخعي، مولى كوفي، روى عن أبي عبدالله عليه السلام، ثقة.

مَوْعِظَةً ﴾(١) ولم يقل كلّ شيء موعظة ، وقال لعيسى : ﴿ وَلِيُبَيِّنَ بَعْضَ الَّذِي تَخْتَلِفُونَ فِيهِ ﴾(٢) ولم يقل كلّ شيء ، وقال لصاحبكم أميرالمؤمنين ﷺ : ﴿ قُلْ كَفَى بِاللهِ شَهِيداً بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَمَنْ عِنْدَهُ عِلْمُ الْكِتَابِ ﴾(٣) وقال الله ﷻ : ﴿ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ ﴾(٤) وعلم هذا الكتاب عنده» .

وعن عبدالله بن الفضل الهاشمي(٥) **قال** : سمعت الصّادق ﷺ يقول : «إنّ لصاحب هذا الأمر غيبة لابدّ منها ، يرتاب فيها كلّ مبطل» .

قلت له : ولم جعلت فداك ؟

قال ﷺ : «الأمر لا يؤذن لي في كشفه لكم» .

قلت : فما وجه الحكمة في غيبته ؟

قال ﷺ : «وجه الحكمة في غيبته ، وجه الحكمة في غيبات من تقدّمه من حجج الله تعالى ذكره ، إنّ وجه الحكمة في ذلك لا ينكشف إلّا بعد ظهوره ، كما لم ينكشف وجه الحكمة لمّا أتاه الخضر من خرق السفينة ، وقتل الغلام ، وإقامة الجدار لموسى ﷺ ، إلى وقت افتراقهما . يابن الفضل إنّ هذا الأمر أمر من الله ، وسرّ من سرّ الله ، وغيب من غيب الله ، ومتى علمنا أنّه ﷻ حكيم صدّقنا بأنّ أفعاله كلّها حكمة ، وإن كان وجهها غير منكشف» .

وعن عليّ بن الحكم(٦) **عن أبان قال** : أخبرني الأحول أبو جعفر محمّد بن النعمان الملقّب بمؤمن الطاق أنّ زيد بن عليّ بن الحسين بعث إليه وهو مختف ، قال : فأتيته ، فقال لي : يا أباجعفر ما تقول إن طرقك طارق منّا ، أتخرج معه ؟

قال : قلت له : إن كان أبوك وأخوك خرجت معه .

قال : فقال لي : فأنا أُريد أن أخرج وأُجاهد هؤلاء القوم فاخرج معي !

قال : قلت : لا أفعل جعلت فداك !

---

(١) الأعراف ١٤٥.

(٢) الزخرف ٦٣.

(٣) الرعد ٤٣.

(٤) الأنعام ٥٩.

(٥) عدّه الشيخ الطوسي في أصحاب الصادق ﷺ ص ٢٢٢ من رجاله.

(٦) عليّ بن الحكم من أهل الأنبار . قال الكشي : عن حمودیه عن محمّد بن عيسى أنّ عليّ بن الحكم هو ابن أُخت داود بن النعمان بيّاع الأنماط ، وهو نسيب بني الزبير الصيارفة . وعلي بن الحكم تلميذ ابن أبي عمير ، ولقى من أصحاب أبي عبدالله الكبير وهو مثل ابن فضّال وابن بكير .

قال : فقال لي : أترغب بنفسك عنّي ؟

قال : فقلت له : إنّما هي نفس واحدة ، فإن كان لله تعالى في الأرض حجّة فالمتخلّف عنك ناج ، والخارج معك هالك ، وإن لم يكن لله في الأرض حجّة ، فالمتخلّف عنك والخارج معك سواء .

قال : فقال لي : يا أباجعفر كنت أجلس مع أبي على الخوان ، فيلقمني اللقمة السمينة ، ويبرّد لي اللقمة الحارّة حتّى تبرد شفقة عَلَيّ ، ولم يشفق عَلَيّ من حرّ النّار إذ أخبرك بالدّين ولم يخبرني به ؟

قال : قلت له : من شفقته عليك من حرّ النّار لم يخبرك ، خاف عليك أن لا تقبله فتدخل النّار ، وأخبرني فإن قبلته نجوت ، وإن لم أقبل لم يبال أن أدخل النّار . ثمّ قلت له : جعلت فداك ، أنتم أم الأنبياء ؟

قال : بل الأنبياء .

قلت : يقول يعقوب ليوسف : ﴿ يَابُنَيَّ لاَ تَقْصُصْ رُؤْيَاكَ عَلَىٰ إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُوا لَكَ كَيْداً ﴾[1] لم لم يخبرهم حتّى كانوا لا يكيدونه ولكن كتمه ، وكذا أبوك كتمك لأنّه خاف عليك .

قال : فقال : أما والله لئن قلت ذلك فقد حدّثني صاحبك بالمدينة أنّي أُقتل وأُصلب بالكناسة ، وإنّ عنده لصحيفة فيها قتلي وصلبي .

قال : فحججت وحدّثت أباعبدالله عليه السلام بمقالة زيد وما قلت له ، فقال عليه السلام لي : «أخذته من بين يديه ومن خلفه ، وعن يمينه وعن يساره ، ومن فوق رأسه ومن تحت قدميه ، ولم تترك له مسلكاً يسلكه» .

وعن هشام بن الحكم قال : اجتمع ابن أبي العوجاء ، وأبو شاكر الديصاني الزنديق ، وعبدالملك البصري ، وابن المقفّع ، عند بيت الله الحرام ، يستهزؤون بالحاج ويطعنون بالقرآن .

فقال ابن أبي العوجاء : تعالوا ننقض كلّ واحد منّا ربع «القرآن» ، وميعادنا من قابل في هذا الموضع ، نجتمع فيه وقد نقضنا «القرآن» كلّه ، فإنّ في نقض «القرآن» إبطال نبوّة محمّد ، وفي إبطال نبوّته إبطال الإسلام ، وإثبات ما نحن فيه .

فاتّفقوا على ذلك ، وافترقوا ، فلمّا كان من قابل اجتمعوا عند بيت الله الحرام ، فقال ابن أبي العوجاء : أمّا أنا فمفكّر منذ افترقنا في هذه الآية : ﴿ فَلَمَّا اسْتَيْأَسُوا مِنْهُ خَلَصُوا نَجِيًّا ﴾[2] فما أقدر أن

---

(١) يوسف ٥.

(٢) يوسف ٨٠.

أضمّ إليها في فصاحتها وجميع معانيها شيئاً ، فشغلتني هذه الآية عن التفكّر في ما سواها .

فقال عبدالملك : وأنا منذ فارقتكم مفكّر في هذه الآية : ﴿ يَا أَيُّهَا ٱلنَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَاسْتَمِعُوا لَهُ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللهِ لَن يَخْلُقُوا ذُبَاباً وَلَوِ ٱجْتَمَعُوا لَهُ وَإِن يَسْلُبْهُمُ ٱلذُّبَابُ شَيْئاً لاَّ يَسْتَنقِذُوهُ مِنْهُ ضَعُفَ ٱلطَّالِبُ وَٱلْمَطْلُوبُ ﴾[١] ولم أقدر على الإتيان بمثلها .

فقال أبو شاكر : وأنا منذ فارقتكم مفكّر في هذه الآية : ﴿ لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللهُ لَفَسَدَتَا ﴾[٢] لم أقدر على الإتيان بمثلها .

فقال ابن المقفّع : يا قوم إنّ هذا «القرآن» ليس من جنس كلام البشر ، وأنا منذ فارقتكم مفكّر في هذه الآية : ﴿ وَقِيلَ يَا أَرْضُ ٱبْلَعِي مَاءَكِ وَيَا سَمَاءُ أَقْلِعِي وَغِيضَ ٱلْمَاءُ وَقُضِيَ ٱلْأَمْرُ وَٱسْتَوَتْ عَلَى ٱلْجُودِيِّ وَقِيلَ بُعْداً لِلْقَوْمِ ٱلظَّالِمِينَ ﴾[٣] لم أبلغ غاية المعرفة بها ، ولم أقدر على الإتيان بمثلها .

قال هشام بن الحكم : فبينما هم في ذلك ، إذ مرّ بهم جعفر بن محمّد الصادق عليه السلام فقال : «﴿ قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰ أَن يَأْتُوا بِمِثْلِ هٰذَا ٱلْقُرْآنِ لاَ يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيراً ﴾[٤]» .

فنظر القوم بعضهم إلى بعض وقالوا : لئن كان للإسلام حقيقة لما انتهت أمر وصيّة محمّد إلّا إلى جعفر بن محمّد ، والله ما رأيناه قط إلّا هبناه ، واقشعرّت جلودنا لهيبته ، ثمّ تفرّقوا مقرّين بالعجز .

وعن أحمد بن عبدالله البرقي[٥] ، عن أبيه ، عن شريك بن عبدالله[٦] ، عن الأعمش قال :

---

(١) الحج ٧٣.

(٢) الأنبياء ٢٤.

(٣) هود ٤٤.

(٤) الإسراء ٨٨.

(٥) قال السيّد الأمين العاملي رحمه الله في أعيان الشيعة ج٩ ص٤: «أحمد بن عبدالله بن أحمد بن أبي عبدالله البرقي ، في طريق الصدوق إلى محمّد بن مسلم ، والظاهر أنّه من مشايخ الإجازة ، وربّما احتمل أن يكون ابن بنت البرقي ، ونسب إلى جدّه ، والله أعلم» .

(٦) شريك بن عبدالله بن سنان بن أنس النخعي الكوفي ، ذكره ابن قتيبة والذهبي في رجال الشيعة ، وكان ممّن روى النصّ على أميرالمؤمنين علي عليه السلام كما في الميزان للذهبي ، ومن تتبّع سيرته علم أنّه كان يوالي أهل البيت عليهم السلام ، وقد روى عن أوليائهم علماً جمّاً . قال ابنه عبدالرحمن : كان عند أبي عشرة آلاف مسألة عن جابر الجعفي ، وعشرة آلاف غرائب . وقال عبدالله بن المبارك : شريك أعلم بحديث الكوفيين من سفيان ، وكان عدوّاً لأعداء عليّ عليه السلام ، سيّئ القول فيهم ، ومع ذلك وصفه الذهبي بالحافظ الصادق أحد الأئمّة ، ونقل عن ابن معين القول بأنّه صدوق ثقة ، احتجّ به مسلم وأرباب السنن الأربعة . قال الذهبي : قد كان شريك من أوعية العلم حمل عنه اسحاق

اجتمعت الشيعة والمحكمة عند أبي نعيم النخعي[1] بالكوفة ، وأبو جعفر محمّد بن النّعمان مؤمن الطّاق حاضر ، فقال ابن أبي حذرة : أنا أُقرّر معكم أيّتها الشيعة أنّ أبابكر أفضل من عليّ ومن جميع أصحاب النّبيّ صلى الله عليه وآله بأربع خصال لا يقدر على دفعها أحد من النّاس : هو ثان مع رسول الله في بيته مدفون ، وهو ثاني اثنين معه في الغار ، وهو ثاني اثنين صلّى بالنّاس آخر صلاة قبض بعدها رسول الله صلى الله عليه وآله ، وهو ثاني اثنين الصدّيق من هذه الأُمّة .

قال أبو جعفر مؤمن الطّاق رحمة الله عليه : يابن أبي حذرة ! وأنا أُقرّر معك أنّ عليّاً عليه السلام أفضل من أبي بكر وجميع أصحاب النّبيّ صلى الله عليه وآله بهذه الخصال الّتي وصفتها ، وأنّها مثلبة لصاحبك ، وأُلزمك طاعة عليّ عليه السلام من ثلاث جهات : من «القرآن» وصفاً ، ومن خبر رسول الله صلى الله عليه وآله نصّاً ، ومن حجّة العقل اعتباراً .

ووقع الإتّفاق على إبراهيم النخعي وعلى أبي إسحاق السبيعي ، وعلى سليمان بن مهران الأعمش .

فقال أبو جعفر مؤمن الطّاق : أخبرني يابن أبي حذرة عن النّبيّ صلى الله عليه وآله كيف ترك بيوته ـ الّتي أضافها الله تعالى إليه ، ونهى النّاس عن دخولها إلّا بإذنه ـ ميراثاً لأهله وولده ، أو تركها صدقة على جميع المسلمين ؟ قل ما شئت .

فانقطع ابن أبي حذرة لما أورد عليه ذلك وعرف خطأ ما فيه .

فقال أبو جعفر مؤمن الطّاق : إن تركها ميراثاً لولده وأزواجه فإنّه صلى الله عليه وآله قبض عن تسع نسوة ، وإنّما لعائشة بنت أبي بكر تُسع ثمن هذا البيت الّذي دفن فيه صاحبك ، ولا يصيبها من البيت ذراع في ذراع .

ولهذا الأمر قال محمّد بن أبي بكر لعائشة في خبر عجيب شعراً :

⮌ الأزرق تسعة آلاف حديث . ولد بخراسان أو ببخارى سنة ٩٥، ومات بالكوفة مستهل (قع) سنة ١٧٧ أو ١٧٨ . [عن الكنى والألقاب للقمّي ٢٠٥/٣]

(١) قال في تهذيب التهذيب ج١٢ ص٢٥٨ : أبو نعيم النخعي الصغير ، اسمه عبدالرحمن بن هاني الكوفي ، سبط إبراهيم النخعي تقدم .

وقال في ج٦ : عبدالرحمن بن هاني بن سعيد الكوفي أبو نعيم النخعي الصغير ابن بنت إبراهيم النخعي ، روى عن مسعر والثوري وشريك وابن جريح وعمر بن ذرّه ... الخ .

تـجمّلت تـبغّلتِ وإن عشتِ تـفيّلتِ   لكِ التُسع من الثمن وبالكلّ تملّكتِ[1]

وإن كان صدقة فالبليّة أطمّ وأعظم ، فإنّه لم يصب من البيت إلّا ما لأدى رجل من المسلمين ، فدخول بيت النّبيّ ﷺ بغير إذنه في حياته وبعد وفاته معصية إلّا لعليّ بن أبي طالب عليه السلام وولده ، فإنّ الله أحلّ لهم ما أحلّ للنّبيّ ﷺ .

ثمّ قال لهم : إنّكم تعلمون أنّ النّبيّ أمر بسدّ أبواب جميع النّاس الّتي كانت مشرعة إلى المسجد ما خلا باب عليّ عليه السلام ، فسأله أبوبكر أن يترك له كوة لينظر منها إلى رسول الله فأبى عليه ، وغضب عمّه العبّاس من ذلك فخطب النّبيّ ﷺ خطبة وقال : «إنّ الله تبارك وتعالى أمر لموسى وهارون أن تبوّءا لقومكما بمصر بيوتاً ، وأمرهما أن لا يبيت في مسجدهما جنب ، ولا يقرب فيه النساء إلّا موسى وهارون وذرّيّتهما ، وإنّ عليّاً منّي هو بمنزلة هارون من موسى ، وذرّيّته كذرّيّة هارون ، ولا يحلّ لأحد أن يقرب النّساء في مسجد رسول الله ﷺ ، ولا يبيت فيه جنب إلّا عليّ وذرّيّته عليهم السلام».

فقالوا بأجمعهم : كذلك كان .

قال أبو جعفر : ذهب ربع دينك يابن أبي حذرة ، وهذه منقبة لصاحبي ليس لأحد مثلها ، ومثلبة لصاحبك .

وأمّا قولك «ثاني اثنين إذ هما في الغار» أخبرني هل أنـزل الله سكـينته عـلى رسـوله وعـلى المؤمنين في غير الغار ؟

قال ابن أبي حذرة : نعم .

قال أبو جعفر : فقد خرج صاحبك في الغـار مـن السكـينة ، وخـصّه بـالحزن ، ومكـان عـليّ في هذه اللـيلة عـلى فـراش النّـبيّ ﷺ ، وبـذل مـهجته دونـه أفـضل مـن مكـان صـاحبك فـي الغار .

فقال النّاس : صدقت .

---

(١) تجمّلت في حرب صفّين ؛ أي ركبت الجمل وخرجت لحرب عـليّ عليه السلام ، وتـبغّلت حـين جـاءوا بـجنازة الإمـام الحسن المجتبى عليه السلام لزيارة قبر جدّه فخرجت راكبة على بغلة يقودها مروان وهي تنادي : لا تدخلوا بيتي من لا أُحب ، وقال مروان : أيدفن عثمان في أقصى المدينة ويدفن الحسن مع جدّه رسول الله ، لاكان ذلك أبداً . والبيت لابن عبّاس خاطبها به ذلك اليوم وليس لمحمّد بن أبي بكر بل إنّ محمّداً لم يـدرك ذلك اليـوم وقـتل فـي عـهد أميرالمؤمنين وقد مرّت ترجمته ص من الجزء الأوّل من هذا الكتاب ، فراجع .

فقال أبو جعفر : يابن أبي حذرة ذهب نصف دينك .

وأمّا قولك «ثاني اثنين الصدّيق من الأُمّة ، فقد أوجب الله على صاحبك الإستغفار لعليّ بن أبي طالب عليه السلام في قوله عزّ وجلّ : ﴿ وَٱلَّذِينَ جَاءُوا مِن بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِالإِيمَانِ ﴾ إلى آخر الآية[1] والّذي ادّعيت إنّما هو شيء سمّاه النّاس ، ومن سمّاه «القرآن» وشهد له بالصدق والتصديق أولى به ممّن سمّاه النّاس ، وقد قال عليّ عليه السلام على منبر البصرة : «أنا الصدّيق الأكبر ، آمنت قبل أن آمن أبوبكر ، وصدّقت قبله» .

قال النّاس : صدقت .

قال أبو جعفر مؤمن الطاق : يابن أبي حذرة ذهب ثلاثة أرباع دينك .

وأمّا قولك في الصلاة بالنّاس ، كنت ادّعيت لصاحبك فضيلة لم تتمّ له ، وإنّها إلى التهمة أقرب منها إلى الفضيلة ، فلو كان ذلك بأمر رسول الله صلى الله عليه وآله لما عزله عن تلك الصلاة بعينها ، أما علمت أنه لمّا تقدّم أبوبكر ليصلّي بالنّاس خرج رسول الله صلى الله عليه وآله فتقدّم وصلّى بالنّاس وعزله عنها ، ولا تخلو هذه الصلاة من أحد وجهين : إمّا أن تكون حيلة وقعت منه ، فلمّا حسّ النّبيّ صلى الله عليه وآله بذلك خرج مبادراً مع علّته فنحّاه عنها لكيلا يحتجّ بها بعده على أُمّته فيكونوا في ذلك معذورين ، وإمّا أن يكون هو الّذي أمره بذلك ، وكان ذلك مفوّضاً إليه كما في قصّة تبليغ براءة . فنزل جبرئيل عليه السلام وقال : لا يؤدّيها إلاّ أنت أو رجل منك ، فبعث عليّاً في طلبه وأخذها منه وعزله عنها وعن تبليغها ، فكذلك كانت قصّة الصّلاة ، وفي الحالتين هو مذموم لأنّه كشف عنه ما كان مستوراً عليه ، وفي ذلك دليل واضح أنّه لا يصلح للإستخلاف بعده ، ولا هو مأمون على شيء من أمر الدّين .

فقال النّاس : صدقت .

قال أبو جعفر مؤمن الطاق : يابن ابي حذرة ذهب دينك كلّه ، وفضحت حيث مدحت .

فقال النّاس لأبي جعفر : هات حجّتك فيما ادّعيت من طاعة عليّ عليه السلام .

فقال أبو جعفر مؤمن الطّاق : أمّا من «القرآن» فقوله عزّ وجلّ : ﴿ يَاأَيُّهَا ٱلَّذِينَ آمَنُوا ٱتَّقُوا ٱللهَ وَكُونُوا

---

(١) الحشر ١٠.

مَعَ ٱلصَّادِقِينَ ﴾[١] فوجدنا علياً بهذه الصفة في «القرآن» في قوله ﷻ : ﴿ وَٱلصَّابِرِينَ فِي ٱلْبَأْسَاءِ وَٱلضَّرَّاءِ وَحِينَ ٱلْبَأْسِ ـ يعني في الحرب والشغب ـ أُولٰئِكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولٰئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُون ﴾[٢] فوقع الإجماع من الأُمّة بأنّ علياً عليه السلام أولى بهذا الأمر من غيره ، لأنّه لم يفرّ من زحف قط ،كما فرّ غيره في غير موضع .

فقال النّاس : صدقت .

وأمّا الخبر عن رسول الله صلى الله عليه وآله نصّاً ، فقال : «إنّي تارك فيكم الثقلين ، ما إن تمسّكتم بهما لن تضلّوا بعدي ،كتاب الله وعترتي أهل بيتي ، فإنّهما لن يفترقا حتّى يردا عَلَيّ الحوض» وقوله صلى الله عليه وآله : «إنّما مثل أهل بيتي كمثل سفينة نوح ، من ركبها نجى ، ومن تخلّف عنها غرق ، ومن تقدّمها مرق ، ومن لزمها لحق»[٣] ؛ فالمتمسّك بأهل بيت رسول الله صلى الله عليه وآله هاد مهتد بشهادة من الرّسول والمتمسّك بغيرها ضالّ مضل .

قال النّاس صدقت يا أباجعفر .

وأمّا من حجّة العقل فإنّ النّاس كلّهم يستعبدون بطاعة العالم ، ووجدنا الإجماع قد وقع على عليّ عليه السلام بأنّه كان أعلم أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله ، وكان النّاس يسألونه ويحتاجون إليه ، وكان عليّ مستغنياً عنهم ، هذا من الشاهد والدليل عليه من «القرآن» قوله ﷻ : ﴿ أَفَمَن يَهْدِي إِلَى ٱلْحَقِّ أَحَقُّ أَن يُتَّبَعَ أَمْ مَن لاَ يَهِدِّي إِلَّا أَن يُهْدَىٰ فَمَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ﴾[٤] .

فما اتّفق يوم أحسن منه ، ودخل في هذا الأمر عالم كثير .

وقد كانت لأبي جعفر مؤمن الطاق مقامات مع أبي حنيفة :

---

(١) التوبة ١٢٠.

(٢) البقرة ١٧٧.

(٣) ذخائر العقبى ص ٢٠: عن ابن عبّاس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله: «مثل أهل بيتي كمثل سفينة نوح من ركبها نجى، ومن تعلّق بها فاز، ومن تخلّف عنها غرق» أخرجه الملّا في سيرته. قال الحجّة الأميني في ج٢ ص٣٠١ من الغدير: وحديث السفينة رواه الحاكم في المستدرك ج٣ ص١٥١ عن أبي ذر وصحّحه بلفظ: «مثل أهل بيتي فيكم مثل سفينة نوح؛ من ركبها نجا، ومن تخلّف عنها غرق» وأخرج الخطيب في تاريخه ج١٢ ص٩١ عن أنس، والبزّار عن ابن عبّاس، وابن الزبير، وابن جرير، والطبراني عن أبي ذر وأبي سعيد الخدري، وأبو نعيم وابن عبدالبرّ ومحبّ الدين الطبري، وكثيرون آخرون.

(٤) يونس ٣٥.

فمن ذلك ما روي أنّه قال يوماً من الأيّام لمؤمن الطاق : إنّكم تقولون بالرجعة ؟

قال : نعم .

قال أبو حنيفة : فأعطني الآن ألف درهم حتّى أعطيك ألف دينار إذا رجعنا .

قال الطاقي لأبي حنيفة : فأعطني كفيلاً بأنّك ترجع إنساناً ولا ترجع خنزيراً .

وقال له يوم آخر : لِمَ لم يطالب عليّ بن أبي طالب بحقّه بعد وفاة رسول الله إن كان له حقّ ؟

فأجابه مؤمن الطاق : خاف أن يقتله الجنّ كما قتلوا سعد بن عبادة بسهم المغيرة بن شعبة . وفي رواية : بسهم خالد بن الوليد[1] .

وكان أبو حنيفة يوماً آخر يتماشى مع مؤمن الطاق في سكّة من سكك الكوفة ، إذا مناد ينادي : من يدلّني على صبيّ ضالّ ؟

---

(١) سعد بن عبادة : رئيس الخزرج ، وكان صاحب راية الأنصار يوم بدر ، وأمير المؤمنين عليه السلام صاحب لواء رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم والمهاجرين . ولمّا قبض النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم اجتمعت الأنصار إليه ، وكان مريضاً فجاؤوا به إلى سقيفة بني ساعدة وأرادوا تأميره ، ولمّا تمّ الأمر لأبي بكر امتنع عن مبايعته ، فأرسل إليه أبوبكر ليبايع ، فقال : لا والله حتّى أرميكم بما في كنانتي ، وأُخضّب سنان رمحي ، وأضرب بسيفي ما أطاعني ، وأُقاتلكم بأهل بيتي ومن تبعني ، ولو اجتمع معكم الجنّ والإنس ما بايعتكم حتّى أعرض على ربّي .

فقال عمر : لا تدعه حتّى يبايع .

فقال بشير بن سعد : إنّه قد لجّ وليس بمبايع لكم حتّى يقتل ، وليس بمقتول حتّى يقتل معه أهله وطائفة من عشيرته ، ولا يضرّكم تركه ، إنّما هو رجل واحد .

فتركوه وقبلوا مشورة بشير بن سعد ، واستنصحوه لما بدا لهم منه .

فكان سعد لا يصلّي بصلاتهم ، ولا يجتمع معهم ، ويحجّ ولا يفيض معهم بإفاضتهم ، فلم يزل كذلك حتّى هلك أبوبكر . [راجع ج٣ ص ٢٧٠ من تاريخ الطبري]

وقال ابن أبي الحديد في ج ١ ص ٥٤٠ من شرح النهج : وخرج إلى حوران فمات بها . قيل : قتله الجن لأنّه بال قائماً في الصحراء ليلاً . ورووا بيتين من شعر قيل : إنّهما سمعا ليلة قتله ولم ير قائلهما :

نحن قتلنا سيّد الخز ... رج سعد بن عباده

ورميناه بسهمين ... فلم تخطئ فؤاده

ويقول قوم : إنّ أمير الشام يومئذ كمن له من رماه ليلاً وهو خارج إلى الصحراء بسهمين فقتله لخروجه عن طاعة الإمام ، وقد قال بعض المتأخرين في ذلك :

يقولون سعد شكت الجنّ قلبه ... ألا ربّما صحّحت دينك بالغدر

وما ذنب سعد أنّه بال قائماً ... ولكن سعداً لم يبايع أبابكر

وقد صبرت من لذّة العيش أنفس ... وما صبرت عن لذّة النّهي والأمر

فقال مؤمن الطاق : أمّا الصبيّ الضالّ فلم نـره ، وإن أردت شيخاً ضـالاًّ فـخذ هـذا ! عـنى بـه أباحنيفة .

ولمّا مات الصّادق عليه السلام رأى أبو حنيفة مؤمن الطاق ، فقال له : مات إمامك ؟

قال : نعم ، أمّا إمامك من المنظرين إلى يوم الوقت المعلوم .

وروي أنّه مرّ فضال بن الحسن بن فضال الكوفي[1] بأبي حنيفة وهو في جمع كثير ، يملي عليهم شيئاً من فقهه وحديثه ، فقال ـ لصاحب كان معه ـ : والله لا أبرح حتّى أُخجل أباحنيفة .

فقال صاحبه الّذي كان معه : إنّ أباحنيفة ممّن قد علت حاله ، وظهرت حجّته .

قال : صه ! هل رأيت حجّة ضالّ علت على حجّة مؤمن ؟ ثمّ دنا منه فسلّم عـليه ، فـردّ ، وردّ القوم السّلام بأجمعهم ، فقال : يا أباحنيفة إنّ أخاً لي يقول : إنّ خير النّاس بعد رسول الله عليّ بن أبي طالب عليه السلام ، وأنا أقول أبوبكر خير النّاس وبعده عمر ، فما تقول أنت رحمك الله ؟

فأطرق مليّاً ثمّ رفع رأسه فقال :كفى بمكانهما من رسول الله كرماً وفخراً ، أمـا عـلمت أنّـهما ضجيعاه في قبره ؟ فأيّ حجّة تريد أوضح من هذا ؟

فقال له فضال : إنّي قد قلت ذلك لأخي ، فقال : والله لئن كان الموضع لرسول الله صلى الله عليه وآله دونهما فقد ظلما بدفنهما في موضع ليس لهما حقّ فيه ، وإن كان الموضع لهما فوهباه لرسول الله صلى الله عليه وآله لقد أساءا وما أحسنا ، إذ رجعا في هبتهما ، ونسيا عهدهما .

فأطرق أبو حنيفة ساعة ثمّ قال له : لم يكن له ولا لهما خاصّة ، ولكنّهما نظرا في حقّ عـايشة وحفصة فاستحقّا الدفن في ذلك الموضع بحقوق ابنتيهما .

فقال له فضال : قد قلت له ذلك فقال : أنت تعلم أنّ النّبيّ مات عن تسع نسـاء ، ونـظرنا فـإذا لكلّ واحدة منهنّ تسع الثـمن ، ثـمّ نـظرنا فـي تسع الثـمن فـإذا هـو شبر فـي شـبر ، فكـيف يستحقّ الرجلان أكثر من ذلك ؟ وبعد فما بال عائشة وحفصة ترثان رسول الله صلى الله عليه وآله وفاطمة بنته تمنع الميراث ؟!

فقال أبو حنيفة : يا قوم نحّوه عنّي فإنّه رافضيّ خبيث .

---

(١) في رجال المامقاني ج٢ ص٣٧٣ حكي عن المولى الوحيد أنّه قال : يظهر من معارضته مع أبي حـنيفة كـونه مـن فضلاء الشيعة ، واحتمل الحائري كونه أخا علي بن الحسن بن فضال .

حكي عن أبي الهذيل العلّاف[1] **قال**: دخلت الرقة[2] فذكر لي أنّ بدير زكن[3] رجلاً مجنوناً حسن الكلام، فأتيته فإذا أنا بشيخ حسن الهيئة جالس على وسادة يسرّح رأسه ولحيته، فسلّمت عليه، فردّ السّلام وقال: ممّن يكون الرّجل؟

قال: قلت: من أهل العراق.

قال: نعم، أهل الظرف والأدب.

قال: من أيّها أنت؟

قلت: من أهل البصرة.

قال: أهل التجارب والعلم.

قال: فمن أيّهم أنت؟

قلت: أبو الهذيل العلّاف.

قال: المتكلّم؟

قلت: بلى.

---

(١) أبوالهذيل العلّاف محمّد بن الهذيل بن عبدالله بن مكحول البصري، شيخ البصريّين في الإعتزال، ومن أكبر علمائهم، وصاحب المقالات في مذهبهم، كان معاصراً لأبي الحسن الميثمي المتكلّم الإمامي، حكي أنّه سأل أبوالحسن الميثمي أباالهذيل فقال: ألست تعلم أنّ إبليس ينهى عن الخير كلّه ويأمر بالشرّ كلّه؟

قال: بلى.

قال: فيجوز أن يأمر بالشرّ كلّه وهو لا يعرفه، وينهي عن الخير كلّه وهو لا يعرفه؟

قال: لا.

فقال له أبوالحسن: قد ثبت أنّ إبليس يعلم الشرّ كلّه والخير كلّه؟

قال أبوالهذيل: أجل.

قال: فأخبرني عن إمامك الّذي تأتمّ به بعد رسول الله صلى الله عليه وآله هل يعلم الخير كلّه والشرّ كلّه؟

قال: لا.

قال له: فإبليس أعلم من إمامك إذاً.

فانقطع أبوالهذيل.

توفّي أبوالهذيل بسرّ من رأى سنة ٢٧٧. [الكنى والألقاب ١/١٧٠]

(٢) الرَّقَةُ ـ بفتح أوّله وثانيه وتشديده ـ: مدينة مشهورة على الفرات، بينها وبين حرّان ثلاثة أيّام معدودة في بلاد الجزيرة، لأنّها من جانب الفرات الشرقي.

(٣) وفي نسخ أُخرى: «بدير زكيّ». زكيّة ـ بفتح أوّله وكسر ثانيه وتشديد ياء النسبة ـ: قرية جامعة من أعمال البصرة، بينها وبين واسط. [معجم البلدان]

فوثب عن وسادته وأجلسني عليها ثمّ قال ـ بعد كلام جرى بيننا ـ : ما تقولون في الإمامة ؟

قلت : أيّ الإمامة تريد ؟

قال : من تقدّمون بعد النبيّ صلى الله عليه وآله ؟

قلت : من قدّم رسول الله صلى الله عليه وآله .

قال : ومن هو ؟

قلت : أبابكر .

قال لي : يا أباالهذيل ولم قدّمتم أبابكر ؟

قال : قلت : لأنّ النّبيّ صلى الله عليه وآله قال : «قدّموا خيركم وولّوا أفضلكم ، وتراضى النّاس به جميعاً .

قال : يا أباالهذيل هاهنا وقعت .

أمّا قولك أنّ النّبيّ صلى الله عليه وآله قال : «قدّموا خيركم وولّوا أفضلكم» فإنّي أوجدك أنّ أبابكر صعد المنبر قال : «ولّيتكم ولست بخيركم وعليٌّ فيكم»[1] فإن كانوا كذبوا عليه فقد خالفوا أمر النّبيّ صلى الله عليه وآله ، وإن كان هو الكاذب على نفسه فمنبر رسول الله لا يصعده الكاذبون .

وأمّا قولك : إنّ النّاس تراضوا به ، فإنّ أكثر الأنصار قالوا : منّا أمير ومنكم أمير ، وأمّا المهاجرون فإنّ الزبير بن العوام قال : لا اُبايع إلّا عليّاً ، فأمر به فكسر سيفه ، وجاء أبو سفيان بن حرب وقال : يا أباالحسن لو شئت لأملأنّها خيلاً ورجالاً يعني : «المدينة» وخرج سليمان فقال بالفارسي : «كرديد و نكرديد ، وندانيد كه چه كرديد»[2] والمقداد وأبوذر ، فهؤلاء المهاجرون والأنصار .

أخبرني يا أباالهذيل عن قيام أبي بكر على المنبر وقوله : إنّ لي شيطاناً يعترني ، فإذا رأيتموني مغضباً فاحذروني ، لا أقع في أشعاركم وأبشاركم[3] ؛ فهو يخبركم على المنبر أنّي مجنون ، وكيف

---

(١) في ج٢ من العقد الفريد ص٣٤٧ قال : وخطب أيضاً ـ يعني : أبابكر ـ حمد الله وأثنى عليه ثمّ قال : يا أيّها النّاس إنّي قد ولّيت عليكم ولست بخيركم فإن رأيتموني على حقّ فأعينوني ، وإن رأيتموني على باطل فسدّدوني ... الخ .

(٢) أي : فعلتم وما فعلتم ، ولا تعلمون الّذي فعلتم .

(٣) روى الطبري في ج٣ ص٢١٠ من تاريخه مرفوعاً عن عاصم بن عدي قال : نادى منادي أبي بكر ... إلى أن قال : وقام في النّاس فحمد الله وأثنى عليه وقال : أيّها النّاس إنّما أنا مثلكم ، وإنّي لا أدري لعلّكم ستكلّفوني ماكان رسول الله يطيق ، إنّ الله اصطفى محمّداً على العالمين ، وعصمه من الآفات ، وإنّما أنا متّبع ولست مبتدع ، فإن استقمت فتابعوني ، وإن زغت فقوّموني ، وإنّ رسول الله صلى الله عليه وآله قبض وليس أحد من هذه الاُمّة يطلبه بمظلمة ، ضربة سوط فما دونها ، ألا وإنّ لي شيطاناً يعتريني ، فإذا أتاني فاجتنبوني ، لا اُوثر في أشعاركم وأبشاركم ... الخ .

يحلّ لكم أن تولّوا مجنوناً ؟

وأخبرني يا أباالهذيل عن قيام عمر وقوله : وددت أنّي شعرة في صدر أبي بكر ، ثمّ قام بعدها بجمعة فقال : إنّ بيعة أبي بكر كانت فلتة وقى الله شرّها ؛ فمن دعاكم إلى مثلها فاقتلوه[1] فبينما هو يودّ أن يكون شعرة في صدره ، وبينما هو يأمر بقتل من بايع مثله .

فأخبرني يا أباالهذيل عن الّذي زعم أنّ النّبيّ صلى الله عليه وآله لم يستخلف ، وإنّ أبابكر استخلف عمر ، وإنّ عمر لم يستخلف ، فأرى أمركم بينكم متناقضاً .

وأخبرني أباالهذيل عن عمر حين صيّرها شورى بين ستّة وزعم أنّهم من أهل الجنّة ، فقال : «إن خالف اثنان لأربعة فاقتلوا الإثنين ، وإن خالف ثلاثة لثلاثة ، فاقتلوا الثلاثة الّذين ليس فيهم عبدالرّحمن بن عوف ، فهذه ديانة أن يأمر بقتل أهل الجنّة ؟!

وأخبرني يا أباالهذيل عن عمر لمّا طعن دخل عليه عبدالله بن عبّاس قال : فرأيته جزعاً ، فقلت : يا أميرالمؤمنين ما هذا الجزع ؟

قال : يابن عبّاس ما جزعي لأجلي ولكن جزعي لهذا الأمر من يليه بعدي .

قال : قلت : ولّها طلحة بن عبيدالله .

قال : رجل له حدّة ،كان النّبيّ صلى الله عليه وآله يعرفه فلا أُولّي أمر المسلمين حديداً .

قال : قلت : ولّها زبير بن العوام .

قال : رجل بخيل ، رأيته يماكس امرأته في كبّة من غزل ، فلا أُولّي أُمور المسلمين بخيلاً .

قال : قلت : ولّها سعد بن أبي وقّاص .

قال : رجل صاحب فرس وقوس ، وليس من أحلاس الخلافة[2] .

قال : قلت : ولّها عبدالرّحمن بن عوف .

قال : رجل ليس يحسن أن يكفي عياله .

قال : قلت : ولّها عبدالله بن عمر .

---

(١) ذكر الطبري في تأريخه ج٣ ص٢٠٠ أنّ عمر قال ـ وهو على المنبر ـ : أُريد أن أقول مقالة قد قدر أن أقولها ، من وعاها وعقلها وحفظها فليحدّث بها إلى أن قال : فلا يغرّنّ امرء أن يقول : إنّ بيعة أبي بكر كانت فلتة ، فقد كانت كذلك غير أنّ الله وقى شرّها ... الخ .

(٢) الأحلاس : جمع حلس ، يقال : فلان حلس بيته : أي ملازم له تشبيهاً له بحلس البعير ، وهو : كساء رقيق يكون تحت البرذعة ، والمراد ليس من أهلها .

فاستوى جالساً ثمّ قال : يابن عبّاس ! ما الله أردت بهذا أُولّي رجلاً لم يحسن أن يطلّق امرأته !

قال : قلت : ولّها عثمان بن عفّان .

قال : والله لئن ولّيته ليحملنّ بني أبي معيط على رقاب المسلمين ، ويوشك أن يقتلوه ، قالها ثلاثاً .

قال : ثمّ سكت لما أعرف من مغائرته لأميرالمؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام .

فقال : يابن عبّاس أُذكر صاحبك .

قال : قلت : فولّها عليّاً .

قال : فوالله ما جزعي إلّا لما أخذنا الحقّ من أربابه ، والله لئن ولّيته ليحملنّهم على المحجّة العظمى ، وإن يطيعوه يدخلهم الجنّة .

فهو يقول هذا ثمّ صيّرها شورى بين الستّة فويل له من ربّه !!

قال أبوالهذيل : فوالله بينما هو يكلّمني إذا اختلط ، وذهب عقله ، فأخبرت المأمون بقصّته ، وكان من قصّته أن ذهب بماله وضياعه حيلة وغدراً ، فبعث إليه المأمون ، فجاء به وعالجه ، وكان قد ذهب عقله بما صنع به ، فردّ عليه ماله وضياعه وصيّره نديماً ، فكان المأمون يتشيّع لذلك ، والحمد لله على كلّ حال .

وقد جاءت الآثار عن الأئمّة الأبرار عليهم السلام بفضل من نصب نفسه من علماء شيعتهم لمنع أهل البدعة والضلال عن التسلّط على ضعفاء الشيعة ومساكينهم ، وقمعهم بحسب تمكّنهم وطاقتهم ، **فمن ذلك ما روي** عن أبي محمّد الحسن بن عليّ العسكري عليه السلام أنّه قال : «علماء شيعتنا مرابطون في الثغر الّذي يلي إبليس وعفاريته ، يمنعونهم عن الخروج على ضعفاء شيعتنا ، وعن أن يتسلّط عليهم إبليس وشيعته النواصب ، ألا فمن انتصب لذلك من شيعتنا كان أفضل ممّن جاهد الرّوم والترك والخزر ألف ألف مرّة ، لأنّه يدفع عن أديان محبّينا ، وذلك يدفع عن أبدانهم» .

احتجاج أبي إبراهيم موسى بن جعفر عليهما السلام في أشياء شتّى على المخالفين

الحسن بن عبدالرّحمن الحماني[1] **قال** : قلت لأبي إبراهيم عليه السلام : إنّ هشام بن الحكم زعم أنّ الله

---

(١) ذكره الأردبيلي في جامع الرواة ج١ ص٢٠٦ فقال : محمّد بن إسماعيل عن عليّ بن العبّاس عن الحسن بن عبدالرّحمان الحماني عن أبي الحسن موسى بن جعفر عليهما السلام في الكافي باب النّهي عن الجسم والصورة .

تعالى جسم ليس كمثله شيء ، عالم ، سميع ، بصير ، قادر ، متكلّم ، ناطق ، والكلام والقدرة والعلم يجري مجرى واحد ، ليس شيء منها مخلوقاً .

فقال عليه السلام : «قاتله الله ، أما علم أنّ الجسم محدود ؟! والكلام غير المتكلّم ؟ معاذ الله ، وأبرأ إلى الله من هذا القول ، لا جسم ، ولا صورة ، ولا تحديد ، وكلّ شيء سواه مخلوق ، وإنّما تكون الأشياء بإرادته ومشيّته من غير كلام ولا تردّد في نفس ، ولا نطق بلسان» .

وعن يعقوب بن جعفر[1] **عن أبي إبراهيم عليه السلام أنّه قال** : «لا أقول أنّه قائم فأُزيله عن مكان ، ولا أحدّه بمكان يكون فيه ، ولا أحدّه أن يتحرّك في شيء من الأركان والجوارح ، ولا أحدّه بلفظ شقّ فم ، ولكن كما قال عزّ وجلّ : ﴿ إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئاً أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُون ﴾[2][3] بمشيّة من غير تردّد في نفس ، صمداً ، فرداً ، لم يحتج إلى شريك يدبّر له ملكه ، ولا يفتح له أبواب علمه» .

وعن يعقوب بن جعفر الجعفري أيضاً ، عن أبي إبراهيم موسى عليه السلام قال : ذكر عنده قوم زعموا أنّ الله تبارك وتعالى ينزل إلى السماء الدّنيا فقال عليه السلام : «إنّ الله لم ينزل ، ولا يحتاج أن ينزل ، إنّما منظره في القرب والبعد سواء ، لم يبعد منه بعيد ، ولا يقرب منه قريب ، ولم يحتج إلى شيء بل يحتاج إليه كلّ شيء ، وهو ذوالطول لا إله إلّا هو العزيز الحكيم !

أمّا قول الواصفين أنّه ينزل تبارك وتعالى عن ذلك علوّاً كبيراً ، فإنّما يقول ذلك من ينسبه إلى نقص أو زيادة ، وكلّ متحرّك يحتاج إلى من يحرّكه أو يتحرّك به[4] ، فمن ظنّ بالله الظنون فقد هلك ، فاحذروا في صفاته من أن تقفوا له على حدّ تحدّونه بنقص أو زيادة ، أو تحريك أو تحرّك ، زوال أو استنزال ، أو نهوش أو قعود ، فإنّ الله جلّ وعزّ عن صفة الواصفين ، ونعت الناعتين ، وتوهّم المتوهّمين» .

---

(١) ذكره الأردبيلي في جامع الرواة ج٢ ص٣٤٦ ونقل عن الكافي والتهذيب عدّة روايات عنه عن الصّادق والكاظم عليهما السلام ، وورد اسمه فيها مرّة يعقوب بن جعفر ، وأُخرى يعقوب بن جعفر الجعفري ، وثالثة يعقوب بن جعفر بن إبراهيم الجعفري .

(٢) يس ٨٢.

(٣) راجع موضوع نفي الحركة عنه تعالى في هامش الجزء الأوّل من هذا الكتاب ص .

(٤) لابدّ لكلّ حركة من أن تستلزم أربعة أُمور : المحرّك ، والمتحرّك ، وما منه الحركة ، وما إليه الحركة ، وقد مرّ في الجزء الأوّل من هذا الكتاب ص تفصيل الحديث في نفي الحركة عنه تعالى والإستدلال على بطلان نسبتها إليه وتنزّهه عنها ؛ فراجع .

وعن الحسن بن راشد[1] **قال**: سئل أبوالحسن موسى عليه السلام عن معنى قول الله تعالى: ﴿**الرَّحْمَانُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى**﴾[2]؟

فقال عليه السلام: «استولى على ما دقّ وجلّ».

وعن يعقوب بن جعفر الجعفري قال: سأل رجل يقال له عبدالغفّار السمي أبا إبراهيم موسى بن جعفر عليه السلام عن قول الله تعالى: ﴿ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّى * فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ﴾[3] قال: أرى هاهنا خروجاً من حجب، وتدلّياً إلى الأرض، وأرى محمّداً رأى ربّه بقلبه، ونسب إلى بصره، فكيف هذا؟

فقال أبو إبراهيم عليه السلام: «دنى فتدلّى، فإنّه لم يزل عن موضع ولم يتدلّ ببدن».

فقال عبدالغفّار: أصفه بما وصف به نفسه حيث قال: ﴿دَنَى فَتَدَلَّى﴾ فلم يتدلّ عن مجلسه إلّا وقد زال عنه، ولولا ذلك لم يصف بذلك نفسه.

فقال أبو إبراهيم عليه السلام: «إنّ هذه لغة في قريش، إذا أراد رجل منهم أن يقول: قد سمعت يقول: قد تدلّيت، وإنّما التدلّي: الفهم».

وعن داود بن قبيصة قال: سمعت الرّضا عليه السلام يقول: «سئل أبي عليه السلام: هل منع الله عمّا أمر به، وهل نهى عمّا أراد، وهل أعان على ما لم يرد؟

فقال عليه السلام: أمّا ما سألت «هل منع الله عمّا أمر به»؟ فلا يجوز ذلك، ولو جاز ذلك لكان قد منع إبليس عن السجود لآدم، ولو منع إبليس لعذره ولم يلعنه.

وأمّا ما سألت «هل نهى عمّا أراد»؟ فلا يجوز ذلك، ولو جاز ذلك لكان حيث نهى آدم عن أكل الشجرة أراد منه أكلها، ولو أراد منه أكلها لما نادى عليه صبيان الكتاتيب: ﴿**وَعَصَى آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَىٰ**﴾ والله تعالى لا يجوز عليه أن يأمر بشيء ويريد غيره.

وأمّا ما سألت عنه من قولك «هل أعان على ما لم يرد»؟ ولا يجوز ذلك وجلّ الله تعالى عن أن يعين على قتل الأنبياء وتكذيبهم، وقتل الحسين بن علي عليه السلام والفضلاء من ولده، وكيف يعين على ما لم يرد وقد أعدّ جهنّم لمخالفيه، ولعنهم على تكذيبهم لطاعته، وارتكابهم لمخالفته؟ ولو

---

(١) عدّه الشيخ في رجاله ص٦٧ من أصحاب الصّادق عليه السلام فقال: الحسن بن راشد مولى بني العبّاس، كوفي، وفي أصحاب الكاظم عليه السلام ص٣٤٦ ذكره أيضاً باسم الحسين بن راشد، وقال: بغدادي.

(٢) طه ٥.

(٣) النجم ٨ ـ ٩.

جاز أن يعين على ما لم يرد لكان أعان فرعون على كفره وادّعائه أنّه ربّ العالمين ، أفترى أراد الله من فرعون أن يدّعي الربوبيّة ؟ يستتاب قائل هذا القول ، فإن تاب من كذبه على الله وإلّا ضربت عنقه».

وروي عن أبي محمّد الحسن بن عليّ بن محمّد العسكري عليه السلام : «إنّ أبا الحسن موسى بن جعفر عليه السلام قال : إنّ الله خلق الخلق فعلم ما هو إليه صايرون ، فأمرهم ونهاهم ؛ فما أمرهم به من شيء فقد جعل لهم السبيل إلى الأخذ به ، وما نهاهم عنه من شيء فقد جعل لهم السبيل إلى تركه ، ولا يكون آخذين ولا تاركين إلّا بإذنه ، وما جبر الله أحداً من خلقه على معصيته ، بل اختبرهم بالبلوى ، وكما قال : ﴿ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً ﴾[1]» .

قوله : «ولا يكونون آخذين ولا تاركين إلّا بإذنه» أي : بتخليته وعلمه .

وروي أنّه دخل أبو حنيفة المدينة ومعه عبدالله بن مسلم ، فقال له : يا أباحنيفة إنّ هاهنا جعفر ابن محمّد من علماء آل محمّد ، فاذهب بنا إليه نقتبس منه علماً .

فلمّا أتيا إذا هما بجماعة من علماء شيعته ينتظرون خروجه أو دخلوهم عليه ، فبينما هم كذلك إذ خرج غلام حدث ، فقام النّاس هيبة له ، فالتفت أبو حنيفة فقال : يابن مسلم من هذا ؟

قال : موسى ابنه .

قال : والله لأخجلنّه بين يدي شيعته .

قال له : مه لن تقدر على ذلك .

قال : والله لأفعلنّه ، ثمّ التفت إلى موسى فقال : يا غلام أين يضع الغريب في بلدتكم هذه ؟

قال عليه السلام : «يتوارى خلف الجدار ، ويتوقّى أعين الجار ، وشطوط الأنهار ، ومسقط الثمار ، ولا يستقبل القبلة ولا يستدبرها ، فحينئذ يضع حيث شاء» .

ثمّ قال : يا غلام ممّن المعصية ؟

قال عليه السلام : «يا شيخ لا تخلو من ثلاث : إمّا أن تكون من الله وليس من العبد شيء ؛ فليس للحكيم أن يأخذ عبده بما لم يفعله .

وإمّا أن تكون من العبد ومن الله ، والله أقوى الشريكين ، فليس للشريك الأكبر أن يأخذ الشريك الأصغر بذنبه .

وإمّا أن تكون من العبد وليس من الله شيء ، فإن شاء عفى وإن شاء عاقب» .

---

(١) هود ٧.

قال : فأصابت أباحنيفة سكتة كأنّما أُلقم فوه الحجر .

قال : فقلت له : ألم أقل لك لا تتعرّض لأولاد رسول الله .

وفي ذلك يقول الشاعر :

لم تخل أفعالنا اللّاتي نذمّ بـها — إحدى ثلاث معان حين نأتيها

إمّـا تـفرّد بـارينا بـصنعتها — فيسقط اللوم عنّا حين نـنشيها

أو كان يشـركنا فـيها فـيلحقه — ما سوف يلحقنا من لائم فـيها

أو لم يكن لإلهي في جـنايتها — ذنب فما الذنب إلّا ذنب جانيها

روي عن عليّ بن يقطين[١] أنّه قال : أمر أبو جعفر الدوانيقي[٢] يقطين أن يحفر له بئراً بـقصر العبادي ، فلم يزل يقطين في حفرها حتّى مات أبو جعفر ولم يستنبط منها الماء ، وأخبر المهدي بذلك ، فقال له : إحفر أبداً حتّى يستنبط الماء ولو أنفقت عليها جميع ما في بيت المال .

---

(١) قال العلّامة في القسم الأوّل من الخلاصة ص ٩١ : عليّ بن يقطين بن موسى البغدادي ، سكن بغداد وهـو كـوفي الأصل ، روى عن أبي عبدالله عليه السلام حديثاً واحداً ، وروى عن أبي الحسن موسى عليه السلام فأكثر ، وكان ثقة جليل القدر ، له منزلة عظيمة عند أبي الحسن عليه السلام ، عظيم المكان في هذه الطائفة ، روي أنّه عليه السلام ضمن له الجنّة وأن لا تمسّه النّار أبداً ، وكان وزيراً لهارون ، فاستأذن الإمام عليه السلام بترك العمل معه فلم يأذن له ، وقال له : «عسى أن يجبر الله بك كسراً ، ويكسر بك نائرة المخالفين من أوليائه ، يا علي كفّارة أعمالكم الإحسان إلى إخوانكم .

وروي أنّه لمّا قدم أبو إبراهيم موسى بن جعفر عليهما السلام العراق ، قال عليّ بن يقطين : أما ترى حالي وما أنا فيه ؟

فقال عليه السلام : «يا علي إنّ لله تعالى أولياء مع أولياء الظلمة ليدفع بهم عن أوليائه وأنت منهم يا علي» .

وروي أنّه قال أبوالحسن عليه السلام لعليّ بن يقطين : «إضمن لي خصلة أضمن لك ثلاثاً» .

فقال عليّ : جعلت فداك وما الخصلة الّتي أضمنها لك ؟ وما الثلاث اللواتي تضمنهنّ لي ؟

فقال أبوالحسن عليه السلام : «الثلاث اللّواتي أضمنهنّ لك : أن لا يصيبك حرّ الحديد أبداً ، بـقتل ، ولا فـاقة ، ولا سـجن حبس» .

فقال عليّ : فما الخصلة الّتي أضمنها لك ؟

فقال عليه السلام : «يا علي وأمّا الخصلة الّتي تضمن لي أن لا يأتيك وليّ أبداً إلّا أكرمته» .

فضمن له عليّ الخصلة ، وضمن له أبوالحسن الثلاث .

وروي أنّه عليه السلام قال : «إنّي استوهبت عليّ بن يقطين من ربّي عزّ وجلّ البارحة فوهبه لي ، إنّ عليّ بن يـقطين بـذل مـاله ومودّته فكان لذلك منّا مستوجباً» . [راجع : رجال الكشي ٣٦٧ ، والجزء الثاني من سفينة البحار ٢٥٢]

(٢) قال الطريحي : الدانق ـ بفتح النون وكسرها ـ : سوس الدينار والدرهم . والدوانيقي : لقب لأبـي جـعفر المـنصور وهو الثاني من خلفاء بني العبّاس ، ويُقال له : أبوالدوانيق ، لأنّه لمّا أراد حفر الخندق بالكوفة قسط على كلّ منهم دانق فضّة وأخذه وصرفه إلى الحفر .

قال : فوجّه يقطين أخاه أباموسى في حفرها ، فلم يزل يحفر حتّى ثقبوا ثقباً في أسفل الأرض فخرجت منه الريح .

(قال) : فهالهم ذلك ، فأخبروا به أباموسى ، فقال : أنزلوني .

(قال) : فأُنزل وكان رأس البئر أربعين ذراعاً في أربعين ذراع ، فأُجلس في شقّ محمل ودلي في البئر ، فلمّا صار في قعرها نظر إلى هول ، وسمع دويّ الريح في أسفل ذلك ، فأمرهم أن يوسّعوا الخرق فجعلوه شبه الباب العظيم ، ثمّ دلى فيه رجلاً في شقّ المحمل فقال : إيتوني بخبر هذا ما هو ؟

قال : فنزلا في شقّ محمل فمكثا مليّاً ثمّ حرّكا الحبل فأُصعدا ، فقال لهما : ما رأيتما ؟

قالا : أمراً عظيماً ؛ رجالاً ، ونساءاً ، وبيوتاً ، وآنية ، ومتاعاً ، كلّه ممسوخ من حجارة ، فأمّا الرّجال والنساء فعليهم ثيابهم ، فمن بين قاعد ومضطجع ومتّكئ ، فلمّا مسسناهم إذا ثيابهم تتفشّى شبه الهباء ، ومنازل قائمة .

قال : فكتب بذلك أبو موسى إلى المهدي ، فكتب المهدي إلى المدينة إلى موسى بن جعفر ، يسأله أن يقدم عليه ، فقدم عليه ، فأخبره ، فبكى عليه السلام بكاءاً شديداً ، وقال : «يا أميرالمؤمنين هؤلاء بقيّة قوم عاد ، غضب الله عليهم فساخت بهم منازلهم ، هؤلاء أصحاب الأحقاف» .

قال : فقال له المهدي : يا أباالحسن وما الأحقاف ؟

قال عليه السلام : «الرمل» .

وحدّث أبو أحمد هاني بن محمّد العبدي[1] قال : حدّثني أبو محمّد رفعه إلى موسى بن جعفر عليه السلام قال : «لمّا أُدخلت على الرشيد ، سلّمت عليه ، فردّ عَلَيّ السّلام ، ثمّ قال : يا موسى بن جعفر خليفتان يجيء إليهما الخراج ؟

فقلت : يا أميرالمؤمنين أُعيذك بالله أن تبوء بإثمي وإثمك ، فتقبل الباطل من أعدائنا علينا ، فقد علمت بأنّه قد كذّب علينا منذ قبض رسول الله صلى الله عليه وآله ، أمّا علم ذلك عندك ، فإن رأيت بقرابتك من رسول الله صلى الله عليه وآله أن تأذن لي أُحدّثك بحديث أخبرني به أبي عن آبائه عن جدّي رسول الله صلى الله عليه وآله ؟

فقال : قد أذنت لك .

فقلت : أخبرني أبي عن آبائه عن جدّي رسول الله صلى الله عليه وآله أنّه قال : «إنّ الرحم إذا مسّت الرّحم تحرّكت واضطربت» ؛ فناولني يدك جعلني الله فداك .

---

(١) في رجال المامقاني ج٣ ص ٢٩٠ : نقل الوحيد رواية الصدوق عنه مترضّياً عليه وهو دليل على وثاقته .

قال : اُدن منّي ، فدنوت منه ، فأخذ بيدي ثمّ جذبني إلى نفسه وعانقني طويلاً ، ثـمّ تـركني ، وقال : اجلس يا موسى ! فليس عليك بأس .

فنظرت إليه فإذا به قد دمعت عيناه ، فرجعت إلى نفسي .

فقال : صدقت وصدق جدّك ، لقد تحرّك دمي واضطربت عروقي ، حتّى غلبت عَـلَيّ الرقـة ، وفاضت عيناي ، وأنا اُريد أن أسألك عن أشياء تتلجلج في صدري منذ حين لم أسأل عنها أحداً ، فإن أنت أجبتني عنها خلّيت عنك ولم أقبل قول أحـد فـيك ، وقـد بـلغني أنّك لم تكـذب قـط ، فأصدقني فيما أسألك ما في قلبي .

فقلت : ماكان علمه عندي فإنّي مخبرك به إن أنت أمنتني .

قال : لك الأمان إن صدقتني وتركت التقيّة الّتي تعرفون بها معاشر بني فاطمة .

فقلت : ليسأل أميرالمؤمنين عمّا يشاء .

قال : أخبرني لم فضّلتم علينا ونحن وأنتم من شجرة واحدة ، وبنو عبدالمطّلب ونـحن وأنـتم واحد ؛ إنّا بنو عبّاس وأنتم ولد أبي طالب ، وهما عمّا رسول الله صلى الله عليه وآله وقرابتهما منه سواء ؟

فقلت : نحن أقرب .

قال : وكيف ذاك ؟

قلت : لأنّ عبدالله وأباطالب لأب واُمّ ، وأبوكم العبّاس ليس هو من اُمّ عبدالله ولا من اُمّ أبي طالب .

قال : فلم ادّعيتم أنّكم ورثتم النّبيّ صلى الله عليه وآله ، والعم يحجب ابن العم ، وقبض رسول الله صلى الله عليه وآله وقد توفّي أبوطالب قبله والعبّاس عمّه حي ؟

فقلت له : إن رأى أميرالمؤمنين أن يعفني عن هذه المسألة ويسألني عن كلّ باب سواه يريده .

فقال : لا ، أو تجيب .

فقلت : فآمنّي .

قال : أمنتك قبل الكلام .

فقلت : إنّ في قول عليّ بن أبي طالب عليه السلام إنّه ليس مع ولد الصلب ذكراًكان أو اُنثى لأحد سهم ، إلّا الأبوين والزوج والزوجة ، ولم يثبت للعم مع ولد الصلب ميراث ، ولم ينطق به الكتاب العزيز والسنّة إلّا أنّ تيماً وعدياً وبني اُميّة قالوا : «العم والد» رأياً منهم بلا حقيقة ، ولا أثر عـن رسـول الله صلى الله عليه وآله ، ومن قال بقول عليٍّ من العلماء قضاياهم خلاف قضايا هؤلاء ، هذا نوح بن درّاج يقول

في هذا المسألة بقول عليّ ، وقد حكم به ، وقد ولّاه أميرالمؤمنين المصرين الكوفة والبصرة ، وقضى به ، فأُنهي إلى أميرالمؤمنين فأمر بإحضاره وإحضار من يقول بخلاف قوله ، منهم : سفيان الثوري ، وإبراهيم المازني ، والفضيل بن عياض ، فشهدوا أنّه قول عليّ عليه السلام في هذه المسألة ، فقال لهم فيما بلّغني بعض العلماء من أهل الحجاز : لم لا تفتون وقد قضى نوح بن درّاج ؟

فقالوا : جَسَرَ وجبنّا ، وقد أمضى أميرالمؤمنين قضيّته بقول قدماء العامّة عن النّبيّ صلى الله عليه وآله وسلم أنّه قال : «أقضاكم علي» وكذلك عمر بن الخطّاب قال : عليّ أقضانا ؛ وهو اسم جامع ، لأنّ جميع ما مدح به النّبيّ صلى الله عليه وآله وسلم أصحابه من القرابة والفرائض والعلم داخل في القضاء .

قال : زدني يا موسى !

قلت : المجالس بالأمانات وخاصّة مجلسك .

فقال : لا بأس به .

فقلت : إنّ النّبيّ لم يورّث من لم يهاجر ، ولا أثبت له ولاية حتّى يهاجر .

فقال : ما حجّتك فيه .

قلت : قول الله تبارك وتعالى : ﴿ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يُهَاجِرُوا مَا لَكُم مِّن وَلَايَتِهِم مِّن شَيْءٍ حَتَّىٰ يُهَاجِرُوا ﴾[1] وإنّ عمّي العبّاس لم يهاجر .

فقال لي : إنّي أسألك يا موسى هل أفتيت بذلك أحداً من أعدائنا ، أو أخبرت أحداً من الفقهاء في هذه المسألة بشيء ؟

فقلت : اللّهمّ لا ، وما سألني عنها إلّا أميرالمؤمنين .

ثمّ قال لي : لِمَ جوّزتم للعامّة والخاصّة أن ينسبوكم إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، ويقولوا لكم : يا بني رسول الله ، وأنتم بنو عليّ ، وإنّما ينسب المرء إلى أبيه ، وفاطمة إنّما هي وعاء ، والنبيّ جدّكم من قبل اُمّكم .

فقلت : يا أميرالمؤمنين لو أنّ النّبيّ نشر فخطب إليك كريمتك ، هل كنت تجيبه ؟

قال : سبحان الله ، ولم لا أجبه ، بل أفتخر على العرب والعجم وقريش بذلك ؟

فقلت له : لكنّه لا يخطب إليّ ولا اُزوّجه .

فقال : ولم ؟

---

(١) الأنفال ٧٢.

فقلت : لأنّه ولدني ولم يلدك .

فقال : أحسنت يا موسى ! ثمّ قال : كيف قلتم إنّا ذرّيّة النّبيّ والنّبيّ لم يعقّب ، وإنّما يعقّب الذكر لا الأُنثى ، وأنتم ولد الإبنة ولا يكون ولدها عقباً له ؟

فقلت : أسألك بحقّ القرابة والقبر ومن فيه ، إلّا أعفيتني عن هذه المسألة .

فقال : لا أو تخبرني بحجّتكم فيه يا ولد علي ! وأنت يا موسى يعسوبهم ، وإمام زمانهم ، كذا أُنهي إليّ ، ولست أعفيك في كلّ ما سألتك عنه ، حتّى تأتيني فيه بحجّة من كتاب الله ، وأنتم تدّعون معشر ولد علي أنّه لا يسقط عنكم منه شيء ألف ولا واو إلّا تأويله عندكم ، واحتججتم بقوله ﷻ : ﴿ مَا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ ﴾[1] واستغنيتم عن رأي العلماء وقياسهم .

فقلت : تأذن لي في الجواب ؟

قال : هات .

فقلت : أعوذ بالله من الشّيطان الرّجيم بسم الله الرّحمن الرّحيم : ﴿ وَمِن ذُرِّيَّتِهِ دَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَىٰ وَهَارُونَ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ * وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَىٰ وَعِيسَىٰ وَإِلْيَاسَ كُلٌّ مِّنَ الصَّالِحِينَ ﴾[2] من أبو عيسى يا أميرالمؤمنين ؟

فقال : ليس لعيسى أب .

فقلت : إنّما ألحقناه بذراري الأنبياء عليهم السلام من طريق مريم عليها السلام وكذلك ألحقنا بذراري النّبيّ صلى الله عليه وآله من قبل أُمّنا فاطمة ، أزيدك يا أميرالمؤمنين ؟

قال : هات .

قلت : قول الله ﷻ : ﴿ فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِن بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنفُسَنَا وَأَنفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَل لَّعْنَتَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ ﴾[3] ولم يدّع أحد أنّه أدخله النّبيّ صلى الله عليه وآله تحت الكساء عند مباهلة النصارى إلّا عليّ بن أبي طالب عليه السلام وفاطمة ، والحسن والحسين ؛ أبناءنا : الحسن والحسين ، ونسائنا : فاطمة ، وأنفسنا : عليّ بن أبي طالب عليه السلام ، على أنّ العلماء قد أجمعوا على أنّ جبرئيل قال يوم أُحد : «يا محمّد إنّ هذه لهي المواساة من علي» . قال :

---

(١) الأنعام ٣٨.

(٢) الأنعام ٨٤و ٨٥.

(٣) آل عمران ٦١.

«لأنه منّي وأنا منه» . فقال جبرئيل : وأنا منكما يا رسول الله[1] ثمّ قال : لا سيف إلّا ذوالفقار ولا فتى إلّا علي ، فكان كما مدح الله عزّ وجلّ به خليله عليه السلام إذ يقول : ﴿ قَالُوا سَمِعْنَا فَتًى يَذْكُرُهُمْ يُقَالُ لَهُ إِبْرَاهِيمُ ﴾[2] إنّا نفتخر بقول جبرئيل أنّه منّا .

فقال : أحسنت يا موسى ! إرفع إلينا حوائجك .

فقلت له : إنّ أوّل حاجة لي أن تأذن لابن عمّك أن يرجع إلى حرم جدّه وإلى عياله .

فقال : ننظر إنشاء الله» .

وروي أنّ المأمون قال لقومه : أتدرون من علّمني التشيّع ؟

فقال القوم : لا والله ما نعلم ذلك .

قال : علّمنيه الرشيد !

قيل له : وكيف ذلك ، والرشيد يقتل أهل البيت ؟!

قال : كان الرشيد يقتلهم على الملك ، لأنّ الملك عقيم ، ثمّ قال : إنّه دخل موسى بن جعفر على الرشيد يوماً فقام إليه ، واستقبله وأجلسه في الصدر وقعد بين يديه ، وجرى بينهما أشياء ، ثمّ قال موسى بن جعفر لأبي : «يا أميرالمؤمنين إنّ الله عزّ وجلّ قد فرض على الولاة عهده : أن ينعشوا فقراء هذه الأُمّة ، ويقضوا عن الغارمين ، ويؤدّوا عن المثقل ، ويكسوا العاري ، ويحسنوا إلى العاني ، وأنت أولى من يفعل ذلك» .

فقال : أفعل يا أباالحسن . ثمّ قام ، فقام الرشيد لقيامه : وقبّل بين عينيه وجهه ، ثمّ أقبل عَلَيّ وعلى الأمين والمؤتمن فقال : يا عبدالله ! ويا محمّد ! ويا إبراهيم ! إمشوا بين يدي ابن عمّكم وسيّدكم ، خذوا بركابه ، وسوّوا عليه ثيابه ، وشيّعوه إلى منزله .

فأقبل إليّ أبوالحسن موسى بن جعفر سرّاً بيني وبينه فبشّرني بالخلافة ، وقال لي : «إذا ملكت هذا الأمر فأحسن إلى ولدي» .

ثمّ انصرفنا وكنت أجرأ ولد أبي عليه ، فلمّا خلا المجلس قلت : يا أميرالمؤمنين ومن هذا الرجل الذي أعظمته وأجللته ، وقمت من مجلسك إليه فاستقبلته ، وأقعدته في صدر المجلس ، وجلست دونه ، ثمّ أمرتنا بأخذ الركاب له ؟

---

(١) راجع هامش الجزء الأوّل من هذا الكتاب ص .

(٢) الأنبياء ٦٠.

قال : هذا إمام النّاس ، وحجّة الله على خلقه ، وخليفته على عباده .

فقلت : يا أميرالمؤمنين أوليست هذه الصفات كلّها لك وفيك ؟

فقال : أنا إمام الجماعة في الظاهر بالغلبة والقهر ، وموسى بن جعفر إمام حقّ ، والله يا بني إنّه لأحقّ بمقام رسول الله منّي ومن الخلق جميعاً ، ووالله لو نازعتني في هذا الأمر لأخذت الّذي فيه عيناك ، لأنّ الملك عقيم .

فلمّا أراد الرحيل من المدينة إلى مكّة أمر بصرّة سوداء فيها مائتا دينار ، ثمّ أقبل على الفضل فقال له : إذهب إلى موسى بن جعفر وقل له : يقول لك أميرالمؤمنين : نحن في ضيقة وسيأتيك بِرّنا بعد هذا الوقت .

فقمت في وجهه فقلت : يا أميرالمؤمنين ! تعطي أبناء المهاجرين والأنصار وسائر قريش وبني هاشم ومن لا تعرف حسبه ونسبه : خمسة آلاف دينار إلى ما دونها ، وتعطي موسى بن جعفر وقد عظّمته وأجللته مائتي دينار ، وأخسّ عطيّة أعطيتها أحداً من النّاس ؟

فقال : اُسكت لا اُمّ لك ، فإنّي لو أعطيته هذا ما ضمنته له ، ماكنت آمنه أن يضرب وجهي غداً بمائةألف سيف من شيعته ومواليه ، وفقر هذا وأهل بيته أسلم لي ولكم من بسط أيديهم وأغنائهم.

وقيل : ولمّا دخل هارون الرشيد المدينة ، توجّه لزيارة النّبيّ ﷺ ومعه النّاس ، فقدم إلى قبر النّبيّ ﷺ فقال : السلام عليك يا رسول الله ، السلام عليك يابن العمّ ؛ مفتخراً بذلك على غيره .

فتقدّم أبوالحسن موسى بن جعفر إلى القبر فقال : «السلام عليك يا رسول الله ، السلام عليك يا أبه» .

فتغيّر وجه الرشيد وتبيّن الغيظ فيه .

وروي عن أبي الحسن موسى بن جعفر الكاظم عليه السلام أنّه قال : «لمّا سمعت هذا البيت ـ وهو لمروان بن أبي حفصة ـ :

أنّى يكون ولا يكون ولم يكن ... لبني البنات وراثة الأعمام

دار في ذلك ليلتي ، فنمت تلك الليلة فسمعت هاتفاً في منامي يقول :

أنّى يكون ولا يكون ولم يكن ... للمشركين دعائم الإسلام

لبني البنات نصيبهم من جدّهم ... والعمّ متروك بغير سهام

مــــا للــطليق وللــتراث وإنّــما — سجد الطليق مخافة الصمصام[1]

وبقى ابن نـثلة[2] واقـفاً مـتلدداً — فـــيه ويــمنعه ذوو الأرحــام

إنّ ابــن فــاطمة المـنوّه بـاسمه — حاز التراث سوى بـني الأعـمام

وسأل محمّد بن الحسن أباالحسن موسى عليه السلام ـ بمحضر من الرشيد وهم بمكّة ـ فقال له : أيجوز للمحرم أن يظلّل عليه محمله ؟

فقال له موسى عليه السلام : «لا يجوز له ذلك مع الإختيار» .

فقال له محمّد بن الحسن : أفيجوز أن يمشي تحت الظلال مختاراً ؟

فقال له عليه السلام : «نعم» .

فتضاحك محمّد بن الحسن من ذلك !

فقال له أبوالحسن موسى عليه السلام : «أتعجب من سنّة النّبيّ وتستهزئ بـها ؟ إنّ رسـول الله صلى الله عليه وآله كشف ظلاله في إحرامه ، ومشى تحت الظلال وهو محرم ، إنّ أحكام الله تعالى يا محمّد لا تقاس ، فمن قاس بعضها على بعض فقد ضلّ عن السّبيل» .

فسكت محمّد بن الحسن لا يرجع جواباً .

وقد جرى لأبي يوسف مع أبي الحسن موسى صلوات الله عليه بمحضر المهدي ما يقرب من ذلك وهو : أنّ موسى عليه السلام سأل أبايوسف عن مسألة ليس فيها عنده شيء .

---

(١) يريد بالطليق : العبّاس بن عبدالمطّلب عمّ الرسول ، حيث أُسر يوم بدر ، أسره أبو يسر كعب بن عمرو الأنصاري ، وكان رجلاً صغير الجثّة ، وكان العبّاس رجلاً عظيماً قويّاً ، فقال النّبيّ صلى الله عليه وآله لأبي يسر : «كيف أسرته» ؟

قال : أعانني رجل ما رأيته قبل ذلك ولا بعده .

فقال صلى الله عليه وآله : «لقد أعانك عليه ملك كريم» .

ولمّا أمسى القوم والأُسارى محبوسون في الوثاق ، وفيهم العبّاس ، بات رسول الله صلى الله عليه وآله تلك الليلة ساهراً ، فقال له بعض أصحابه : ما يسهرك يا رسول الله ؟

قال صلى الله عليه وآله : «سمعت أنين العبّاس» .

فقام رجل من القوم فأرخى من وثاقه شيئاً .

فقال رسول الله صلى الله عليه وآله : «ما بالي لا أسمع أنين العبّاس» ؟

فقال رجل من القوم : أرخيت من وثقاه شيئاً .

قال صلى الله عليه وآله : «إفعل ذلك بالأُسارى كلّهم» . [راجع : تاريخ الطبري ٢٨٨/٢ ، والدرجات الرفيعة للسيّد علي خان المدني ٨٠]

(٢) والمراد بابن نثلة : العبّاس ، فإنّ إسم أمّه كانت نثلة .

فقال لأبي الحسن موسى عليه السلام : إنّي أُريد أن أسألك عن شيء .

قال عليه السلام : «هات» .

فقال : ما تقول في التظليل للمحرم ؟

قال عليه السلام : «لا يصلح» .

قال : فيضرب الخباء في الأرض فيدخل فيه ؟

قال عليه السلام : «نعم» .

قال : فما فرّق بين هذا وذاك ؟

قال أبوالحسن موسى عليه السلام : «ما تقول في الطامث تقضي الصلاة» ؟

قال : لا .

قال عليه السلام : «تقضي الصوم» ؟

قال : نعم .

قال عليه السلام : «ولم» ؟

قال : إنّ هذا كذا جاء .

قال أبوالحسن عليه السلام : «وكذلك هذا» .

قال المهدي لأبي يوسف : ما أراك صنعت شيئاً !

قال : يا أميرالمؤمنين رماني بحجّة .

وعن أبي محمّد الحسن العسكري عليه السلام قال : «قال رجل من خواصّ الشيعة لموسى بن جعفر عليه السلام ـ وهو يرتعد بعد ما خلا به ـ : يابن رسول الله ما أخوفني أن يكون فلان بن فلان ينافقك في إظهاره اعتقاد وصيّتك وإمامتك .

فقال موسى عليه السلام : وكيف ذاك ؟

قال : لأنّي حضرت معه اليوم في مجلس فلان ، وكان معه رجل من كبار أهل بغداد ، فقال له صاحب المجلس : أنت تزعم أنّ صاحبك موسى بن جعفر إمام دون هذا الخليفة القاعد على سريره ؟ قال له صاحبك هذا : ما أقول هذا ، بل أزعم أنّ موسى بن جعفر غير إمام ، وإن لم أكن أعتقد أنّه غير إمام فعَلَيّ وعلى من لم يعتقد ذلك لعنة الله والملائكة والنّاس أجمعين .

فقال له صاحب المجلس : جزاك الله خيراً ، ولعن من وشى بك إليّ .

فقال له موسى بن جعفر عليه السلام : ليس كما ظننت ، ولكن صاحبك أفقه منك ، إنّما قال : موسى غير إمام أي إنّ الّذي هو غير إمام فموسى غيره ، فهو إذاً إمام ، فإنّما أثبت بقوله هذا إمامتي ونفى إمامة غيري(١) .

يا عبدالله ! متى يزول عنك هذا الّذي ظننته بأخيك ؟ هذا من النفاق ، تب إلى الله ، ففهم الرّجل ما قاله واغتمّ ، ثمّ قال : يابن رسول الله مالي مال فأُرضيه به ، ولكن قد وهبت له شطر عملي كلّه ، من تعبّدي وصلاتي عليكم أهل البيت ، ومن لعنتي لأعدائكم .

قال موسى عليه السلام : الآن خرجت من النّار .

وروى أيضاً عنه عليه السلام أنّه قال : «فقيه واحد ينقذ يتيماً من أيتامنا ، المنقطعين عن مشاهدتنا ، بتعليم ما هو محتاج إليه ، أشدّ على إبليس من ألف عابد ، لأنّ العابد همّه ذات نفسه فقط ، وهذا همّه مع ذات نفسه ذات عباد الله وإمائه ، لينقذهم من يد إبليس ومردته ، ولذلك هو أفضل عند الله من ألف عابد ، وألف ألف عابد» .

وروي أنّ عليه السلام كان حسن الصوت ، وحسن القراءة ، وقال يوماً من الأيّام : «إنّ عليّ بن الحسين عليه السلام كان يقرأ «القرآن» فربّما مرّ به المارّ فصعق من حسن صوته ، وإنّ الإمام لو أظهر من ذلك شيئاً لما احتمله النّاس» .

قيل له : ألم يكن رسول الله صلى الله عليه وآله يصلّي بالنّاس ويرفع صوته بالقرآن ؟

فقال عليه السلام : «إنّ رسول الله صلى الله عليه وآله كان يحمل من خلفه ما يطيقون» .

احتجاج أبي الحسن عليّ بن موسى الرّضا عليه السلام في التوحيد والعدل وغيرهما على المخالف والمؤالف والأجانب والأقارب

دخل عليه رجل فقال له : يابن رسول الله ما الدليل على حدوث العالم ؟

فقال عليه السلام : «إنّك لم تكن ثمّ كنت ، وقد علمت أنّك لم تكوّن نفسك ، ولا كوّنك من هو مثلك» .

وعن محمّد بن عبدالله الخراساني خادم الرّضا عليه السلام قال : دخل رجل من الزنادقة على الرّضا عليه السلام -

---

(١) توضيح ذلك أنّه أراد : أنا أزعم أنّ إمامك هذا القاعد على سريره هو إمام ضلال ، وموسى بن جعفر عليه السلام هو إمام من غير هذا النوع .

وعنده جماعة ـ فقال له أبوالحسن عليه السلام : «أرأيت إن كان القول قولكم ـ وليس هو كما تقولون ـ ألسنا وإيّاكم شرعاً سواء ، ولا يضرّنا ما صلّينا وصمنا وزكّينا وأقررنا» ؟

فسكت .

فقال أبوالحسن عليه السلام : «وإن لم يكن القول قولنا ـ وهو كما نقول ـ ألستم قد هلكتم ونجونا» ؟

قال الزنديق : رحمك الله فأوجدني كيف هو ، وأين هو ؟

قال عليه السلام : «ويلك ! إنّ الّذي ذهبت إليه غلط ، وهو أيّن الأين ، وكان ولا أين ، وهو كيّف الكيف ، وكان ولا كيف ، ولا يعرف بكيفوفيّة ، ولا بإينونيّة ، ولا يدرك بحاسّة ، ولا يقاس بشيء» .

قال الرجل : فإذن إنّه لا شيء ، إذ لم يدرك بحاسّة من الحواس !

فقال أبوالحسن عليه السلام : «ويلك ! لمّا عجزت حواسّك عن إداركه أنكرت ربوبيّته ، ونحن إذا عجزت حواسّنا عن إدراكه أيقنا أنّه ربّنا ، وأنّه شيء بخلاف الأشياء» .

قال الرّجل : فأخبرني متى كان ؟

قال أبوالحسن عليه السلام : «أخبرني متى لم يكن ، فأُخبرك متى كان» !

قال الرّجل : فما الدليل عليه ؟

قال أبوالحسن عليه السلام : «إنّي لمّا نظرت إلى جسدي فلم يمكنّي فيه زيادة ولا نقصان في العرض والطول ، ودفع المكاره عنه ، وجرّ المنفعة إليه ، علمت أنّ لهذا البنيان بانياً ؛ فأقررت به ، مع ما أرى من دوران الفلك بقدرته ، وإنشاء السحاب ، وتصريف الرياح ، ومجرى الشمس والقمر والنجوم ، وغير ذلك من الآيات العجيبات المتقنات ، علمت أنّ لهذا مقدّراً ومنشئاً» .

قال الرجل : فلم لا تدركه حاسّة البصر ؟

قال عليه السلام : «للفرق بينه وبين خلقه الّذين تدركهم حاسّة الأبصار ، منهم ومن غيرهم ، ثمّ هو أجلّ من أن يدركه بصر ، أو يحيط به وهم ، أو يضبطه عقل» .

قال : فحدّه لي !

قال عليه السلام : «لا حدّ له» .

قال : ولِمَ ؟

قال عليه السلام : «لأنّ كلّ محدود متناه ، وإذا احتمل التحديد احتمل الزيادة ، وإذا احتمل الزيادة احتمل النقصان ، فهو غير محدود ، ولا متزايد ولا متناقص ، ولا متجزّي ، ولا متوهّم» .

قال الرجل : فأخبرني عن قولكم : إنّه لطيف ، وسميع ، وبصير ، وعليم وحكيم ، أيكون السميع إلّا بالأُذن ، والبصير إلّا بالعين ، واللطيف إلّا بعمل اليدين ، والحكيم إلّا بالصنعة ؟

فقال أبوالحسن عليه السلام : «إنّ اللطيف منّا على حدّ إيجاد الصنعة ، أوما رأيت أنّ الرّجل اتّخذ شيئاً فيلطف في اتّخاذه ؟ فيقال : ما ألطف فلاناً ، فكيف لا يقال للخالق الجليل : «لطيف» إذ خلق خلقاً لطيفاً وجليلاً ، وركّب في الحيوان منه أرواحها ، وخلق كلّ جنس مبايناً من جنسه في الصورة ، ولا يشبه بعضه بعضاً ، فكلّ به لطف من الخالق اللطيف الخبير في تركيب صورته .

ثمّ نظر إلى الأشجار وحملها أطايبها ؛ المأكولة منها وغير المأكولة ، فقلنا عند ذلك أنّ خالقنا «لطيف» لاكلطف خلقه في صنعتهم ، وقلنا أنّه «سميع» لأنّه لا يخفى عليه أصوات خلقه ، مابين العرش إلى الثرى ، من الذرّة إلى ما أكبر منها ، في برّها وبحرها ، ولا يشتبه عليه لغاتها ، فقلنا عند ذلك أنّه «سميع» لا بأُذن ، وقلنا أنّه «بصير» لا يبصر ، لأنّه يرى أثر الذرّة السمحاء في الليلة الظلماء على الصخرة السوداء ، ويرى دبيب النمل في الليلة الدجيّة ، ويرى مضارّها ومنافعها ، وأثر وسفادها ، وفراخها ونسلها ، فقلنا عند ذلك أنّه «بصير» لاكبصر خلقه» .

قال : فما برح حتّى أسلم . وفيه كلام غير هذا .

وروي عنه عليه السلام في خبر آخر أنّه قال : «إنّما يسمّى الله تعالى بـ «العالم» لغير علم حادث ، علم به الأشياء ، واستعان به على حفظ ما يستقبل من أمره ، والرؤية فيما يخلق ، وإنّما سمّي «العالم» من الخلق : عالماً لعلم حادث ، إذكان قبله جاهلاً ، وربّما فارقهم العلم بالأشياء فصار إلى الجهل ، وإنّما سمّي الله «عالماً» لأنّه لا يجهل شيئاً ، فقد جمع الخالق والمخلوق اسم العالم ، واختلف المعنى ، وهو الله تعالى «قائم» .

وأمّا «القائم» فليس على معنى انتصاب وقيام على ساق في كبد ، كما قامت الأشياء ، ولكن أخبر أنّه قائم يخبر أنّه «حافظ» كقولك : فلان القائم بأمرنا ، وهو عزّ وجلّ القائم على كلّ نفس بما كسبت ، والقائم أيضاً في كلام النّاس «الباقي» والقائم أيضاً «الكافي» كقولك للرّجل : قم بأمر كذا ، أي أكفه ، والقائم منّا قائم على ساق ، فقد جمعنا الإسم ولم يجمعنا المعنى .

وأمّا «الخبير» فالّذي لا يعزب عنه شيء ولا يفوته ، وليس بالتجربة والإعتبار بالأشياء فتفيده التجربة والإعتبار علماً لولاهما لما علم ، لأنّ من كان كذلك كان جاهلاً ، والله تعالى لم يزل خبيراً بما يخلق ، والخبير من النّاس المستخبر ، فقد جمعنا الإسم واختلف المعنى .

وأمّا «الظاهر» فليس من أنّه علا الأشياء بركوب فوقها ، وقعود عليها ، وتسنّم لذراها ، ولكن ذلك لقهره وغلبته الأشياء وقدرته عليها كقول الرّجل : ظهرت على أعدائي ، وأظهرني الله على خصمي ، إذا أخبر عن الفلج والظفر ، فهكذا ظهور الله على الأشياء .

ووجه آخر : إنّه الظاهر لمن أراده لا يخفى عليه ، لمكان الدليل والبرهان على وجوده في كلّ ما دبّره وصنعه ممّا يرى ، فأيّ ظاهر أظهر وأوضح أمراً من الله تبارك وتعالى ، فإنّك لا تعدم صنعته حيثما توجّهت ، وفيك من آثاره ما يغنيك ، والظاهر منّا البارز بنفسه ، المعلوم بحدّه ، فقد جمعنا الإسم ولم يجمعنا المعنى . .

وأمّا «الباطن» فليس على معنى الإستبطان للأشياء بأن يغور فيها ، ولكن ذلك منه على استبطانه للأشياء علماً وحفظاً وتدبيراً ، كقول القائل : بطنته بمعنى «خبرته» وعلمت مكنون سرّه ، والباطن منّا الغاير في الشيء المستتر فيه ، فقد جمعنا الإسم واختلف المعنى» .

قال عليه السلام : «وهكذا جميع الأسماء وإن كنّا لم نسمّها كلّها» .

وكان المأمون لمّا أراد أن يستخلف الرّضا عليه السلام جمع بني هاشم ، فقال : إنّي أُريد أن أستعمل الرّضا على هذا الأمر من بعدي .

فحسده بنو هاشم وقالوا : أتولّي رجلاً جاهلاً ، ليس له بصر بتدبير الخلافة ؟ فابعث إليه يأتنا فترى من جهله ما تستدلّ به !

فبعث إليه ، فأتاه ، فقال له بنو هاشم : يا أباالحسن إصعد المنبر وانصب لنا علماً نعبد الله عليه .

فصعد عليه السلام المنبر ، فقعد مليّاً ، لا يتكلّم مطرقاً ، ثمّ انتفض انتفاضة فاستوى قائماً وحمد الله تعالى وأثنى عليه ، وصلّى على نبيّه وأهل بيته ، ثمّ قال عليه السلام : «أوّل عبادة الله معرفته ، وأصل معرفة الله توحيده ، ونظام توحيده نفي الصفات عنه[1] ، بشهادة العقول أنّ كلّ صفة وموصوف مخلوق ، وشهادة كلّ مخلوق أنّ له خالقاً ليس بصفة ولا موصوف ، وشهادة كلّ صفة وموصوف بالإقتران ، وشهادة الإقتران بالحدث ، وشهادة الحدث بالإمتناع من الأزل الممتنع من

---

(١) «أوّل عبادة الله» أي أشرفها وأقدمها رتبة «معرفته» تعالى لأنّ الطاعة والعبادة تأتي بعد المعرفة فهي متأخّرة رتبة عنها ، ولا تقبل عبادة بدون المعرفة ، فهي دونها في الشرف أيضاً «وأصل معرفة الله توحيده» أي تنزيهه عن التركيب والشركة «ونظام التوحيد» أي تمامه وكماله «نفي الصفات الزائدة عنه» فلا يتمّ التوحيد إلّا بالقول بأنّ صفاته تعالى عين ذاته .

الحدث[1] فليس الله عرف من عرف ذاته بالتشبيه ، ولا إيّاه وحّد من اكتنهه ، ولا حقيقته أصاب من مثّله ، ولا به صدّق من نهاه ، ولا صمد صمده من أشار إليه ، ولا إيّاه عنى من شبّهه ، ولا له تذلّل من بعّضه ، ولا إيّاه أراد من توهّمه[2] ، كلّ معروف بنفسه مصنوع ، وكلّ قائم في سواه معلول[3] بصنع الله يستدلّ عليه ، وبالعقول يعتقد معرفته ، وبالفطرة تثبت حجّته[4] خَلْقُ الله الخَلْقَ حجابٌ بينه وبينهم[5] ومفارقته إيّاهم مباينة بينه وبينهم ، وابتداؤه إيّاهم دليل على أن لا إبتداء له ، لعجز

---

(١) ثمّ إنّه عليه السلام شرع بإقامة الدليل على نفي الصفات الزائدة على الذات ، فقال : «لشهادة العقول أنّ كلّ صفة وموصوف مخلوق» وذلك أنّ الصّفة لا قوّة لها إلّا بالموصوف فهي محتاجة إليه لا تنفك عنه ، وبها كمال الموصوف فهو محتاج إليها ، والحاجة دليل الإمكان «وشهادة كلّ مخلوق أنّ له خالقاً» غنيّاً بذاته «ليس بصفة» حتّى يفتقر إلى الموصوف ليقوم به ذاته «ولا موصوف» حتّى يحتاج إلى الصفة لكي يكمل بها ذاته «وشهادة كلّ صفة وموصوف بالإقتران» لما عرفت من حاجة بعضها إلى الآخر وشهادة الإقتران بالحدث ... الخ . توضيح ذلك هو أنّ الصفة والموصوف إمّا أن يكونا قديمَين ، أو يكون أحدهما قديماً والآخر حادثاً ، أو يكون حادثَين ، ولا رابع لهذا الحصر الثلاثي .

والأوّل باطل لما يلزم منه القول بتعدّد القدماء وقد ثبت بطلانه .

والثاني يبطله الإقتران والحاجة والإفتقار لما ألمحنا إليه آنفاً وحينئذٍ يثبت القول الثالث وهو المطلوب .

(٢) «فليس الله» الواجب الوجود الواحد الأحد «عرف من عرف بالتشبيه ذاته» بل عرف ممكناً من مخلوقاته «ولا إيّاه وحّد من اكتنهه» أي جعل له كنهاً «ولا حقيقته أصاب من مثّله» أي جعل له مثلاً وصورة ؛ سواء كانت ذهنيّة أو خارجيّة «ولا به صدّق من نهاه» أي جعل له حدّاً ونهاية «ولا صمد صمده» أي قصد نحوه «من أشار إليه» سواء بالإشارة الحسّيّة أو الذهنيّة «ولا إيّاه عنى من شبّهه» وإنّما عنى ممكناً من الممكنات ، ومخلوقاً من جملة المخلوقات «ولا له تذلّل» أي تعبّد «من بعّضه» أي جعل له أبعاضاً وجزّأه فهو إنّما عبد جسماً مخلوقاً مركّباً له أجزاء وأبعاض «ولا إيّاه أراد من توهّمه» أي : تصوّر له صورة ذهنيّة .

(٣) «كلّ معروف بنفسه» أي بكنه حقيقته «مصنوع» لما يلزمه من التركيب «وكلّ قائم في سواه» لا يكون علّة لاحتياجه إلى الغير فهو «معلول» .

(٤) «بصنع الله» وحكيم تدبيره «يستدلّ عليه» «وبالعقول تعتقد معرفته» «وبالفطرة» الّتي هي بمعنى الإبتداع أفي الله شكٌّ فاطر السّماوات والأرض «تثبت حجّته» ، ولعلّ في قوله عليه السلام بالفطرة إشارة إلى قول النّبيّ صلى الله عليه وآله : «كلّ مولود يولد على الفطرة إلّا أنّ أبواه يهوّدانه ، أو ينصّرانه ، أو يمجّسانه» فالعقول لو تركت على فطرتها وأصل خلقتها لآمنت به .

(٥) «خلق الله الخلق حجاب» حاجز «بينه» في كماله وغناه ووجوبه الذاتي «وبينهم» في حاجتهم إليه ونقصهم وإمكانهم الذاتي «ومفارقته إيّاهم» في الصفات دليل على «مباينة بينه وبينهم» في الذات . وفي بعض النسخ «ومباينته إيّاهم مفارقته أينيّتهم» أي إنّ مفارقته الأينيّة الّتي هي من لوازم الأجسام دلّت على مباينته إيّاهم في الذات أو أنّ مباينته إيّاهم في الذات دلّت على مفارقته لهم فيما اختصّوا به من الأينيّة فلا يقال له : «أين هو» لأنّ ذاته تباين ذواتهم فلا يلازمها ما يلزم الممكنات .

كلّ مبتدأ عن ابتداء غيره ، وأدوه إيّاهم دليل على أن لا أداة له ، لشهادة الأدوات بفاقة المأدّين ، فأسماؤه تعبير ، وأفعاله تفهيم ، وذاته حقيقة ، وكنهه تفريق بينه وبين خلقه ، وغيوره تحديد لما سواه ، فقد جهل الله من استوصفه ، وقد تعدّاه من استمثله ، وقد أخطأه من اكتنهه ، ومن قال «كيف» فقد شبّهه ، ومن قال «لِمَ» فقد علّله ، ومن قال «متى» فقد وقّته ، ومن قال «فيم» فقد ضمّنه ، ومن قال «إلى مَ» فقد نهاه ، ومن قال «حتّى مَ» فقد غيّاه ، ومن غيّاه فقد غاياه ، ومن غاياه فقد جزّأه ، ومن جزّأه فقد وصفه ، ومن وصفه فقد ألحد فيه ، ولا يتغيّر الله بتغيّر المخلوق ، كما لا يتحدّد بتحديد المحدود .

أحد لا بتأويل عدد ، ظاهر لا بتأويل المباشرة ، متجلّي لا باستهلال رؤية ، باطن لا بمزايلة ، مباين لا بمسافة ، قريب لا بمداناة ، لطيف لا بتجسّم ، موجود لا بعد عدم ، فاعل لا باضطرار ، مقدّر لا بجول فكرة ، مدبّر لا بحركة ، مريد لا بهمامة ، شاء لا بهمّة ، مدرك لا بمجسّة ، سميع لا بآلة ، بصير لا بأداة ، لا تصحبه الأوقات ، ولا تضمّنه الأماكن ، ولا تأخذه السنات ، ولا تحدّه الصفات ، ولا تقيّده الأدوات ، سبق الأوقات كونه ، والعدم وجوده ، والإبتداء أزله .

بتشعيره المشاعر عرف أن لا مشعر له ، وبتجهيزه الجواهر عرف أن لا جوهر له ، وبمضادّته بين الأشياء عرف أن لا ضدّ له ، وبمقارنته بين الأُمور عرف أن لا قرين له ، ضادّ النّور بالظلمة ، والجلاية بالبهمة ، والجسوّ[1] بالبلل ، والصرد بالحرور ، مؤلّفٌ بين متعادياتها ، مفرّق بين متدانياتها ، دالّة بتفريقها على مفرّقها ، وبتأليفها على مؤلّفها ، ذلك قوله ﷻ : ﴿ وَمِن كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾[2] .

ففرّق بين قبل وبعد ، ليعلم أن لا قبل له ولا بعد ، شاهدة بغرائزها أن لا غريزة لمغرزها ، دالّة بتفاوتها أن لا تفاوت لمفاوتها ، مخبرة بتوقيتها أن لا وقت لموقّتها ، حجب بعضها عن بعض ليعلم أن لا حجاب بينه وبينها غيره ، له معنى الربوبيّة إذ لا مربوب ، وحقيقة الإلهيّة إذ لا مألوه ، ومعنى العالم ولا معلوم ، ومعنى الخالق ولا مخلوق ، وتأويل السمع ولا مسموع ، ليس منذ خَلَقَ استحقّ معنى اسم الخالق ، ولا بإحداثه البرايا استفاد معنى البارئيّة ، كيف ولا يغيّبه «مذ» ، ولا تدنيه «قد» ، ولا يحجبه «لعلّ» ، ولا يوقّته «متى» ، ولا يشتمله «حين» ، ولا يقارنه «مع» ، إنّما تحدّ

---

(١) جسي الشّيء ، يجسو : إذا يبس وصلب .

(٢) الذاريات ٤٩.

الأدوات أنفسها ، وتشير الآلة إلى نظائرها ، وفي الأشياء توجد فعالها ، منعتها «منذ» القدمة ، وحمتها «قد» الأزليّة ، وجنّبتها «لولا» التكملة ، افترقت فدلّت على مفرّقها ، وتباينت فأعرّت على مباينتها ، بها تجلّى صانعها للعقول ، وبها احتجب عن الرؤية ، وإليها تحاكم الأوهام ، وفيها أثبت غيره ، ومنها أنبط الدليل ، وبها عرف الإقرار ، وبالعقول يعتقد التصديق بالله ، وبالإقرار يكمل الإيمان به .

لا ديانة إلّا بعد معرفته ، ولا معرفة إلّا بالإخلاص ، ولا إخلاص مع التشبيه ، ولا نفي مع إثبات الصفة للتثنية ، وكلّ ما في الخلق لا يوجد في خالقه ، وكلّ ما يمكن فيه يمتنع في صانعه ، ولا يجري عليه الحركة ولا السكون ، وكيف يجري عليه ما هو أجراه ، أو يعود فيه ما هو ابتداه ، إذاً لتفاوتت ذاته ، ولتجزّى كنهه ، ولامتنع من الأزل معناه ، ولماكان للباري معنى غير المبروء ، ولو وجد له وراء وجده له أمام ، ولالتمس التمام إذ لزمه النقصان ، وكيف يستحقّ الأزل من لا يمتنع من الحدث ؟ أم كيف ينشئ الأشياء من لا يمتنع من الإنشاء ؟ إذاً لقامت عليه آية المصنوع ، ولتحوّل دليلاً بعد ماكان مدلولاً عليه ، ليس في محالّ القول حجّة ، ولا في المسألة عنه جواب ، ولا في معناه لله تعظيم ، ولا في إبانته عن الحقّ ضيم ، إلّا بامتناع الأزلي أن يثني ، ولما لا بدئ له أن يبدئ لا إله إلّا الله العليّ العظيم ، كذب العادلون بالله وضلّوا ضلالاً بعيداً ، وخسروا خسراناً مبيناً ، وصلّى الله على محمّد وآله الطّاهرين» .

وروي عن الحسن بن محمّد النوفلي أنّه كان يقول : قدم سليمان المروزي متكلّم خراسان على المأمون فأكرمه ووصله ، ثمّ قال له : إنّ ابن عمّي عليّ بن موسى الرّضا قدم عَلَيّ من الحجاز ـ يحبّ الكلام ـ وأصحابه ، فعليك أن تصير إلينا يوم التروية لمناظرته .

فقال سليمان : يا أميرالمؤمنين إنّي أكره أن أسأل مثله في مجلسك في جماعة من بني هاشم ، فينتقص عند القوم إذا كلّمني ولا يجوز الإستقصاء عليه .

قال المأمون : إنّما وجّهت إليك لمعرفتي بقوّتك ، وليس مرادي إلّا أن تقطعه عن حجّة واحدة فقط.

فقال سليمان : حسبك يا أميرالمؤمنين ! أجمع بيني وبينه ، وخلّني وإيّاه .

فوجّه المأمون إلى الرّضا عليه السلام فقال له : إنّه قدم علينا رجل من أهل مرو ، وهو واحد خراسان من أصحاب الكلام ، فإن خفّ عليك أن تتجشّم المصير إلينا فعلت .

فنهض عليه السلام للوضوء ثمّ حضر مجلس المأمون ، وجرى بينه وبين سليمان المروزي كلام في

البداء بمعنى الظهور ، لتغيّر المصلحة ، واستشهد عليه السلام بآي كثيرة من «القرآن» على صحّة ذلك ، مثل قول الله : ﴿ يَبْدَؤُاْ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ ﴾(١) و﴿ يَزِيدُ فِي الْخَلْقِ مَا يَشَاء ﴾(٢) و﴿ يَمْحُو اللهُ مَا يَشَاءُ وَيُثْبِتُ ﴾(٣) و﴿ وَمَا يُعَمَّرُ مِن مُعَمَّرٍ وَلاَ يُنقَصُ مِنْ عُمُرِهِ ﴾(٤) و﴿ آخَرُونَ مُرْجَوْنَ لأَمْرِ الله ﴾(٥) وأمثال ذلك .

فقال سليمان : يا أميرالمؤمنين لا أنكر بعد يومي هذا البداء ، ولا أُكذّب به إن شاء الله(٦) .

فقال المأمون : يا سليمان اسأل أباالحسن عمّا بدا لك ، وعليك بحسن الإستماع والإنصاف !

قال سليمان : يا سيّدي ما تقول فيمن جعل الإرادة إسماً وصفة ، مثل حيّ وسميع وبصير وقدير ؟

قال الرّضا عليه السلام : «إنّما قلتم حدثت الأشياء واختلفت لأنّه شاء وأراد ، ولم تقولوا : حدثت واختلفت ، لأنّه سميع بصير ، فهذا دليل على أنّها ليست مثل سميع وبصير ولا قدير» .

قال سليمان : فإنّه لم يزل مريداً ؟

---

(١) الروم ١١.

(٢) فاطر ١.

(٣) الرعد ٤١.

(٤) فاطر : ١١.

(٥) التوبة ١٠٧.

(٦) عقيدتنا نحن الإماميّة في البداء تتلخّص فيما يلي :
لقد ثبت من الأخبار الواردة عن أئمّة أهل البيت سلام الله عليهم أنّ الله سبحانه وتعالى خلق لوحين أثبت فيهما ما يحدث من الكائنات :
الأوّل : اللوح المحفوظ ؛ وهو اللوح المطابق لعلمه تعالى لا يحدث فيه أيّ تبدّل أو تغيير .
الثاني : لوح المحو والإثبات : وهو الّذي يتغيّر ويتبدّل ما فيه حسب ما تقتضيه الحكمة الإلهيّة قبل وقوعه وتحقّقه في الخارج .
وهذا اللوح ـ أعني لوح المحو والإثبات ـ تتطلّع عليه الرسل والأنبياء والأوصياء والملائكة .
وقد روي عن الإمام الصادق عليه السلام أنّه قال : «إنّ لله عِلْمَين : علم مكنون مخزون لا يعلمه إلّا هو من ذلك يكون البداء ، وعلم علّمه ملائكته وأنبياءه ورسوله فنحن نعلمه» .
ومعنى البداء : ظهور الشيء بعد خفائه ، وهو في عقيدة الإماميّة : ظهور الشيء من الله لمن يشاء من خلقه بعد إخفائه عنهم ، فقولنا : «بدا لله» معنا بدا لله شأن أو حكم وليس معناه ظهر له ما خفي عليه ، تعالى الله عن ذلك علوّاً كبيراً .
ورد عن الإمام الصادق عليه السلام أنّه قال : «إنّ الله لم يبد له من جهل» .
وقال عليه السلام : «ما بدا لله في شيء إلّا كان في علمه قبل أن يبدو له» .

قال عليه السلام : «يا سليمان فإرادته غيره» ؟

قال : نعم .

قال عليه السلام : «قد أثبتّ معه شيئاً لم يزل» !

قال سليمان : ما أثبت ؟

قال الرّضا عليه السلام : «أهي محدثة» ؟

قال سليمان : لا ، ما هي محدثة !

فأعاد عليه المسألة فقال عليه السلام : «هي محدثة يا سليمان ؟ فإنّ الشيء إذا لم يكن أزليّاً كان محدثاً ، وإذا لم يكن محدثاً كان أزليّاً» .

قال سليمان : إرادته منه كما أنّ سمعه وبصره وعلمه منه .

قال الرّضا عليه السلام : «فإرادته نفسه» ؟

قال : لا .

قال عليه السلام : «فليس المريد مثل السميع والبصير» ؟

قال سليمان : إنّما أراد نفسه ، وأبصر نفسه وعلم نفسه .

قال الرّضا عليه السلام : «ما معنى أراد نفسه ، أراد أن يكون شيئاً ، أو أراد أن يكون حيّاً ، أو سميعاً ، أو بصيراً ، أو قديراً» ؟

قال : نعم .

قال الرّضا عليه السلام : «أفبإرادته كان ذلك» ؟

قال سليمان : نعم .

قال الرّضا عليه السلام : «فليس لقولك أراد أن يكون حيّاً سميعاً بصيراً معنى ، إذ لم يكن ذلك بإرادته» .

قال سليمان : بلى قد كان ذلك بإرادته .

فضحك المأمون ومن حوله ، وضحك الرّضا عليه السلام ، ثمّ قال لهم : «إرفقوا بمتكلّم خراسان» !

فقال عليه السلام : «يا سليمان فقد حال عندكم عن حالة وتغيّر عنها ، وهذا ممّا لا يوصف الله عزّ وجلّ به» .

فانقطع .

ثمّ قال الرّضا عليه السلام : «يا سليمان أسألك عن مسألة» ؟

قال : سل جعلت فداك !

قال عليه السلام : «أخبرني عنك وعن أصحابك تكلّمون النّاس بما تفقهون وتعرفون ، أو بما لا تفقهون وتعرفون» ؟

فقال : بل بما نفقهه ونعلم .

قال الرّضا عليه السلام : «فالذي يعلم النّاس أنّ المريد غير الإرادة ، وأنّ المريد قبل الإرادة ، وأنّ الفاعل قبل المفعول ، وهذا يبطل قولكم : إنّ الإرادة والمريد شيء واحد» .

قال : جعلت فداك ! ليس ذلك منه على ما يعرف النّاس ، ولا على ما يفقهون .

قال عليه السلام : «فأراكم ادّعيتم على ذلك بلا معرفة ، وقلتم : الإرادة كالسمع والبصر ، إذا كان ذلك عندكم على ما لا يعرف ولا يعقل» .

فلم يحر جواباً .

ثمّ قال الرّضا عليه السلام : «هل يعلم الله تعالى جميع ما في الجنّة والنّار» ؟

قال سليمان : نعم .

قال عليه السلام : «فيكون ما علم الله عزّ وجلّ أنّه يكون من ذلك» ؟

قال : نعم .

قال عليه السلام : «فإذا كان حتّى لا يبقى منه شيء إلّا كان ، أيزيدهم أو يطويه عنهم» ؟

قال سليمان : بل يزيدهم .

قال عليه السلام : «فأراه في قولك قد زادهم مالم يكن في علمه أنّه يكون» .

قال : جعلت فداك ! فالمزيد لا غاية له .

قال عليه السلام : «فليس يحيط علمه عندكم بما يكون فيما إذا لم يعرف غاية ذلك ، وإذا لم يحط علمه بما يكون فيهما لم يعلم ما يكون فيهما قبل أن يكون ، تعالى الله عن ذلك علوّاً كبيراً» .

قال سليمان : إنّما قلت لا يعلمه لأنّه لا غاية لهذا لأنّ الله عزّ وجلّ وصفهما بالخلود ، وكرهنا أن نجعل لهما انقطاعاً .

قال الرّضا عليه السلام : «ليس علمه بذلك بموجب لانقطاعه عنهم ، لأنّه قد يعلم ذلك ثمّ يزيدهم ، ثمّ لا يقطعه عنهم ، ولذلك قال عزّ وجلّ في كتابهم : ﴿ كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُم بَدَّلْنَاهُمْ جُلُوداً غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا الْعَذَابَ ﴾[1] وقال لأهل الجنّة : ﴿ عَطَاءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ ﴾[2] وقال عزّ وجلّ : ﴿ وَفَاكِهَةٍ كَثِيرَةٍ * لاَ مَقْطُوعَةٍ وَلاَ

---

(١) النساء ٥٦.

مَمْنُوعَةٍ ﴾[٣] فهو عزّ وجلّ يعلم ذلك ولا يقطع عنهم الزيادة ، أرأيت ما أكل أهل الجنّة وما شربوا أليس يخلف مكانه» ؟

قال : بلى .

قال عليه السلام : «أفيكون يقطع ذلك عنهم وقد أخلف مكانه» ؟

قال سليمان : لا .

قال عليه السلام : «فكذلك كلّما يكون فيها إذا أخلف مكانه فليس بمقطوع عنهم» .

قال سليمان : بلى . يقطعه عنهم ولا يزيدهم .

قال الرّضا عليه السلام : «إذاً يبيد ما فيها ، وهذا يا سليمان إبطال الخلود ، وخلاف الكتاب ، لأنّ الله عزّ وجلّ يقول : ﴿ لَهُم مَا يَشَاؤُونَ فِيهَا وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ ﴾[٤] ويقول عزّ وجلّ : ﴿ عَطَاءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ ﴾ وقال عزّ وجلّ : ﴿ وَمَا هُمْ عَنْهَا بِمُخْرَجِينَ ﴾[٥] ويقول عزّ وجلّ : ﴿ خَالِدِينَ فِيهَا ﴾[٦] ويقول عزّ وجلّ : ﴿ وَفَاكِهَةٍ كَثِيرَةٍ * لاَ مَقْطُوعَةٍ وَلاَ مَمْنُوعَةٍ ﴾» .

فلم يحر جواباً .

ثمّ قال الرّضا عليه السلام : «ألا تخبرني عن الإرادة فعل أم هي غير فعل» ؟

قال : بل هي فعل .

قال عليه السلام : «فهي محدثة لأنّ الفعل كلّه محدث» !

قال : ليست بفعل .

قال عليه السلام : «فمعه غيره لم يزل» ؟

قال سليمان : إنّ الإرادة هي الأشياء .

قال عليه السلام : «يا سليمان هذا الّذي عبتموه على ضرار وأصحابه من قولهم : «إنّ كلّ ما خلق الله عزّ وجلّ في سماء أو أرض أو بحر أو برّ من كلب أو خنزير أو قرد أو إنسان أو دابّة إرادة الله ، وأنّ إرادة الله تحيا وتموت ، وتذهب ، وتأكل وتشرب ، وتنكح ، وتلد وتظلم ، وتفعل الفواحش ، وتكفر ،

---

(٢) هود ١٠٨.

(٣) الواقعة ٣٢ـ٣٣.

(٤) ق ٣٥.

(٥) الحجر ٤٨.

(٦) البقرة ١٦٢.

وتشرك ، فتبرّأ منها وتعاديها وهذا حدّها» .

قال سليمان : إنّها كالسمع والبصر والعلم .

قال الرّضا عليه السلام : «قد رجعت إلى هذا ثانية ! فأخبرني عن السمع والعلم أمصنوع» ؟

قال سليمان : لا .

قال الرّضا عليه السلام : «فكيف نفيتموه ؟ فمرّة قلتم لم يرد ، ومرّة قلتم أراد ، وليست بمفعول له» .

قال سليمان : إنّما ذلك كقولنا مرّة علم ومرّة لم يعلم .

قال الرّضا عليه السلام : «ليس ذلك سواء لأنّ نفي المعلوم ليس ينفي العلم ، ونفي المراد نفي الإرادة أن تكون ، لأنّ الشّيء إذا لم يرد لم تكن إرادة ، وقد يكون العلم ثابتاً وإن لم يكن المعلوم ، بمنزلة البصر فقد يكون الإنسان بصيراً وإن لم يكن المبصر ، ويكون العلم ثابتاً وإن لم يكن المعلوم» .

فلا يزال سليمان يردّد المسألة وينقطع فيها ويستأنف ، وينكر ما كان أقرّ به ، ويقرّ بما أنكر ، وينتقل من شيء إلى شيء ، والرضا صلوات الله عليه ينقض عليه ذلك ، حتّى طال الكلام بينهما ، وظهر لكلّ أحد انقطاعه مرّات كثيرة ، تركنا إيراد ذلك مخالفة التطويل .

فآل الأمر إلى أن قال سليمان : إنّ الإرادة هي القدرة .

قال الرّضا عليه السلام : «هو عزّ وجلّ يقدر على ما لا يريد أبد الآبدين من ذلك لأنّه قال تبارك وتعالى : ﴿ وَلَئِنْ شِئْنَا لَنَذْهَبَنَّ بِالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ ﴾[1] فلو كانت الإرادة هي القدرة كان قد أراد أن يذهب به لقدرته» .

فانقطع سليمان وترك الكلام عند هذا الإنقطاع ، ثمّ تفرّق القوم .

وعن صفوان بن يحيى[2] قال : سألني أبو قرة المحدّث صاحب شبرمة أن أدخله على أبي

---

(١) الإسراء ٨٦.

(٢) صفوان بن يحيى : أبو محمّد مولى بني بجيلة بيّاع السابري كوفي .

قال الشيخ الطوسي رحمه الله : إنّه أوثق أهل زمانه عند أصحاب الحديث وغيرهم . وكان يصلّي كلّ يوم خمسين ومائة ركعة ، ويصوم في السنة ثلاثة أشهر ، ويخرج زكاة ماله في السنة ثلاث مرّات ، وذلك أنّه اشترك هو وعبدالله بن جندب وعلي بن النعمان في بيت الله الحرام وتعاقدوا جميعاً : إنّ من مات منهم يصلّي من بقي صلاته ويصوم عنه ويزكّي عنه مادام حيّاً ؛ فمات صاحباه وبقي صفوان بعدهما ، وكان يفي لهما بذلك فيصلّي عنهما ، ويحجّ عنهما ، ويصوم عنهما ، ويزكّي عنهما ، وكلّ شيء من البرّ والإحسان يفعله لنفسه كذلك يفعله عن صاحبيه ، وكان وكيل الرضا عليه السلام .

الحسن الرّضا عليه السلام ، فأستأذنه فأذن له ، فدخل فسأله عن أشياء من الحلال والحرام ، والفرائض والأحكام ، حتّى بلغ سؤاله إلى التوحيد فقال له : أخبرني جعلني الله فداك عن كلام الله لموسى ؟

فقال عليه السلام : «الله ورسوله أعلم بأيّ لسان كلّمه بالسريانيّة أم بالعبرانيّة» .

فأخذ أبو قرة بيلسانه فقال : إنّما أسألك عن هذا اللسان !

فقال أبوالحسن عليه السلام : «سبحان الله عمّا تقول ، ومعاذ الله أن يشبه خلقه ، أو يتكلّم بمثل ما هم به متكلّمون ، ولكنّه تبارك وتعالى ليس كمثله شيء ، ولا كمثله قائل ولا فاعل» .

قال : كيف ذلك ؟

قال عليه السلام : «كلام الخالق لمخلوق ليس ككلام المخلوق لمخلوق ، ولا يلفظ بشقّ فم ولسان ، ولكن يقول له : «كن» فكان بمشيّته ، ما خاطب به موسى عليه السلام من الأمر والنهي من غير تردّد في نفس» .

فقال أبو قرة : فما تقول في الكتب ؟

فقال أبوالحسن عليه السلام : ««التوراة» و«الإنجيل» و«الزبور» و«الفرقان» وكلّ كتاب أنزل كان كلام الله ، أنزله للعالمين نوراً وهدى ، وهي كلّها محدثة ، وهي غير الله ، حيث يقول : ﴿ وَيُحْدِثُ لَهُمْ ذِكْراً ﴾[1] وقال : ﴿ مَا يَأْتِيهِم مِن ذِكْرٍ مِن رَّبِّهِم مُّحْدَثٍ إِلَّا اَسْتَمَعُوهُ وَهُمْ يَلْعَبُونَ ﴾[2] والله أحدث الكتب كلّها الّذي أنزلها» .

فقال أبو قرة : فهل تفنى ؟

فقال أبوالحسن عليه السلام : «أجمع المسلمون على أنّ ما سوى الله فانٍ ، وما سوى الله فعل الله ، و«التوراة» و«الإنجيل» و«الزبور» و«الفرقان» فعل الله ، ألم تسمع النّاس يقولون : «ربّ

⮌ وقال أبو عمرو الكشي : أجمع أصحابنا على تصحيح ما يصحّ عن صفوان بن يحيى بيّاع السابري والإقرار له بالفقه في آخرين يأتي ذكرهم في مواضعهم إن شاء الله تعالى .

وروي عن محمّد بن قولويه عن أحمد بن محمّد عن الحسين بن سعيد عن معمر بن خلاد قال : قال أبوالحسن عليه السلام : «ما ذئبان ضاريان في غنم قد غاب عنها رعاؤها بأضرّ في دين المسلم من حبّ الرّياسة». ثمّ قال عليه السلام : «ولكن صفوان لا يحبّ الرّياسة».

وكان له عند الرضا عليه السلام منزلة شريفة ، وتوكّل للرضا عليه السلام وأبي جعفر عليه السلام ، وسلم مذهبه من الوقف ، وكانت له منزلة من الزهد والعبادة . [القسم الأوّل من خلاصة العلاّمة ٨٨]

(١) طه ١١٣.

(٢) الأنبياء ٢.

القرآن» وإنّ «القرآن» يقول يوم القيامة : «يا ربّ هذا فلان ـ وهو أعرف به منه ـ قد أظمأت نهاره ، وأسهرت ليله ، فشفّعني فيه» وكذلك «التوراة» و«الإنجيل» و«الزبور» ، وهي كلّها محدثة ، مربوبة ، أحدثها من ليس كمثله شيء ، هدى لقوم يعقلون ، فمن زعم أنّهنّ لم يزلن معه فقد أظهر : أنّ الله ليس بأوّل قديم ، ولا واحد ، وأنّ الكلام لم يزل معه ، وليس له بدؤ ، وليس بإله» .

قال أبو قرة : وإنّا روينا : أنّ الكتب كلّها تجيء يوم القيامة والنّاس في صعيد واحد ، صفوف قيام لربّ العالمين ، ينظرون حتّى ترجع فيه ، لأنّها منه وهي جزء منه ، فإليه تصير» !

قال أبوالحسن عليه السلام : «فهكذا قالت النصارى في المسيح أنّه روحه ، جزء منه ويرجع فيه ، وكذلك قالت المجوس في النّار والشمس أنّهما جزء منه ترجع فيه ، تعالى ربّنا أن يكون متجزّياً ، أو مختلفاً ، وإنّما يختلف ويأتلف المتجزّي ، لأنّ كلّ متجزٍّ متوهّم ، والكثرة والقلّة مخلوقة دالّة على خالق خلقها» .

فقال أبو قرة : فإنّا روينا : أنّ الله قسّم الرؤية والكلام بين نبيّين ، فقسّم لموسى عليه السلام الكلام ، ولمحمّد صلى الله عليه وآله الرؤية .

فقال أبوالحسن عليه السلام : «فمن المبلّغ عن الله إلى الثقلين الجن والإنس أنّه لا تدركه الأبصار ، ولا يحيطون به علماً ، وليس كمثله شيء ، أليس محمّد صلى الله عليه وآله» ؟

قال : بلى .

قال أبوالحسن عليه السلام : «فكيف يجيء رجل إلى الخلق جميعاً فيخبرهم أنه جاء من عند الله ، وأنّه يدعوهم إلى الله بأمر الله ، ويقول : إنّه لا تدركه الأبصار ، ولا يحيطون به علماً ، وليس كمثله شيء ، ثمّ يقول : أنا رأيته بعيني ، وأحطت به علماً ، وهو على صورة البشر ، أما تستحيون ؟ ما قدرت الزنادقة أن ترميه بهذا أن يكون أتى عن الله بأمر ثمّ يأتي بخلافه من وجه آخر» .

فقال أبو قرة : إنّه يقول : ﴿ وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ ﴾[1] ؟

فقال أبوالحسن عليه السلام : «إنّ بعد هذه الآية ما يدلّ على ما رأى حيث قال : ﴿ مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَىٰ ﴾[2] يقول : ماكذب فؤاد محمّد صلى الله عليه وآله ما رأت عيناه ، ثمّ أخبر بما رأت عيناه فقال : ﴿ لَقَدْ رَأَىٰ

(١) النجم ١٣.

(٢) النجم ١١.

مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ ٱلْكُبْرَىٰ ﴾[1] فآيات الله غير الله ، وقال : ﴿ وَلا يُحِيطُونَ بِهِ عِلْماً ﴾[2] فإذا رأته الأبصار فقد أحاط به العلم ووقعت المعرفة» .

فقال أبو قرة : فتكذّب بالرّواية ؟

فقال أبوالحسن عليه السلام : «إذاكانت الرواية مخالفة للقرآن كذّبتها ، وما أجمع المسلمون عليه أنّه لا يحاط به علماً ، ولا تدركه الأبصار ، وليس كمثله شيء» .

وسأله عن قول الله : ﴿ سُبْحَانَ ٱلَّذِي أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِ لَيْلاً مِنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَىٰ ٱلْمَسْجِدِ ٱلأَقْصَىٰ ﴾[3] ؟

فقال أبوالحسن عليه السلام : «قد أخبر الله تعالى أنّه أسرى به ، ثمّ أخبر أنّه لِمَ أُسري به ، فقال : ﴿ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا ﴾[4] فآيات الله غير الله ، فقد أعذر ، وبيّن لم فعل به ذلك ، وما رآه وقال : ﴿ فَبِأَيِّ حَدِيْثٍ بَعْدَ اللهِ وَآيَاتِهِ يُؤمِنُونَ ﴾[5] فأخبر أنّه غير الله» .

فقال أبو قرة : أين الله ؟

فقال أبوالحسن عليه السلام : «الأين مكان ، وهذه مسألة شاهد عن غايب ، فالله تعالى ليس بغائب ، ولا يقدمه قادم ، وهو بكلّ مكان ، موجود ، مدبّر ، صانع ، حافظ ، ممسك السماوات والأرض» .

فقال أبو قرة : أليس هو فوق السماء دون ما سواها ؟

فقال أبوالحسن عليه السلام : «هو الله في السماوات وفي الأرض ، وهو الذي في السماء إله وفي الأرض إله ، وهو الذي يصوّركم في الأرحام كيف يشاء ، وهو معكم أينما كنتم ، وهو الذي استوى إلى السماء وهي دخان ، وهو الذي استوى إلى السماء فسوّاهنّ سبع سماوات ، وهو الذي استوى على العرش ، قد كان ولا خلق وهو كما كان إذ لا خلق ، لم ينتقل مع المنتقلين» .

فقال أبو قرة : فما بالكم إذ دعوتم رفعتم أيديكم إلى السماء ؟

فقال أبوالحسن عليه السلام : «إنّ الله استعبد خلقه بضروب من العبادة ، ولله مفازع يفزعون إليه ، ومستعبد ، فاستعبد عباده بالقول ، والعلم ، والعمل ، والتوجّه ، ونحو ذلك ، استعبدهم بتوجيه الصلاة إلى الكعبة ، ووجّه إليها الحج والعمرة ، واستعبد خلقه عند الدعاء والطلب والتضرّع ، ببسط

---

(١) النجم ١٨.

(٢) طه ١١٠.

(٣) الإسراء ١.

(٤) الإسراء ١.

(٥) الجاثية ٦.

الأيدي ورفعها إلى السماء لحال الإستكانة وعلامة العبوديّة والتذلّل له» .

قال أبو قرة : فمن أقرب إلى الله ؛ الملائكة أو أهل الأرض ؟

قال أبوالحسن عليه السلام : «إن كنت تقول بالشبر والذراع ، فإنّ الأشياء كلّها باب واحد هي فعله لا يشتغل ببعضها عن بعض ، يدبّر أعلى الخلق من حيث يدبّر أسفله ، ويدبّر أوّله من حيث يدبّر آخره ، من غير عناء ، ولا كلفة ، ولا مؤنة ، ولا مشاورة ، ولا نصب .

وإن كنت تقول من أقرب إليه في الوسيلة ؛ فأطوعهم له ، وأنتم تروون أنّ أقرب ما يكون العبد إلى الله وهو ساجد ، ورويتم أنّ أربعة أملاك التقوا أحدهم من أعلى الخلق ، وأحدهم من أسفل الخلق ، وأحدهم من شرق الخلق ، وأحدهم من غرب الخلق فسأل بعضهم بعضاً فكلّهم قال : «من عند الله» أرسلني بكذا وكذا ، ففي هذا دليل على أنّ ذلك في المنزلة دون التشبيه والتمثيل» .

فقال أبو قرة : أتقرّ أنّ الله محمول ؟

فقال أبوالحسن عليه السلام : «كلّ محمول مفعول ، ومضاف إلى غيره محتاج ، فالمحمول اسم نقص في اللفظ ، والحامل فاعل وهو في اللفظ ممدوح ، وكذلك قول القائل : فوق ، وتحت ، وأعلى ، وأسفل ، وقد قال الله تعالى : ﴿ وللهِ الأسْمَاءُ الحُسْنَىٰ فادْعُوهُ بِهَا ﴾[1] ولم يقل في شيء من كتبه أنّه محمول ، بل هو الحامل في البرّ والبحر ، والممسك للسماوات والأرض ، والمحمول ما سوى الله ، ولم نسمع أحداً آمن بالله وعظّمه قط قال في دعائه : «يا محمول»» .

قال أبو قرة : أفتكذّب بالرواية : أنّ الله إذا غضب يعرف غضبه الملائكة الّذين يحملون العرش ، يجدون ثقله في كواهلهم فيخرّون سجّداً ، فإذا ذهب الغضب خفّ فرجعوا إلى مواقفهم ؟

فقال أبوالحسن عليه السلام : «أخبرني عن الله تبارك وتعالى منذ لعن إبليس إلى يومك هذا وإلى يوم القيامة فهو غضبان على إبليس وأوليائه أو عنهم راض» ؟

فقال : نعم هو غضبان عليه .

قال عليه السلام : «فمتى رضي فخفّ وهو في صفتك لم يزل غضباناً عليه وعلى أتباعه» ؟

ثمّ قال عليه السلام : «ويحك كيف تجترئ أن تصف ربّك بالتغيّر من حال إلى حال ، وأنّه يجري عليه ما يجري على المخلوقين ؟! سبحانه لم يزل مع الزائلين ولم يتغيّر مع المتغيّرين» .

قال صفوان : فتحيّر أبو قرة ولم يحر جواباً ، قام وخرج .

---

(١) الأعراف ١٧٩.

عن عبدالسلام بن صالح الهروي[1] **قال :** قلت لعليّ بن موسى الرّضا عليه السلام : يابن رسول الله ما تقول في الحديث الذي يرويه أهل الحديث : إنّ المؤمنين يزورون ربّهم في منازلهم في الجنّة ؟

فقال عليه السلام : «يا أباالصلت إنّ الله تبارك وتعالى فضّل نبيّه محمّداً صلى الله عليه وآله على جميع خلقه ، من النبيّين والملائكة ، وجعل طاعته طاعته ، ومبايعته مبايعته ، وزيارته في الدّنيا والآخرة زيارته ، فقال عزّوجلّ : ﴿ مَنْ يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللهَ ﴾[2] وقال : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللهَ يَدُ اللهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ ﴾[3] وقال النّبيّ صلى الله عليه وآله : «من زارني في حياتي أو بعد موتي فقد زار الله» ، ودرجة النّبيّ صلى الله عليه وآله في الجنّة أرفع الدرجات ؛ فمن زاره في درجته في الجنّة من منزله فقد زار الله تبارك وتعالى» .

قال : قلت : يابن رسول الله فما معنى الخبر الّذي رووه : أنّ ثواب لا إله إلّا الله النظر إلى وجه الله ؟

فقال عليه السلام : «يا أباالصلت فمن وصف الله بوجه كالوجوه فقد كفر ، ولكن وجه الله أنبياءه ورسله

---

(١) قال الشيخ الطوسي في أصحاب الرضا عليه السلام من رجاله ص٣٨٠ : عبدالسلام بن صالح الهروي أبوالصلت ، عامي .
وص٣٩٦ منه : أبوالصلت الخراساني الهروي ، عامي ، روى عنه بكر بن صالح .
وقال العلّامة في القسم الأوّل من الخلاصة ص١١٧ : عبدالسلام بن صالح أبوالصلت الهروي ، روى عن الرضا عليه السلام ، ثقة صحيح الحديث .
وقال الشيخ عباس القمّي في ج١ من الكنى والألقاب ص٩٦ : «عبدالسلام بن صالح الهروي ، روى عن الرّضا عليه السلام ، ثقة ، صحيح الحديث ، قاله جش والعلّامة ، له كتاب : «وفاة الرّضا عليه السلام» ، وكان رحمه الله كما يشعر به بعض الكلمات مخابطاً للعامة ، وراوياً لأخبارهم فلذلك التبس أمره على بعض المشايخ فذكر أنّه عامي .
قال الأستاذ الأكبر في التعليقة بعد نقل كلام الشهيد الثاني في تشيّعه : لا يخفى أنّ الأمر كذلك فإنّ الأخبار الصادرة عنه في العيون والأمالي وغيرهما الناصّة على تشيّعه بل وكونه من خواصّ الشيعة أكثر من أن تحصى ، وعلماء العامة ذكروا أنّه شيعيّ .
قال الذهبي في ميزان الإعتدال : عبدالسلام بن صالح أبوالصلت الهروي رجل صالح إلّا أنّه شيعي ، ونقل عن الجعفي أنّه رافضيٌّ خبيث .
وقال الدارقطني أنّه رافضي منهم .
وقال ابن الجوزي : إنّه خادم الرضا ، شيعي ، مع صلاحه .
وعن الأنساب للسمعاني : قال أبو حاتم : هو رأس مذهب الرفضة ...
إلى أن قال : أقول : الروايات الدالّة على تشيّعه كثيرة ، وقد أشرت إلى نبذ منها في كتاب سفينة البحار .
وروى الشيخ الطوسي رحمه الله عنه في الشكر ما ينبغي أن يكتب بالتبر» .
توفي سنة ٢٣٦ هـ.

(٢) النساء ٧٩.

(٣) الفتح ١٠.

وحججه عليهم صلوات الله ، هم الّذين بهم يتوجّه إلى الله ﷻ وإلى دينه ومعرفته ، فقال الله ﷻ : ﴿ كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ * وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ ﴾(١) وقال الله ﷻ : ﴿ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ ﴾(٢) فالنظر إلى أنبياء الله ورسله وحججه ﷺ في درجاتهم ثواب عظيم للمؤمنين ، وقد قال النّبيّ ﷺ : «من أبغض أهل بيتي وعترتي لم يرني ولم أره يوم القيامة»(٣) ، وقال ﷺ : «إنّ فيكم من لا يراني بعد أن يفارقني»(٤) . يا أباالصلت إنّ الله تبارك وتعالى لا يوصف بمكان ، ولا يدرك بالأبصار والأوهام» .

قال : فقلت له : يابن رسول الله فأخبرني عن الجنّة والنّار : أهما اليوم مخلوقتان ؟

قال ﷺ : «نعم ، وإنّ رسول الله ﷺ قد دخل الجنّة ورأى النّار لمّا عرج به إلى السماء» .

قال : فقلت له : إنّ قوماً يقولون : إنّهما اليوم مقدّرتان غير مخلوقَتين ؟

فقال ﷺ : «ما أولئك منّا ولا نحن منهم ، من أنكر خلق الجنّة والنّار فقد كذّب النّبيّ ﷺ ، وكذّبنا ، وليس من ولايتنا على شيء ، ويخلد في نار جهنّم . قال الله ﷻ : ﴿ هَٰذِهِ جَهَنَّمُ الَّتِي يُكَذِّبُ بِهَا الْمُجْرِمُونَ * يَطُوفُونَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ حَمِيمٍ آنٍ ﴾(٥) وقال النّبيّ ﷺ : «لمّا عرج بي إلى السّماء أخذ بيدي جبرئيل ﷺ فأدخلني الجنّة فناولني من رطبها فأكلته ، فتحوّل ذلك نطفة في صلبي ، فلمّا هبطت إلى الأرض واقعت خديجة فحملت بفاطمة ﷺ ؛ ففاطمة حوراء إنسيّة ، فكلّما اشتقت إلى رائحة الجنّة شممت رائحة ابنتي فاطمة»(٦) .

---

(١) الرحمن ٢٦ ـ ٢٧.

(٢) القصص ٨٨.

(٣) راجع ذخائر العقبى ص٢ ، وينابيع المودة ج١ ص٣٠٥.

(٤) راجع نفس المصدر السابق.

(٥) الرحمن ٤٣ ـ ٤٤.

(٦) في ينابيع المودّة ص١٩٧ عن عايشة قالت : قلت : يا رسول الله مالك إذا جعلت لسانك في فيها كأنّك تريد أن تعلقها عسلاً ؟

قال ﷺ : «لمّا أُسري بي إلى السماء أدخلني جبرائيل الجنّة فناولني تفّاحة فأكلتها ، فصارت نطفة في ظهري ، فلمّا نزلت من السماء واقعت خديجة ؛ ففاطمة من تلك النطفة ، فكلّما اشتقت إلى تلك التفّاحة قبّلتها» .

ثمّ قال : أخرجه أبو سعد في شرف النبوّة ، وفيه أيضاً عن ابن عبّاس : كان النّبيّ ﷺ يكثر القبلة لفاطمة ، فقالت له : إنّك تكثر تقبيل فاطمة ؟

فقال ﷺ : «إنّ جبرائيل أدخلني الجنّة ليلة أُسري بي إلى السماء فأطعمني من جميع ثمارها ، فصارت ماء في

←

وقال الرّضا عليه السلام في قوله الله عزّ وجلّ : ﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ * إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴾[1] ، قال عليه السلام : «يعني ـ مشرقة ـ تنتظر ثواب ربّها» .

وقال عليه السلام : «إنّ النّبيّ صلى الله عليه وآله قال : «قال الله جلّ جلاله : ما آمن بي من فسّر برأيه كلامي ، وما عرفني من شبّهني بخلقي ، وما على ديني من استعمل القياس في ديني» .

وقال عليه السلام : «من ردّ متشابه «القرآن» إلى محكمه هدي إلى صراط مستقيم» .

ثمّ قال عليه السلام : «إنّ في أخبارنا متشابهاً كمتشابه «القرآن» ، ومحكماً كمحكم «القرآن» ، فردّوا متشابهها إلى محكمها ، ولا تتبعوا متشابهها دون محكمها فتضلّوا» .

وقال عليه السلام : «من شبّه الله بخلقه فهو مشرك ، ومن نسب إليه ما نهي عنه فهو كافر» .

وعن الحسين بن خالد[2] **قال** : سمعت الرّضا عليه السلام يقول : «لم يزل الله عزّ وجلّ عليماً ، قادراً ، حيّاً ، قديماً ، سميعاً ، بصيراً» .

فقلت له : يابن رسول الله إنّ قوماً يقولون : لم يزل عالماً بعلم ، وقادراً بقدرة ، وحيّاً بحياة ، وقديماً بقدم ، وسميعاً بسمع ، وبصيراً ببصر .

فقال عليه السلام : «من قال ذلك ودان به فقد اتّخذ مع الله آلهة أُخرى ، وليس من ولايتنا على شيء» .

ثمّ قال عليه السلام : «لم يزل الله عزّ وجلّ عليماً ، قادراً ، حيّاً ، قديماً ، سميعاً ، بصيراً ـ لذاته ـ تعالى عمّا يقول المشركون والمشبّهون علوّاً كبيراً» .

وعن الحسين بن خالد قال : قلت للرّضا عليه السلام : «يابن رسول الله إنّ قوماً يقولون : إنّ رسول الله صلى الله عليه وآله قال : «إنّ الله خلق آدم على صورته» .

فقال عليه السلام : «قاتلهم الله ! لقد حذفوا أوّل الحديث ، إنّ رسول الله مرّ برجلين يتسابّان ، فسمع أحدهما يقول لصاحبه : قبّح الله وجهك ووجه من يشبهك» فقال له صلى الله عليه وآله : «يا عبدالله لا تقل هذا لأخيك ! فإنّ الله عزّ وجلّ خلق آدم على صورته» .

⬅ صلبي ، فحملت خديجة بفاطمة ، فإذا اشتقت إلى تلك الثمار ، قبّلت فاطمة فأصبت من تقبيلها رائحة جميع تلك الثمار الّتي أكلتها» .

ثمّ قال : أخرجه أبوالفضل بن خيرون .

(١) القيامة ٢٢ـ٢٣.

(٢) من أصحاب الكاظم والرضا عليهما السلام ، ذكره الشيخ في رجاله ص٣٤٧ و٣٧٣.

وعن إبراهيم بن أبي محمود[1] **قال:** قلت للرّضا عليه السلام: يابن رسول الله ما تقول في الحديث الّذي يرويه النّاس عن رسول الله صلى الله عليه وآله: أنّ الله تبارك وتعالى ينزل كلّ ليلة إلى السماء الدنيا؟

فقال عليه السلام: «لعن الله المحرّفين الكلم عن مواضعه، والله ما قال صلى الله عليه وآله كذلك، إنّما قال صلى الله عليه وآله: «إنّ الله تبارك وتعالى ينزل ملكاً إلى السماء كلّ ليلة في الثلث الأخير، وليلة الجمعة في أوّل الليل، فيأمره فينادي أهل من سائل فأُعطيه؟ هل من تائب فأتوب عليه؟ هل من مستغفر فأغفر له؟ يا طالب الخير فأقبل، يا طالب الشر أقصر، فلا يزال ينادي بهذا حتّى يطلع الفجر، فإذا طلع الفجر عاد إلى محلّه من ملكوت السماء» حدّثني بذلك أبي عن جدّي عن آبائه عن رسول الله صلى الله عليه وآله».

وعن محمّد بن سنان قال: سألت أباالحسن الرّضا عليه السلام: هل كان الله عارفاً بنفسه قبل أن يخلق الخلق؟

قال عليه السلام: «نعم».

قلت: يراها ويسمعها؟

قال عليه السلام: «ماكان محتاجاً إلى ذلك لأنّه لم يكن يسألها ولا يطلب منها شيئاً، هو نفسه، ونفسه هو، قدرته نافذة، فليس بمحتاج إلى أن يسمّي نفسه، ولكنّه اختار أسماء لغيره يدعوه بها، لأنّه إذا لم يدع باسمه لم يعرف، فأوّل ما اختار نفسه «العليّ العظيم» أعلا الأشياء كلّها، فمعناه: «الله» واسمه: «العليّ العظيم» هو أوّل أسمائه لأنّه علا كلّ شيء».

وقال عليه السلام في قوله: ﴿ يَوْمَ يُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ ﴾[2] «فساق حجاب من نور يكشف فيقع المؤمنون سجّداً، وتدمج[3] أصلاب المنافقين، فلا يستطيعون السجود».

وسُئِلَ عليه السلام عن قوله عزّ وجلّ: ﴿ كَلَّا إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَمَحْجُوبُونَ ﴾[4] فقال عليه السلام: «إنّ الله تبارك وتعالى لا يوصف بمكان يحلّ فيه فيحجب عن عباده، ولكنّه يعني: عن ثواب ربّهم محجوبون».

---

(١) إبراهيم بن أبي محمود: ذكره الشيخ في أصحاب الكاظم عليه السلام ص٣٤٣، وقال: له مسائل، وفي أصحاب الرّضا عليه السلام ص٣٦٧ فقال: خراساني ثقة مولى.

وقال العلّامة في الخلاصة ص٣: روى عن الرّضا عليه السلام، ثقة، اعتمد على روايته.

(٢) القلم ٤٢.

(٣) دمج الشيء دموجاً: إذا دخل في الشيء واستحكم فيه. [لسان العرب ٢/٢٥٧]

(٤) المطففين ١٥.

وسُئِلَ عليه السلام عن قوله ﷻ : ﴿ وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفّاً صَفّاً ﴾[1] فقال عليه السلام : «إنّ الله لا يوصف بالمجيء والذهاب والإنتقال ، إنّما يعني بذلك : وجاء أمر ربّك» .

وسُئِلَ عليه السلام عن قوله : ﴿ هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَن يَأْتِيَهُمُ ٱللَّهُ فِي ظُلَلٍ مِنَ ٱلْغَمَامِ وَٱلْمَلَائِكَةُ ﴾[2] قال عليه السلام : «معناه : هل ينظرون إلّا أن يأتيهم الله بالملائكة في ظلل من الغمام ، وهكذا نزلت» .

وسُئِلَ عليه السلام عن قوله ﷻ : ﴿ سَخِرَ اللهُ مِنْهُمْ ﴾[3] وعن قوله : ﴿ اللهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ ﴾[4] وعن قوله : ﴿ وَمَكَرُوا وَمَكَرَ اللهُ وَاللهُ خَيْرُ المَاكِرِينَ ﴾[5] وعن قوله : : ﴿ يُخَادِعُونَ اللهَ وَهُوَ خَادِعُهُمْ ﴾[6] فقال عليه السلام : «إنّ الله لا يسخر ، ولا يستهزئ ، ولا يمكر ، ولا يخادع ، ولكنه ﷻ يجازيهم جزاء السخرية ، وجزاء الإستهزاء ، وجزاء المكر ، وجزاء الخديعة ، تعالى الله عمّا يقول الظّالمون علوّاً كبيراً» .

وسُئِلَ عليه السلام عن قوله ﷻ : ﴿ نَسُوا اللهَ فَنَسِيَهُمْ ﴾[7] فقال عليه السلام : «إنّ الله تبارك وتعالى لا يسهو ، ولا ينسى ، وإنّما يسهو وينسى المخلوق المحدث ، ألا تسمعه ﷻ يقول : ﴿ وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا ﴾[8] وإنّما يجازي من نسيه ، ونسي لقاء يومه ، بأن ينسيهم أنفسهم ، كما قال : ﴿ نَسُوا اللهَ فَأَنْسَاهُمْ أَنْفُسَهُمْ ﴾[9] وقال : ﴿ فَالْيَوْمَ نَنْسَاهُمْ كَمَا نَسُوا لِقَاءَ يَوْمِهِمْ هَذا ﴾[10] أي نتركهم كما تركوا الإستعداد للقاء يومهم هذا ، أي نجازيهم على ذلك» .

وسُئِلَ عليه السلام عن قول الله ﷻ : ﴿ فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقاً حَرَجاً كَأَنَّمَا يَصَّعَدُ فِي ٱلسَّمَاءِ ﴾[11] قال عليه السلام : «ومن يرد الله أن يهديه بإيمانه في الدّنيا إلى جنّة ودار كرامة في الآخرة ، يشرح صدره للتسليم لله والثقة به ، والسكون إلى ما وعده من ثوابه ،

---

(١) الفجر ٢٢.

(٢) البقرة ٢١٠.

(٣) التوبة ٨.

(٤) البقرة ١٥.

(٥) آل عمران ٥٤.

(٦) النساء ١٤١.

(٧) التوبة ٦٨.

(٨) مريم ٦٤.

(٩) الحشر ١٩.

(١٠) الأعراف ٥٠.

(١١) الأنعام ١٢٥.

حتّى يطمئنّ إليه ، ومن يرد أن يضلّه عن جنّته ودار كرامته في الآخرة ـ لكفره به وعصيانه له في الدنيا ، يجعل صدره ضيّقاً حرجاً ، حتّى يشكّ في كفره ويضطرب في اعتقاد طلبه حتّى يصير كأنّما يصّعّد في السماء، كذلك يجعل الله الرجس على الّذين لا يؤمنون».

ابوالصلت الهروي قال : سأل المأمون الرضا عليه السلام عن قول الله عزّ وجلّ : ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَاوَاتِ وَٱلْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى ٱلْمَاءِ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً ﴾(١) ؟

فقال عليه السلام : «إنّ الله تبارك وتعالى خلق العرش والماء ليظهر بذلك قدرته للملائكة ، فتعلم أنّه على كلّ شيء قدير ، ثمّ رفع العرش بقدرته ، ونقله فجعله فوق السماوات السبع ، ثمّ خلق السماوات والأرض في ستّة أيّام ، وهو مستولٍ على عرشه ، وكان قادراً على أن يخلقها في طرفة عين ، ولكنّه عزّ وجلّ خلقها في ستّة أيّام ليظهر للملائكة ما يخلقه منها شيئاً بعد شيء ، فتستدل (بحدوث ما يحدث) على الله تعالى مرّة بعد مرّة ، ولم يخلق العرش لحاجة به إليه ، لأنّه غنيّ عن العرش ، وعن جميع ما خلق ، لا يوصف بالكون على العرش ، لأنّه ليس بجسم ، تعالى الله عن صفة خلقه علوّاً كبيراً .

وأمّا قوله : ﴿ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً ﴾ فإنّه عزّ وجلّ خلق خلقه ليبلوهم بتكليف طاعته وعبادته ، لا على سبيل الإمتحان والتجربة ، لأنّه لم يزل عليماً بكلّ شيء» .

فقال المأمون : فرّجت عنّي يا أباالحسن فرّج الله عنك .

ثمّ قال له : يابن رسول الله فما معنى قول الله عزّ وجلّ : ﴿ وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَآمَنَ مَنْ فِي ٱلْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعاً أَفَأَنْتَ تُكْرِهُ ٱلنَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ ﴾(٢) و﴿ وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَن تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ﴾(٣) ؟

فقال الرّضا عليه السلام : «حدّثني أبي موسى بن جعفر ، عن أبيه جعفر بن محمّد ، عن أبيه محمّد بن علي ، عن أبيه عليّ بن الحسين ، عن أبيه الحسين بن علي ، عن أبيه عليّ بن أبي طالب عليهم السلام قال : إنّ المسلمين قالوا لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : لو أكرهت يا رسول الله من قدرت عليه من النّاس على الإسلام لكثر عددنا وقوينا على عدوّنا !

فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : «ماكنت لألقى الله عزّ وجلّ ببدعة لم يحدث إليّ فيها شيئاً وما أنا من المتكلّفين» .

---

(١) هود ٧.

(٢) يونس ٩٩.

(٣) آل عمران ١٤٥.

فأنزل الله تعالى عليه : يا محمّد ﴿ وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَآمَنَ مَنْ فِي ٱلْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعاً ﴾ على سبيل الإلجاء والإضطرار في الدّنيا ،كما يؤمن عند المعاينة ورؤية البأس في الآخرة ، ولو فعلت ذلك بهم لم يستحقّوا منّي ثواباً ولا مدحاً ، ولكنّي أُريد منهم أن يؤمنوا مختارين غير مضطرّين ، ليستحقّوا منّي الزلفى والكرامة ، دوام الخلود في جنّة الخلد ﴿ أَفَأَنْتَ تُكْرِهُ ٱلنَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ ﴾» .

وأمّا قوله ﷻ ﴿ وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَنْ تُؤْمِنَ إِلَّا بِإِذْنِ اللهِ ﴾ فليس ذلك على سبيل تحريم الإيمان عليها ، ولكن على معنىٰ أنّها ماكانت لتؤمن إلّا بإذن الله ، وإذنه أمره لها بالإيمان بماكانت مكلّفة متعبّدة بها والجاؤه إيّاها إلى الايمان عند زوال التكلّف والتعبّد عنها .

فقال المأمون : فرّجت عنّي فرّج الله عنك ، فأخبرني عن قول الله ﷻ : ﴿ ٱلَّذِينَ كَانَتْ أَعْيُنُهُمْ فِي غِطَاءٍ عَنْ ذِكْرِي وَكَانُوا لا يَسْتَطِيعُونَ سَمْعاً ﴾[1] ؟

فقال عليه السلام : «إنّ غطاء العين لا يمنع من الذكر ، والذكر لا يرى بالعين ، ولكن الله ﷻ شبّه الكافرين بولاية عليّ بن أبي طالب عليه السلام بالعميان ، لأنّهم كانوا يستثقلون قول النّبيّ صلى الله عليه وآله فيه ، ولا يستطيعون له سمعاً» .

فقال المأمون : فرّجت عنّي فرّج الله عنك .

وعن عبدالعظيم بن عبدالله الحسني عليه السلام[2] **عن إبراهيم بن أبي محمود قال** : سألت أباالحسن الرّضا عليه السلام عن قول الله ﷻ : ﴿ وَتَرَكَهُمْ فِي ظُلُمَاتٍ لا يُبْصِرُونَ ﴾[3] ؟

فقال عليه السلام : «إنّ الله تبارك وتعالى لا يوصف بالترك كما يوصف خلقه ، ولكنّه متى علم أنّهم لا يرجعون عن الكفر والضلال منعهم المعاونة واللطف ، وخلّى بينهم وبين اختيارهم» .

قال : وسألته عن قول الله ﷻ : ﴿ خَتَمَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَعَلَىٰ سَمْعِهِمْ ﴾[4] ؟

---

(١) الكهف ١٠١.

(٢) أبوالقاسم عبدالعظيم بن عبدالله بن علي بن الحسن بن زيد بن الحسن بن عليّ بن أبي طاب عليه السلام ؛ زاهد ، عابد ، ذو ورع ودين ، معروف بالأمانة وصدق اللهجة ، عالم بأمور الدين ، كثير الحديث والرواية ، يروي عن الإمامين الجواد والعسكري عليهما السلام ، ولهما إليه الرسائل ، ويروي عن جماعة من أصحاب موسى بن جعفر وعليّ بن موسى عليهما السلام ، له كتاب يسمّيه كتاب «يوم وليلة» ، وله كتاب «خطب أميرالمؤمنين عليه السلام» وقد كتب الصاحب بن عباد رسالة مختصرة في أحوال عبدالعظيم أوردها صاحب المستدرك في خاتمة المستدرك . [راجع : الجزء الثاني من سفينة البحار ١٢٠، وخلاصة العلّامة ١٣٠]

(٣) البقرة ١٧.

(٤) البقرة ٧.

قال عليه السلام : «الختم هو : «الطبع» على قلوب الكفار عقوبة على كفرهم ، كما قال عزّ وجلّ : ﴿ بَلْ طَبَعَ اللهُ عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ فَلا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلا ﴾[(١)]» .

قال : وسألته عن الله عزّ وجلّ هل يجبر عباده على المعاصي ؟

قال عليه السلام : «لا ، بل يخيرهم ، ويمهلهم حتّى يتوبوا» .

قلت : فهل يكلّف عباده ما لا يطيقون ؟

فقال عليه السلام : «كيف يفعل ذلك وهو يقول : ﴿ وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيد ﴾[(٢)]» .

ثمّ قال عليه السلام : «حدّثني أبي موسى بن جعفر ، عن أبيه جعفر بن محمّد عليهما السلام ، عن أبيه محمّد بن علي ، عن أبيه عليّ بن الحسين ، عن أبيه الحسين بن علي ، عن أبيه عليّ بن أبي طالب عليهم السلام أنّه قال : «من زعم أنّ الله يجبر عباده على المعاصي ويكلّفهم ما لا يطيقون فلا تأكلوا ذبيحته ، ولا تقبلوا شهادته ، ولا تصلّوا وراءه ، ولا تعطوه من الزكاة شيئاً» .

وعن يزيد بن عمير بن معاوية الشامي قال : دخلت على عليّ بن موسى الرّضا عليه السلام بمرو ، فقلت له : يابن رسول الله روي لنا عن الصادق جعفر بن محمّد عليه السلام أنّه قال : «لا جبر ولا تفويض ، بل أمر بين الأمرين» ، ما معناه ؟

فقال عليه السلام : «من زعم أنّ الله يفعل أفعالنا ثمّ يعذّبنا ، فقد قال بالجبر ، ومن زعم أنّ الله فوّض أمر الخلق والرزق إلى حججه عليهم السلام فقد قال بالتفويض ، والقائل بالجبر كافر ، والقائل بالتفويض مشرك» .

فقلت : يابن رسول الله فما أمر بين الأمرين ؟

فقال عليه السلام : «وجود السبيل إلى إتيان ما أُمروا به ، وترك ما نُهوا عنه» .

قلت : وهل لله مشيّة وإرادة في ذلك ؟

فقال عليه السلام : «أمّا الطاعات فإرادة الله ومشيّته فيها الأمر بها ، والرضا لها ، والمعاونة عليها ، وإرادته ومشيّته في المعاصي ، النهي عنها ، والسخط لها ، والخذلان عليها» .

قلت : فلله عزّ وجلّ فيها القضاء ؟

قال عليه السلام : «نعم ، ما من فعل يفعله العباد من خير أو شرّ إلّا ولله فيه قضاء» .

قلت : ما معنى هذا القضاء ؟

---

(١) النساء ١٥٤.

(٢) حم السجدة ٤٦.

قال عليه السلام : «الحكم عليهم بما يستحقّونه من الثواب والعقاب في الدّنيا والآخرة» .

وروي أنّه ذكر عنده عليه السلام الجبر والتوفيض ، فقال عليه السلام : «إنّ الله لم يطع بإكراه ، ولم يعص بغلبة ، ولم يهمل العباد في ملكه ، هو المالك لما ملّكهم ، والقادر على ما أقدرهم عليه ، فإن ائتمر العباد بطاعة لم يكن الله عنها صادّاً ، ولا منها مانعاً ، وإن ائتمروا بمعصية فشاء أن يحول بينهم وبين ذلك فعل ، وإن لم يحل وفعلوه فليس هو الّذي أدخلهم فيه» .

ثمّ قال عليه السلام : «من يضبط حدود هذا الكلام فقد خصم من خالفه» .

وعن الحسين بن خالد عن أبي الحسن الرّضا عليه السلام قال : قلت له : يابن رسول الله إنّ النّاس ينسبوننا إلى القول بالتشبيه والجبر ، لما روي من الأخبار في ذلك عن آبائك عليهم السلام !

فقال عليه السلام : «يابن خالد أخبرني عن الأخبار الّتي رويت عن آبائي الأئمّة في الجبر والتشبيه أكثر ، أم الأخبار الّتي رويت من النّبيّ صلى الله عليه وآله في ذلك» ؟

فقلت : بل ما رويت عن النّبيّ صلى الله عليه وآله أكثر .

قال عليه السلام : «فليقولوا أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله كان يقول بالتشبيه والجبر» .

فقلت له : إنّهم يقولون : إنّ رسول الله صلى الله عليه وآله لم يقل شيئاً من ذلك وإنّما روي عليه .

قال عليه السلام : «فليقولوا في آبائي الأئمّة عليهم السلام أنّهم لم يقولوا من ذلك شيئاً وإنّما روي عليهم» .

ثمّ قال عليه السلام : «من قال بالتشبيه والجبر فهو كافر مشرك ، ونحن براء منه في الدّنيا والآخرة .

يابن خالد إنّما وضع الأخبار عنّا في التشبيه والجبر «الغلاة» الّذين صغّروا عظمة الله ، فمن أحبّهم فقد أبغضنا ، ومن أبغضهم فقد أحبّنا ، ومن والاهم فقد عادانا ، ومن عاداهم فقد والانا ، ومن وصلهم فقد قطعنا ، ومن قطعهم فقد وصلنا ، ومن جفاهم فقد برّنا ، ومن برّهم فقد جفانا ، ومن أكرمهم فقد أهاننا ، ومن أهانهم فقد أكرمنا ، ومن قبلهم فقد ردّنا ، ومن ردّهم فقد قبلنا ، ومن أحسن إليهم فقد أساء إلينا ، ومن أساء إليهم فقد أحسن إلينا ، ومن صدّقهم فقد كذّبنا ، ومن كذّبهم فقد صدّقنا ، ومن أعطاهم فقد حرمنا ، ومن حرمهم فقد أعطانا .

يابن خالد من كان من شيعتنا فلا يتّخذنّ منهم وليّاً ولا نصيراً» .

احتجاج الرّضا عليه السلام على أهل الكتاب والمجوس ورئيس الصابئين وغيرهم من أهل الشقاق

روي عن الحسن بن محمّد النوفلي أنّه قال: لمّا قدم عليّ بن موسى الرضا صلوات الله عليه على المأمون، أمر الفضل بن سهل أن يجمع له أصحاب المقالات، مثل: الجاثليق، ورأس الجالوت، ورؤساء الصابئين، والهربذ الأكبر، وأصحاب زردشت، وقسطاس الرومي، والمتكلّمين، ليسمع كلامه وكلامهم.

فجمع الفضل بن سهل، ثمّ أعلم المأمون باجتماعهم، فقال: أدخلهم عَلَيّ؛ ففعل، فرّحب بهم المأمون، ثمّ قال لهم: إنّما جمعتكم لخير، وأحببت أن تناظروا ابن عمّي هذا المدني القادم عَلَيّ، فإذا كان بكرة فاغدوا عَلَيّ ولا يتخلّف منكم أحد.

فقالوا: السمع والطاعة يا أميرالمؤمنين، نحن مبكّرون إن شاء الله.

قال الحسن بن محمّد النوفلي: فبينا نحن في حديث لنا عند أبي الحسن الرّضا عليه السلام إذ دخل علينا ياسر الخادم ـ وكان يتولّى أمر أبي الحسن عليه السلام ـ فقال: يا سيّدي إنّ أميرالمؤمنين يقرؤك السّلام ويقول: فداك أخوك، إنّه اجتمع إلينا أصحاب المقالات، وأهل الأديان، والمتكلّمون من جميع أهل الملل، فرأيك في البكور علينا إن أحببت كلامهم، وإن كرهت ذلك فلا تتجشّم، وإن أحببت أن نصير إليك خفّ ذلك علينا.

فقال أبوالحسن عليه السلام: «أبلغه السّلام وقل: قد علمت ما أردت، وأنا صائر إليك بكرة إن شاء الله».

قال الحسن بن محمّد النوفلي: فلمّا مضى ياسر التفت عليه السلام إلينا ثمّ قال لي: «يا نوفلي أنت عراقي ورقّة العراقي غير غليظة، فما عندك في جمع ابن عمّي علينا أهل الشرك وأصحاب المقالات»؟

فقلت: جعلت فداك يريد الإمتحان، ويحبّ أن يعرف ما عندك، ولقد بنى على أساس غير وثيق البنيان، وبئس والله ما بنى.

فقال عليه السلام لي: «وما بناؤه في هذا الباب»؟

قلت: إنّ أصحاب الكلام والبدع خلاف العلماء، وذلك أنّ العالم لا ينكر غير المنكر،

وأصحاب المقالات والمتكلّمون وأهل الشرك أصحاب إنكار ومباهتة ، إن احتججت عليهم بأنّ الله واحد قالوا : صحّح وحدانيّته ، وإن قلت : إنّ محمّداً ﷺ رسول الله ، قالوا : ثبّت رسالته ، ثمّ يباهتون الرجل ـ وهو مبطل عليهم بحجّته ـ ويغالطونه حتّى يترك قوله ، فاحذرهم جعلت فداك !

قال : فتبسّم ، ثمّ قال ﷺ لي : «يا نوفلي أتخاف أن يقطعوا عَلَيّ حجّتي» ؟!

قلت : لا والله ما خفته عليك قط ، وإنّي لأرجو أن يظفرك الله بهم إن شاء الله .

فقال ﷺ لي : «يا نوفلي أتحبّ أن تعلم متى يندم المأمون» ؟

قلت : نعم .

قال ﷺ : «إذا سمع احتجاجي على أهل «التوراة» بتوراتهم ، وعلى أهل «الإنجيل» بإنجيلهم ، وعلى أهل «الزبور» بزبورهم ، وعلى الصابئين بعبرانيّتهم ، وعلى الهرابذة بفارسيّتهم ، وعلى أهل الروم بروميّتهم ، وعلى أهل المقالات بلغاتهم ، فإذا قطعت كلّ صنف ، ودحضت حجّته ، وترك مقالته ، ورجع إلى قولي ، علم المأمون أنّ الّذي هو بسبيله ليس بمستحقّ له ، فعند ذلك تكون الندامة منه ، ولا حول ولا قوّة إلّا بالله العليّ العظيم» .

فلمّا أصبحنا أتانا الفضل بن سهل ، فقال له : جعلت فداك إنّ ابن عمّك ينتظرك ، وقد اجتمع القوم ، فما رأيك في إتيانه ؟

فقال له الرّضا ﷺ : «تقدّمني فإنّي صائر إلى ناحيتكم إن شاء الله» ، ثمّ توضّأ وضوء الصلاة ، وشرب شربة سويق وسقانا ، ثمّ خرج وخرجنا معه ، حتّى دخل على المأمون ، وإذا المجلس غاصّ بأهله ، ومحمّد بن جعفر في جماعة الطالبيين والهاشميين والقوّاد حضور .

فلمّا دخل الرّضا ﷺ قام المأمون وقام محمّد بن جعفر وجميع بني هاشم ، فما زالوا وقوفاً والرّضا ﷺ جالس مع المأمون حتّى أمرهم بالجلوس ؛ فجلسوا ، فلم يزل المأمون مقبلاً عليه يحدّثه ساعة ، ثمّ التفت إلى الجاثليق فقال : يا جاثليق ! هذا ابن عمّي عليّ بن موسى بن جعفر وهو : من ولد فاطمة بنت نبيّنا ، وابن عليّ بن أبي طالب ، فأُحبّ أن تكلّمه وتحاجّه وتنصفه .

فقال الجاثليق : يا أميرالمؤمنين كيف أُحاجّ رجلاً يحاجّ عَلَيّ بكتاب أنا منكره ، ونبيّ لا أُومن به ؟

فقال الرّضا ﷺ : «يا نصراني فإن احتججت عليك بإنجيلك أتقرّ به» ؟

قال الجاثليق : وهل أقدر على دفع ما نطق به «الإنجيل» ؟ نعم والله أقرّ به على رغم أنفي .

فقال له الرّضا ﷺ : «سل عمّا بدا لك واسمع الجواب» .

قال الجاثليق : ما تقول في نبوّة عيسى وكتابه ؟ هل تنكر منهما شيئاً ؟

قال الرّضا عليه السلام : «أنا مقرّ بنبوّة عيسى وكتابه ، وما بشّر به أُمّته ، وأقرّت به الحواريّون ، وكافر بنبوّة كلّ عيسى لم يقرّ بنبوّة محمّد وكتابه ، ولم يبشّر به أُمّته» !

قال الجاثليق : أليس إنّما تقطع الأحكام بشاهدَي عدل ؟

قال عليه السلام : «بلى» .

قال : فأقم شاهدَين من غير أهل ملّتك على نبوّة محمّد ، ممّن لا تنكر النصرانيّة ، وسلنا مثل ذلك من غير أهل ملّتنا .

قال الرّضا عليه السلام : «الآن جئت بالنصفة يا نصراني ! ألا تقبل منّي العدل والمقدّم عند المسيح عيسى بن مريم عليه السلام» ؟

قال الجاثليق : ومن هذا العدل ؟ سمّه لي .

قال عليه السلام : «ما تقول في «يوحنّا» الديلمي» ؟

قال : بخ بخ ذكرت أحبّ النّاس إلى المسيح .

قال عليه السلام : «أقسمت عليك هل نطق «الإنجيل» أنّ يوحنّا قال : إنّ المسيح أخبرني بدين محمّد العربي وبشّرني به أنّه يكون من بعدي ، فبشّرت به الحواريّون فآمنوا به» ؟

قال الجاثليق : قد ذكر ذلك يوحنّا عن المسيح ، وبشّر بنبوّة رجل وبأهل بيته ووصيّه وأهل بيته ، ولم يلخّص متى يكون ذلك ، ولم يسمّ لنا القوم فنعرفهم .

قال الرّضا عليه السلام : «فإن جئناك بمن يقرأ «الإنجيل» فتلا عليك ذكر محمّد وأهل بيته وأُمّته أتؤمن به» ؟

قال : أمر سديد .

قال الرّضا عليه السلام لقسطاس الرومي : «كيف يكون حفظك للسفر الثالث من «الإنجيل» ؟

قال : ما أحفظني له .

ثمّ التفت إلى رأس الجالوت فقال عليه السلام : «ألست تقرأ «الإنجيل» ؟

قال : بلى لعمري .

قال عليه السلام : «فخذ عَلَيّ السفر الثالث ، فإن كان فيه ذكر محمّد وأهل بيته وأُمّته فاشهدوا لي ، وإن لم يكن فيه ذكره فلا تشهدوا لي» ! ثمّ قرأ السفر الثالث حتّى بلغ ذكر النّبيّ صلى الله عليه وآله وسلم وقف ، ثمّ قال عليه السلام : «يا نصراني إنّي أسألك بحقّ المسيح وأُمّه أتعلم أنّي عالم بالإنجيل» ؟

قال : نعم .

ثمّ تلا عليه السلام علينا ذكر محمّد وأهل بيته وأُمّته ، ثمّ قال : «ما تقول يا نصراني» ؟ هذا قول عيسى ابن مريم ، فإن كذّبت ما نطق به «الإنجيل» فقد كذّبت موسى وعيسى عليهما السلام ، ومتى أنكرت هذا الذكر وجب عليك القتل ، لأنّك تكون قد كفرت بربّك ونبيّك وبكتابك» .

قال الجاثليق : لا أنكر ما قد بان لي من «الإنجيل» ، وإنّي لمقرٌّ به .

قال الرّضا عليه السلام : «إشهدوا على إقراره» ! ثمّ قال عليه السلام : «يا جاثليق سل عمّا بدا لك» !

قال الجاثليق : أخبرني عن حواري عيسى بن مريم ،كم كان عدّتهم ؟ وعن علماء «الإنجيل» كم كانوا ؟

قال الرّضا عليه السلام : «على الخبير سقطت ؛ أمّا الحواريّون فكانوا اثنى عشر رجلاً ، وكان أفضلهم وأعلمهم «لوقا» ، وأمّا علماء النصارى فكانوا ثلاثة رجال : «يوحنّا» الأكبر ـ ياحى ـ و«يوحنّا» بقرقيسيا و«يوحنّا» الديلمي بزخار ، وعنده كان ذكر النّبيّ صلى الله عليه وآله وسلم ، وذكر أهل بيته ، وهو الّذي بشّر أُمّة عيسى وبني إسرائيل به» . ثمّ قال عليه السلام : «يا نصراني والله إنّا لنؤمن بعيسى الّذي آمن بمحمّد صلى الله عليه وآله وسلم ، وما ننقم على عيسى شيئاً إلّا ضعفه وقلّة صيامه وصلاته» .

قال الجاثليق : أفسدت والله علمك ، وضعفت أمرك ، وماكنت ظننت إلّا أنّك أعلم أهل الإسلام .

قال الرّضا عليه السلام : «وكيف ذلك» ؟!

قال الجاثليق : من قولك أنّ عيسى كان ضعيفاً ، قليل الصيام والصلاة ، وما أفطر عيسى يوماً قط ، وما نام بليل قط ، وما زال صائم الدهر قائم الليل .

قال الرّضا عليه السلام : «فلمن كان يصوم ويصلّي» ؟

فخرس الجاثليق وانقطع .

قال الرّضا عليه السلام : «يا نصراني إنّي أسألك عن مسألة» .

قال : سل ! فإن كان عندي علمها أجبتك .

قال الرّضا عليه السلام : «ما أنكرت أنّ عيسى كان يحيي الموتى بإذن الله» .

قال الجاثليق : أنكرت ذلك من قبل ، إنّ من أحيى الموتى ، وأبرأ الأكمه والأبرص ، فهو «ربّ» مستحقّ لأن يعبد .

قال الرّضا صلوات الله عليه : «فإنّ اليسع قد صنع مثل ما صنع عيسى عليه السلام ؛ مشى على الماء ،

وأحيي الموتى ، وأبرأ الأكمه والأبرص ، فَلِمَ لا تتّخذه أُمّته ربّاً ، ولم يعبده أحد من دون الله عزّ وجلّ . ولقد صنع حزقيل النبي مثل ما صنع عيسى بن مريم ، فأحيى خمسة وثلاثين ألف رجل من بعد موتهم بستّين سنة» .

ثمّ التفت إلى رأس الجالوت فقال عليه السلام : «يا رأس الجالوت ، أتجد هؤلاء في شباب بني إسرائيل في «التوراة» ، اختارهم «بخت نصر» من سبي بني إسرائيل حين غزا بيت المقدّس ، ثمّ انصرف بهم إلى بابل ، فأرسله الله عزّ وجلّ إليهم فأحياهم ، هذا في «التوراة» لا يدفعه إلّا كافر منكم» .

قال رأس الجالوت : قد سمعنا به وعرفناه .

قال عليه السلام : «صدقت» .

ثمّ قال عليه السلام : «يا يهودي خذ عَلَيّ هذا السفر من «التوراة» ، فتلا عليه من «التوراة» آيات ، فأقبل اليهودي يترجّح لقراءته ، ويتعجّب .

ثمّ أقبل على النّصراني فقال عليه السلام : «يا نصراني أفهؤلاء كانوا قبل عيسى أم عيسى كان قبلهم» ؟

قال : بل كانوا قبله .

قال الرّضا عليه السلام : «لقد اجتمعت قريش إلى رسول الله فسألوه أن يحيي لهم موتاهم ، فوجّه معهم عليّ بن أبي طالب عليه السلام فقال له : «إذهب إلى الجبانة[1] ، فناد بأسماء هؤلاء الرهط الّذين يسألون عنهم بأعلى صوتك : يا فلان ، ويا فلان ، ويا فلان ، يقول لكم رسول الله محمّد قوموا بإذن الله» ؛ فناداهم ، فقاموا ينفضون التراب عن رؤوسهم ، فأقبلت قريش تسألهم عن أُمورهم ، ثمّ أخبروهم أنّ محمّداً قد بعث نبيّاً ، فقالوا : وددنا أن أدركناه فنؤمن به ، ولقد أبرأ الأكمه والأبرص والمجانين ، وكلّمته البهائم والطير والجنّ والشياطين ، ولم نتّخذه ربّاً من دون الله ، ولم ننكر لأحد من هؤلاء فضلهم ، فإن اتّخذتم عيسى ربّاً جاز لكم أن تتّخذوا اليسع وحزقيل ربّين ، لأنّهما قد صنعا مثل ما صنع عيسى بن مريم : من إحياء الموتى وغيره ، ثمّ إنّ قوماً من بني إسرائيل خرجوا من بلادهم من الطاعون وهم أُلوف حذر الموت فأماتهم الله في ساعة واحدة ، فعمد أهل القرية فحظروا عليهم حظيرة ، فلم يزالوا فيها حتّى نخرت عظامهم وصاروا رميماً ، فمرّ بهم نبيّ من أنبياء بني إسرائيل فتعجّب منهم ومن كثرة العظام البالية ، فأوحى الله إليه : أتحبّ أن أُحييهم لك فتنذرهم ؟

قال : نعم يا رب .

---

(١) الجبّان والجبانة ـ مشدّدتين ـ: المقبرة والصحراء والمنب الكريم .

فأوحى الله إليه أن نادهم فقال : أيّتها العظام البالية قومي بإذن الله ! فقاموا أحياء أجمعون ، ينفضون التراب عن رؤوسهم .

ثمّ إبراهيم خليل الله ﷺ حين اتّخذ الطير فقطّعهنّ قطعاً ، ثمّ وضع على كلّ جبل منهنّ جزءاً ، ثمّ ناداهنّ فأقبلن سعياً إليه .

ثمّ موسى بن عمران وأصحابه السبعون الّذين اختارهم صاروا معه إلى الجبل ، فقالوا له : إنّك قد رأيت الله فأرناه كما رأيته !

فقال لهم : إنّي لم أره .

فقالوا : لن نؤمن لك حتّى نرى الله جهرة ؛ فأخذتهم الصاعقة فاحترقوا عن آخرهم ؛ فبقي موسى وحيداً !

فقال : يا رب اخترت سبعين رجلاً من بني إسرائيل فجئت بهم ، فأرجع أنا وحدي ، فكيف يصدّقني قومي بما أُخبرهم به ؟ فلو شئت أهلكتهم من قبل وإيّاي ، أفتهلكنا بما فعل السفهاء منّا ؟

فأحياهم الله ﷻ من بعد موتهم وكلّ شيء ذكرته لك من هذا لا تقدر على دفعه ، لأنّ «التوراة» و«الإنجيل» و«الزبور» و«الفرقان» قد نطقت به ، فإن كان كلّ من أحيى الموتى وأبرأ الأكمه والأبرص والمجانين يتّخذ ربّاً من دون الله فاتّخذ هؤلاء كلّهم أرباباً ! ما تقول يا نصراني» ؟!

فقال الجاثليق : القول قولك ، ولا إله إلّا الله .

ثمّ التفت ﷺ إلى رأس الجالوت فقال : يا يهودي أقبل عَلَيّ أسألك بالعشر الآيات الّتي أُنزلت على موسى بن عمران ، هل تجد في «التوراة» مكتوباً نبأ محمّد ﷺ وأُمّته : إذا جاءت الأُمّة الأخيرة أتباع راكب البعير ، يسبّحون الرب جدّاً جدّاً ، تسبيحاً جديداً ، في الكنايس الجدد ، فليفزع بنو إسرائيل إليهم وإلى ملكهم لتطمئنّ قلوبهم ، فإنّ بأيديهم سيوفاً ينتقمون بها من الأُمم الكافرة في أقطار الأرض ، هكذا هو في «التوراة» مكتوب» ؟

قال رأس الجالوت : نعم ، إنّا لنجد ذلك كذلك .

ثمّ قال ﷺ للجاثليق : «يا نصراني كيف علمك بكتاب شعيا» ؟

قال : أعرفه حرفاً حرفاً .

قال ﷺ لهما : «أتعرفان هذا من كلامه : يا قوم إنّي رأيت صورة راكب الحمار ، لابساً جلابيب النور ، ورأيت راكب البعير ضوءه مثل ضوء القمر» ؟

فقالا : قد قال ذلك شعيا .

قال الرّضا عليه السلام : «يا نصراني أهل تعرف في «الإنجيل» قول عيسى : إنّي ذاهب إلى ربّكم وربّي ، و«البارقليطا» جائي هو الّذي يشهد لي بالحق كما شهدت له ، وهو الّذي يفسّر لكم كلّ شيء ، وهو الّذي بيده فضايح الاُمم ، وهو الّذي يكسر عمود الكفر» ؟

فقال الجاثليق : ما ذكرت شيئاً من «الإنجيل» إلّا ونحن مقرّون به .

فقال عليه السلام : «أتجد هذا في «الإنجيل» ثابتاً» ؟

قال : نعم .

قال الرّضا عليه السلام : «يا جاثليق ألا تخبرني عن «الإنجيل» الأوّل حين افتقدتموه عند من وجدتموه ؟ ومن وضع لكم هذا «الإنجيل»» ؟

قال له : ما افتقدنا «الإنجيل» إلّا يوماً واحداً حتّى وجدناه غضّاً طريّاً فأخرجه إلينا يوحنّا ومتى .

فقال الرّضا عليه السلام : «ما أقلّ معرفتك بسنن «الإنجيل» وعلمائه ، فإن كان كما تزعم فلم اختلفتم في «الإنجيل» ؟ وإنّما الإختلاف في هذا «الإنجيل» الّذي في أيديكم اليوم ، فإن كان على العهد الأوّل لم تختلفوا فيه ، ولكنّي مفيدك علم ذلك . إعلم أنّه لمّا افتقد «الإنجيل» الأوّل اجتمعت النصارى إلى علمائهم فقالوا لهم : قتل عيسى بن مريم وافتقدنا «الإنجيل» ، وأنتم العلماء ، فما عندكم ؟

فقال لهم الوقا ومرقانوس ويوحنّا ومتّى : إنّ «الإنجيل» في صدورنا نخرجه إليكم سفراً سفراً ، فى كلّ أحد ، فلا تحزنوا عليه ولا تخلوا الكنايس ، فإنّا سنتلوه عليكم في كلّ أحد سفراً سفراً حتّى نجمعه كلّه» .

فقال الرّضا عليه السلام : «إنّ الوقا ومرقانوس ويوحنّا ومتّى وضعوا لكم هذا «الإنجيل» بعد ما افتقدتم «الإنجيل» الأوّل ، وإنّما كان هؤلاء الأربعة تلاميذ الأوّلين ، أعَلِمت ذلك» ؟

قال الجاثليق : أمّا قبل هذا فلم أعلمه ، وقد علمته الآن ، وقد بان لي من فضل علمك بالإنجيل وقد سمعت أشياء ممّا علمته شهد قلبي أنّها حقّ ، واستزدت كثيراً من الفهم .

فقال الرّضا عليه السلام : «فكيف شهادة هؤلاء عندك» ؟

قال : جائزة ، هؤلاء علماء «الإنجيل» ، وكلّ ما شهدوا به فهو حقّ .

قال الرّضا عليه السلام ـ للمأمون ومن حضره من أهل بيته وغيرهم ـ : «إشهدوا عليه» .

قالوا : شهدنا .

ثمّ قال عليه السلام للجاثليق : «بحقّ الإبن وأُمّه ، هل تعلم أنّ «متّى» قال في نسبة عيسى : إنّ المسيح ابن داود بن إبراهيم بن إسحاق بن يعقوب بن يهود بن خضرون ؟ وقال «مرقانوس» في نسبة عيسى عليه السلام أنّه كلمة الله أحلّها في الجسد الآدمي فصارت إنساناً ؟ وقال «الوقا» : إنّ عيسى بن مريم وأُمّه كانا إنسانين من لحم ودم فدخل فيهما روح القدس ؟ ثمّ إنّك تقول في شهادة عيسى على نفسه : حقاً أقول لكم أنّه لا يصعد إلى السماء إلّا من نزل منها إلّا راكب البعير خاتم الأنبياء ، فإنّه يصعد إلى السماء وينزل ، فما تقول في هذا القول» ؟

قال الجاثليق : هذا قول عيسى لا ننكره .

قال الرّضا عليه السلام : «فما تقول في شهادة الوقا ومرقانوس ومتّى على عيسى وما نسبوا إليه» ؟

قال الجاثليق : كذبوا على عيسى .

قال الرضا عليه السلام : «يا قوم أليس قد زكّاهم وشهد أنّهم علماء «الإنجيل» وقولهم حق» ؟

فقال الجاثليق : يا عالم المسلمين أحبّ أن تعفيني من أمر هؤلاء .

قال الرّضا عليه السلام : «قد فعلنا . سل يا نصراني عمّا بدا لك» !

قال الجاثليق : ليسألك غيري ، فوالله ما ظننت أنّ في علماء المسلمين مثلك .

فالتفت الرّضا عليه السلام إلى رأس الجالوت فقال له : «تسألني أو أسألك» ؟

قال : بل أسألك ، ولست أقبل منك حجّة إلّا من «التوراة» ، أو من «الإنجيل» أو من «زبور داود» ، أو ما في صحف إبراهيم وموسى .

قال الرّضا عليه السلام : «لا تقبل منّي حجّة إلّا بما تنطق به «التوراة» على لسان موسى بن عمران عليه السلام ، و«الإنجيل» على لسان عيسى بن مريم عليه السلام ، و«الزبور» على لسان داود عليه السلام» .

قال رأس الجالوت : من أين تثبت نبوّة محمّد ؟

قال الرّضا عليه السلام : «شهد بنبوّته موسى بن عمران ، وعيسى بن مريم ، وداود خليفة الله في الأرض» .

فقال له : ثبّت قول موسى بن عمران !

قال الرّضا عليه السلام : «تعلم يا يهودي أنّ موسى أوصى بني إسرائيل فقال لهم : إنّه سيأتيكم نبيّ من إخوانكم فيه فصدّقوا ، ومنه فاسمعوا ، فهل تعلم أنّ بني إسرائيل إخوة غير ولد إسماعيل ، إن كنت تعرف قرابة إسرائيل من إسماعيل والنسب الّذي بينهما من قبل إبراهيم عليه السلام» ؟

فقال رأس الجالوت : هذا قول موسى لا ندفعه .

فقال له الرّضا عليه السلام : «هل جاءكم من إخوة بني إسرائيل نبيّ غير محمّد صلى الله عليه وآله» ؟

قال : لا .

فقال الرّضا عليه السلام : «أفليس قد صحّ هذا عندكم» ؟

قال : نعم ، ولكنّي أُحبّ أن تصحّحه لي من «التوراة» .

فقال له الرّضا عليه السلام : «هل تنكرون «التوراة» تقول لكم : جاء النور من قبل طور سيناء ، وأضاء للنّاس من جبل ساعير ، واستعلن علينا من جبل فاران» ؟

قال رأس الجالوت : أعرف هذه الكلمات وما أعرف تفسيرها .

قال الرّضا عليه السلام : «أنا أُخبرك به ؛ أمّا قوله «جاء النور من قبل طور سيناء» فذلك وحي الله تبارك وتعالى الّذي أنزله على موسى على جبل طور سيناء ، وأمّا قوله «وأضاء للنّاس في جبل ساعير» فهو الجبل الّذي أوحى الله عزّ وجلّ إلى عيسى بن مريم عليه السلام وهو عليه ، وأمّا قوله «واستعلن علينا من جبل فاران» فذاك جبل من جبال مكة ، وبينه وبينها يومان أو يوم .

قال شعيا النبي ـ فيما تقول أنت وأصحابك في «التوراة» ـ : رأيت راكبين أضاء لهما الأرض ؛ أحدهما على حمار والآخر على جمل ، فمن راكب الحمار ومن راكب الجمل» ؟

قال رأس الجالوت : لا أعرفهما فخبّرني بهما !

قال عليه السلام : «أمّا راكب الحمار فعيسى ، وأمّا راكب الجمل فمحمّد صلى الله عليه وآله ، أتنكر هذا من «التوراة» ؟

قال : لا ما أُنكره .

قال الرّضا عليه السلام : «هل تعرف حيقوق النّبيّ عليه السلام» ؟

قال : نعم ، إنّي به لعارف» !

قال عليه السلام : «فإنّه قال ـ وكتابكم ينطق به ـ : جاء الله تعالى بالبيان من جبل فاران ، وامتلأت السماوات من تسبيح أحمد وأُمّته ، يحمل خيله في البحر كما يحمل في البر ، يأتينا بكتاب جديد بعد خراب بيت المقدس ، يعني بالكتاب : «القرآن» ، أتعرف هذا وتؤمن به» ؟

قال رأس الجالوت : قد قال ذلك حيقوق النّبيّ عليه السلام ولا ننكر قوله .

قال الرّضا عليه السلام : «فقد قال داود عليه السلام في زبوره ـ وأنت تقرأه ـ : اللّهمّ ابعث مقيم السنّة بعد الفترة ،

فهل تعرف نبيّاً أقام السنّة بعد الفترة غير محمّد صلى الله عليه وآله» ؟

قال رأس الجالوت: هذا قول داود نعرفه ولاننكره، ولكن عنى بذلك : عيسى وأمامه هي الفترة.

قال الرّضا عليه السلام : «جهلت أنّ عيسى لم يخالف السنّة ، وكان موافقاً لسنّة «التوراة» ، حتّى رفعه الله إليه ، وفي «الإنجيل» مكتوب : إنّ ابن البرّة ذاهب و«الفارقليطا» جائي من بعدي ، هو يخفّف الآصار ، ويفسّر لكم كلّ شيء ، ويشهد لي كما شهدت له ، أنا جئتكم بالأمثال وهو يأتيكم بالتأويل ، أتؤمن بهذا في «الإنجيل» ؟

قال : نعم ، لا أنكره .

قال الرّضا عليه السلام : «أسألك عن نبيّك موسى بن عمران عليه السلام» .

فقال : سل !

قال عليه السلام : «ما الحجّة على أنّ موسى ثبتت نبوّته» ؟

قال اليهودي : إنّه جاء بما لم يجيء أحد من الأنبياء قبله .

قال عليه السلام له : «مثل ماذا» ؟

قال : مثل فلق البحر ، وقلبه العصا حيّة تسعى ، وضربه الحجر فانفجرت منه العيون ، وإخراجه يده بيضاء للناظرين ، وعلامات لا يقدر الخلق على مثلها .

قال له الرّضا عليه السلام : «صدقت في أنّها كانت حجّته على نبوّته ، إنّه جاء بما لا يقدر الخلق على مثله ، أفليس كلّ من ادّعى أنّه نبيّ وجاء بما لا يقدر الخلق على مثله وجب عليكم تصديقه» ؟

قال : لا ، لأنّ موسى لم يكن له نظير لمكانه من ربّه وقربه منه ، ولا يجب علينا الإقرار بنبوّة من ادّعاها حتّى يأتي من الأعلام بمثل ما جاء .

قال الرّضا عليه السلام : «فكيف أقررتم بالأنبياء الّذين كانوا قبل موسى ، ولم يفلقوا البحر ولم يفجّروا من الحجر اثنتي عشر عيناً ، ولم يخرجوا أيديهم مثل إخراج موسى يده بيضاء ، ولم يقلّبوا العصا حيّةً تسعى» ؟!

قال له اليهودي : قد خبّرتك أنّه متى جاؤوا على نبوّتهم من الآيات بما لا يقدر الخلق على مثله ولو جاؤوا بمثل ما لم يجيء به موسى ، أوكانوا على ما جاء به موسى وجب تصديقهم .

قال الرّضا عليه السلام : «يا رأس الجالوت ! فما يمنعك من الإقرار بعيسى بن مريم ، وكان يحيي الموتى، ويبرئ الأكمه والأبرص ، ويخلق من الطين كهيئة الطير ثمّ ينفخ فيه فيكون طائراً بإذن الله» ؟!

قال رأس الجالوت : يقال : إنّه فعل ذلك ، ولم نشهده .

قال الرّضا عليه السلام : «أرأيت ما جاء به موسى من الآيات وشاهدته ؟! أليس إنّما جاء الأخبار من ثقاة أصحاب موسى أنّه فعل ذلك» ؟

قال : بلى .

قال عليه السلام : «كذلك أيضاً أتتكم الأخبار المتواترة بما فعل عيسى بن مريم ، فكيف صدّقتم بموسى ولم تصدّقوا بعيسى» ؟!

فلم يحر جواباً .

فقال الرّضا عليه السلام : «وكذلك أمر محمّد صلى الله عليه وآله وما جاء به ، وأمر كلّ نبيّ بعثه الله ، ومن آياته أنّه كان يتيماً فقيراً راعياً أجيراً ، ولم يتعلّم ، ولم يختلف إلى معلّم ، ثمّ جاء بالقرآن الّذي فيه قصص الأنبياء عليهم السلام وأخبارهم حرفاً حرفاً ، وأخبار من مضى ومن بقي إلى يوم القيامة ، ثمّ كان يخبرهم بأسرارهم وما يعملون في بيوتهم ، بآيات كثيرة لا تحصى» .

قال رأس الجالوت : لم يصح عندنا خبر عيسى ، ولا خبر محمّد ، ولا يجوز لنا أن نقرّ لهما بما لا يصحّ عندنا .

قال الرّضا عليه السلام : «فالشاهد الّذي يشهد لعيسى ومحمّد صلى الله عليه وآله شاهد زور» ؟

فلم يحر جواباً .

ثمّ دعا بالهربذ الأكبر ، فقال له الرضا عليه السلام : «أخبرني عن زردشت الّذي تزعم أنّه نبيّ ما حجّتك على نبوّته ؟

قال : إنّه أتى بما لم يأتنا به أحد قبله ، ولم نشهده ، ولكن الأخبار من أسلافنا وردت علينا بأنّه أحلّ لنا ما لم يحلّه لنا غيره فاتّبعناه .

قال عليه السلام : «أفليس إنّما أتتكم الأخبار فاتّبعتموه» ؟

قال : بلى .

قال عليه السلام : «فكذلك سائر الأُمم السالفة أتتهم الأخبار بما أتى به النبيّون ، وأتى به موسى وعيسى ومحمّد صلى الله عليه وآله ، فما عذركم في ترك الإقرار بهم ، إذ كنتم إنّما أقررتم بزردشت من قبل الأخبار الواردة بأنّه جاء بما لم يجيء به غيره» ؟

فانقطع الهربذ مكانه .

فقال الرّضا عليه السلام : «يا قوم إن كان فيكم أحد يخالف الإسلام وأراد أن يسأل فليسأل غير محتشم» !

فقام إليه عمران الصابي ـ وكان واحداً من المتكلّمين ـ فقال : يا عالم النّاس ! لولا أنّك دعوت إلى مسألتك لم أقدم عليك بالمسائل ، ولقد دخلت الكوفة والبصرة والشام والجزيرة ، ولقيت المتكلّمين فلم أقع على أحد يثبت لي واحداً ليس غيره ، قائماً بوحدانيّته ، أفتأذن أن أسألك ؟

قال الرّضا عليه السلام : «إن كان في الجماعة عمران الصابي فأنت هو» !

قال : أنا هو .

قال عليه السلام : «سل يا عمران وعليك بالنصفة ، إيّاك والخطل[1] والجور» !

قال : والله يا سيّدي ما أُريد إلّا أن تثبت لي شيئاً أتعلّق به ، فلا أجوزه !

قال عليه السلام : «سل عمّا بدا لك» !

فازدحم النّاس وضمّ بعضهم إلى بعض .

فقال : أخبرني عن الكائن الأوّل وعمّا خلق ؟

قال عليه السلام : «سألت ؛ فافهم الجواب : أمّا الواحد فلم يزل كائناً واحداً ، لا شيء معه ، بلا حدود ، ولا أعراض ، ولا يزال كذلك ، ثمّ خلق خلقاً مبتدعاً ، مختلفاً ، بأعراض وحدود مختلفة ، لا في شيء أقامه ، ولا في شيء حدّه ، ولا على شيء حذاه ومثّله ، فجعل الخلق من بعد ذلك صفوة وغير صفوة لله ، واختلافاً وايتلافاً ، وألواناً ، وذوقاً ، وطعماً ، لا لحاجة كانت منه إلى ذلك ، ولا لفضل منزلة لم يبلغها إلّا به ، ولا رأى نفسه فيما خلق زيادة ولا نقصاناً ، تعقل هذا يا عمران» ؟

قال : نعم والله يا سيّدي .

قال عليه السلام : «واعلم يا عمران ! أنّه لو كان خلق ما خلق لحاجة ، لم يخلق إلّا من يستعين به على حاجته ، ولكان ينبغي أن يخلق أضعاف ما خلق ، لأنّ الأعوان كلّما كثروا كان صاحبهم أقوى» .

ثمّ طال السؤال والجواب بين الرّضا عليه السلام وبين عمران الصابي ، وألزمه عليه السلام في أكثر مسائله ، حتّى انتهت الحال إلى أن قال :

أشهد أنّه يا سيّدي كما وصفت ، ولكن بقيت مسألة !

قال عليه السلام : «سل عمّا أردت» !

قال : أسألك عن «الحكيم» في أيّ شيء ؟ وهل يحيط به شيء ؟ وهل يتحوّل من شيء إلى

---

(١) الخَطَلُ : خفّة وسرعة ... والمنطق الفاسد .

شيء ؟ أو هل به حاجة إلى شيء ؟

قال الرّضا عليه السلام : «أُخبرك يا عمران فاعقل ما سألت عنه ، فإنّه من أغمض ما يرد على المخلوقين في مسائلهم ، وليس يفهمه ، المتقارب عقله ، العازب حلمه ، ولا يعجز عن فهمه أولو العقل المنصفون .

أمّا أوّل ذلك ، فلو كان خلق ما خلق لحاجة منه لجاز لقائل أن يقول : يتحوّل إلى ما خلق لحاجته إلى ذلك ، ولكنّه عزّ وجلّ لم يخلق شيئاً لحاجة ، ولم يزل ثابتاً لا في شيء ، إلّا أنّ الخلق يمسك بعضه بعضاً ، ويدخل بعضه على بعض ، ويخرج منه . والله جلّ وتقدّس بقدرته يمسك ذلك كلّه ، وليس يدخل في شيء ، ولا يخرج منه ولا يؤوده حفظه ، ولا يعجز عن إمساكه ، ولا يعرف أحد من الخلق كيف ذلك إلّا الله عزّ وجلّ ، ومن أطلعه عليه من رسله وأهل سرّه ، والمستحفظين لأمره ، وخزّانه القائمين بشريعته ، وإنّما أمره كلمح البصر أو هو أقرب ، إذا شاء شيئاً فإنّما يقول له : «كن» فيكون بمشيّته وإرادته ، وليس شيء من خلقه أقرب إليه من شيء ، ولا شيء أبعد منه من شيء ، أفهمت يا عمران» ؟

قال : نعم يا سيّدي فهمت ، وأشهد أنّ الله على ما وصفت ووحّدت ، وأنّ محمّداً عبده المبعوث بالهدى ودين الحق ؛ ثمّ خرّ ساجداً نحو القبلة وأسلم .

قال الحسن بن محمّد النوفلي : فلمّا نظر المتكلّمون إلى كلام عمران الصابي ـ وكان جدلاً لم يقطعه عن حجّته أحد قط ـ لم يدن من الرّضا عليه السلام أحد ، ولم يسألوه عن شيء ، وأمسينا ، فنهض المأمون والرّضا عليه السلام فدخلا ، وانصرف النّاس .

ثمّ قال الرّضا عليه السلام ـ بعد أن عاد إلى منزله ـ : «يا غلام صر إلى عمران الصابي فأتني به» !

فقلت : جعلت فداك ! أنا أعرف موضعه ، هو عند بعض إخواننا من الشيعة .

قال عليه السلام : «فلا بأس ، قرّبوا إليه دابّة» .

فصرت إلى عمران فأتيته به ، فرحّب به ، ودعا بكسوة فخلعها عليه ، ودعا بعشرة آلاف درهم فوصله به .

قلت : جعلت فداك ! حكيت فعل جدّك أمير المؤمنين عليه السلام .

قال عليه السلام : «هكذا يجب» .

ثمّ دعا عليه السلام بالعشاء فأجلسني عن يمينه ، وأجلس عمران عن يساره ، حتّى إذا فرغنا قال

لعمران : «انصرف مصاحباً ، وبكّر علينا نطعمك طعام المدينة» .

فكان عمران بعد ذلك يجتمع إليه المتكلّمون من أصحاب المقالات فيبطل عليهم أمرهم حتّى اجتنبوه ، ووصله المأمون بعشرة آلاف درهم ، وأعطاه الفضل مالاً جزيلاً ، وولّاه الرّضا عليه السلام صدقات البلخ ، فأصاب الرغائب[(١)] .

وروي عن عليّ بن الجهم أنّه قال : حضرت مجلس المأمون وعنده الرّضا عليه السلام ، فقال له المأمون : يابن رسول الله أليس من قولك : «إنّ الأنبياء معصومون»[(٢)] ؟

قال عليه السلام : «بلى» .

قال : فما معنى قول الله عزّ وجلّ : ﴿ وَعَصَىٰ آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَىٰ ﴾[(٣)] ؟

فقال عليه السلام : «إنّ الله تبارك وتعالى قال لآدم عليه السلام : ﴿ اسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَداً حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ ﴾[(٤)] ولم يقل لهما لا تأكلا من هذه الشجرة ولا ممّا كان من جنسها ، فلم يقربا تلك الشجرة ، وإنّما أكلا من غيرها إذ وسوس الشيطان إليهما وقال : ﴿ مَا نَهَاكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَٰذِهِ الشَّجَرَةِ ﴾[(٥)] وإنّما نها كما أن تقربا غيرها ، ولم ينهكما عن الأكل منها : ﴿ إِلَّا أَن تَكُونَا مَلَكَيْنِ أَوْ تَكُونَا مِنَ الْخَالِدِينَ * وَقَاسَمَهُمَا إِنِّي لَكُمَا لَمِنَ النَّاصِحِينَ ﴾[(٦)] ولم يكن آدم وحوّا شاهدا قبل ذلك من يحلف بالله كاذباً ، ﴿ فَدَلَّاهُمَا بِغُرُورٍ ﴾[(٧)] فأكلا منها ثقة بيمينه بالله ، وكان ذلك من آدم قبل النبوّة ، ولم يكن ذلك بذنب كبير استحقّ دخول النّار ، وإنّما كان من الصغائر الموهوبة الّتي تجوز على الأنبياء قبل نزول الوحي عليهم ، فلمّا اجتباه الله تعالى وجعله نبيّاً كان معصوماً لا يذنب

---

(١) الرغبية : الأمر المرغوب فيه ، والعطاء الكثير .

(٢) عقيدتنا في النبيّ والإمام عليهما السلام أن يكونا معصومَين بمعنى : أنّنا ننزّه النّبيّ والإمام عليهما السلام عن كبائر الذنوب وصغائرها ، وعن الخطأ والنسيان ، بل عمّا ينافي المروءة وعن كلّ عمل يستهجن عرفاً.

ولو انتفت عنه العصمة : لاحتملنا الخطأ والنسيان والمعصية في كلّ عمل أو قول يصدر عنه ، وحينئذٍ لا تكون أقواله ولا أفعاله حجّة علينا ، ولا نكون ملزمَين باتّباعهما ، وفي ذلك انتقاض الغرض . وقد أجمع الإماميّة على القول بالعصمة ، وما يتوهّم خلاف ذلك من بعض الأخبار والأدعية فهي مؤوّلة .

(٣) طه ١٢١.

(٤) البقرة ٣٥.

(٥) الأعراف ٢٠.

(٦) الأعراف ٢٠ ـ ٢١.

(٧) الأعراف ٢٢.

صغيرة ولا كبيرة ، قال الله تعالى : ﴿ وَعَصَىٰ آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَىٰ * ثُمَّ اجْتَبَاهُ رَبُّهُ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَىٰ ﴾[١] وقال ﷻ : ﴿ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ آدَمَ وَنُوحاً وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ ﴾[٢]» .

قال المصنّف ؒ : لعلّ الرّضا صلوات الله عليه أراد «بالصغائر الموهوبة» ترك المندوب وارتكاب المكروه من الفعل ، دون الفعل القبيح الصغير بالإضافة إلى ما هو أعظم منه ، لاقتضاء أدلّة العقول والأثر المنقول لذلك ، ورجعنا إلى سياق الحديث .

ثمّ قال المأمون : فما معنى قول الله ﷻ : ﴿ فَلَمَّا آتَاهُمَا صَالِحاً جَعَلَا لَهُ شُرَكَاءَ فِيمَا آتَاهُمَا ﴾[٣] ؟

فقال الرّضا ؑ : «إنّ حوّا ولدت خمسمائة بطن ، في كلّ بطن ذكر وأُنثى ، وإنّ آدم وحوّا عاهدا الله ودعواه قالا : ﴿ لَئِنْ آتَيْتَنَا صَالِحاً لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ ﴾[٤] فلمّا آتاهما صالحاً من النسل ، خلقاً سويّاً بريئاً من الزمانة والعاهة ، كان ما آتاهما صنفين : صنفاً ذكراناً وصنفاً أُناثاً ، فجعل الصنفان لله تعالى شركاء فيما آتاهما ، ولم يشكراه شكر أبويهما له ﷻ ، قال الله تعالى : ﴿ فَتَعَالَى اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾[٥]» .

فقال المأمون : أشهد أنّك ابن رسول الله حقّاً ، فأخبرني عن قول الله ﷻ في إبراهيم : ﴿ فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ رَأَىٰ كَوْكَباً قَالَ هَٰذَا رَبِّي ﴾[٦] ؟

فقال الرّضا ؑ : «إنّ إبراهيم وقع على ثلاثة أصناف : صنف يعبد «الزهرة» ، وصنف يعبد «القمر» ، وصنف يعبد «الشمس» ، ذلك حين خرج من السرب[٧] الّذي أُخفي فيه . فلمّا جنّ عليه اللّيل رأى «الزهرة» قال : «هذا ربّي» ؟! على الإنكار والإستخبار ﴿ فَلَمَّا أَفَلَ «الكوكب» قَالَ لَا أُحِبُّ الْآفِلِينَ ﴾[٨] لأنّ الأُفول من صفات المحدث ولا من صفات القديم .

﴿ فَلَمَّا رَأَى الْقَمَرَ بَازِغاً قَالَ هَٰذَا رَبِّي ﴾[٩] ؟! على الإنكار والإستخبار . ﴿ فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَئِن لَّمْ يَهْدِنِي

---

(١) طه ١٢١ـ١٢٢.

(٢) آل عمران ٣٣.

(٣) الأعراف : ١٩٠.

(٤) الأعراف ١٨٩.

(٥) الأعراف ١٩٠.

(٦) الأنعام ٧٦.

(٧) السَرَبُ ـ بالتحريك ـ : جُحْر الوحشي والحفير تحت الأرض والقناة يدخل منها الماء.

(٨) الأنعام ٧٦.

(٩) الأنعام ٧٧.

رَبِّي لَأَكُونَنَّ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلضَّالِّينَ ﴾(١) يقول : لو لم يهدني ربّي لكنت من القوم الضالّين .

﴿ فَلَمَّا رَأَى ٱلشَّمْسَ بَازِغَةً قَالَ هَـٰذَا رَبِّي هَـٰذَا أَكْبَرُ ﴾(٢) من الزهرة والقمر ؟! على الإنكار والإستخبار ، لا على سبيل الإخبار والإقرار . ﴿ فَلَمَّا أَفَلَتْ قَالَ ـ للأصناف الثلاثة من عبدة الزهرة والقمر والشمس ـ يَا قَوْمِ إِنِّي بَرِيءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ * إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ ٱلسَّمَاوَاتِ وَٱلْأَرْضَ حَنِيفاً وَمَا أَنَا مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴾(٣) فإنّما أراد إبراهيم عليه السلام بما قال : أن يبيّن لهم بطلان دينهم ، ويثبت عندهم أنّ العبادة لا تحقّ لمن كان بصفة الزهرة والقمر والشمس ، وإنّما تحقّ العبادة لخالقها ؛ خالق السماوات والأرض ، وكان ممّا احتجّ به على قومه ممّا ألهمه الله عزّ وجلّ وآتاه ، كما قال الله عزّ وجلّ : ﴿ وَتِلْكَ حُجَّتُنَا آتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ عَلَىٰ قَوْمِهِ ﴾(٤)» .

فقال المأمون : لله درّك يابن رسول الله ! فأخبرني عن قول إبراهيم : ﴿ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي ٱلْمَوْتَىٰ قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِن قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِيَطْمَئِنَّ قَلْبِي ﴾(٥) ؟

قال الرّضا عليه السلام : «إنّ الله تبارك وتعالى كان أوحى إلى إبراهيم عليه السلام : «إنّي متخذ من عبادي خليلاً ، إن سألني إحياء الموتى أحييت له» ، فوقع في نفس إبراهيم أنّه ذلك الخليل ، فقال : ﴿ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي ٱلْمَوْتَىٰ قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِن قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِيَطْمَئِنَّ قَلْبِي ﴾ على الخلّة ، ﴿ قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِنَ ٱلطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ ٱجْعَلْ عَلَىٰ كُلِّ جَبَلٍ مِنْهُنَّ جُزْءاً ثُمَّ ٱدْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْياً وَٱعْلَمْ أَنَّ ٱللهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾(٦) ؛ فأخذ إبراهيم نسراً وبطّاً وطاووساً وديكاً ، فقطّعهنّ وخلطهنّ ثمّ جعل على كلّ جبل من الجبال الّتي حوله ـ وكانت عشرة ـ منهنّ جزءاً ، وجعل مناقيرهنّ بين أصابعه ، ثمّ دعاهنّ بأسمائهنّ ، ووضع عنده حبّاً وماءً ، فتطايرت تلك الأجزاء بعضها إلى بعض حتّى استوت الأبدان ، وجاء كلّ بدن حتّى انضمّ إلى رقبته ورأسه ، فخلّى إبراهيم عليه السلام عن مناقيرهنّ ، فطرن ثمّ وقعن فشربن من ذلك الماء والتقطن من ذلك الحب ، وقلن : يا نبيّ الله أحييتنا أحياك الله ! فقال إبراهيم : «بل الله يحيي ويميت وهو على كلّ شيء قدير» .

---

(١) الأنعام ٧٧.

(٢) الأنعام ٧٨.

(٣) الأعراف ٧٨ ـ ٧٩.

(٤) الأنعام ٨٣.

(٥) البقرة ٢٦٠.

(٦) البقرة ٢٦٠.

فقال المأمون : بارك الله فيك يا أباالحسن ! فأخبرني عن قول الله : ﴿ فَوَكَزَهُ مُوسَىٰ فَقَضَىٰ عَلَيْهِ قَالَ هَٰذَا مِنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَانِ ﴾[١] ؟

قال الرّضا عليه السلام : «إنّ موسى دخل مدينة من مدائن فرعون على حين غفلة من أهلها ـ وذلك بين المغرب والعشاء ـ ﴿ فَوَجَدَ فِيهَا رَجُلَيْنِ يَقْتَتِلَانِ هَٰذَا مِن شِيعَتِهِ وَهَٰذَا مِنْ عَدُوِّهِ فَاسْتَغَاثَهُ ٱلَّذِي مِن شِيعَتِهِ عَلَى ٱلَّذِي مِنْ عَدُوِّه فَوَكَزَهُ مُوسَىٰ ﴾[٢] فقضى موسى على العدو بحكم الله تعالى ذكره فمات . قال : ﴿ هَٰذَا مِنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَانِ ﴾ يعني الإقتتال الّذي وقع بين الرّجلين ، لا ما فعله موسى من قتله إيّاه ﴿ إِنَّهُ ـ يعني : الشيطان ـ عَدُوٌّ مُضِلٌّ مُبِينٌ ﴾[٣]» .

قال المأمون : فما معنى قول موسى : ﴿ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فاغْفِرْ لِي ﴾[٤] ؟

قال عليه السلام : «يقول : إنّي وضعت نفسي غير موضعها ، بدخولي هذه المدينة ﴿ فاغْفِرْ لِي ﴾ أي استرني من أعدائك ، لئلّا يظفروا بي فيقتلوني ﴿ فَغَفَرَ لَهُ ـ أي ستره من عدوّه ـ إِنَّهُ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴾[٥] . قال : ﴿ قَالَ رَبِّ بِمَا أَنْعَمْتَ عَلَيَّ ـ من القوّة حتّى قتلت رجلاً بوكزة ـ فَلَنْ أَكُونَ ظَهِيراً لِّلْمُجْرِمِينَ ﴾[٦] بل أُجاهد في سبيلك بهذه القوّة حتّى ترضى .

﴿ فَأَصْبَحَ فِي ٱلْمَدِينَةِ خَائِفاً يَتَرَقَّبُ فَإِذَا ٱلَّذِي ٱسْتَنصَرَهُ بِٱلأَمْسِ يَسْتَصْرِخُهُ قَالَ لَهُ مُوسَىٰ إِنَّكَ لَغَوِيٌّ مُّبِينٌ * ـ قاتلت رجلاً بالأمس وتقاتل هذا اليوم ، لأُؤدّبنّك ـ فَلَمَّا أَنْ أَرَادَ أَن يَبْطِشَ بِٱلَّذِي هُوَ عَدُوٌّ لَّهُمَا ـ ظنّ الّذي من شيعته أنّه يريد ـ قَالَ يَا مُوسَىٰ أَتُرِيدُ أَنْ تَقْتُلَنِي كَمَا قَتَلْتَ نَفْساً بِٱلأَمْسِ إِن تُرِيدُ إِلَّا أَن تَكُونَ جَبَّاراً فِي ٱلأَرْضِ وَمَا تُرِيدُ أَن تَكُونَ مِنَ ٱلْمُصْلِحِينَ ﴾[٧]» .

قال المأمون : جزاك الله عن أنبيائه خيراً يا أباالحسن ! فما معنى قول موسى لفرعون : ﴿ قَالَ فَعَلْتُهَا إِذاً وَأَنَا مِنَ ٱلضَّالِّينَ ﴾[٨] ؟

قال الرّضا عليه السلام : «إنّ فرعون قال لموسى لمّا أتاه : ﴿ وَفَعَلْتَ فَعْلَتَكَ ٱلَّتِي فَعَلْتَ وَأَنتَ مِنَ

(١) القصص ١٥.
(٢) القصص ١٥.
(٣) القصص ١٥.
(٤) القصص ١٦.
(٥) القصص ١٦.
(٦) القصص ١٧.
(٧) القصص ١٨ ـ ١٩.
(٨) الشعراء ٢٠.

ٱلْكَافِرِينَ ﴾ قَالَ ـ موسى ـ فَعَلْتُهَا إِذاً وَأَنَا مِنَ ٱلضَّالِّينَ ﴾ ـ عن الطريق بوقوعي إلى مدينة من مدائنك ـ فَفَرَرْتُ مِنكُمْ لَمَّا خِفْتُكُمْ فَوَهَبَ لِي رَبِّي حُكْماً وَجَعَلَنِي مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴾[١] وقد قال الله لنبيّه محمّد صلى الله عليه وآله : ﴿ أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيماً فَآوَىٰ ﴾ ـ يقول : ألم يجدك وحيداً فآوى إليك النّاس ؟ وَوَجَدَكَ ضَالّاً ـ يعني عند قومك ـ فَهَدَىٰ ﴾ ـ أي هداهم إلى معرفتك ـ وَوَجَدَكَ عَائِلاً فَأَغْنَىٰ ﴾[٢] يقول : أغناك بأن جعل دعاءك مستجاباً» .

قال المأمون : بارك الله فيك يابن رسول الله ! فما معنى قول الله : ﴿ وَلَمَّا جَاءَ مُوسَىٰ لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ قَالَ رَبِّ أَرِنِي أَنْظُرْ إِلَيْكَ قَالَ لَنْ تَرَانِي ﴾ الآية[٣] كيف يكون كليم الله موسى بن عمران لا يعلم أنّ الله تعالى ذكره لا يجوز على الرؤية حتّى يسأله هذا السؤال ؟!

فقال الرّضا عليه السلام : «إنّ كليم الله موسى بن عمران علم أنّ الله جلّ عن أن يرى بالأبصار ، ولكنّه لمّا كلّمه الله تعالى وقرّبه نجيّاً ، رجع إلى قومه فأخبرهم : أنّ الله عزّ وجلّ كلّمه وقرّبه .

فقالوا : لن نؤمن لك حتّى نسمع كلامه كما سمعت .

وكان القوم سبعمائة ألف رجل ، فاختار منهم سبعين ألفاً ، ثمّ اختار منهم سبعة آلاف ، ثمّ اختار منهم سبعمائة ، ثمّ اختار منهم سبعين رجلاً لميقات ربّه ، فخرج بهم إلى طور سيناء ، فأقامهم في سفح الجبل ، وصعد موسى إلى الطور ، وسأل الله عزّ وجلّ أن يكلّمه ويسمعهم كلامه ، فكلّمه الله تعالى ، وسمعوا كلامه من فوق وأسفل ويمين وشمال ، ووراء وأمام ، لأنّ الله عزّ وجلّ أحدثه في الشجرة ، ثمّ جعله منبعثاً منها حتّى سمعوه ، من جميع الوجوه .

فقالوا : لن نؤمن لك بأنّ هذا الّذي سمعناه كلام الله حتّى نرى الله جهرة ، فلمّا قالوا هذا القول العظيم واستكبروا وعتوا ، بعث الله عليهم صاعقة فأخذتهم بظلمهم فماتوا .

فقال موسى : يا ربّ ما أقول لبني إسرائيل إذا رجعت إليهم وقالوا : إنّك ذهبت بهم فقتلتهم ، لأنّك لم تكن صادقاً فيما ادّعيت من مناجات الله إيّاك ؟

فأحياهم الله وبعثهم معه ، فقالوا : إنّك لو سألت الله أن يريك تنظر إليه لأجابك ، وكنت تخبرنا كيف هو فنعرفه حقّ معرفته .

---

(١) الشعراء ١٩ ـ ٢١.

(٢) الضحى ٦ ـ ٨.

(٣) الأعراف ١٤٣.

فقال موسى : يا قوم ! إنّ الله لا يرى بالأبصار ، ولا كيفيّة له ، وإنّما يعرف بآياته ويعلم بعلاماته .

فقالوا : لن نؤمن لك حتّى تسأله .

فقال موسى : ربّ إنّك قد سمعت مقالة بني إسرائيل ، وأنت أعلم بصلاحهم .

فأوحى الله ﷻ إليه : يا موسى سلني ما سألوك ، فلن أُؤاخذك بجهلهم .

فعند ذلك قال موسى : ﴿ رَبِّ أَرِنِي أَنظُرْ إِلَيْكَ قَالَ لَن تَرَانِي وَلَٰكِنِ انظُرْ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ ـ وهو يهوي ـ فَسَوْفَ تَرَانِي فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُ لِلْجَبَلِ ـ بآية من آياته ـ جَعَلَهُ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقًا فَلَمَّا أَفَاقَ قَالَ سُبْحَانَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ ـ يقول : رجعت إلى معرفتي بك عن جهل قومي ـ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ ﴾[١] منهم بأنّك لا ترى» .

فقال المأمون : لله درّك يا أباالحسن ! فأخبرني عن قول الله ﷻ : ﴿ وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ وَهَمَّ بِهَا لَوْلَا أَن رَّأَىٰ بُرْهَانَ رَبِّهِ ﴾[٢] ؟

فقال الرّضا ﷺ : «ولقد همّت به ولولا أن رأى برهان ربّه لهمّ بها كما همّت به ، لكنّه كان معصوماً والمعصوم لا يهمّ بذنب ولا يأتيه ، ولقد حدّثني أبي عن أبيه الصّادق أنّه قال : همّت بأن تفعل وهمّ بأن لا يفعل» .

فقال المأمون : لله درّك يا أباالحسن ! فأخبرني عن قول الله ﷻ : ﴿ وَذَا النُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغَاضِبًا فَظَنَّ أَن لَّن نَّقْدِرَ عَلَيْهِ ﴾ الآية[٣] ؟

فقال الرّضا ﷺ : «ذلك يونس بن متّى ، ذهب مغاضباً لقومه ، فظنّ بمعنى : استيقن أن لن نقدر عليه ، أي : نضيق عليه رزقه ، ومنه قوله ﷻ : ﴿ وَأَمَّا مَنِ ابْتَلَاهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُ ﴾[٤] أي : ضيّق وقتّر ، ﴿ فَنَادَىٰ فِي الظُّلُمَاتِ ـ ظلمة الليل ، وظلمة البحر ، وظلمة بطن الحوت ـ أَن لَّا إِلَٰهَ إِلَّا أَنتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ الظَّالِمِينَ ﴾[٥] بتركي العبادة التي قد قرّت عيني بها في بطن الحوت ، فاستجاب الله له ، وقال ﷻ : ﴿ فَلَوْلَا أَنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُسَبِّحِينَ * لَلَبِثَ فِي بَطْنِهِ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴾[٦]» .

---

(١) الأعراف ١٤٣.

(٢) يوسف ٢٤.

(٣) الأنبياء ٨٧.

(٤) الفجر ١٦.

(٥) الأنبياء ٨٧.

(٦) الصافات ١٤٣ـ١٤٤.

فقال المأمون : لله درّك يا أباالحسن ! أخبرني عن قول الله ﷻ : ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا ٱسْتَيْـَٔسَ ٱلرُّسُلُ وَظَنُّوٓا۟ أَنَّهُمْ قَدْ كُذِبُوا۟ جَآءَهُمْ نَصْرُنَا ﴾[1] ؟

فقال الرّضا ﷺ : «يقول الله : حتّى إذا استيأس الرسل من قومهم ، وظنّ قومهم أنّ الرّسل قد كذبوا ، جاء الرسل نصرنا» .

فقال المأمون : لله درّك يا أباالحسن ! فأخبرني عن قول الله : ﴿ لِّيَغْفِرَ لَكَ ٱللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنۢبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ ﴾[2] ؟

قال الرّضا ﷺ : «لم يكن أحد عند مشركي أهل مكّة أعظم ذنباً من رسول الله ﷺ ، لأنّهم كانوا يعبدون من دون الله ثلاثمائة وستّين صنماً ، فلمّا جاءهم بالدعوة إلى كلمة الإخلاص كبر ذلك عليهم وعظم ، وقالوا : ﴿ أَجَعَلَ ٱلْـَٔالِهَةَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا ۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَىْءٌ عُجَابٌ * وَٱنطَلَقَ ٱلْمَلَأُ مِنْهُمْ أَنِ ٱمْشُوا۟ وَٱصْبِرُوا۟ عَلَىٰٓ ءَالِهَتِكُمْ ۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَىْءٌ يُرَادُ * مَا سَمِعْنَا بِهَٰذَا فِى ٱلْمِلَّةِ ٱلْـَٔاخِرَةِ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا ٱخْتِلَٰقٌ ﴾[3] فلمّا فتح الله ﷻ على نبيّه مكّة قال له : يا محمّد ﴿ إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا لِّيَغْفِرَ لَكَ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنۢبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ ﴾[4] عند مشركي أهل مكّة بدعائك إيّاهم إلى توحيد الله فيما تقدّم وما تأخّر ، لأنّ مشركي مكّة أسلم بعضهم وخرج بعضهم عن مكّة ، ومن بقي منهم لا يقدر على إنكار التوحيد عليه إذا دعى النّاس إليه ، فصار ذنبه عندهم مغفوراً بظهوره عليهم» .

فقال المأمون: لله درّك يا أباالحسن ! فأخبرني عن قول الله ﷻ : ﴿ عَفَا ٱللَّهُ عَنكَ لِمَ أَذِنتَ لَهُمْ ﴾[5] ؟

فقال الرّضا ﷺ : «هذا ممّا نزل بـ «إيّاك أعني واسمعي يا جاره» خاطب الله بذلك نبيّه ﷺ وأراد به اُمّته ، وكذلك قوله تعالى : ﴿ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴾[6] وقوله ﷻ : ﴿ وَلَوْلَآ أَن ثَبَّتْنَٰكَ لَقَدْ كِدتَّ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْـًٔا قَلِيلًا ﴾[7]» .

قال المأمون : صدقت يابن رسول الله ! فأخبرني عن قول الله ﷻ : ﴿ وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِىٓ أَنْعَمَ ٱللَّهُ

---

(١) يوسف ١١٠.

(٢) الفتح ١.

(٣) ص ٥ ـ ٧.

(٤) الفتح ١.

(٥) التوبة ٤٤.

(٦) الزمر ٦٥.

(٧) الإسراء : ٧٤.

عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَاتَّقِ اللهَ وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا اللهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى النَّاسَ وَاللهُ أَحَقُّ أن تَخْشَاهُ ﴾[١] .

قال الرّضا عليه السلام : «إنّ رسول الله صلى الله عليه وآله قصد دار زيد بن حارثة بن شراحيل الكلبي في أمر أراده ، فرأى امرأته تغتسل فقال لها : «سبحان الّذي خلقك» وإنّما أراد بذلك تنزيه الله عن قول من زعم : أنّ الملائكة بنات الله ، فقال الله عزّ وجلّ : ﴿ أَفَأَصْفَاكُمْ رَبُّكُم بِالْبَنِينَ وَاتَّخَذَ مِنَ الْمَلَائِكَةِ إِنَاثاً إِنَّكُمْ لَتَقُولُونَ قَوْلاً عَظِيماً ﴾[٢] فقال النّبيّ صلى الله عليه وآله لمّا رآها تغتسل : «سبحان الّذي خلقك» أن يتّخذ ولداً يحتاج إلى هذا التطهير والإغتسال ، فلمّا عاد زيد إلى منزله أخبرته امرأته بمجيء رسول الله صلى الله عليه وآله ، وقوله لها سبحان الّذي خلقك ، فلم يعلم زيد ما أراد بذلك وظنّ أنّه قال ذلك لمّا أعجبه من حسنها ، فجاء إلى النّبيّ صلى الله عليه وآله فقال : يا رسول الله إنّ امرأتي في خلقها سوء ، وإنّي أُريد طلاقها .

فقال له النّبيّ : ﴿ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَاتَّقِ اللهَ ﴾ وقد كان الله عرّفه عدد أزواجه وأنّ تلك المرأة منهنّ ، فأخفى ذلك في نفسه ولم يبده لزيد ، وخشي النّاس أن يقولوا : إنّ محمّداً يقول لمولاه أنّ امرأتك ستكون لي زوجة ، فيعيبوه بذلك ، فأنزل الله عزّ وجلّ : ﴿ وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِي أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ - يعني بالإسلام - وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ - يعني بالعتق - أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَاتَّقِ اللهَ وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا اللهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى النَّاسَ وَاللهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَاهُ ﴾ ثمّ إنّ زيد بن حارثة طلّقها واعتدّت منه فزوّجها الله عزّ وجلّ من نبيّه محمّد صلى الله عليه وآله ، وأنزل بذلك قرآناً ، فقال عزّ وجلّ : ﴿ فَلَمَّا قَضَىٰ زَيْدٌ مِّنْهَا وَطَراً زَوَّجْنَاكَهَا لِكَيْ لاَ يَكُونَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِي أَزْوَاجِ أَدْعِيَائِهِمْ إِذَا قَضَوْا مِنْهُنَّ وَطَراً وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولاً ﴾[٣] ثمّ علم عزّ وجلّ أنّ المنافقين سيعيبوه بتزويجها ، فأنزل الله : ﴿ مَا كَانَ عَلَى النَّبِيِّ مِنْ حَرَجٍ فِيمَا فَرَضَ اللهُ لَهُ ﴾[٤]» .

فقال المأمون : لقد شفيت صدري يابن رسول الله ، وأوضحت لي ما كان ملتبساً فجزاك الله عن أنبيائه وعن الإسلام خيراً .

قال علي بن الجهم : فقام المأمون إلى الصّلاة ، وأخذ بيد محمّد بن جعفر - وكان حاضر المجلس - وتبعتهما ، فقال له المأمون : كيف رأيت ابن أخيك ؟

فقال : عالم . ولم نره يختلف إلى أحد من أهل العلم .

---

(١) الأحزاب ٣٧.

(٢) الإسراء ٤٠.

(٣) الأحزاب ٣٧.

(٤) الأحزاب ٣٨.

فقال المأمون : إنّ ابن أخيك من أهل بيت النبوّة الّذين قال فيهم النّبيّ صلى الله عليه وآله : «ألا إنّ أبرار عترتي ، وأطايب أُرومتي ، أحلم النّاس صغاراً ، وأعلم النّاس كباراً ، فلا تعلّموهم فإنّهم أعلم منكم ، لا يخرجونكم من باب هدى ولا يدخلونكم في باب ضلالة» .

وانصرف الرّضا عليه السلام إلى منزله ، فلمّا كان من الغد غدوت إليه ، وأعلمته ماكان من قول المأمون وجواب عمّه محمّد بن جعفر له .

فضحك الرّضا عليه السلام ثمّ قال : «يابن الجهم لا يغرّنّك ما سمعته منه ، فإنّه سيغتالني والله ينتقم لي منه» .

احتجاجه صلوات الله عليه فيما يتعلّق بالإمامة وصفات من خصّه الله تعالى بها وبيان الطريق إلى من كان عليها وذمّ من يجوّز اختيار الإمام ولوم من غلا فيه وأمر الشيعة بالتورية والتقية عند الحاجة إليهما وحسن التأدّب

أبو يعقوب البغدادي[(١)] **قال** : إنّ ابن السكّيت[(٢)] قال ـ لأبي الحسن الرّضا عليه السلام ـ : لماذا بعث الله موسى بن عمران بيده البيضاء ، وآلة السحر ، وبعث عيسى بآية الطب ، وبعث محمّداً صلى الله عليه وآله بالكلام والخطب ؟

فقال له أبو الحسن عليه السلام : «إنّ الله لمّا بعث موسى عليه السلام كان الغالب على أهل عصره السحر ؛ فأتاهم من عند الله بما لم يكن في وسع القوم مثله ، وبما أبطل به سحرهم ، وأثبت به الحجّة عليهم .

---

(١) قال المقامقاني في رجاله ج٣ ص٢٩ : أبو يعقوب البغدادي روى في كتاب العقل والجهل من الكافي عن أحمد ابن محمّد السياري عنه ، ولم أقف على إسمه وحاله .

(٢) قال الشيخ عباس القمّي في ج ١ من الكنى والألقاب ص٣٠٣ : ابن السكّيت ـ بكسر السين وتشديد الكاف ـ أبو يوسف يعقوب بن إسحاق الدورقي الأهوازي الإمامي النحوي اللغوي الأديب : ذكره كثير من المؤرخين وأثنوا عليه ، وكان ثقةً جليلاً من عظماء الشيعة ، ويعدّ من خواصّ الإمامَين التقيين عليهما السلام ، وكان حامل لواء علم العربيّة والأدب والشعر واللغة والنحو ، وله تصانيف كثيرة مفيدة منها : تهذيب الألفاظ ، وكتاب إصلاح المنطق .

قال ابن خلّكان : قال بعض العلماء : ما عبر على جسر بغداد كتاب من اللغة مثل إصلاح المنطق ، ولا شكّ أنّه من الكتب النافعة الممتعة الجامعة لكثير من اللغة ولا نعرف في حجمه مثله في بابه ، وقد عنى به جماعة واختصره الوزير المغربي وهذّبه الخطيب التبريزي ... قتله المتوكّل في خامس رجب سنة ٢٤٤ وسببه أنّ المتوكّل قال له يوماً : أيّما أحبّ إليك ؛ ابناي هذان ـ أي المعتز والمؤيد ـ أم الحسن والحسين ؟

فقال ابن السكّيت : والله إنّ قنبراً خادم عليّ بن أبي طالب عليه السلام خير منك ومن ابنيك .

فقال المتوكّل للأتراك : سلّوا لسانه من قفاه ؛ ففعلوا فمات .

وإنّ الله بعث عيسى ﷺ في وقت قد ظهرت فيه الزمانات ، واحتاج النّاس إلى الطب ، فأتاهم من عند الله بما لم يكن عندهم مثله ، وبما أحيا لهم الموتى وأبرأ الأكمه والأبرص بإذن الله ، وأثبت به الحجّة عليهم .

وإنّ الله بعث محمّداً ﷺ في وقت كان الأغلب على أهل عصره الخطب والكلام ـ وأظنّه قال : والشّعر ـ فأتاهم من عند الله من مواعظه وأحكامه ما أبطل به قولهم وأثبت به الحجّة عليهم» .

قال : فما زال ابن السكّيت يقول له : والله ما رأيت مثلك قط ! فما الحجّة على الخلق اليوم ؟

فقال ﷺ : «العقل يعرف به الصادق على الله فيصدّقه ، والكاذب على الله فيكذّبه» .

فقال ابن السكّيت : هذا والله هو الجواب .

قد ضمن الرّضا ﷺ في كلامه هذا أنّ العالم لا يخلو في زمان التكليف من صادق من قبل الله يلتجئ المكلّف إليه فيما اشتبه عليه من أمر الشريعة ، صاحب دلالة تدلّ على صدقه عليه تعالى ، يتوصّل المكلّف إلى معرفته بالعقل ، ولولاه لما عرف الصّادق من الكاذب ، فهو حجّة الله تعالى على الخلق أوّلاً .

وعن القسام بن مسلم عن أخيه عبدالعزيز بن مسلم[1] **قال** : كنّا في أيّام عليّ بن موسى الرّضا ﷺ بمرو ، فاجتمعنا في جامعها في يوم جمعة في بدو قدومنا ، فأدار النّاس أمر الإمامة وذكروا كثرة اختلاف النّاس فيها ، فدخلت على سيّدي ومولاي الرّضا ﷺ فأعلمته ما خاض النّاس فيه ، فتبسّم ثمّ قال : «يا عبدالعزيز جهل القوم وخدعوا عن أديانهم ، إنّ الله تبارك وتعالى لم يقبض نبيّه ﷺ حتّى أكمل له الدّين ، وأنزل عليه «القرآن» فيه تفصيل كلّ شيء ، بيّن فيه الحلال والحرام ، والحدود والأحكام ، وجميع ما يحتاج إليه كملاً ، فقال ﷻ : ﴿ **مَا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ** ﴾[2] وأنزل في حجّة الوداع وهو آخر عمره : ﴿ **ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلإِسْلاَمَ دِيناً** ﴾[3] فأمر الإمامة من تمام الدين ، ولم يمض ﷺ حتّى بيّن لأمّته معالم دينه وأوضح لهم سبيله ، وتركهم على قصد الحق ، وأقام لهم عليّاً ﷺ علماً وإماماً ، وما ترك شيئاً

---

(١) عبدالعزيز بن مسلم : ذكره الشيخ في أصحاب الرّضا ﷺ ص٣٨٣ من رجاله .

(٢) الأنعام ٣٨.

(٣) المائدة ٣.

تحتاج إليه الأُمّة إلّا بيّنه ؛ فمن زعم أنّ الله عزّ وجلّ لم يكمل دينه فقد ردّ كتاب الله عزّ وجلّ ، ومن ردّ كتاب الله فهو كافر .

هل تعرفون قدر الإمامة ومحلّها من الأُمّة فيجوز فيها اختيارهم ؟ إنّ الإمامة أجلّ قدراً وأعظم شأناً ، وأعلى مكاناً ، وأمنع جانباً ، وأبعد غوراً من أن يبلغها النّاس بعقولهم ، أو ينالونها بآرائهم فيقيموها باختيارهم ، إنّ الإمامة خصّ الله عزّ وجلّ بها إبراهيم الخليل بعد النبوّة والخلّة ، مرتبة ثالثة ، وفضيلة شرّفه الله بها ، فأشاد بها ذكره فقال عزّ وجلّ : ﴿ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَاماً ﴾ فقال الخليل سروراً بها - ﴿ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي ﴾ قال الله عزّ وجلّ ﴿ لا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِين ﴾[1] فأبطلت هذه الآية إمامة كلّ ظالم إلى يوم القيامة ، وصارت في الصفوة ، ثمّ أكرمه الله عزّ وجلّ بأن جعل في ذرّيّته أهل الصفوة والطهارة ، فقال تعالى : ﴿ وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ نَافِلَةً وَكُلّاً جَعَلْنَا صَالِحِينَ * وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِمْ فِعْلَ ٱلْخَيْرَاتِ وَإِقَامَ ٱلصَّلاَةِ وَإِيتَاءَ ٱلزَّكَاةِ وَكَانُوا لَنَا عَابِدِينَ ﴾[2] فلم تزل في ذرّيّته يرثها بعض عن بعض قرناً فقرناً ، حتّى ورثها النّبيّ صلّى الله عليه وآله فقال الله عزّ وجلّ : ﴿ إِنَّ أَوْلَى ٱلنَّاسِ بِإِبْرَاهِيمَ لَلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ وَهٰذَا ٱلنَّبِيُّ وَٱلَّذِينَ آمَنُوا وَٱللهُ وَلِيُّ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾[3] فكانت له خاصّة ، فقلّدها النّبيّ صلّى الله عليه وآله عليّاً عليه السلام بأمر الله على رسم ما فرض الله ، فصارت في ذرّيّته الأصفياء الّذين آتاهم الله العلم والإيمان بقوله عزّ وجلّ : ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا ٱلْعِلْمَ وَٱلْإِيمَانَ لَقَدْ لَبِثْتُمْ فِي كِتَابِ ٱللهِ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْبَعْثِ فَهٰذَا يَوْمُ ٱلْبَعْثِ ﴾[4] فهي في ولد عليّ عليه السلام خاصّة إلى يوم القيامة إذ لا نبيّ بعد محمّد صلّى الله عليه وآله ، فمن أين يختار هؤلاء الجهّال ؟

إنّ الإمامة منزلة الأنبياء وإرث الأوصياء .

إنّ الإمامة خلافة الله عزّ وجلّ ، وخلافة الرسول ، ومقام أميرالمؤمنين ، وميراث الحسن والحسين .

إنّ الإمامة زمام الدّين ، ونظام المسلمين ، وصلاح الدنيا وعزّ المؤمنين .

إنّ الإمامة رأس الإسلام النامي ، وفرعه السامي .

بالإمام تمام الصلاة والزكاة والصيام ، والحج والجهاد ، وتوفير الفيئ والصدقات ، وإمضاء الحدود والأحكام ، ومنع الثغور والأطراف .

الإمام يحلّ حلال الله ، ويحرّم حرام الله ، ويقيم حدود الله ، ويذبّ عن دين الله ، ويدعو إلى

---

(١) البقرة ١٢٤.

(٢) الأنبياء ٧٢-٧٣.

(٣) آل عمران ٦٨.

(٤) الروم ٥٦.

سبيل ربّه بالحكمة والموعظة الحسنة والحجّة البالغة .

الإمام كالشمس الطالعة للعالم وهي في الأُفق بحيث لا تناله الأيدي والأبصار .

الإمام ؛ البدر المنير ، والسراج الزاهر ، والنور الساطع ، والنجم الهادي في غياهب الدجى والبيداء القفار ولجج البحار .

الإمام ؛ الماء العذب على الظِّماء ، والدال على الهدى ، والمنجى من الردى .

الإمام ؛ النار على البقاع الحارة لمن اصطلى ، والدليل على المسالك ، من فارقه فهالك .

الإمام ؛ السحاب الماطر ، والغيط الهاطل ، والشمس المضيئة ، والأرض البسيطة ، والعين الغزيرة ، والغدير والروضة .

الإمام ؛ الأمين الرفيق ، والوالد الشفيق ،والأخ الشقيق ، ومفزع العباد في الداهية .

الإمام ؛ أمين الله في أرضه ، وحجّته على عباده ، وخليفته في بلاده ، الداعي إلى الله ، والذابّ عن حريم الله .

الإمام ؛ المطهّر من الذنوب ، المبرّأ من العيوب ، مخصوص بالعلم ، موسوم بالحلم ، نظام الدين ، وعزّ المسلمين ، وغيظ المارقين ، وبوار الكافرين .

الإمام ؛ واحد دهره ، لا يدانيه أحد ، ولا يعادله عدل ، ولا يوجد له بديل ولا له مثيل ولا نظير ، مخصوص بالفضل كلّه من غير طلب منه ولا اكتساب ، بل اختصاص من المتفضّل الوهّاب ، فمن ذا الذي يبلغ معرفة الإمام ويمكنه اختياره ؟ هيهات هيهات !! ضلّت العقول ، وتاهت الحلوم ، وحارت الألباب ، وحسرت العيون ، وتصاغرت العظماء ، وتحيّرت الحكماء ، وتقاصرت الحلماء ، وحصرت الخطباء ، وجهلت الألباب ، وكلّت الشعراء ، وعجزت الأُدباء ، وعيت البلغاء ، عن وصف شأن من شأنه ، أو فضيلة من فضائله ، فأقرّت بالعجز والتقصير ، وكيف يوصف أو ينعت بكنهه ، أو يفهم شيء من أمره ، أو يوجد من يقوم مقامه ، ويغني غناه ، لا كيف وأنّى وهو بحيث النجم من أيدي المتناولين ، ووصف الواصفين !! فأين الإختيار من هذا ؟ وأين العقول عن هذا ؟ وأين يوجد مثل هذا ؟ ظنّوا أنّ ذلك يوجد في غير آل رسول الله ﷺ ؟ كَذَّبتهُمْ والله أنفسهم ومنتهم الباطل ، فارتقوا مرتقاً صعباً دحضاً تزلّ عنه إلى الحضيض أقدامهم ، راموا إقامة الإمام بعقول حائرة بائرة ناقصة ، وآراء مضلّة ، فلم يزدادوا منه إلّا بعداً .

قاتلهم الله أنّى يؤفكون ! لقد راموا صعباً ، وقالوا إفكاً ، وضلّوا ضلالاً بعيداً ، ووقعوا في

الحيرة ، إذ تركوا الإمام عن غير بصيرة ، وزيّن لهم الشيطان أعمالهم فصدّهم عن السبيل ، وكانوا مستبصرين ، رغبوا عن اختيار الله واختيار رسوله ، إلى اختيارهم ، و«القرآن» يناديهم : ﴿ وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ مَاكَانَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ سُبْحَانَ اللهِ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾[١] وقال ﷻ : ﴿ وَمَاكَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللهُ وَرَسُولُهُ أَمْراً أَن يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ ﴾[٢] وقال ﷻ : ﴿ ومَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ * أَمْ لَكُمْ كِتَابٌ فِيهِ تَدْرُسُونَ * إِنَّ لَكُمْ فِيهِ لَمَا تَخَيَّرُونَ * أَمْ لَكُمْ أَيْمَانٌ عَلَيْنَا بَالِغَةٌ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ إِنَّ لَكُمْ لَمَا تَحْكُمُونَ * سَلْهُمْ أَيُّهُم بِذٰلِكَ زَعِيمٌ * أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ فَلْيَأْتُوا بِشُرَكَائِهِمْ إِن كَانُوا صَادِقِينَ ﴾[٣] وقال ﷻ : ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا ﴾[٤] ﴿ أَمْ طَبَعَ اللهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِم فَهُمْ لا يَفْقَهُونَ ﴾[٥] ﴿ قَالُوا سَمِعْنَا وَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ * إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِندَ اللهِ الصُّمُّ الْبُكْمُ الَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ * وَلَوْ عَلِمَ اللهُ فِيهِمْ خَيْراً لَأَسْمَعَهُمْ وَلَوْ أَسْمَعَهُمْ لَتَوَلَّوْا وَهُمْ مُعْرِضُونَ ﴾[٦] ﴿ قَالُوا سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا ﴾[٧] بل هو الفضل من الله يؤتيه من يشاء والله ذوالفضل العظيم .

فكيف لهم باختيار الإمام ؟! والإمام عالم لا يجهل ، راع لا ينكل ، معدن القدس والطهارة ، والنسك والزهادة ، والعلم والعبادة ، مخصوص بدعوة الرسول ، وهو نسل المطهّرة البتول ، لا مغمز فيه في نسب ، ولا يدانيه ذو حسب ، في البيت من قريش ، والذروة من هاشم ، والعترة من آل الرسول ، والرضا من الله ، شرف الأشراف ، والفرع من عبد مناف ، نامي العلم ، كامل الحلم ، مضطلع بالإمامة ، عالم بالسياسة ، مفروض الطاعة ، قائم بأمر الله ، ناصح لعباد الله ، حافظ لدين الله.

إنّ الأنبياء والأئمّة يوفّقهم الله ، ويؤتيهم من مخزون علمه وحكمه ما لا يؤتيه غيرهم ، فيكون علمهم فوق علم أهل زمانهم في قوله ﷻ : ﴿ أَفَمَن يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ أَحَقُّ أَن يُتَّبَعَ أَمْ مَن لَا يَهِدِّي إِلَّا أَن يُهْدَىٰ فَمَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ﴾[٨] وقوله ﷻ : ﴿ وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْراً كَثِيراً ﴾[٩] وقوله ﷻ ـ

---

(١) القصص ٦٨.

(٢) الأحزاب ٣٦.

(٣) القلم ٣٦ ـ ٤١.

(٤) محمّد صلى الله عليه وآله ٢٤.

(٥) التوبة ٨٧.

(٦) الأنفال ٢١ ـ ٢٣.

(٧) البقرة ٩٣.

(٨) يونس ٣٥.

(٩) البقرة ٢٦٩.

في طالوت ـ : ﴿ إنَّ اللهَ اصْطَفَاهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُ بَسْطَةً فِي الْعِلْمِ والْجِسْمِ واللهُ يُؤْتِي مُلْكَهُ مَنْ يَشَاءُ واللهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴾[١] وقال ﷻ لنبيّه : ﴿ وَكَانَ فَضْلُ اللهِ عَلَيْكَ عَظِيماً ﴾[٢] وقال ﷻ ـ في الأئمّة من أهل بيته وعترته ـ : ﴿ أَمْ يَحْسُدُونَ ٱلنَّاسَ عَلَىٰ مَا آتَاهُمُ ٱللهُ مِن فَضْلِهِ فَقَدْ آتَيْنَا آلَ إِبْرَاهِيمَ ٱلْكِتَابَ وَٱلْحِكْمَةَ وَآتَيْنَاهُم مُلْكاً عَظِيماً * فَمِنْهُم مَنْ آمَنَ بِهِ وَمِنْهُم مَن صَدَّ عَنْهُ وَكَفَىٰ بِجَهَنَّمَ سَعِيراً ﴾[٣] .

وإنّ العبد إذا اختاره الله لأُمور عباده شرح صدره لذلك ، وأودع قلبه ينابيع الحكمة ، وألهمه العلم إلهاماً ، فلم يعي بعده الجواب ، ولا يحير فيه عن الصواب ، وهو معصوم مؤيّد ، موفّق مسدّد ، قد أمن الخطايا والزلل والعثار ، فخصّه الله بذلك ليكون حجّته على عباده ، وشاهده على خلقه ، وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذوالفضل العظيم ، فهل يقدرون على مثل هذا فيختاروه ؟ أو يكون مختارهم بهذه الصفة فيقدّموه ؟ تعدّوا وبيت الله الحق ، ونبذوا كتاب الله وراء ظهورهم كأنّهم لا يعلمون ، وفي كتاب الله : ﴿ فَنَبَذُوهُ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ ﴾[٤] فذمّهم الله ومقّتهم أنفسهم فقال ﷻ : ﴿ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًىً مِنَ اللهِ إنَّ اللهَ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴾[٥] وقال ﷻ : ﴿ فَتَعْساً لَهُمْ وَأَضَلَّ أَعْمَالَهُمْ ﴾[٦] وقال ﷻ ﴿ كَبُرَ مَقْتاً عِندَ ٱللهِ وَعِندَ ٱلَّذِينَ آمَنُوا كَذٰلِكَ يَطْبَعُ ٱللهُ عَلَىٰ كُلِّ قَلْبِ مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ ﴾[٧]» .

وروي عن الحسن بن علي بن فضال عن أبي الحسن عليّ بن موسى الرّضا عليه السلام أنّه قال : «للإمام علامات : يكون أعلم النّاس ، وأحكم النّاس ، وأتقى النّاس ، وأشجع النّاس ، وأسخى النّاس ، وأعبد النّاس ، ويولد مختوناً ، ويكون مطهّراً ، ويرى من خلفه كما يرى من بين يديه ، ولا يكون له ظلّ ، وإذا وقع إلى الأرض من بطه أُمّه وقع على راحتيه رافعاً صوته بالشهادتين ، ولا يحتلم ، ولا ينام عينه ، ولا ينام قلبه ، ويكون محدّثاً ، ويستوي عليه درع رسول الله ﷺ ، ولا يرى له بول ولا غائط ، لأنّ الله قد وكّل الأرض بابتلاع ما يخرج منه ، وتكون رائحته أطيب من رائحة المسك ،

---

(١) البقرة ٢٤٧.

(٢) النساء ١١٣.

(٣) النساء ٥٤ ـ ٥٥.

(٤) آل عمران ١٨٧.

(٥) القصص ٥٠.

(٦) محمّد ﷺ ٨.

(٧) المؤمن ٣٥.

ويكون أولى النّاس منهم بأنفسهم ، وأشفق عليهم من آبائهم وأُمّهاتهم ، ويكون أشدّ النّاس تواضعاً لله عزّ وجلّ ، ويكون آخذ النّاس بما يأمر به ، وأكفّ النّاس عمّا ينتهي عنه ، ويكون دعاؤه مستجاباً ، حتّى أنّه لو دعى على صخرة لانشقّت بنصفين ، ويكون عنده سلاح رسول الله وسيفه ذوالفقار ، وتكون عنده صحيفة فيها أسماء شيعته إلى يوم القيامة ، وصحيفة فيها أسماء أعدائه إلى يوم القيامة ، ويكون عنده الجامعة ؛ وهي صحيفة فيها سبعون ذراعاً ، فيها جميع ما يحتاج إليه ولد آدم ، ويكون عنده الجفر الأكبر والأصغر ؛ وهو إهاب كبش فيها جميع العلوم حتّى أرش الخدش ، حتّى الجلدة ونصف الجلدة وثلث الجلدة ، ويكون عنده مصحف فاطمة عليها السلام» .

وروي خالد بن الهيثم الفارسي قال : قلت لأبي الحسن الرّضا عليه السلام : إنّ النّاس يزعمون أنّ في الأرض أبدالاً ، فمن هؤلاء الأبدال ؟

قال عليه السلام : «صدقوا ، الأبدال هم : الأوصياء ؛ جعلهم الله في الأرض بدل الأنبياء ؛ إذا رفع الأنبياء وختمهم بمحمّد صلّى الله عليه وآله» .

وقد روي عن أبي الحسن الرّضا عليه السلام من ذمّ الغلاة والمفوّضة وتكفيرهم ، وتضليلهم والبراءة منهم وممّن والاهم ، وذكر علّة ما دعاهم إلى ذلك الإعتقاد الفاسد الباطل ، ما قد تقدّم ذكر طرف منه في هذا الكتاب .

وكذلك روي عن آبائه وأبنائه عليهم السلام في حقّهم والأمر بلعنهم ، والبراءة منهم ، وإشاعة حالهم ، والكشف عن سوء اعتقادهم ؛ كي لا يغترّ بمقالتهم ضعفاء الشيعة ، ولا يعتقد من خالف هذه الطائفة أنّ الشيعة الإماميّة بأسرهم على ذلك ، نعوذ منه وممّن اعتقده وذهب إليه ، فممّا ذكره الرّضا عليه السلام عن علّة وجه خطأهم وضلالهم عن الدّين القيّم ، **ما رويناه بالإسناد الّذي تقدّم ذكره عن أبي محمّد الحسن العسكري ، أنّ الرّضا عليه السّلام والصّلوات والتحيّات قال :**

«إنّ هؤلاء الضلّال الكفرة ما أتوا إلّا من قبل جهلهم بمقدار أنفسهم ، حتّى اشتدّ إعجابهم بها ، وكثرة تعظيمهم لما يكون منها ، فاستبدّونا بآرائهم الفاسدة ، واقتصروا على عقولهم المسلوك بها غير سبيل الواجب ، حتّى استصغروا قدر الله ، واحتقروا أمره ، وتهاونوا بعظيم شأنه ، إذ لم يعلموا أنّه القادر بنفسه الغنيّ بذاته ، الّذي ليست قدرته مستعارة ولا غناه مستفاداً ، والّذي من شاء أفقره ومن شاء أغناه ، ومن شاء أعجزه بعد القدرة ، وأفقره بعد الغنى ، فنظروا إلى عبد قد اختصّه الله بقدرة ليبيّن بها فضله عنده ، وآثره بكرامته ليوجب بها حجّته على خلقه ، وليجعل ما آتاه من ذلك

ثواباً على طاعته ، وباعثاً على اتّباع أمره ، ومؤمناً عباده المكلّفين من غلط من نصبه عليهم حجّة ولهم قدوة ، فكانوا كطلّاب ملك من ملوك الدّنيا ، ينتجعون فضله ، ويؤمّلون نائله ، ويرجون التفيّؤ بظلّه والإنتعاش بمعروفه ، والإنقلاب إلى أهليهم بجزيل عطائه الّذي يعينهم على طلب الدّنيها ، وينقذهم من التعرّض لدنيّ المكاسب وخسيس المطالب ، فبيناهم يسألون عن طريق الملك ليترصّدوه وقد وجّهوا الرغبة نحوه ، وتعلّقت قلوبهم برؤيته ، إذ قيل لهم : سيطّلع عليكم في جيوشه ومواكبه وخيله ورجله ، فإذا رأيتموه فأعطوه من التعظيم حقّه ، ومن الإقرار بالمملكة واجبه ، وإيّاكم أن تسمّوا باسمه غيره ، أو تعظّموا سواه كتعظيمه ، فتكونوا قد بخستم الملك حقّه وأزريتم عليه ، واستحققتم بذلك منه عظيم عقوبته ، فقالوا : نحن كذلك فاعلون جهدنا وطاقتنا ، فلما لبثوا أن طلع عليهم بعض عبيد الملك في خيل قد ضمّها إليه سيّده ، ورجل قد جعلهم في جملته ، وأموال قد حباه بها ، فنظر هؤلاء ـ وهم للملك طالبون ـ فاستكثروا ما رأوه بهذا العبد من نعم سيّده ، ورفعوه أن يكون هو من المنعم عليه بما وجدوا معه ، فأقبلوا يحيّونه تحيّة الملك ويسمّونه باسمه ، ويجحدون أن يكون فوقه ملك وله مالك ، فأقبل عليهم العبد المنعم عليه وسائر جنوده بالزجر والنهي عن ذلك ، والبراءة ممّا يسمّونه به ، ويخبرونهم بأنّ الملك هو الّذي أنعم بهذا عليه واختصّه به ، وأنّ قولكم ما تقولون يوجب عليكم سخط الملك وعذابه ، ويفوتكم كلّما أمّلتموه من جهته ، وأقبل هؤلاء القوم يكذّبونهم ويردّون عليهم قولهم ، فما زالوا كذلك حتّى غضب الملك لما وجد هؤلاء قد سوّوا به عبده ، وآزروا عليه في مملكته ، وبخسوه حقّ تعظيمه ، فحشرهم أجمعين إلى حبسه ، ووكّل بهم من يسومهم سوء العذاب .

فكذلك هؤلاء لمّا وجدوا أميرالمؤمنين عبداً أكرمه الله ليبين فضله ، ويقيم حجّته ، فصغروا عندهم خالقهم أن يكون جعل عليّاً له عبداً ، وأكبروا عليّاً عن أن يكون الله ﷻ له ربّاً ؛ فسمّوه بغير اسمه ، فنهاهم هو وأتباعه من أهل ملّته وشيعته وقالوا لهم : يا هؤلاء إنّ عليّاً وولده عباد مكرمون ، مخلوقون ، ومدبّرون ، لا يقدرون إلّا على ما أقدرهم عليه ربّ العالمين ، ولا يملكون إلّا ما ملّكهم ، ولا يملكون موتاً ولا حياة ولا نشوراً ، ولا قبضاً ولا بسطاً ، ولا حركة ولا سكوناً إلّا ما أقدرهم عليه وطوّقهم ، وإنّ ربّهم وخالقهم يجلّ عن صفات المحدثين ، ويتعالى عن نعت المحدودين ، وإنّ من اتّخذهم أو واحداً منهم أرباباً من دون الله فهو من الكافرين وقد ضلّ سواء السّبيل .

فأبى القوم إلّا جماحاً[1] وامتدّوا في طغيانهم يعمهون ، فبطلت أمانيّهم ، وخابت مطالبهم ، وبقوا في العذاب» .

وروينا أيضاً بالإسناد المقدّم ذكره عن أبي محمّد العسكري عليه السلام أنّ أباالحسن الرّضا عليه السلام قال : «إنّ من تجاوز بأميرالمؤمنين عليه السلام العبوديّة فهو من المغضوب عليهم ومن الضالّين ، وقال أميرالمؤمنين عليه السلام : لا تتجاوزوا بنا العبوديّة ، وقولوا فينا ما شئتم ولن تبلغوا ، وإيّاكم والغلوّ كغلوّ النّصارى ، فإنّي بريء من الغالين .

فقام إليه رجل فقال : يابن رسول الله صف لنا ربّك ! فإنّ من قبلنا قد اختلفوا علينا .

فوصفه الرّضا عليه السلام أحسن وصف ، ومجّده ونزّهه عمّا لا يليق به تعالى .

فقال الرّجل : بأبي أنت وأُمّي يابن رسول الله ! فإنّ معي من ينتحل موالاتكم ويزعم أنّ هذه كلّها من صفات عليّ عليه السلام ، وأنّه هو الله ربّ العالمين» .

(قال) : «فلمّا سمعها الرّضا عليه السلام ، ارتعدت فرائصه وتصبّب عرقاً وقال : سبحان الله عمّا يشركون ، سبحانه عمّا يقول الكافرون علوّاً كبيراً ، أوليس علي كان آكلاً في الآكلين ، وشارباً في الشاربين ، وناكحاً في الناكحين ، ومحدّثاً في المحدّثين ؟ وكان مع ذلك مصلّياً خاضعاً ، بين يدي الله ذليلاً ، وإليه أوّاهاً منيباً ، أفمن هذه صفته يكون إلهاً ؟! فإن كان هذا إلهاً فليس منكم أحد إلّا وهو إله لمشاركته له في هذه الصفات الدالّات على حدث كلّ موصوف بها .

فقال الرّجل : يابن رسول الله إنّهم يزعمون أنّ علياً لمّا أظهر من نفسه المعجزات الّتي لا يقدر عليها غير الله ، دلّ على أنّه إله ، ولمّا ظهر لهم بصفات المحدثين العاجزين لبّس ذلك عليهم ، وامتحنهم ليعرفوه ، وليكون إيمانهم اختياراً من أنفسهم .

فقال الرّضا عليه السلام : أوّل ما هاهنا أنّهم لا ينفصلون ممّن قلّب هذا عليهم فقال : لما ظهر منه (الفقر والفاقة) دلّ على أنّ من هذه صفاته وشاركه فيها الضعفاء المحتاجون لا تكون المعجزات فعله ، فعلم بهذا أنّ الّذي أظهره من المعجزات إنّما كان فعل القادر الّذي لا يشبه المخلوقين ، لا فعل المحدث المشارك للضعفاء في صفات الضعف» .

وروي أنّ المأمون كان يحبّ في الباطن سقطات أبي الحسن الرّضا عليه السلام وأن يغلبه المحتج ، ويظهر غيره ، فاجتمع يوماً عنده الفقهاء والمتكلّمون ، فدسّ إليهم أن ناظروه في الإمامة !

---

(١) الجَمُوحُ من الرِّجال : الذي يركب هواه فلا يمكن ردّه.

فقال لهم الرّضا عليه السلام : «اقتصروا على واحد منكم يلزمكم ما يلزمه» .

فرضوا برجل يعرف بيحيى بن الضحّاك السمرقندي ، ولم يكن بخراسان مثله .

فقال له الرّضا عليه السلام : «يا يحيى أخبرني عمّن صدّق كاذباً على نفسه ، أوكذّب صادقاً على نفسه ، أيكون محقّاً مصيباً ، أم مبطلاً مخطياً» ؟

فسكت يحيى .

فقال له المأمون : أجبه !

فقال : يعفيني أميرالمؤمنين عن جوابه .

فقال المأمون : يا أباالحسن عرّفنا الغرض في هذه المسألة !

فقال عليه السلام : «لابدّ ليحيى من أن يخبرني عن أئمّته أنّهم كذبوا على أنفسهم أو صدقوا ؛ فإن زعم أنّهم كذبوا فلا إمامة للكاذب ، وإن زعم أنّهم صدقوا فقد قال أوّلهم : «أقيلوني ولّيتكم ولست بخيركم» وقال ثانيهم : «بيعة أبي بكر كانت فلتة وقى الله شرّها ، فمن عاد لمثلها فاقتلوه» فوالله ما رضي لمن فعل مثل فعله إلّا بالقتل ، فمن لم يكن بخير النّاس والخيريّة لا تقع إلّا بنعوت ، منها : العلم ، ومنها : الجهاد ، ومنها : ساير الفضائل ؛ وليست فيه ، ومن كانت بيعته فلتة يجب القتل على من فعل مثلها ، كيف يقبل عهده إلى غيره ، وهذه صفته ؟!! ثمّ يقول على المنبر : إنّ لي شيطاناً يعتريني ، فإذا مال بي فقوّموني ، وإذا أخطأت فارشدوني ؛ فليسوا أئمّة إن صدقوا وإن كذبوا ؛ فما عند يحيى شيء في هذا» .

فعجب المأمون من كلامه ، وقال : يا أباالحسن ما في الأرض من يحسن هذا سواك !

وروي عنه عليه السلام أنّه قال : «أفضل ما يقدّم العالم من محبّينا وموالينا أمامه ليوم فقره وفاقته ، وذلّه ومسكنته ، أن يغيث في الدّنيا مسكيناً من محبّينا من يد ناصب عدوّ لله ولرسوله ، فيقوم من قبره والملائكة صفوف ، من شفير قبره إلى موضع محلّه من جنان الله ، فيحملوه على أجنحتهم ، ويقولون : طوبى لك طوباك يا دافع الكلاب عن الأبرار ، ويا أيّها المتعصّب للأئمّة الأخيار» .

وبالإسناد الّذي تكرّر عن أبي محمّد الحسن العسكري عليه السلام قال : «دخل على أبي الحسن الرّضا عليه السلام رجل فقال : يابن رسول الله لقد رأيت اليوم شيئاً عجبت منه .

قال : وما هو ؟

قال : رجل كان معنا يظهر لنا أنّه من الموالين لآل محمّد ، المتبرّين من أعدائهم ، فرأيته اليوم

وعليه ثياب قد خلعت عليه ، وهو ذا يطاف به ببغداد ، وينادي المنادي بين يديه : معاشر المسلمين اسمعوا توبة هذا الرّجل الرافضي ، ثمّ يقول : قل ! فقال : «خير النّاس بعد رسول الله صلى الله عليه وآله أبابكر» فإذا قال ذلك ضجّوا وقالوا : قد تاب ، وفضّل أبابكر على عليّ بن أبي طالب .

فقال الرّضا عليه السلام : إذا خلوت فأعد عَلَيّ هذا الحديث !

فلمّا خلى أعاد عليه ، فقال له : إنّما لم أُفسّر لك معنى كلام الرّجل بحضرة هذا الخلق المنكوس ، كراهة أن ينقل إليهم فيعرفوه ويؤذوه ، لم يقل الرجل خير النّاس بعد رسول الله صلى الله عليه وآله «أبوبكر» فيكون قد فضّل أبابكر على عليّ عليه السلام ، ولكن قال : خير النّاس بعد رسول الله صلى الله عليه وآله «أبابكر» فجعله نداءً لأبي بكر ليرضي من يمشي بين يديه من بعض هؤلاء الجهلة ، ليتوارى من شرورهم ، إنّ الله تعالى جعل هذه التورية ممّا رحم به شيعتنا» .

وبهذا الإسناد عن أبي محمّد العسكري عليه السلام أنّه قال : «لمّا جعل المأمون إلى عليّ بن موسى الرّضا عليه السلام ولاية العهد ، دخل عليه آذنه فقال : إنّ قوماً بالباب يستأذنون عليك ، يقولون : «نحن من شيعة عليّ عليه السلام» .

فقال : أنا مشغول فاصرفهم .

فصرفهم إلى أن جاؤوا هكذا يقولون ويصرفهم شهرين ، ثمّ أيسوا من الوصول ، فقالوا : قل لمولانا إنّا شيعة أبيك عليّ بن أبي طالب عليه السلام ؛ قد شمت بنا أعداؤنا في حجابك لنا ، ونحن ننصرف عن هذه الكرّة ، ونهرب من بلادنا خجلاً وأنفة ممّا لحقنا ، وعجزاً عن احتمال مضض ما يلحقنا من أعدائنا .

فقال عليّ بن موسى الرّضا عليه السلام : إئذن لهم ليدخلوا ، فدخلوا عليه فسلّموا عليه ، فلم يردّ عليهم ، ولم يأذن لهم بالجلوس ، فبقوا قياماً .

فقالوا : يابن رسول الله ما هذا الجفاء العظيم ، والإستخفاف بعد هذا الحجاب الصعب ؟ أيّ باقية تبقى منّا بعد هذا ؟

فقال الرّضا عليه السلام : «اقرؤوا : ﴿ وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُوا عَنْ كَثِيرٍ ﴾[1] والله ما اقتديت إلّا بربّي عزّ وجلّ وبرسوله وبأميرالمؤمنين ومن بعده من آبائي الطاهرين عليهم السلام ، عتبوا عليكم فاقتديت بهم .

---

(١) الشورى ٣٠.

قالوا : لماذا يابن رسول الله ؟

قال : لدعواكم أنّكم شيعة أميرالمؤمنين ! ويحكم إنّ شيعته : الحسن والحسين ، وسلمان وأبوذر ، والمقداد وعمّار ، ومحمّد بن أبي بكر الّذين لم يخالفوا شيئاً من أوامره ، وأنتم في أكثر أعمالكم له مخالفون ، وتقصرون في كثير من الفرائض وتتهاونون بعظيم حقوق إخوانكم في الله ، وتتقون حيث لا تجب التقيّة ، وتتركون التقيّة حيث لابدّ من التقيّة ، لو قلتم : إنّكم مواليه ومحبّوه ، والموالون لأوليائه والمعادون لأعدائه ، لم أنكره من قولكم ، ولكن هذه مرتبة شريفة ادّعيتموها إن لم تصدّقوا قولكم بفعلكم هلكتم ، إلّا أن تتدارككم رحمة ربكم .

قالوا : يابن رسول الله ! فإذاً نستغفر الله ونتوب إليه من قولنا بل نقول كما علّمنا مولانا : نحن محبّوكم ومحبّوا أوليائكم ، ومعادوا أعدائكم .

قال الرّضا عليه السلام : فمرحباً بكم إخواني ، وأهل ودّي ، ارتفعوا ! فما زال يرفعهم حتّى ألصقهم بنفسه ، ثمّ قال لحاجبه :كم مرّةٍ حجبتهم ؟

قال : ستّين مرّة .

قال : فاختلف إليهم ستّين مرّة متوالية ، فسلّم عليهم وأقرأهم سلامي ، فقد محوا ما كان من ذنوبهم باستغفارهم وتوبتهم ، واستحقّوا الكرامة لمحبّتهم لنا وموالاتهم ، وتفقّد أُمورهم وأُمور عيالاتهم ، فأوسعهم نفقات ومبرّات وصلات ودفع معرّات» .

احتجاج أبي جعفر محمّد بن عليّ الثاني عليهما السلام في أنواع شتّى من العلوم الدينيّة

روى أبو داود بن القاسم الجعفري[1] قال : قلت لأبي جعفر الثاني عليه السلام : ﴿ قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَد ﴾ ، ما معنى الأحد ؟

---

(١) داود بن القاسم بن إسحاق بن عبدالله بن جعفر بن أبي طالب رضي الله عنه ، ذكره الشيخ في الفهرست ص٩٣ فقال : له كتاب ، وذكره في رجاله في أصحاب الرضا عليه السلام ص٣٧٥ ، وفي أصحاب الجواد عليه السلام ص٤٠١ وقال : ثقة ، جليل القدر ، وفي أصحاب الهادي عليه السلام ص٤٠٤ ، وفي أصحاب العسكري ص٤٣١ .

وذكره العلّامة في الخلاصة فقال : يكنّى أباهاشم الجعفري رضي الله عنه ، من أهل بغداد ، ثقة ، جليل القدر ، عظيم المنزلة عند الأئمّة عليهم السلام ، شاهد أباجعفر وأباالحسن وأبامحمّد عليهم السلام ، وكان شريفاً عندهم ، له موقع جليل عندهم ، روى أبوه عن الصّادق عليه السلام .

قال عليه السلام : «المجمع عليه بالوحدانيّة ، أما سمعته يقول : ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَنْ خَلَقَ ٱلسَّمَاوَاتِ وَٱلْأَرْضَ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ﴾[١] ثمّ يقولون بعد ذلك له شريك وصاحبة» .

فقلت : قوله : ﴿ لا تُدْرِكُهُ الأَبْصَارُ ﴾[٢] ؟

قال عليه السلام : «يا أباهاشم ! أوهام القلوب أدقّ من أبصار العيون ، أنت قد تدرك بوهمك السند والهند ، والبلدان الّتي لم تدخلها ، ولم تدرك ببصرك ذلك ، فأوهام القلوب لا تدركه ، فكيف تدركه الأبصار» .

وسُئِلَ عليه السلام : أيجوز أن يقال لله أنّه شيء ؟

فقال عليه السلام : «نعم ، تخرجه من الحدّين : حدّ الإبطال ، وحدّ التشبيه» .

وعن **أبي هاشم الجعفري قال** : كنت عند أبي جعفر الثاني عليه السلام فسأله رجل فقال : أخبرني عن الربّ تبارك وتعالى أله أسماء وصفات في كتابه ، وهل أسماؤه وصفاته هي هو ؟

فقال أبو جعفر عليه السلام : «إنّ لهذا الكلام وجهين : إن كنت تقول : «هي هو» أنّه : ذو عدد وكثرة ؛ فتعالى الله عن ذلك ، وإن كنت تقول : هذه الأسماء والصفات لم تزل ، فإنّ ما لم تزل محتمل على معنيين : فإن قلت لم تزل عنده في علمه وهو يستحقّها ؛ فنعم ، وإن كنت تقول : لم تزل صورها وهجاؤها وتقطيع حروفها ؛ فمعاذ الله أن يكون معه شيء غيره ، بل كان الله تعالى ذكره ولا خلق ، ثمّ خلقها وسيلة بينه وبين خلقه ، يتضرّعون بها إليه ويعبدون ، وهي : «ذكره» وكان الله سبحانه ولا ذكر ، والمذكور بالذكر هو الله القديم الّذي لم يزل ، والأسماء والصفات مخلوقات ، والمعني بها هو الله ، لا يليق به الإختلاف ولا الإيتلاف ، وإنّما يختلف ويتألّف المتجزّي ، ولا يقال له قليل ولا كثير ، ولكنّه القديم في ذاته ، لأنّ ما سوى الواحد متجزّي والله واحد ولا متجزّي ، ولا متوهّم بالقلّة والكثرة ، وكلّ متجزّي أو متوهّم بالقلّة والكثرة فهو مخلوق دالّ على خالق له ؛ فقولك «إنّ الله قدير» خبّرت أنّه لا يعجزه شيء فنفيت بالكلمة العجز ، وجعلت العجز لسواه ، وكذلك قولك «عالم» إنّما نفيت بالكلمة الجهل ، وجعلت الجهل لسواه ، فإذا أفنى الأشياء أفنى «الصورة والهجاء والتقطيع» فلا يزال من لم يزل عالماً» .

فقال الرجل : فكيف سمّينا ربّنا سميعاً ؟

---

(١) العنكبوت ٦١.

(٢) الأنعام ١٠٣.

فقال عليه السلام : «لأنّه لا يخفى عليه ما يدرك بالأسماع ، ولم نصفه بالسمع المعقول في الرأس ، وكذلك سمّيناه «بصيراً» لأنّه لا يخفى عليه ما يدرك بالأبصار من : لون أو شخص أو غير ذلك ، ولم نصفه ببصر طرفة العين ، وكذلك سمّيناه «لطيفاً» لعلمه بالشيء اللطيف مثل «البعوضة» وما هو أخفى من ذلك ، وموضع المشي منها والشهوة والسفاد ، والحدب على أولادها ، وإقامة بعضها على بعض ، ونقلها الطعام والشراب إلى أولادها في الجبال والمفاوز والأودية والقفار ، وعلمنا بذلك أنّ خالقها لطيف بلا كيف ، إذ الكيفية للمخلوق المكيّف ، وكذلك سمّيناه ربّنا «قويّاً» بلا قوّة البطش المعروف من الخلق ، ولو كانت قوّته قوّة البطش المعروف من الخلق لوقع التشبيه واحتمل الزيادة ، وما احتمل الزيادة احتمل النقصان ، وما كان ناقصاً كان غير قديم ، وما كان غير قديم كان عاجزاً ، فربّنا تبارك وتعالى لا شبه له ، ولا ضدّ ولا ندّ ، ولا كيفيّة ، ولا نهاية ، ولا تصاريف ، محرّم على القلوب أن تحتمله ، وعلى الأوهام أن تحدّه ، وعلى الضمائر أن تصوّره ، جلّ وعزّ عن أداة خلقه ، وسمات بريّته ، تعالى عن ذلك علوّاً كبيراً» .

عن الريّان بن شبيب[1] **قال** : لمّا أراد المأمون أن يزوّج ابنته اُمّ الفضل أباجعفر محمّد بن عليّ عليه السلام ، بلغ ذلك العبّاسيّين ، فغلظ عليهم ذلك ، واستنكروا منه ، وخافوا أن ينتهي الأمر معه إلى ما انتهى مع الرّضا عليه السلام ، فخاضوا في ذلك ، واجتمع منهم أهل بيته الأدنون منه ، فقالوا : ننشدك الله يا أميرالمؤمنين أن تقيم على هذا الأمر الّذي عزمت عليه من تزويج ابن الرّضا ، فإنّا نخاف أن يخرج به عنّا أمر قد ملّكناه الله ، وينتزع منّا عزّاً قد ألبسناه الله ، وقد عرفت ما بيننا وبين هؤلاء القوم قديماً وحديثاً ، وما كان عليه الخلفاء الراشدون قبلك من تبعيدهم والتصغير بهم ، وقد كنّا في وهلة من عملك مع الرّضا ما عملت ، وكفانا الله المهم من ذلك ، فالله الله أن تردّنا إلى غمّ قد انحسر عنّا ، واصرف رأيك عن ابن الرّضا واعدل إلى من تراه من أهل بيتك يصلح لذلك دون غيره .

فقال لهم المأمون : أمّا ما بينكم وبين آل أبي طالب فأنتم السبب فيه ، ولو أنصفتم القوم لكان أولى بكم ، وأمّا ما كان يفعله من قبلي بهم ، فقد كان به قاطعاً للرحم ، وأعوذ بالله من ذلك ، ووالله ما ندمت على ما كان منّي من استخلاف الرضا ، ولقد سألته أن يقوم بالأمر وأنزعه من نفسي فأبى ، وكان أمر الله قدراً مقدوراً . وأمّا أبو جعفر محمّد بن عليٍّ ، فقد اخترته لتبريزه على كافّة أهل

---

(١) قال العلّامة الحلّي رحمه الله في القسم الأوّل من خلاصته ص ٧١: «الريّان بن شبيب ـ بالشين المعجمة وبعدها باء منقطة ـ خال المعتصم ، ثقة» .

الفضل في العلم والفضل ، مع صغر سنّه والأُعجوبة فيه بذلك ، وأنا أرجو أن يظهر للنّاس ما قد عرفته منه ، فيعلموا أنّ الرأي ما رأيت .

فقالوا : إنّ هذا الفتى وإن رأقك منه هديه فإنّه صبيّ لا معرفة له ولا فقه ، فأمهله ليتأدّب ثمّ اصنع ما تراه بعد ذلك .

فقال لهم : ويحكم إنّي أعرف بهذا الفتى منكم ، وإنّ هذا من أهل بيت علمهم من الله تعالى ، وموادّه وإلهامه ، لم يزل آباؤه أغنياء في علم الدين والأدب عن الرعايا الناقصة عن حدّ الكمال ، فإن شئتم فامتحنوا أباجعفر بما يتبيّن لكم به ما وصفت لكم من حاله .

قالوا : لقد رضينا لك يا أميرالمؤمنين ولأنفسنا بامتحانه ، فخلّ بيننا وبينه لننصب من يسأله بحضرتك عن شيء من فقه الشريعة ، فإن أصاب في الجواب عنه لم يكن لنا اعتراض في حقّه ، وظهر للخاصّة والعامة سديد رأي أميرالمؤمنين فيه ، وإن عجز عن ذلك فقد كفينا الخطب في معناه .

فقال لهم المأمون : شأنكم وذلك متى أردتم .

فخرجوا من عنده واجتمع رأيهم على مسألة يحيى بن أكثم ـ وهو يومئذ قاضي الزمان ـ على أن يسأله مسألة لا يعرف الجواب فيها ، ووعدوه بأموال نفيسة على ذلك ، وعادوا إلى المأمون فسألوه أن يختار لهم يوماً للإجتماع ، فأجابهم إلى ذلك ، واجتمعوا في اليوم الذي اتفقوا عليه ، وحضر معهم يحيى بن أكثم ، وأمر المأمون أن يفرش لأبي جعفر دست ، ويجعل له فيه مستورتان ؛ ففعل ذلك ، وخرج أبو جعفر عليه السلام وهو يومئذ ابن تسع سنين وأشهر ، فجلس بين المسورتين ، وجلس يحيى بن أكثم بين يديه ، فقام الناس في مراتبهم ، والمأمون جالس في دست متصل بدست أبي جعفر عليه السلام .

فقال يحيى بن أكثم للمأمون : تأذن لي يا أميرالمؤمنين أن أسأل أباجعفر عن مسألة ؟

فقال المأمون : استأذن في ذلك .

فأقبل عليه يحيى بن أكثم فقال : أتأذن لي جعلت فداك في مسألة ؟

فقال أبو جعفر عليه السلام : «سل إن شئت» !

فقال يحيى : ما تقول جعلت فداك في محرم قتل صيداً ؟

فقال أبو جعفر عليه السلام : «قتله في حلٍّ أو حرم ؟ عالماً كان المحرم أم جاهلاً ؟ قتله عمداً أو خطأً ؟ حرّاً كان المحرم أو عبداً ؟ صغيراً كان أو كبيراً ؟ مبتدئاً بالقتل أو معيداً ؟ من ذوات الطير كان

الصيد أم من غيرها ؟ من صغار الصيد أم من كباره ؟ مصرّاً على ما فعل أو نادماً ؟ في الليل كان قتله للصيد أم بالنهار ؟ محرماً كان بالعمرة إذ قتله أو بالحجّ كان محرما» ؟

فتحيّر يحيى بن أكثم وبان في وجهه العجز والإنقطاع ، وتلجلج حتّى عرف جماعة أهل المجلس عجزه .

فقال المأمون : الحمد لله على هذه النعمة والتوفيق لي في الرأي ، ثمّ نظر إلى أهل بيته فقال لهم : أعرفتم الآن ماكنتم تنكرونه ؟ ثمّ أقبل إلى أبي جعفر عليه السلام فقال له : أتخطب يا أباجعفر ؟

قال عليه السلام : «نعم ، يا أميرالمؤمنين» .

فقال له المأمون : أخطب لنفسك جعلت فداك ! فقد رضيتك لنفسي وأنا مزوّجك أُمّ الفضل ابنتي وإن رغم أُنوف قوم لذلك .

فقال أبو جعفر عليه السلام : «الحمد لله إقراراً بنعمته ، ولا إله إلّا الله إخلاصاً لوحدانيّته ، وصلّى الله على سيّد بريّته ، والأصفياء من عترته .

أمّا بعد ؛ فقد كان من فضل الله على الأنام أن أغناهم بالحلال عن الحرام ، فقال سبحانه : ﴿ وَأَنكِحُوا الْأَيَامَىٰ مِنكُمْ وَالصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَائِكُمْ إِن يَكُونُوا فُقَرَاءَ يُغْنِهِمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴾[1] ثمّ إنّ محمّد بن علي بن موسى يخطب أُمّ الفضل بنت عبدالله المأمون ، وقد بذل لها من الصداق مهر جدّته فاطمة بنت محمّد صلى الله عليه وآله ؛ وهو «خمسمائة درهم» جياداً ، فهل زوّجته يا أميرالمؤمنين بها على هذا الصداق المذكور» ؟

فقال المأمون : نعم قد زوّجتك يا أباجعفر أُمّ الفضل ابنتي على الصداق المذكور ، فهل قبلت النكاح ؟

قال أبو جعفر عليه السلام : «نعم ، قد قبلت ذلك ورضيت» .

فأمر المأمون أن يقعد النّاس على مراتبهم من الخاصّة والعامّة .

قال الريّان : ولم نلبث أن سمعنا أصواتاً تشبه أصوات الملاحين في محاوراتهم ، فإذا الخدم يجرّون سفينة مصنوعة من فضّة تشدّ بالحبال من الإبريسم ، على عجلة مملوّة من الغالية ، فأمر المأمون أن تخضب لحى الخاصّة من تلك الغالية ؛ ففعلوا ذلك ، ثمّ مدّت إلى دار العامّة فتطيّبوا بها ، ووضعت الموائد فأكل النّاس ، وخرجت الجوائز إلى كلّ قوم على قدرهم .

---

(١) النور ٣٢.

فلمّا تفرّق النّاس وبقي من الخاصّة من بقي ، قال المأمون لأبي جعفر ﷺ : جعلت فداك ! إن رأيت أن تذكر الفقه فيما فصلته من وجوه قتل المحرم لنعلمه ونستفيده .

فقال أبو جعفر ﷺ : «نعم ؛ إنّ المحرم إذا قتل صيداً في الحل وكان الصيد من ذوات الطير وكان من كبارها ؛ فعليه شاة ، وإن أصابه في الحرم ؛ فعليه الجزاء مضاعفاً ، وإذا قتل فرخاً في الحل ؛ فعليه حمل قد فطم من اللبن ، فإذا قتله في الحرم ؛ فعليه الحمل وقيمة الفرخ ، فإذاكان من الوحش وكان حمار وحش ؛ فعليه بقرة ، وإن كان نعامة ؛ فعليه بدنة ، وإن كان ظبياً ؛ فعليه شاة ، فإن كان قتل شيئاً من ذلك في الحرم ؛ فعليه الجزاء مضاعفاً هدياً بالغ الكعبة ، وإذا أصاب المحرم ما يجب عليه الهدي فيه وكان إحرامه للحج نحره بمنى ، وإن كان إحرامه بالعمرة نحره بمكّة ، وجزاء الصيد على العالم والجاهل سواء ، وفي العمد عليه المأثم ، وهو موضوع عنه في الخطأ ، والكفّارة على الحرّ في نفسه ، وعلى السيّد في عبده ، والصغير لا كفّارة عليه ، وهي على الكبير واجبة ، والنادم يسقط ندمه عنه عقاب الآخرة ، والمصرّ يجب عليه العقاب في الآخرة» .

فقال له المأمون : أحسنت يا أباجعفر ، أحسن الله إليك ، فإن رأيت أن تسأل يحيى عن مسألة كما سألك ؟

فقال أبو جعفر ﷺ ليحيى : أسألك ؟

قال : ذلك إليك جعلت فداك ، فإن عرفت جواب ما تسألني عنه وإلّا استفدته منك .

فقال أبو جعفر ﷺ : «أخبرني عن رجل نظر إلى امرأة في أوّل النّهار فكان نظره إليها حراماً عليه ، فلمّا ارتفع النّهار حلّت له ، فلمّا زالت الشمس حرمت عليه ، فلمّاكان وقت العصر حلّت له ، فلمّا غربت الشمس حرمت عليه ، فلمّا دخل وقت العشاء الآخرة حلّت له ، فلمّاكان وقت انتصاف الليل حرمت عليه ، فلمّا طلع الفجر حلّت له ، ما حال هذه المرأة ؟ وبماذا حلّت له وحرمت عليه»؟

فقال له يحيى بن أكثم : لا والله لا أهتدي إلى جواب هذا السؤال ، ولا أعرف الوجه فيه ، فإن رأيت أن تفيدنا .

فقال أبو جعفر ﷺ : «هذه أَمَةٌ لرجل من النّاس ، نظر إليها أجنبيٌّ في أوّل النّهار فكان نظره إليها حراماً عليه ، فلمّا ارتفع النّهار ابتاعها من مولاها فحلّت له ، فلمّا كان عند الظهر أعتقها

فحرمت عليه ، فلمّا كان وقت العصر تزوّجها فحلّت له ، فلمّا كان وقت المغرب ظاهر منها[١] فحرمت عليه ، فلمّا كان وقت العشاء الآخرة كفّر عن الظهار فحلّت له ، فلمّا كان نصف الليل طلّقها طلقة واحدة فحرمت عليه ، فلمّا كان عند الفجر راجعها فحلّت له» .

(قال) : فأقبل المأمون على من حضر من أهل بيته وقال لهم : هل فيكم من يجيب عن هذه المسألة بمثل هذا الجواب ؟ أو يعرف القول فيما تقدّم من السؤال ؟

قالوا : لا والله ، إن أميرالمؤمنين أعلم بما رأى .

فقال : ويحكم إنّ أهل هذا البيت خصّوا من الخلق بما ترون من الفضل ، وإنّ صغر السنّ لا يمنعهم من الكمال ، أما علمتم أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله افتتح دعوته بدعاء أميرالمؤمنين عليّ بن أبي طالب ، وهو ابن عشر سنين ، وقبل منه الإسلام وحكم له بعد ، ولم يدع أحداً في سنّه غيره ، وبايع الحسن والحسين وهما دون الست سنين ولم يبايع صبيّاً غيرهما ؟ أولا تعلمون الآن ما اختصّ الله به هؤلاء القوم وأنّهم ذرّيّةٌ بعضها من بعض ، يجري لآخرهم ما يجري لأوّلهم ؟

قالوا : صدقت يا أميرالمؤمنين .

ثمّ نهض القوم ، فلمّا كان من الغد حضر النّاس وحضر أبو جعفر عليه السلام ، وصار القوّاد والحجاب والخاصّة والعمّال لتهنئة المأمون وأبي جعفر عليه السلام ، فأخرجت ثلاثة أطباق من الفضّة ، فيها بنادق مسك وزعفران معجون في أجواف تلك البنادق ، ورقاع مكتوبة بأموال جزيلة وعطايا سنيّة ، وإقطاعات ، فأمر المأمون بنثرها على القوم من خاصّته ، فكان كلّ من وقع في يده بندقة أخرج الرقعة الّتي فيها والتمسه فأطلق له ، ووضعت البدر فنثر ما فيها على القوّاد وغيرهم ، وانصرف النّاس وهم أغنياء بالجوائز والعطايا ، وتقدّم المأمون بالصدقة على كافّة المساكين ، ولم يزل مكرماً لأبي جعفر عليه السلام معظماً لقدره ، مدّة حياته ، يؤثره على ولده وجماعة أهل بيته .

وروي أنّ المأمون بعد ما زوّج ابنته أُمّ الفضل أباجعفر ، كان في مجلس وعنده أبو جعفر عليه السلام ويحيى بن أكثم وجماعة كثيرة .

فقال له يحيى بن أكثم : ما تقول يابن رسول الله في الخبر الّذي روي أنّه : نزل جبرئيل عليه السلام على رسول الله صلى الله عليه وآله وقال : يا محمّد إنّ الله عزّ وجلّ يقرؤك السلام ويقول لك : سل أبابكر هل هو عنّي راض

---

(١) الظهار هو : أن يقول الرجل لزوجته : «أنت عَلَيّ كظهر أُمّي» فإذا قال لها ذلك : حرمت عليه ولا يرجع بها إلّا بعد أن يعطي الكفّارة .

فإنّي عنه راض[١] ؟

فقال أبو جعفر عليه السلام : «لست بمنكر فضل أبي بكر ولكن يجب على صاحب هذا الخبر أن يأخذ مثال الخبر الّذي قاله رسول الله صلى الله عليه وآله في حجّة الوداع : «قد كثرت عَلَيّ الكذابة وستكثر بعدي ؛ فمن كذب عَلَيّ متعمّداً فليتبوّأ مقعده من النّار ، فإذا أتاكم الحديث عنّي فأعرضوه على كتاب الله وسنّتي ؛ فما وافق كتاب الله وسنّتي فخذوا به ، وما خالف كتاب الله وسنّتي فلا تأخذوا به» وليس يوافق هذا الخبر كتاب الله ، قال الله تعالى : ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَانَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِ نَفْسُهُ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ ٱلْوَرِيدِ ﴾[٢] ؛ فالله عزّوجلّ خفي عليه رضاء أبي بكر من سخطه حتّى سأل عن مكنون سرّه ، هذا مستحيل في العقول» .

ثمّ قال يحيى بن أكثم : وقد روي : أنّ مثل أبي بكر وعمر في الأرض كمثل جبرئيل وميكائيل في السماء» .

فقال عليه السلام : «وهذه أيضاً يجب أن ينظر فيه ، لأنّ جبرئيل وميكائيل ملكان لله مقرّبان ، لم يعصيا الله قط ، ولم يفارقا طاعته لحظة واحدة ، وهما قد أشركا بالله عزّوجلّ وإن أسلما بعد الشرك ، فكان أكثر أيّامهما الشرك بالله ؛ فمحال أن يشبههما بهما» .

قال يحيى : وقد روي أيضاً : أنّهما سيّدا كهول أهل الجنّة[٣] فما تقول فيه ؟

---

(١) قال الحجّة الأميني في الغدير ج٦ بعد ذكر هذا الحديث الموضوع : «أخرجه الخطيب البغدادي في تاريخه ج ٢ ص١٠٦ من طريق محمّد بن بابشاذ صاحب الطامات ، ساكتاً عن بطلانه جرياً على عادته ، وذكره الذهبي في ميزان الإعتدال ج ٢ ص٢٠٣ فقال : كذب» .

(٢) ق ١٦.

(٣) ذكره الحجّة الأميني في سلسلة الموضوعات ج ٥ ص٢٧٦ من كتاب الغدير فقال : «من موضوعات يحيى بن عنبسة وهو ذلك الدجّال الوضّاع ، ذكره الذهبي في الميزان ج ٣ ص١٢٦ وقال : قال يونس بن حبيب : ذكرت لعليّ ابن المدائني محمّد بن كثير المصيصي وحديثه هذا ، فقال عليّ : كنت أشتهي أن أرى هذا الشيخ فالآن لا أحبّ أن أراه . ورواه من طريق عبدالرحمن بن مالك بن مغول الكذّاب الأفّاك الوضّاع» .

وفي تلخيص الشافي ص٢١٩ من الجزء الثاني : «وأمّا الخبر الّذي يتضمّن أنّهما سيّدا كهول أهل الجنّة ؛ فمن تأمّل أصل هذا الخبر بعين إنصاف علم أنّه موضوع في أيّام بني أُميّة معارضة لما روي من قوله صلى الله عليه وآله في الحسن والحسين : «أنّهما سيّدا شباب أهل الجنّة وأبوهما خير منهما» ، وهذا الخبر الّذي ادّعوه يروونه عن عبيدالله بن عمر وحال عبيدالله في الإنحراف من أهل البيت معروفة ، وهو أيضاً كالجارّ إلى نفسه على أنّه لا يخلو من أن يريد بقوله : سيّدا كهول الجنّة أنّهما سيّدا كهول من هو في الجنّة ، أو يراد أنّهما سيّدا من يدخل الجنّة من كهول الدّنيا ،

فقال عليه السلام: «وهذا الخبر محال أيضاً، لأنّ أهل الجنّة كلّهم يكونون شبّاناً ولا يكون فيهم كهل، وهذا الخبر وضعه بنو اُميّة لمضادّة الخبر الّذي قال رسول الله صلى الله عليه وآله في الحسن والحسين عليهما السلام بأنّهما سيّدا شباب أهل الجنّة».

فقال يحيى بن أكثم: وروي: أنّ عمر بن الخطّاب سراج أهل الجنّة».

فقال عليه السلام: «وهذا أيضاً محال، لأنّ في الجنّة ملائكة الله المقرّبين، وآدم ومحمّد، وجميع الأنبياء والمرسلين، لا تضيء الجنّة بأنوارهم حتّى تضيء بنور عمر»؟!

فقال يحيى: وقد روي: أنّ السكينة تنطق على لسان عمر»[1].

فقال عليه السلام: «لست بمنكر فضل عمر، ولكن أبابكر أفضل من عمر، فقال ـ على رأس المنبر ـ: إنّ لي شيطاناً يعتريني، فإذا ملت فسدّدوني».

فقال يحيى: قد روي أنّ النّبيّ صلى الله عليه وآله قال: لولم اُبعث لبُعِث عمر[2].

فقال عليه السلام: «كتاب الله أصدق من هذا الحديث، يقول الله في كتابه: ﴿ وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ وَمِنْكَ وَمِنْ نُوحٍ ﴾[3] فقد أخذ الله ميثاق النبيّين فكيف يمكن أن يبدّل ميثاقه؟ وكلّ الأنبياء عليهم السلام لم يشركوا بالله طرفة عين، فكيف يبعث بالنبوّة من أشرك وكان أكثر أيّامه مع الشرك

⮌ فإن كان الأوّل، فذلك باطل، لأنّ رسول الله صلى الله عليه وآله قد وقفنا ـ وأجمعت الأمّة ـ على أنّ جميع أهل الجنّة جرد مرد، وأنّه لا يدخلها كهل، وإن كان الثّاني فذلك دافع ومناقض للحديث المجمع على روايته من قوله في الحسن والحسين أنّهما سيّدا شباب أهل الجنّه وأبوهما خير منهما ... الخ».

(١) بهذا المضمون وردت عدّة روايات منها: أنّ الحقّ ينطلق على لسان عمر، وأنّ ملكاً ينطق على لسانه، وغير ذلك. قال في تلخيص الشافي ج٢ ص٢٤٧: «وأمّا ما روي من قوله: الحقّ ينطق على لسان عمر، فإن كان صحيحاً فإنّه يقتضي عصمة عمر، والقطع على أنّ أقواله كلّها حجة، وليس هذا مذهب أحد فيه لأنّه لا خلاف في أنّه ليس بمعصوم وإنّ خلافه سائغ.

وكيف يكون الحق ناطقاً على لسان من يرجع في الأحكام من قول إلى قول، وشهد لنفسه بالخطأ، ويخالف بالشيء ثمّ يعود إلى قول من خالفه ويوافقه عليه، ويقول: لولا علي لهلك عمر، ولولا معاذ لهلك عمر؟ وكيف لا يحتجّ بهذا الخبر هو لنفسه في بعض المقامات الّتي احتاج إلى الإحتجاج فيها؟ وكيف لم يقل أبوبكر لطلحة ـ حين أنكر نصّه عليه ـ بأنّ الحقّ ينطق على لسانه»؟

وأحصى الأميني في ج٦ من الغدير مائة مخالفة لعمر بن الخطّاب ثمّ قال: هذا قليل من كثير ممّا وقفنا عليه من «نوادر الأثر في علم عمر» وبوسعنا الآن أن نأتي بأضعاف ما سردناه لكنّا نقتصر على هذا رعاية لمقتضى الحال.

(٢) قال الأميني في الجزء الخامس من الغدير: أخرجه ابن عدي بطريقين وقال: لا يصحّ زكريّا «الوكار» كذّاب يضع، وابن واقد عبدالله متروك، ومشرح ابن «عاهان» لا يحتجّ به.

(٣) الأحزاب ٧.

بالله ؟ وقال رسول الله صلى الله عليه وآله : «نبّئت وآدم بين الروح والجسد» .

فقال يحيى بن أكثم : وقد روي أيضاً : أنّ النّبيّ صلى الله عليه وآله قال : ما احتبس عنّي الوحي قط إلّا ظننته قد نزل على آل الخطّاب[1] .

فقال عليه السلام : «وهذا محال أيضاً ، لأنّه لا يجوز أن يشكّ النّبيّ صلى الله عليه وآله في نبوّته ، قال الله تعالى : ﴿ اللهُ يَصْطَفِي مِنَ المَلائِكَةِ رُسُلاً وَمِنَ النَّاس ﴾[2] فكيف يمكن أن تنتقل النبوّة ممّن اصطفاه الله تعالى إلى من أشرك به» ؟

قال يحيى : روي أنّ النّبيّ صلى الله عليه وآله قال : لو نزل العذاب لما نجى منه إلّا عمر .

فقال عليه السلام : «وهذا محال أيضاً ، لأنّ الله تعالى يقول : ﴿ وَمَا كَانَ اللّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ وَمَا كَانَ اللّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴾[3] فأخبر سبحانه أنّه لا يعذّب أحداً ما دام فيهم رسول الله صلى الله عليه وآله وما داموا يستغفرون» .

وعن عبدالعظيم الحسني رضي الله عنه قال : قلت لمحمّد بن عليّ بن موسى عليهم السلام : يا مولاي إنّي لأرجو أن تكون القائم من أهل بيت محمّد الّذي يملأ الأرض قسطاً وعدلاً كما ملئت ظلماً وجوراً .

فقال عليه السلام : «ما منّا إلّا قائم بأمر الله ، وهاد إلى دين الله ، ولكن القائم الّذي يطهّر الله به الأرض

---

(١) قال الأميني في ج٦ ص٣١٢ من الغدير : وأمثال هذه الأكاذيب فإنّ من يكون بتلك المثابة حتّى يكاد أن يبعث نبيّاً لا يفقد علم واضحات المسائل عند ابتلائه أو ابتلاء من يرجع أمره إليه من أُمّته بها ، ولا يتعلّم «القرآن» في اثنتى عشر سنة ، وأين كان الحق والملك والسكينة يوم كان لا يهتدي إلى أمّهات المسائل سبيلاً فلا تسدّده ولا تفرغ الجواب على لسانه ، ولاه تضع الحق في قلبه ، وكيف يسع المسدّد بذلك كلّه أن يحسب كلّ النّاس أفقه منه حتّى ربّات الحجال ؟ وكيف كان يأخذ علم الكتاب والسنن من نساء الأمّة وغوغاء النّاس فضلاً عن رجالها وأعلامها ؟ وكيف كان يرى عرفان لفظة في القرآن تكلّفاً ويقول : هذا لعمر الله هو التكلّف ، ما عليك بابن أُمّ عمران لا تدري ما الأب ؟ وكيف كان يأخذ عن أولئك الجمّ الغفير من الصحابة ويستفتيهم في الأحكام ؟ وكيف كان يعتذر عن جهله أوضح ما يكون من السنّة بقوله : ألهاني عنه الصفق في الأسواق ؟ وكيف كان لم يسعه أن يعلم الكلالة ويقيمها ولم يتمكّن من تعلّم صور ميراث الجد وكان النّبيّ صلى الله عليه وآله يقول : «ما أراه يعلمها» و«ما أراه يقيمها» ويقول : «إنّي أظنّك تموت قبل أن تعلم» ! وكيف كان مثل أُبي بن كعب يغلظ له في القول ويراه ملهى عن علم الكتاب بالصفق بالأسواق وبيع الخيط والقرظة ؟ وكيف كان أمير المؤمنين جاهلاً بتأويل القرآن ؟ وكيف وكيف وكيف وكيف !!! نعم راق القوم أن ينحتوا له فضائل ويغالوا فيها ولم يترووا في لوازمها وحسبوا أنّ المستقبل الكشّاف يمضي كما مضت القرون خالياً عن باحث أو منقّب ، أو أنّ باعث الإرهاب يلجم لسانه عن أن ينطق ، ويضرب على يده عن أن تكتب ، ولا تفسح حرّيّة القلم والمذاهب والأفكار للعلماء أن يبوحوا بما عندهم .

(٢) الحج ٧٥.

(٣) الأنفال ٣٣.

من أهل الكفر والجحود ويملأ الأرض قسطاً وعدلاً هو : الّذي يخفى على النّاس ولادته ، ويغيب عنهم شخصه ، ويحرم عليهم تسميته ، وهو سميّ رسول الله وكنيّه ، وهو الّذي تطوى له الأرض ، ويذلّ له كلّ صعب ، يجتمع إليه من أصحابه عدّة أهل بدر : «ثلاثمائة وثلاثة عشر» رجلاً من أقاصي الأرض ، وذلك قول الله : ﴿ أَيْنَ مَا تَكُونُوا يَأْتِ بِكُمُ اللَّهُ جَمِيعاً إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾[1] فإذا اجتمعت له هذه العدّة من أهل الإخلاص ، أظهر الله أمره ، فإذاكمل له العقد وهو : «عشره آلاف» رجل خرج بإذن الله ، فلا يزال يقتل أعداء الله حتّى يرضى ﷻ» .

قال عبدالعظيم : فقلت له : يا سيّدي فكيف يعلم أنّ الله قد رضي ؟

قال ؑ : «يلقي في قلبه الرحمة ، فإذا دخل المدينة أخرج اللات والعزّى فأحرقهما» .

احتجاج أبي الحسن عليّ بن محمّد العسكريؑ في شيء من التوحيد وغير ذلك من العلوم الدينيّة والدنياويّة على المخالف والمؤالف

سُئِل أبوالحسن ؑ عن التوحيد ، فقيل له : لم يزل الله وحده لا شيء معه ثمّ خلق الأشياء بديعاً واختار لنفسه الأسماء ، ولم تزل الأسماء والحروف له معه قديمة ؟

فكتب ؑ : «لم يزل الله موجوداً ثمّ كوّن ما أراد ، لا رادّ لقضائه ، ولا معقّب لحكمه ، تاهت أوهام المتوهّمين ، وقصر طرف الطارفين ، وتلاشت أوصاف الواصفين ، واضمحلّت أقاويل المبطلين عن الدرك لعجيب شأنه ، أو الوقوع بالبلوغ على علوّ مكانه ، فهو بالموضع الّذي لا يتناهى ، وبالمكان الّذي لم يقع عليه عيون بإشارة ولا عبارة ، هيهات هيهات» !!

وحدّثنا أحمد بن إسحاق[2] قال : كتبت إلى أبي الحسن عليّ بن محمّد العسكري أسأله عن الرؤية وما فيه الخلق ؟

فكتب ؑ : «لا تجوزو الرؤية ما لم يكن بين الرائي والمرئي هواء ينفذه البصر ، فمتى انقطع

---

(١) البقرة ١٤٨.

(٢) ذكره الشيخ في أصحاب الجواد ؑ ص٣٩٨ من رجاله ، وقال العلّامة في القسم الأوّل من خلاصته ص١٥: أحمد بن إسحاق بن سعد بن عبدالله بن سعد بن مالك الأحوص الأشعري ، أبو علي القمّي ، كان وافد القمّيّين ، روى عن أبي جعفر الثاني ؑ وأبي الحسن ؑ ، وكان خاصّة أبي محمّد ؑ ، وهو شيخ القمّيّين ، رأى صاحب الزّمان ؑ .

الهواء وعُدِمَ الضياء لم تصحّ الرؤية ، وفي وجوب اتّصال الضياءين الرائي والمرئي وجوب الإشتباه ، والله تعالى منزّه عن الإشتباه ، فثبت أنّه لا يجوز عليه سبحانه الرؤية بالأبصار ، لأنّ الأسباب لابدّ من اتّصالها بالمسبّبات» .

وعن العبّاس بن هلال[١] **قال** : سألت أباالحسن عليّ بن محمّد عليه السلام عن قول الله عزّ وجلّ : ﴿ **اللهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ والأَرْضِ** ﴾[٢] ؟

فقال عليه السلام : «يعني هادي من في السماوات ومن في الأرض» .

وممّا أجاب به أبوالحسن عليّ بن محمّد العسكري عليه السلام في رسالته إلى أهل الأهواز حين سألوه عن الجبر والتفويض أن قال : «اجتمعت الاُمّة قاطبة لا اختلاف بينهم في ذلك أنّ «القرآن» حقّ لا ريب فيه عند جميع فرقها ، فهم في حالة الإجماع عليه مصيبون ، وعلى تصديق ما أنزل الله مهتدون ، ولقول النّبيّ صلى الله عليه وآله : «لا تجتمع اُمّتي على ضلالة» فأخبر عليه السلام أنّ ما اجتمعت عليه الاُمّة ولم يخالف بعضها بعضاً هو الحق ، فهذا معنى الحديث لا ما تأوّله الجاهلون[٣] ، ولا ما قاله المعاندون ، ومن إبطال حكم الكتاب وإتّباع حكم الأحاديث المزوّرة والروايات المزخرفة ، اتّباع الأهواء المردية المهلكة الّتي تخالف نصّ الكتاب ، وتحقيق الآيات الواضحات النيّرات ، ونحن نسأل الله أن يوفّقنا للصواب ، ويهدينا إلى الرشاد» .

ثمّ قال عليه السلام : «فإذا شهد الكتاب بتصديق خبر وتحقيقه فأنكرته طائفة من الاُمّة ، وعارضته بحديث من هذه الأحاديث المزوّرة ، فصارت بإنكارها ودفعها الكتاب كفّاراً ضلّالاً ، وأصحّ خبر ما عرف تحقيقه من الكتاب مثل الخبر المجمع عليه من رسول الله صلى الله عليه وآله حيث قال : «إنّي مستخلف فيكم خليفتين :كتاب الله وعترتي ، ما إن تمسّكتم بهما لن تضلّوا بعدي ، وإنّهما لن يفترقا حتّى يردا عَلَيّ الحوض»[٤] واللفظة الاُخرى عنه في هذا المعنى بعينه قوله عليه السلام : «إنّي تارك فيكم الثقلين :كتاب الله وعترتي أهل بيتي ، وإنّهما لن يفترقا حتّى يردا عَلَيّ الحوض ، ما إن تمسّكتم بهما لن تضلّوا» فلمّا وجدنا شواهد هذا الحديث نصّاً في كتاب الله مثل قوله : ﴿ **إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ**

---

(١) العبّاس بن هلال الشامي : ذكره الشيخ في رجاله في عداد أصحاب الرضا عليه السلام ص٣٨٢، والنجاشي ص٢١٧ وقال : روي عن الرّضا عليه السلام .

(٢) النور ٣٥.

(٣) أي : ما تأوّلوه من قولهم بالإجماع في اختيار الإمام الّذي لم يجعل لهم الله الخيرة فيه .

(٤) راجع حديث الثقلين في هامش الجزء الأوّل من هذا الكتاب .

اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلاَةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ ﴾[١] ثمّ اتّفقت روايات العلماء في ذلك لأميرالمؤمنين عليه السلام ؛ أنّه تصدّق بخاتمه وهو راكع ، فشكر الله ذلك له وأنزل الآية فيه[٢] ، ثمّ وجدنا رسول الله صلى الله عليه وآله قد أبانه من أصحابه بهذه اللفظة : «من كنت مولاه فعليّ مولاه ، اللّهمّ وال من والاه وعاد من عاداه»[٣] وقوله صلى الله عليه وآله : «عليّ يقضي ديني وينجز موعدي وهو خليفتي عليكم من بعدي» وقوله صلى الله عليه وآله حيث استخلفه على المدينة فقال : يا رسول الله أتخلّفني على النساء والصبيان ؟ فقال : «أما ترضى أن تكون منّي بمنزلة هارون من موسى إلّا أنّه لا نبيّ بعدي»[٤] ؛ فعلمنا أنّ الكتاب يشهد بتصديق هذه الأخبار وتحقيق هذه الشواهد ، فلزم الأُمّة الإقرار بها إذا كانت هذه الأخبار وافقت «القرآن» ، ووافق «القرآن» هذه الأخبار فلمّا وجدنا ذلك موافقاً لكتاب الله ، ووجدنا كتاب الله لهذه الأخبار موافقاً ، وعليها دليلاً ،كان الإقتداء بهذه الأخبار فرضاً لا يتعدّاه إلّا أهل العناد والفساد» .

ثمّ قال عليه السلام : «ومرادنا وقصدنا الكلام في الجبر والتفويض وشرحهما وبيانهما ، وإنّما قدّمنا ما قدّمنا ليكون اتّفاق الكتاب والخبر إذا اتّفقا دليلاً لما أردناه ، وقوّة لما نحن مبيّنوه من ذلك إن شاء الله» .

(فقال) : الجبر والتفويض يقول الصادق جعفر بن محمّد عليهما السلام ، عندما سئل عن ذلك ، فقال : لا جبر ولا تفويض ، بل أمر بين الأمرين .

قيل : فماذا يابن رسول الله ؟

فقال : صحّة العقل ، وتخلية السرب[٥] ، والمهلة في الوقت ، والزاد قبل الراحلة ، والسبب المهيّج للفاعل على فعله ، فهذه خمسة أشياء فإذا نقص العبد منها خلّة كان العمل عنه مطرحاً بحسبه ، وأنا أضرب لكلّ باب من هذه الأبواب الثلاثة وهي : الجبر ، والتفويض ، والمنزلة بين المنزلتين مثلاً يقرّب المعنى للطالب ، ويسهل له البحث من شرحه ، ويشهد به «القرآن» بمحكم آياته ، ويحقّق عند ذوي الألباب ، وبالله العصمة والتوفيق» .

ثمّ قال عليه السلام : «فأمّا الجبر فهو قول من زعم أنّ الله عزّ وجلّ جبر العباد على المعاصي وعاقبهم عليها ،

---

(١) المائدة ٥٥.

(٢) راجع هامش الجزء الأول من هذا الكتاب.

(٣) راجع هامش الجزء الأوّل من هذا الكتاب.

(٤) راجع هامش الجزء الأوّل من الكتاب.

(٥) السّرب ـ بفتح السّين وسكون الرّاء ـ: الطريق.

ومن قال بهذا القول فقد ظلم الله وكذّبه ، وردّ عليه قوله : ﴿ وَلا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَداً ﴾[1] وقوله جلّ ذكره : ﴿ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ ﴾[2] مع آي كثيرة في مثل هذا ، فمن زعم أنّه مجبور على المعاصي فقد أحال بذنبه على الله وظلمه في عقوبته له ، ومن ظلم ربّه فقد كذّب كتابه ، ومن كذّب كتابه لزمه الكفر بإجماع الأُمّة ، فالمثل المضروب في ذلك :مثل رجل ملك عبداً مملوكاً لا يملك إلّا نفسه ، ولا يملك عرضاً من عروض الدّنيا ، ويعلم مولاه ذلك منه ، فأمره ـ على علم منه بالمصير ـ إلى السوق لحاجة يأتيه بها ولم يملّكه ثمن ما يأتيه به ، وعلم المالك أنّ على الحاجة رقيباً لا يطمع أحد في أخذها منه إلّا بما يرضى به من الثمن ، وقد وصف به مالك هذا العبد نفسه بالعدل والنصفة وإظهار الحكمة ونفي الجور ، فأوعد عبده إن لم يأته بالحاجة يعاقبه ، فلمّا صار العبد إلى السوق ، وحاول أخذ الحاجة الّتي بعثه بها ، وجد عليها مانعاً يمنعه منها إلّا بالثمن ، ولا يملك العبد ثمنها ، فانصرف إلى مولاه خائباً بغير قضاء حاجة ، فاغتاظ مولاه لذلك وعاقبه على ذلك ، فإنّه كان ظالماً متعدّياً مبطلاً لما وصف من عدله وحكمته ونصفته ، وإن لم يعاقبه كذّب نفسه ، أليس يجب أن لا يعاقبه والكذب والظلم ينفيان العدل والحكمة ؟ تعالى الله عمّا يقول المجبّرة علوّاً كبيراً» .

ثمّ قال العالم عليه السلام ـ بعد كلام طويل ـ : «فأمّا التفويض الّذي أبطله الصّادق عليه السلام وخطّأ من دان به ، فهو : قول القائل : إنّ الله عزّ وجلّ فوّض إلى العباد اختيار أمره ونهيه وأهملهم .

وهذا الكلام دقيق لم يذهب إلى غوره ودقّته إلّا الأئمّة المهديّة عليهم السلام من عترة آل الرّسول صلوات الله عليهم ، فإنّهم قالوا : «لو فوّض الله أمره إليهم على جهة الإهمال لكان لازماً له رضاء ما اختاروه واستوجبوا به الثواب ، ولم يكن عليهم فيما اجترموا العقاب إذ كان الإهمال واقعاً ، وتنصرف هذه المقالة على معنيين : إمّا أن تكون العباد تظاهروا عليه فألزموه اختيارهم بآرائهم ـ ضرورة ـ كره ذلك أم أحب فقد لزمه الوهن ، أو يكون جلّ وتقدّس عجز عن تعبّدهم بالأمر والنهي عن إرادته ففوّض أمره ونهيه إليهم ، وأجراهما على محبّتهم إذ عجز عن تعبّدهم بالأمر والنهي على إرادته فجعل الإختيار إليهم في الكفر والإيمان ، ومثل ذلك : مثل رجل ملك عبداً ابتاعه ليخدمه ويعرف له فضل ولايته ، ويقف عند أمره ونهيه ، وادّعى مالك العبد أنّه قاهر قادر عزيز حكيم ، فأمر عبده ونهاه ، ووعده على اتّباع أمره عظيم الثواب ، وأوعده على معصيته أليم

---

(١) الكهف ٤٩.

(٢) آل عمران ١٨٢.

العقاب ، فخالف العبد إرادة مالكه ، ولم يقف عند أمره ونهيه ، فأيّ أمر أمره به أو نهاه عنه لم يأتمر على إرادة المولى ، بل كان العبد يتّبع إرادة نفسه ، وبعثه في بعض حوائجه وفيما الحاجة له فصار العبد بغير تلك الحاجة خلافاً على مولاه وقصد إرادة نفسه واتّبع هواه ، فلمّا رجع إلى مولاه نظر إلى ما أتاه فإذا هو خلاف أمره ، فقال العبد : اتّكلت على تفويضك الأمر إليّ فاتّبعت هواي وإرادتي لأنّ المفوّض إليه غير محظور عليه لاستحالة اجتماع التفويض والتحظير» .

ثمّ قال عليه السلام : «فمن زعم أنّ الله فوّض قبول أمره ونهيه إلى عباده فقد أثبت عليه العجز ، وأوجب عليه قبول كلّما عملوا من خير أو شر ، وأبطل أمر الله ونهيه» .

ثمّ قال عليه السلام : «إنّ الله خلق الخلق بقدرته وملّكهم استطاعة ما تعبّدهم به من الأمر والنهي ، وقبل منهم اتّباع أمره ونهيه ورضي بذلك لهم ، ونهاهم عن معصيته وذمّ من عصاه وعاقبه عليها ، ولله الخيرة في الأمر والنهي ، يختار ما يريده ويأمر به ، وينهى عمّا يكره ويثيب ويعاقب بالإستطاعة الّتي ملّكها عباده لاتّباع أمره واجتناب معاصيه لأنّه العدل ومنه النصفة والحكومة ، بالغ الحجّة بالإعذار والإنذار ، وإليه الصفوة يصطفي من يشاء من عباده ، اصطفى محمّداً صلوات الله عليه وآله وبعثه بالرسالة إلى خلقه ولو فوّض اختيار اُموره إلى عباده لأجاز لقريش اختيار اُميّة بن أبي الصلت وأبي مسعود الثقفي إذ كانا عندهم أفضل من محمّد صلى الله عليه وآله لمّا قالوا : ﴿ لَوْلا أُنزِلَ هَذا الْقُرْآنُ عَلَىٰ رَجُلٍ مِنَ الْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ ﴾[1] يعنونهما بذلك فهذا هو : «القول بين القولين» ليس بجبر ولا تفويض ، بذلك أخبر أميرالمؤمنين عليه السلام حين سأله عتابة بن ربعي الأسدي عن الإستطاعة .

فقال أميرالمؤمنين : تملكها من دون الله أو مع الله ؟

فسكت عتابة بن ربعي .

فقال له : قل يا عتابة !

قال : وما أقول ؟

قال : إن قلت تملكها مع الله قتلتك ، وإن قلت تملكها من دون الله قتلتك .

قال : وما أقول يا أميرالمؤمنين ؟

قال : تقول تملكها بالله الّذي يملكها من دونك ، فإن ملّككها كان ذلك من عطائه ، وإن سلبكها كان ذلك من بلائه ، وهو المالك لما ملكك ، والمالك لما عليه أقدرك ، أما سمعت النّاس يسألون

---

(١) الزخرف ٣١.

الحول والقوّة حيث يقولون : «لا حول ولا قوّة إلّا بالله» .

فقال الرجل : وما تأويلها يا أميرالمؤمنين ؟

قال : لا حول لنا عن معاصي الله إلّا بعصمة الله ، ولا قوّة لنا على طاعة الله إلّا بعون الله» .

قال : فوثب الرّجل وقبّل يديه ورجليه» .

ثمّ قال عليه السلام في قوله تعالى : ﴿ وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّىٰ نَعْلَمَ الْمُجَاهِدِينَ مِنكُمْ وَالصَّابِرِينَ وَنَبْلُوَا أَخْبَارَكُمْ ﴾[1] وفي قوله : ﴿ سَنَسْتَدْرِجُهُمْ مِنْ حَيْثُ لا يَعْلَمُون ﴾[2] وفي قوله : ﴿ أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لا يُفْتَنُونَ ﴾[3] وقوله : ﴿ وَلَقَدْ فَتَنَّا سُلَيْمَانَ ﴾[4] وقوله : ﴿ فَإِنَّا قَدْ فَتَنَّا قَوْمَكَ مِنْ بَعْدِكَ وَأَضَلَّهُمُ السَّامِرِيّ ﴾[5] وقول موسى عليه السلام : ﴿ إِنْ هِيَ إِلّا فِتْنَتُكَ ﴾[6] وقوله : ﴿ لِيَبْلُوَكُمْ فِيمَا آتَاكُمْ ﴾[7] وقوله : ﴿ ثُمَّ صَرَفَكُمْ عَنْهُمْ لِيَبْتَلِيَكُمْ ﴾[8] وقوله : ﴿ إِنَّا بَلَوْنَاهُمْ كَمَا بَلَوْنَا أَصْحَابَ الْجَنَّةِ ﴾[9] وقوله : ﴿ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً ﴾[10] وقوله : ﴿ وَإِذِ ابْتَلَى إِبْراهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ ﴾[11] وقوله : ﴿ وَلَوْ يَشَاءُ اللهُ لانْتَصَرَ مِنْهُمْ وَلَكِنْ لِيَبْلُوَ بَعْضَكُمْ بِبَعْضٍ ﴾[12] أنّ جميعها جاءت في «القرآن» بمعنى الإختبار .

ثمّ قال عليه السلام : «فإن قالوا ما الحجّة في قوله تعالى : ﴿ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَيُضِلُّ مَنْ يَشَاء ﴾[13] وما أشبه ذلك ؟

قلنا : فعلى مجاز هذه الآية يقتضي معنيين : أحدهما عن كونه تعالى قادراً على هداية من يشاء وضلالة من يشاء ، ولو أجبرهم على أحدهما لم يجب لهم ثواب ولا عليهم عقاب ، على ما

---

(١) محمّد صلى الله عليه وآله ٣١.

(٢) الأعراف ١٨١.

(٣) العنكبوت ٢.

(٤) ص ٣٤.

(٥) طه ٨٥.

(٦) الأعراف ١٥٤.

(٧) المائدة ٥١.

(٨) آل عمران ١٥٢.

(٩) القلم ١٦.

(١٠) هود ٧.

(١١) البقرة ١٤٢.

(١٢) محمّد صلى الله عليه وآله ٤.

(١٣) إبراهيم ٤.

شرحناه ، والمعنى الآخر : أنّ الهداية منه «التعريف» كقوله تعالى : ﴿ وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَاهُمْ فَاسْتَحَبُّوا الْعَمَىٰ عَلَى الْهُدَىٰ ﴾[١] وليس كلّ آية مشتبهة في «القرآن» كانت الآية حجّة على حكم الآيات اللاتي أمر بالأخذ بها وتقليدها ، وهي قوله : ﴿ هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ ﴾ الآية[٢] وقال : ﴿ فَبَشِّرْ عِبَادِ * الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّهُ وَأُولَٰئِكَ هُمْ أُولُوا الْأَلْبَابِ ﴾[٣] وفقنا الله وإيّاكم لما يحبّ ويرضى ، ويقرّب لنا ولكم الكرامة والزلفى ، وهدانا لما هو لنا ولكم خير وأبقى ، إنّه الفعّال لما يريد ، الحكيم المجيد» .

عن أبي عبدالله الزيادي قال : لمّا سمّ المتوكّل ، نذر لله إن رزقه الله العافية أن يتصدّق بمال كثير ، فلمّا سلم وعوفي سأل الفقهاء عن حدّ «المال الكثير» كم يكون ؟ فاختلفوا ، فقال بعضهم : «ألف درهم» ، وقال بعضهم : «عشرة آلاف» ، وقال بعضهم : «مائة ألف» ، فاشتبه عليه هذا .

فقال له الحسن حاجبه : إن أتيتك يا أميرالمؤمنين من هذا خبرك بالحق والصواب فما لي عندك ؟

فقال المتوكل : إن أتيت الحق فلك عشرة آلاف درهم ، وإلّا أضربك مائة مقرعة .

فقال : قد رضيت .

فأتى أباالحسن العسكري عليه السلام فسأله عن ذلك .

فقال أبوالحسن عليه السلام : «قل له : يتصدّق بثمانين درهماً» .

فرجع إلى المتوكّل فأخبره .

فقال : سله ما العلّة في ذلك ؟

فسأله ، فقال عليه السلام : «إنّ الله عزّ وجلّ قال لنبيه صلى الله عليه وآله : ﴿ وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ ﴾[٤] فعددنا مواطن رسول الله صلى الله عليه وآله فبلغت ثمانين موطناً» .

فرجع إليه فأخبره ؛ ففرح ، وأعطاه عشرة آلاف درهم .

وعن جعفر بن رزق الله قال : قدم إلى المتوكل رجل نصراني فجر بامرأة مسلمة ، فأراد أن يقيم عليه الحدّ فأسلم .

---

(١) حم سجدة ١٧.

(٢) آل عمران ٧.

(٣) الزمر ١٧ ـ ١٨.

(٤) التوبة ٢٦.

فقال يحيى بن أكثم : قد هدم إيمانه شركه وفعله .

وقال بعضهم : يضرب ثلاثة حدود .

وقال بعضهم : يفعل به كذا وكذا .

فأمر المتوكّل بالكتاب إلى أبي الحسن العسكري وسؤاله عن ذلك .

فلمّا قرأ الكتاب ، كتب عليه السلام : «يضرب حتّى يموت» .

فأنكر يحيى وأنكر فقهاء العسكر ذلك ، فقالوا : يا أميرالمؤمنين سله عن ذلك فإنّه شيء لم ينطق به كتاب ، ولم يجيء به سنّة .

فكتب إليه : إنّ الفقهاء قد أنكروا هذا ، وقالوا : لم يجيء به سنّة ولم ينطق به كتاب ، فبيّن لنا لم أوجبت عليه الضرب حتّى يموت ؟

فكتب عليه السلام : «﴿ بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَانِ الرَّحِيْمِ * فَلَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا قَالُوا آمَنَّا بِاللهِ وَحْدَهُ وَكَفَرْنَا بِمَا كُنَّا بِهِ مُشْرِكِينَ * فَلَمْ يَكُ يَنفَعُهُمْ إِيمَانُهُمْ لَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا ﴾[1]» .

فأمر به المتوكّل فضرب حتّى مات .

سأل يحيى بن أكثم أباالحسن العالم عليه السلام عن قوله تعالى : ﴿ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَا نَفِدَتْ كَلِمَاتُ اللهِ ﴾[2] ما هي ؟

فقال عليه السلام : «هي «عين الكبريت» و«عين اليمن» و«عين البرهوت» و«عين الطبريّة» و«حمّة[3] ماسيدان» وجمّة «افريقا» و«عين ماجروان» ونحن الكلمات الّتي لا تدرك فضائلنا ولا تستقصى» .

وروي عن الحسن العسكري عليه السلام «أنّه اتّصل بأبي الحسن عليّ بن محمّد العسكري عليه السلام أنّ رجلاً من فقهاء شيعته كلّم بعض النصّاب فأفهمه بحجّته حتّى أبان عن فضيحته ، فدخل إلى عليّ بن محمّد عليه السلام ، وفي صدر مجلسه دست عظيم منصوب وهو قاعد خارج الدست ، وبحضرته خلق من العلويّين وبني هاشم ، فما زال يرفعه حتّى أجلسه في ذلك الدست ، وأقبل عليه ، فاشتدّ ذلك على أولئك الأشراف ، فأمّا العلويّة فأجلوه عن العتاب ، وأمّا الهاشميّون فقال له شيخهم : يابن رسول الله هكذا تؤثر عامياً على سادات بني هاشم من الطالبيّين والعبّاسيّين ؟

---

(١) المؤمن ٨٤ـ٨٥.

(٢) لقمان ٢٧.

(٣) الحمّة : كل عين فيها ماء حارّ ينبع ، يستشفي بها الأعلاّء .

فقال عليه السلام : إيّاكم وأن تكونوا من الّذين قال الله تعالى فيهم : ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُوا نَصِيباً مِنَ ٱلْكِتَابِ يُدْعَوْنَ إِلَىٰ كِتَابِ ٱللهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ يَتَوَلَّىٰ فَرِيقٌ مِنْهُمْ وَهُم مُعْرِضُونَ ﴾[1] أترضون بكتاب الله حكماً ؟

قالوا : بلى .

قال : أليس الله يقول : ﴿ يَا أَيُّهَا ٱلَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قِيلَ لَكُمْ تَفَسَّحُوا فِي ٱلْمَجَالِسِ فَٱفْسَحُوا يَفْسَحِ ٱللهُ لَكُمْ وَإِذَا قِيلَ ٱنشُزُوا فَانشُزُوا يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُوا ٱلْعِلْمَ دَرَجَاتٍ ﴾[2] فلم يرض للعالم المؤمن إلّا أن يرفع على المؤمن غير العالم ،كما لم يرض للمؤمن إلّا أن يرفع على من ليس بمؤمن ، أخبروني عنه قال : ﴿ هَلْ يَسْتَوِي ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لا يَعْلَمُونَ ﴾[3] فكيف تنكرون رفعي لهذا لمّا رفعه الله ؟! إنّ كسر هذا لفلان الناصب بحجج الله الّتي علّمه إيّاها ، لأفضل له من كلّ شرف في النّسب.

فقال العبّاسي : يابن رسول الله قد أشرفت علينا هو ذا تقصير بنا عمّن ليس له نسب كنسبنا ، وما زال منذ أوّل الإسلام يقدّم الأفضل في الشرف على من دونه فيه .

فقال عليه السلام : سبحان الله ! أليس عبّاس بايع أبابكر وهو «تيمي» والعبّاس «هاشمي» ؟ أوليس عبدالله بن عبّاس كان يخدم عمر بن الخطّاب وهو «هاشمي» أبوالخلفاء وعمر «عدوي» ؟! وما بال عمر أدخل البعداء من قريش في الشورى ولم يدخل العبّاس ؟ فإن كان رفعنا لمن ليس بهاشميّ على هاشميّ منكراً فأنكروا على عبّاس بيعته لأبي بكر ، وعلى عبدالله بن عبّاس خدمته لعمر بعد بيعته ، فإن كان ذلك جائزاً فهذا جائز .

فكأنّما اُلقم الهاشمي حجراً» .

وروي عن عليّ بن محمّد الهادي عليه السلام أنّه قال : «لولا من يبقى بعد غيبة قائمكم عليه السلام من العلماء الداعين إليه ، والدالّين إليه ، والذابّين عن دينه بحجج الله والمنقذين لضعفاء عباد الله من شباك إبليس ومردته ، ومن فخاخ النواصب ؛ لما بقي أحد إلّا ارتدّ عن دين الله ، ولكنّهم الذين يمسكون أزمّة قلوب ضعفاء الشيعة كما يمسك صاحب السفينة سكّانها ، أولئك هم الأفضلون عند الله عزّ وجلّ» .

---

(١) آل عمران ٢٣.

(٢) المجادلة ١١.

(٣) الزمر ٩.

احتجاج أبي محمّد الحسن بن علي العسكري عليهما السلام في أنواع شتّى من علوم الدّين

وبالإسناد المقدّم ذكره: أنّ أبامحمّد العسكري عليه السلام قال ـ في قوله تعالى ـ: ﴿ خَتَمَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَعَلَىٰ سَمْعِهِمْ وَعَلَىٰ أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾[1] «أي: وسمها بسمة يعرفها من يشاء من ملائكته إذا نظروا إليها بأنّهم الّذين لا يؤمنون، وعلى سمعهم كذلك بسمات، وعلى أبصارهم غشاوة، وذلك أنّهم لمّا أعرضوا عن النظر فيما كلّفوه، وقصروا فيما اُريد منهم، وجهلوا ما لزمهم الإيمان به، فصاروا كمن على عينيه غطاء لا يبصر ما أمامه، فإنّ الله عزّ وجلّ يتعالى عن العبث والفساد وعن مطالبة العباد بما منعهم بالقهر منه، فلا يأمرهم بمغالبته، ولا بالمصير إلى ما قد صدّهم بالقسر عنه، ثمّ قال: ﴿ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾ يعني: في الآخرة العذاب المعد للكافرين، وفي الدنيا أيضاً لمن يريد أن يستصلحه بما ينزل به من عذاب الإستصلاح لينبّهه لطاعته، أو من عذاب الإصلاح ليصيّره إلى عدله وحكمته».

وروي أبو محمّد العسكري عليه السلام مثل ما قال هو في تأويل هذه الآية من المراد بالختم على قلوب الكفّار عن الصّادق عليه السلام بزيادة شرح لم نذكره مخافة التطويل لهذا الكتاب.

وبالإسناد المتكرّر من أبي محمّد عليه السلام **أنّه قال** ـ في تفسير قوله تعالى ـ: ﴿ ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ فِرَاشاً... ﴾ الآية[2] «جعلها ملائمة لطبايعكم، موافقة لأجسادكم، لم يجعلها شديدة الحمى والحرارة فتحرقكم، ولا شديدة البرودة فتجمدكم، ولا شديدة طيب الريح فتصدّع هاماتكم، ولا شديدة النتن فتعطبكم، ولا شديدة اللين كالماء فتغرقكم، ولا شديدة الصلابة فتمتنع عليكم في حرثكم وأبنيتكم ودفن موتاكم، ولكنّه جعل فيها من المتانة ما تنتفعون به، وتتماسكون وتتماسك عليها أبدانكم وبينانكم، وجعل فيها من اللين ما تنقاد به لحرثكم وقبوركم وكثير من منافعكم، فلذلك جعل الأرض فراشاً لكم.

ثمّ قال: ﴿ وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءً ﴾ يعني: سقفاً من فوقكم محفوظاً، يدير فيها شمسها وقمرها ونجومها لمنافعكم.

---

(١) البقرة ٧.

(٢) البقرة ٢٢.

ثمّ قال: ﴿ وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً ﴾ يعني: المطر ينزله من علو ليبلغ قلل جبالكم وتلالكم وهضابكم وأوهادكم، ثمّ فرّقه رذاذاً ووابلاً وهطلاً وطلاً، لينشفه[1] أرضوكم، ولم يجعل ذلك المطر نازلاً عليكم قطعة واحدة، ليفسد أرضيكم وأشجاركم وزروعكم وثماركم.

ثمّ قال: ﴿ وَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقاً لَكُمْ ﴾ يعني: ممّا يخرجه من الأرض رزقاً لكم، ﴿ فَلَا تَجْعَلُوا للهِ أَنْدَاداً ﴾ أشباهاً وأمثالاً من الأصنام التي لا تعقل، ولا تسمع، ولا تبصر، ولا تقدر على شيء، ﴿ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ أنها لا تقدر على شيء من هذه النعم الجليلة الّتي أنعمها عليكم ربّكم».

وبالإسناد الّذي مضى ذكره عن أبي محمّد العسكري عليه السلام في قوله تعالى: ﴿ وَمِنْهُمْ أُمِّيُّونَ لَا يَعْلَمُونَ الكِتَابَ إِلَّا أَمَانِيَّ ﴾[2] «إنّ الأُمّي منسوب إلى «أُمّه» أي: هو كما خرج من بطن أُمّه، لا يقرأ ولا يكتب، ﴿ لَا يَعْلَمُونَ الكِتَابَ ﴾ المنزّل من السماء ولا المتكذّب به، ولا يميزون بينهما ﴿ إِلَّا أَمَانِيَّ ﴾ أي: إلّا أن يقرأ عليهم ويقال لهم: إنّ هذا كتاب الله وكلامه، لا يعرفون إن قُرأ من الكتاب خلاف ما فيه، ﴿ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ ﴾ أي ما يقرأ عليهم رؤساؤهم من تكذيب محمّد صلى الله عليه وآله في نبوّته وإمامة عليّ سيّد عترته، وهم يقلّدونهم مع أنّهم محرّمٌ عليهم تقليدهم. ﴿ فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ يَكْتُبُونَ الكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَذَا مِنْ عِنْدِ اللهِ تعالى ... ﴾ الخ[3] هذا: القوم اليهود، كتبوا صفة زعموا أنّها صفة محمّد صلى الله عليه وآله، وهي خلاف صفته، وقالوا للمستضعفين منهم: هذه صفة النّبيّ المبعوث في آخر الزّمان أنّه: طويل، عظيم البدن والبطن، أهدف[4]، أصهب[5] الشعر، ومحمّد صلى الله عليه وآله بخلافه، وهو يجيء بعد هذا الزمان بخمسمائة سنة، وإنّما أرادوا بذلك أن تبقى لهم على ضعفائهم رياستهم، وتدوم لهم إصاباتهم، ويكفّوا أنفسهم مؤنة خدمة رسول الله صلى الله عليه وآله وخدمة عليّ عليه السلام وأهل بيته وخاصّته، فقال الله عزّ وجلّ: ﴿ فَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا يَكْسِبُونَ ﴾ من هذه الصفات المحرّفات والمخالفات لصفة محمّد صلى الله عليه وآله وعليّ عليه السلام: الشدّة لهم من العذاب في أسوء بقاع جهنّم، وويل لهم: الشدّة في العذاب ثانية مضافة إلى الأُولى، بما يكسبونه من الأموال الّتي

---

(١) نشف الماء نشفاً: شربه.

(٢) البقرة ٧٨.

(٣) البقرة ٧٩.

(٤) الهَدَف: الجسيم وكلّ شيء عظيم مرتفع.

(٥) والصهبة: إحمرار الشعر.

يأخذونها إذا ثبتوا عوامهم على الكفر بمحمّد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، والحجّة لوصيّه وأخيه عليّ بن أبي طالب عليه السلام وليّ الله» .

ثمّ قال عليه السلام : «قال رجل للصادق عليه السلام : فإذا كان هؤلاء القوم من اليهود لا يعرفون الكتاب إلّا بما يسمعونه من علمائهم لا سبيل لهم إلى غيره ، فكيف ذمّهم بتقليدهم والقبول من علمائهم ، وهل عوام اليهود إلّا كعوامنا ؛ يقلّدون علماءهم ؟

فقال عليه السلام : «بين عوامنا وعلمائنا وعوام اليهود وعلماءهم فرق من جهة وتسوية من جهة :

أمّا من حيث استووا : فإنّ الله قد ذمّ عوامنا بتقليدهم علمائهم كما ذمّ عوامهم .

وأمّا من حيث افترقوا فلا .

قال : بيّن لي يابن رسول الله !

قال عليه السلام : إنّ عوام اليهود كانوا قد عرفوا علماءهم بالكذب الصراح ، وبأكل الحرام والرشاء ، وبتغيير الأحكام عن واجبها بالشفاعات والعنايات والمصانعات ، وعرفوهم بالتعصّب الشديد الّذي يفارقون به أديانهم ، وأنّهم إذا تعصّبوا أزالوا حقوق من تعصّبوا عليه وأعطوا ما لا يستحقّه من تعصّبوا له من أموال غيرهم ، وظلموهم من أجلهم ، وعرفوهم يقارفون المحرّمات ، واضطرّوا بمعارف قلوبهم إلى أنّ من فعل ما يفعلونه فهو فاسق لا يجوز أن يصدّق على الله ولا على الوسائط بين الخلق وبين الله ؛ فلذلك ذمّهم لمّا قلّدوا من قد عرفوه ومن قد علموا أنّه لا يجوز قبول خبره ولا تصديقه في حكايته ، ولا العمل بما يؤدّيه إليهم عمّن لم يشاهدوه ووجب عليهم النظر بأنفسهم في أمر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، إذ كانت دلائله أوضح من أن تخفى ، وأشهر من أن لا تظهر لهم .

وكذلك عوام أُمّتنا إذا عرفوا من فقهائهم الفسق الظاهر ، والعصبيّة الشديدة ، والتكالب على حطام الدنيا وحرامها ، وإهلاك من يتعصّبون عليه وإن كان لإصلاح أمره مستحقّاً ، وبالترفرف بالبرّ والإحسان على من تعصّبوا له وإن كان للإذلال والإهانة مستحقّاً ، فمن قلّد من عوامنا مثل هؤلاء الفقهاء فهم مثل اليهود الّذين ذمّهم الله بالتقليد لفسقة فقهائهم ، فأمّا من كان من الفقهاء صائناً لنفسه ، حافظاً لدينه ، مخالفاً على هواه ، مطيعاً لأمر مولاه ؛ فللعوام أن يقلّدوه ، وذلك لا يكون إلّا بعض فقهاء الشيعة لا جميعهم ، فإنّه من ركب من القبايح والفواحش مراكب فسقة العامّة فلا تقبلوا منّا عنه شيئاً ، ولا كرامة ، وإنّما كثر التخليط فيما يتحمّل عنّا أهل البيت لذلك لأنّ الفسقة يتحمّلون عنّا فيحرّفونه بأسره بجهلهم ، ويضعون الأشياء على غير وجهها لقلّة معرفتهم ، وآخرون يتعمّدون

الكذب علينا ليجرّوا من عرض الدنيا ما هو زادهم إلى نار جهنّم .

ومنهم قوم نصّاب لا يقدرون على القدح فينا ، يتعلّمون بعض علومنا الصحيحة فيتوجّهون به عند شيعتنا ، وينتقصون بنا عند نصّابنا ، ثمّ يضيفون إليه أضعاف وأضعاف أضعافه من الأكاذيب علينا الّتي نحن براء منها ، فيتقبّله المستسلمون من شيعتنا ، على أنّه من علومنا ، فضلّوا وأضلّوا ، وهم أضرّ على ضعفاء شيعتنا من جيش يزيد على الحسين بن علي عليه السلام وأصحابه ، فإنّهم يسلبونهم الأرواح والأموال ، وهؤلاء علماء السوء الناصبون المتشبّهون بأنّهم لنا موالون ، ولأعدائنا معادون ، ويدخلون الشكّ والشبهة على ضعفاء شيعتنا فيضلّونهم ويمنعونهم عن قصد الحق المصيب ، لا جرم أنّ من علم الله من قلبه من هؤلاء القوم أنّه لا يريد إلّا صيانة دينه وتعظيم وليّه لم يتركه في يد هذا المتلبّس الكافر ، ولكنّه يقيّض له مؤمناً يقف به على الصواب ، ثمّ يوفّقه الله لقبول منه ، فيجمع الله له بذلك خير الدّنيا والآخرة ، ويجمع على من أضلّه لعناً في الدّنيا وعذاب الآخرة .

ثمّ قال : قال رسول الله : أشرار علماء أُمّتنا : المضلّون عنّا ، القاطعون للطرق إلينا ، المسمّون أضدادنا بأسمائنا ، الملقّبون أندادنا بألقابنا ، يصلّون عليهم وهم للّعن مستحقّون ، ويلعنونا ونحن بكرامات الله مغمورون ، وبصلوات الله وصلوات ملائكته المقرّبين علينا عن صلواتهم علينا مستغنون .

ثمّ قال : قيل لأميرالمؤمنين عليه السلام : من خير خلق الله بعد أئمّة الهدى ومصابيح الدجى ؟

قال : العلماء إذا صلحوا .

قيل : فمن شرار خلق الله بعد إبليس ، وفرعون ، ونمرود ، وبعد المتسمّين بأسمائكم ، والمتلقّبين بألقابكم ، والآخذين لأمكنتكم ، والمتأمّرين في ممالككم ؟

قال : العلماء إذا فسدوا ، هم المظهرون للأباطيل ، الكاتمون للحقايق ، وفيهم قال الله عزّ وجلّ : ﴿ أُولَٰئِكَ يَلْعَنُهُمُ ٱللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ ٱللَّاعِنُونَ * إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُوا ﴾ الآية[1]» .

وبالإسناد المقدّم ذكره عن أبي يعقوب يوسف بن محمّد بن زياد ، وأبي الحسن عليّ بن محمّد بن سيّار أنّهما قالا : قلنا للحسن أبي القائم عليهما السلام : إنّ قوماً عندنا يزعمون أنّ هاروت وماروت ملكان اختارتهما الملائكة لمّا كثر عصيان بني آدم وأنزلهما الله مع ثالث لهما إلى الدّنيا ، وإنّهما افتتنا

---

(١) البقرة ١٥٩ ـ ١٦٠.

بالزهرة وأرادا الزنا بها ، وشربا الخمر ، وقتلا النفس المحرّمة ، وأنّ الله يعذّبهما ببابل ، وأنّ السحرة منهما يتعلّمون السحر ، وأنّ الله مسخ تلك المرأة هذا الكوكب الّذي هو الزهرة .

فقال الإمام عليه السلام : «معاذ الله من ذلك ، إنّ ملائكة الله معصومون محفوظون من الكفر والقبايح ، بألطاف الله ، فقال عزّ وجلّ فيهم : ﴿ لا يَعْصُونَ اللهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُون ﴾[(١)] وقال : ﴿ وَلَهُ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَنْ عِنْدَهُ ـ يعني الملائكة ـ لا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ ولا يَسْتَحْسِرُون * يُسَبِّحُونَ اللَّيْلَ وَالنَّهَار لا يَفْتُرُون ﴾[(٢)] وقال في الملائكة : ﴿ بَلْ عِبَادٌ مُكْرَمُونَ * لاَ يَسْبِقُونَهُ بِٱلْقَوْلِ وَهُم بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ ـ إلى قوله ـ مُشْفِقُون ﴾[(٣)] كان الله قد جعل هؤلاء الملائكة خلفاءه في الأرض ، وكانوا كالأنبياء في الدنيا ، وكالأئمّة ، أفيكون من الأنبياء والأئمّة قتل النفس والزنا وشرب الخمر» ؟!!

ثمّ قال : «أولست تعلم أنّ الله لم يخل الدنيا من نبي أو إمام من البشر ؟ أوليس يقول : ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنْ رُسُلِنَا ـ يعني إلى الخلق ـ إِلَّا رِجَالاً نُوحِي إِلَيْهِم مِنْ أَهْلِ ٱلْقُرَىٰ ﴾[(٤)] فأخبر أنّه لم يبعث الملائكة إلى الأرض ليكونوا أئمّة وحكّاماً ، وإنّما أُرسلوا إلى أنبياء الله» .

قالا : قلنا له : فعلى هذا لم يكن إبليس ملكاً ؟

فقال عليه السلام : «لا ، بل كان من الجن ! أما تسمعان الله تعالى يقول : ﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلاَئِكَةَ اسْجُدُوا لآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الجِنِّ ﴾[(٥)] فأخبر أنّه كان من الجنّ ، وهو الّذي قال : ﴿ وَالجَانَّ خَلَقْنَاهُ مِنْ قَبْلُ مِنْ نَارِ السَّمُومِ ﴾[(٦)]» .

وقال الإمام عليه السلام : «حدّثني أبي ، عن جدّي ، عن الرّضا ، عن أبيه ، عن آبائه ، عن عليّ عليهم السلام ، عن رسول الله صلى الله عليه وآله أنّ الله اختارنا معاشر آل محمّد ، واختار النبيّين ، واختار الملائكة المقرّبين ، وما اختارهم إلّا على علم منه بهم : أنّهم لا يواقعون ما يُخرجون به عن ولايته ، وينقطعون به من عصمته ، وينضمّون به إلى المستحقّين لعذابه ونقمته» .

قالا : فقلنا : فقد روي لنا أنّ علياً صلوات الله عليه لمّا نصّ عليه رسول الله صلى الله عليه وآله بالإمامة ، عرض

---

(١) التحريم ٦.

(٢) الأنبياء ١٩ ـ ٢٠.

(٣) الأنبياء ٢٦ ـ ٢٨.

(٤) يوسف ١٠٩.

(٥) الكهف ٥١.

(٦) الحجر ٢٧.

الله ولايته على فئام وفئام[1] من الملائكة فأبوها ، فمسخهم الله ضفادع .

فقال ﷺ : «معاذ الله ! هؤلاء المتكذّبون علينا ، الملائكة هم : رسل الله كساير أنبياء الله إلى الخلق ، أفيكون منهم الكفر بالله» ؟

قلنا : لا .

قال ﷺ : «فكذلك الملائكة ! إنّ شأن الملائكة عظيم وإنّ خطبهم لجليل» .

وبالإسناد الّذي تكرّر عن أبي يعقوب وأبي الحسن أيضاً أنّهما قالا : حضرنا عند الحسن بن علي أبي القائم ﷺ فقال له بعض أصحابه : جاءني رجل من إخواننا الشيعة قد امتحن بجهل العامة ، يمتحنونه في الإمامة ويحلّفونه ، فكيف يصنع حتّى يتخلّص منهم ؟

فقلت له : كيف يقولون ؟

قال : يقولون : «أتقول أنّ فلاناً هو الإمام بعد رسول الله ﷺ ؟ فلابدّ لي أن أقول نعم وإلّا أثخنوني ضرباً ، فإذا قلت : نعم ، قالوا لي : قل والله ، فقلت : نعم ، وأُريد به «نعماً» من الأنعام : الإبل والبقر والغنم .

قلت : فإذا قالوا : والله فقل ولي أي ولّي تريد عن أمر كذا ، فإنّهم لا يميزون وقد سلمت .

فقال لي : فإن حقّقوا عَلَيّ فقالوا : قل : «والله» وبيّن الهاء .

فقلت : قل والله برفع الهاء ، فإنّه لا يكون يميناً إذا لم يخفض .

فذهب ثمّ رجع إليّ فقال : عرضوا عَلَيّ وحلّفوني ، فقلت كما لقّنتني» .

فقال له الحسن ﷺ : «أنت كما قال رسول الله ﷺ : «الدالّ على الخير كفاعله» لقد كتب الله لصاحبك بتقيّته بعدد كلّ من استعمل التقيّة من شيعتنا وموالينا ومحبّينا حسنة ، وبعدد من ترك التقيّة منهم حسنة ، أدناها حسنة لو قوبل بها ذنوب مائة سنة لغفرت ، ولك بإرشادك إيّاه مثل ماله» .

وبالإسناد المتكرّر ذكره عن الحسن العسكري ﷺ أنّه قال : «أعرف النّاس بحقوق إخوانه وأشدّهم قضاء لها أعظمهم عند الله شأناً ، ومن تواضع في الدنيا لإخوانه فهو عند الله من الصدّيقين ، ومن شيعة عليّ بن أبي طالب ﷺ حقّاً ، ولقد ورد على أميرالمؤمنين ﷺ إخوان له مؤمنان أب وإبن ، فقام إليهما ، وأكرمهما وأجلسهما في صدر مجلسه ، وجلس بين أيديهما ، ثمّ

---

(١) الفئام ـ بفتح الفاء وكسرها ـ: الجماعة من النّاس وغيرهم .

أمر بطعام فأحضر فأكلا منه ، ثمّ جاء قنبر بطست وإبريق خشب ومنديل لليبس ، وجاء ليصبّ على يد الرجل ماءاً ، فوثب أميرالمؤمنين عليه السلام فأخذ الإبريق ليصبّ على يد الرّجل فتمرّغ الرّجل في التراب وقال : يا أميرالمؤمنين ! الله يراني وأنت تصبّ على يدي ؟!

قال : اقعد واغسل يدك فإنّ الله عزّ وجلّ يراك وأخوك الّذي لا يتميّز منك ولا يتفضّل عليك يخدمك ، يريد بذلك خدمة في الجنّة مثل عشرة أضعاف عدد أهل الدّنيا وعلى حسب ذلك في ممالكه فيها .

فقعد الرّجل فقال له عليّ عليه السلام : أقسمت عليك بعظيم حقّي الّذي عرفته وبجّلته وتواضعك لله بأن ندبني لما شرّفك به من خدمتي لك ، لما غسّلت مطمئناً كما كنت تغسل لو كان الصاب عليك قنبراً .

ففعل الرّجل .

فلمّا فرغ ناول الإبريق محمّد بن الحنفيّة وقال : يا بني لو كان هذا الإبن حضرني دون أبيه لصببت على يده ، ولكنّ الله يأبى أن يسوّي بين ابن وأبيه إذا جمعهما مكان ، لكن قد صبّ الأب على الأب ، فليصبّ الإبن على الإبن ، فصبّ محمّد بن الحنفيّة على الابن» .

ثمّ قال الحسن العسكري عليه السلام : «فمن اتّبع عليّاً عليه السلام على ذلك فهو الشيعيُّ حقّاً» .

احتجاج الحجّة القائم المنتظر المهدي صاحب الزمان صلوات الله عليه وعلى آبائه الطاهرين

سعد بن عبدالله القمي الأشعري قال : بليت بأشدّ النواصب منازعة فقال لي يوماً ـ بعد ما ناظرته ـ : تبّاً لك ولأصحابك ! أنتم معاشر الروافض تقصدون المهاجرين والأنصار بالطعن عليهم ، وبالجحود لمحبّة النّبيّ لهم ، فالصدّيق هو فوق الصحابة بسبب سبق الإسلام ، ألا تعلمون أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله إنّما ذهب به ليلة الغار لأنّه خاف عليه كما خاف على نفسه ، ولما علم أنّه يكون الخليفة في اُمّته وأراد أن يصون نفسه كما يصون صلى الله عليه وآله خاصّة نفسه ، كي لا يختلّ حال الدين من بعده ، ويكون الإسلام منتظماً ؟ وقد أقام عليّاً على فراشه لما كان في علمه أنّه لو قتل لا يختلّ الإسلام بقتله ، لأنّه يكون من الصحابة من يقوم مقامه لا جرم لم يبال من قتله ؟!

قال سعد : إنّي قلت على ذلك أجوبة لكنّها غير مسكتة .

ثمّ قال : معاشر الروافض تقولون : إنّ الأول والثاني كانا ينافقان ، وتستدلّون على ذلك بليلة العقبة .

ثمّ قال لي : أخبرني عن إسلامهما كان من طوع ورغبة أو كان عن إكراه وإجبار ؟

فاحترزت عن جواب ذلك وقلت في نفسي : إن كنت أجبته بأنّه كان من طوع ، فيقول : لا يكون على هذا الوجه إيمانهما عن نفاق ، وإن قلت كان عن إكراه وإجبار لم يكن في ذلك الوقت للإسلام قوّة حتّى يكون إسلامهما بإكراه وقهر ، فرجعت عن هذا الخصم على حال ينقطع كبدي ، فأخذت طوماراً وكتبت بضعاً وأربعين مسألة من المسائل الغامضة الّتي لم يكن عندي جوابها . فقلت : أدفعها إلى صاحب مولاي أبي محمّد الحسن بن عليّ عليه السلام الّذي كان في قم أحمد بن إسحاق[1] ، فلمّا طلبته كان هو قد ذهب ، فمشيت على أثره فأدركته وقلت الحال معه .

فقال لي : جئ معي إلى سرّ من رأى حتّى نسأل عن هذه المسائل مولانا الحسن بن علي عليه السلام .

فذهبت معه إلى سرّ من رأى ثمّ جئنا إلى باب دار مولانا عليه السلام ، فاستأذنّا عليه ، فأذن لنا ، فدخلنا الدار ، وكان مع أحمد بن إسحاق جراب قد ستره بكساء طبري ، وكان فيه مائة وستّون صرّة من الذهب والورق ، على كلّ واحدة منها خاتم صاحبها الّذي دفعها إليه ، ولمّا دخلنا ووقعت أعيننا على أبي محمّد الحسن العسكري عليه السلام كان وجهه كالقمر ليلة البدر ، وقد رأينا على فخذه غلاماً يشبه المشتري في الحسن والجمال ، وكان على رأسه ذوابتان ، وكان بين يديه رمّان من الذهب قد حلي بالفصوص والجواهر الثمينة قد أهداه واحد من رؤساء البصرة ، وكان في يده قلم يكتب به شيئاً على قرطاس ، فكلّما أراد أن يكتب شيئاً أخذ الغلام يده فألقى الرمان حتّى يذهب الغلام إليه ويجيء به ، فلمّا ترك يده يكتب ما شاء .

ثمّ فتح أحمد بن إسحاق الكساء ووضع الجراب بين يدي العسكري عليه السلام ، فنظر العسكري إلى الغلام فقال : «فض الخاتم عن هدايا شيعتك ومواليك» !

فقال عليه السلام : «يا مولاي أيجوز أن أمدّ يداً طاهرة إلى هدايا نجسة وأموال رجسة » ؟!

ثمّ قال عليه السلام : «يابن إسحاق أخرج ما في الجراب ليميّز بين الحلال والحرام» !

ثمّ أخرج صرّة فقال الغلام عليه السلام : «هذا لفلان بن فلان من محلّة كذا بقم ، مشتمل على اثنين وسبعين ديناراً ، فيها من ثمن حجرة باعها ، وكانت إرثاً عن أبيه خمسة وأربعون ديناراً ، ومن أثمان سبعة أثواب أربعة عشر ديناراً ، وفيه من أُجرة الحوانيت ثلاثة دنانير» .

---

(١) قال العلّامة في القسم الأوّل من خلاصته ص١٤ : «أحمد بن إسحاق الرازي من أصحاب أبي الحسن الثالث عليّ ابن محمّد الهادي عليهما السلام ، أورد الكشي ما يدلّ على اختصاصه بالجهة المقدّسة ، وقد ذكرته في الكتاب الكبير» .

فقال مولانا عليه السلام : «صدقت يا بني ! دلّ الرّجل على الحرام منها» .

فقال الغلام عليه السلام : «في هذه العين دينار بسكّة الري ، تاريخ في سنة كذا ، قد ذهب نصف نقشه عنه ، وثلاثة أقطاع قراضة بالوزن دانق ونصف ، في هذه الصرّة الحرام هذا القدر ، فإنّ صاحب هذه الصرّة في سنة كذا في شهر كذا كان له عند نسّاج ـ وهو من جملة جيرانه ـ منّ وربع ، فأتى على ذلك زمان كثير فسرقه سارق من عنده فأخبره النسّاج بذلك فما صدّقه وأخذ الغرامة بغزل أدقّ منه مبلغ منّ ونصف ، ثمّ أمر حتّى نسج منه ثوب وهذا الدينار والقراضة من ثمنه» .

ثمّ حلّ عقدها فوجد الدينار والقراضة كما أخبر ، ثمّ أخرجت صرّة أُخرى .

فقال الغلام عليه السلام : «هذا لفلان بن فلان من المحلّة الفلانية بقم والعين فيها خمسون ديناراً ولا ينبغي لنا أن ندني أيدينا إليها» .

قال عليه السلام : «ولِمَ» ؟

فقال عليه السلام : «من أجل أنّ هذه الدنانير ثمن الحنطة ، وكانت هذه الحنطة بينه وبين حرّاث له ، فأخذ نصيبه بكيل كامل وأعطى نصيبه بكيل ناقص» .

فقال مولانا الحسن بن علي عليهما السلام : «صدقت يا بني» !

ثمّ قال عليه السلام : «يابن إسحاق إحمل هذه الصرر وبلّغ أصحابها أو أوص بتبليغها إلى أصحابها ، فإنّه لا حاجة بنا إليها» .

ثمّ قال عليه السلام : «جئ إليّ بثوب تلك العجوز» .

فقال أحمد بن إسحاق : كان ذلك في حقيبة فنسيته ، ثمّ مشى أحمد بن إسحاق ليجيء بذلك فنظر إليّ مولانا أبو محمّد العسكري عليه السلام وقال : «ما جاء بك يا سعد» ؟

فقلت : شوّقني أحمد بن إسحاق إلى لقاء مولانا .

قال عليه السلام : «المسائل الّتي أردت أن تسأل عنها» .

قلت : على حالها يا مولاي .

قال عليه السلام : «فاسأل قرّة عيني ـ وأومى إلى الغلام ـ عمّا بدا لك» !

فقلت : يا مولانا وابن مولانا روي لنا أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله جعل طلاق نسائه إلى أمير المؤمنين ، حتّى أنّه بعث يوم الجمل رسولاً إلى عائشة وقال : إنّك أدخلت الهلاك على الإسلام وأهله بالغشّ الّذي حصل منك ، وأوردت أولادك في موضع الهلاك بالجهالة ، فإن امتنعت وإلّا طلّقتك ، فأخبرنا

يا مولاي عن معنى الطلاق الّذي فوّض حكمه رسول الله صلى الله عليه وآله إلى أميرالمؤمنين عليه السلام ؟

فقال عليه السلام : «إنّ الله تقدّس اسمه عظم شأن نساء النبيّ صلى الله عليه وآله فخصّهنّ لشرف الأُمّهات ، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله : يا أباالحسن إنّ هذا شرف باق ما دمن لله على طاعة ، فأيّتهنّ عصت الله بعدي بالخروج عليك فطلّقها من الأزواج ، وأسقطها من شرف أُمّيّة المؤمنين» .

ثمّ قلت : أخبرني عن الفاحشة المبيّنة الّتي إذا فعلت المرأة ذلك يجوز لبعلها أن يخرجها من بيته في أيّام عدّتها ؟

فقال عليه السلام : «تلك الفاحشة السُحق[1] وليست بالزنا لأنّها إذا زنت يقام عليها الحد ، وليس لمن أراد تزويجها أن يمتنع من العقد عليها لأجل الحد الّذي أُقيم عليها ، وأمّا إذا ساحقت فيجب عليها الرجم ، والرجم هو الخزي ، ومن أمر الله تعالى برجمها فقد أخزاها ليس لأحد أن يقربها» .

ثمّ قلت : أخبرني يابن رسول الله عن قول الله تعالى لنبيّه موسى : ﴿ فَاخْلَعْ نَعْلَيْكَ إِنَّكَ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوىً ﴾[2] فإنّ فقهاء الفريقين يزعمون : إنّها كانت من إهاب الميتة ؟

فقال عليه السلام : «من قال ذلك فقد افترى على موسى واستجهله في نبوّته ، لأنّه ما خلا الأمر فيها من خصلتين : إمّا أن كانت صلاة موسى فيها جائزة أو غير جائزة ، فإن كانت صلاة موسى جائزة فيها ، فجاز لموسى أن يكون لابسها في تلك البقعة وإن كانت مقدّسة مطهّرة ، وإن كانت صلاته غير جائزة فيها فقد أوجب أنّ موسى لم يعرف الحلال والحرام ، ولم يعلم ما جازت الصلاة فيه ممّا لم يجز ؛ وهذا كفر» .

قلت : فأخبرني يا مولاي عن التأويل فيها ؟

قال عليه السلام : «إنّ موسى عليه السلام كان بالوادي المقدس ، فقال : يا رب إنّي أخلصت لك المحبّة منّي ، وغسلت قلبي عمّن سواك ، وكان شديد الحبّ لأهله ، فقال الله تبارك وتعالى : فاخلع نعليك أي أنزع حبّ أهلك من قلبك إن كانت محبّتك لي خالصة وقلبك من الميل إلى من سواي مغسولاً» .

فقلت : أخبرني عن تأويل : ﴿ كٓهيعٓصٓ ﴾[3] ؟

قال عليه السلام : «هذه الحروف من أنباء الغيب ، اطّلع الله عليها عبده زكريا ، ثمّ قصّها على

---

(١) المساحقة عند النساء كاللواط عند الرجال .

(٢) طه ١٢.

(٣) مريم ١.

محمّد صلى الله عليه وآله ، وذلك أنّ زكريّا عليه السلام سأله ربّه أن يعلّمه الأسماء الخمسة ، فأهبط عليه جبرئيل فعلّمه إيّاها ، فكان زكريّا إذا ذكر محمّداً وعليّاً وفاطمة والحسن سرى عنه همّه ، وانجلى كربه ، وإذا ذكر اسم الحسين عليه السلام خنقته العبرة ، ووقعت عليه البهرة .

فقال ـ ذات يوم ـ : إلهي ما بالي إذا ذكرت أربعاً منهم تسلّيت بأسمائهم من همومي ، وإذا ذكرت الحسين تدمع عيني وتثور زفرتي ؟

فأنبأه الله تبارك وتعالى عن قصّته ، فقال : «كهيعص» ؛ فالكاف اسم «كربلاء» والهاء «هلاك العترة» والياء «يزيد» وهو ظالم الحسين ، والعين «عطشه» والصاد «صبره» فلمّا سمع بذلك زكريّا عليه السلام لم يفارق مسجده ثلاثة أيّام ومنع فيهنّ النّاس من الدخول عليه ، وأقبل على البكاء والنحيب ، وكان يرثيه :

إلهي أتفجع خير جميع خلقك بولده ؟

إلهي أتنزل بلوى هذه الرزيّة بفنائه ؟

إلهي أتلبس عليّاً وفاطمة ثوب هذه المصيبة ؟

إلهي تحلّ كربة هذه المصيبة بساحتهما ؟

ثمّ كان يقول : إلهي ارزقني ولداً تقرّ به عيني على الكبر ، فإذا رزقتنيه فافتنّي بحبّه ، ثمّ أفجعني به كما تفجع محمّداً حبيبك بولده .

فرزقه الله يحيى وفجعه به ، وكان حمل يحيى ستّة أشهر وحمل الحسين كذلك» .

فقلت : أخبرني يا مولاي عن العلّة الّتي تمنع القوم من اختيار الإمام لأنفسهم ؟

قال عليه السلام : «مصلح أو مفسد» ؟

فقلت : مصلح .

قال عليه السلام : «هل يجوز أن يقع خيرتهم على المفسد بعد أن لا يعلم أحد ما يخطر ببال غيره من صلاح أو فساد» ؟

قلت : بلى .

قال عليه السلام : «فهي العلّة أيّدتها لك ببرهان يقبل ذلك عقلك» .

قلت : نعم .

قال عليه السلام : «أخبرني عن الرسل الّذين اصطفاهم الله ، وأنزل عليهم الكتب ، وأيّدهم بالوحي

والعصمة ، إذ هم أعلام الأُمم ، فأهدى إلى ثبت الإختيار ومنهم موسى وعيسى هل يجوز مع وفور عقلهما وكمال علمهما إذ همّا بالإختيار أن تقع خيرتهما على المنافق ، وهما يظنّان أنّه مؤمن» ؟

قلت : لا .

قال ﷺ : «فهذا موسى كليم الله مع وفور عقله ، وكمال علمه ، ونزول الوحي عليه اختار من أعيان قومه ووجوه عسكره لميقات ربّه سبعين رجلاً ممّن لم يشكّ في إيمانهم وإخلاصهم ، فوقع خيرته على المنافقين ، قال الله ﷻ : ﴿ وَاخْتَارَ مُوسَىٰ قَوْمَهُ سَبْعِينَ رَجُلاً لِمِيقَاتِنَا ﴾ الآية[1] فلمّا وجدنا اختيار من قد اصطفاه الله للنبوّة واقعاً على الأفسد دون الأصلح وهو يظنّ أنّه الأصلح دون الأفسد ، علمنا أنّ الإختيار لمن لا يعلم ما تخفي الصدور وما تكنّ الضمائر ، وتنصرف عنه السرائر ، وأن لا خطر لاختيار المهاجرين والأنصار بعد وقوع خيرة الأنبياء على ذوي الفساد لمّا أرادوا أهل الصلاح» .

ثمّ قال مولانا ﷺ : «يا سعد ! من ادّعى أنّ النّبيّ ﷺ ـ وهو خصمك ـ ذهب بمختار هذه الأُمّة مع نفسه إلى الغار فإنّه خاف عليه كما خاف على نفسه لما علم أنّه الخليفة من بعده على أُمّته ، لأنّه لم يكن من حكم الإختفاء أن يذهب بغيره معه وإنّما أقام عليّاً على مبيته لأنّه علم أنّه إن قتل لا يكون من الخلل بقتله ما يكون بقتل أبي بكر ، لأنّه يكون لعليّ من يقوم مقامه في الأُمور ، لِمَ لا تنقض عليه بقولك : أولستم تقولون أن النّبيّ ﷺ قال : «إنّ الخلافة من بعدي ثلاثون سنة» وصيّرها موقوفة على أعمار هؤلاء الأربعة : أبوبكر ، وعمر ، وعثمان ، وعلي ؛ فإنّهم كانوا على مذهبكم خلفاء رسول الله ؟ فإنّ خصمك لم يجد بدّاً من قوله : بلى . قلتَ له : فإذا كان الأمر كذلك فكما أبوبكر الخليفة من بعده كان هذه الثلاثة خلفاء أُمّته من بعده ، فلم ذهب بخليفة واحد وهو أبوبكر إلى الغار ولم يذهب بهذه الثلاثة ؟ فعلى هذا الأساس يكون النّبيّ ﷺ مستخفاً بهم دون أبي بكر ، فإنّه يجب عليه أن يفعل بهم ما فعل بأبي بكر ، فلمّا لم يفعل ذلك بهم يكون متهاوناً بحقوقهم وتاركاً للشفقة عليهم بعد أن كان يجب أن يفعل بهم جميعاً على ترتيب خلافتهم ما فعل بأبي بكر .

وأمّا ما قال لك الخصم بأنّهما أسلما طوعاً أوكرهاً ، لِمَ لم تقل بل إنّهما أسلما طمعاً ، وذلك أنّهما يخالطان مع اليهود ويخبران بخروج محمّد ﷺ واستيلائه على العرب من التوراة والكتب المقدّسة وملاحم قصّة محمّد ﷺ ، ويقولون لهما : يكون استيلاؤه على العرب كاستيلاء

---

(١) الأعراف ١٥٥.

«بخت نصر» على بني إسرائيل إلّا أنّه يدعّي النبوّة ولا يكون من النبوّة في شيء ، فلمّا ظهر أمر رسول الله فساعدا معه على شهادة أن لا إله إلّا الله وأنّ محمّداً رسول الله طمعاً أن يجدا من جهة ولاية رسول الله ولاية بلد إذا انتظم أمره ، وحسن باله ، واستقامت ولايته ، فلمّا أيسا من ذلك وافقا مع أمثالهما ليلة العقبة وتلثّما مثل من تلثّم منهم ، فنفروا بدابّة رسول الله لتسقطه ويصير هالكاً بسقوطه بعد أن صعد العقبة فيمن صعد ، فحفظ الله تعالى نبيّه من كيدهم ولم يقدروا أن يفعلوا شيئاً ، وكان حالهما كحال طلحة والزبير إذ جاءا عليّاً عليه السلام وبايعاه طمعاً أن تكون لكلّ واحد منهما ولاية ، فلمّا لم يكن ذلك وأيسا من الولاية نكثا بيعته وخرجا عليه حتّى آل أمر كلّ واحد منهما إلى ما يؤلّ أمر من ينكث العهود والمواثيق» .

ثمّ قام مولانا الحسن بن علي عليه السلام لصلاته ، وقام القائم معه ، فرجعت من عندهما وطلبت أحمد ابن إسحاق ، فاستقبلني باكياً ، فقلت : ما أبطأك وما أبكاك ؟

قال : قد فقدت الثوب الذي سألني مولاي إحضاره .

قلت : لا بأس عليك فأخبره !

فدخل عليه وانصرف من عنده متبسّماً وهو يصلّي على محمّد وأهل بيته .

فقلت : ما الخبر ؟

قال : وجدت الثوب مبسوطاً تحت قدمي مولانا عليه السلام يصلّي عليه .

قال سعد : فحمدنا الله جلّ ذكره على ذلك وجعلنا نختلف بعد ذلك اليوم إلى منزل مولانا عليه السلام أيّاماً فلا نرى الغلام بين يديه ، فلمّا كان يوم الوداع دخلت أنا وأحمد بن إسحاق وكهلان من أهل بلدنا ، فانتصب أحمد بن إسحاق بين يديه قائماً وقال : يابن رسول الله قد دنت الرحلة ، واشتدّت المحنة ، فنحن نسأل الله أن يصلّي على المصطفى جدّك ، وعلى المرتضى أبيك ، وعلى سيّدة النساء أُمّك فاطمة الزهراء ، وعلى سيّدي شباب أهل الجنّة عمّك وأبيك ، وعلى الأئمّة من بعدهما آبائك ، وأن يصلّي عليك وعلى ولدك ، ونرغب إليه أن يعلي كعبك ، ويكبت عدوّك ، ولا جعل الله هذا آخر عهدنا من لقائك .

(قال) : فلمّ قال هذه الكلمة ، استعبر مولانا عليه السلام حتّى استهملت دموعه وتقاطرت عبراته ثمّ قال : «يابن اسحاق لا تكلّف في دعائك شططاً ، فإنّك ملاق الله في صدرك هذا» .

فخرّ أحمد مغشيّاً عليه ، فلمّا أفاق قال : سألتك بالله وبحرمة جدّك إلّا ما شرّفتني بخرقة أجعلها كفناً .

فأدخل مولانا يده تحت البساط فأخرج ثلاثة عشر درهماً ، فقال عليه السلام : «خذها ولا تنفق على نفسك غيرها فإنّك لن تعدم ما سألت ، والله لا يضيع أجر المحسنين» .

قال سعد : فلمّا صرنا بعد منصرفنا من حضرة مولانا عليه السلام من حلوان على ثلاثة فراسخ ، حمّ أحمد بن إسحاق وثارت عليه علّة صعبة أيس من حياته بها ، فلمّا وردنا حلوان ونزلنا في بعض الخانات ، دعا أحمد بن إسحاق رجلاً من أهل بلده كان قاطناً بها ، ثمّ قال : تفرّقوا عنّي هذه الليلة واتركوني وحدي !

فانصرفنا عنه ورجع كلّ واحد إلى مرقده .

(قال) سعد : فلمّا حان أن ينكشف الليل عن الصبح أصابتني فكرة ، ففتحت عيني ، فإذا أنا بكافور الخادم ؛ خادم مولانا أبي محمّد وهو يقول : أحسن الله بالخير عزاكم ، وختم بالمحبوب رزيّتكم ، قد فرغنا من غسل صاحبكم ومن تكفينه ، فقوموا لدفنه فإنّه من أكرمكم محلًّا عند سيّدكم ، ثمّ غاب عن أعيننا ، فاجتمعنا على رأسه بالبكاء والنحيب والعويل حتّى قضينا حقّة وفرغنا من أمره رحمه الله .

وعن الشيخ الموثوق أبي عمرو العمري رضي الله عنه[1] قال : تشاجر ابن أبي غانم القزويني وجماعة من

---

(١) هو عثمان بن سعيد العمري ـ بفتح العين وسكون الميم ـ أوّل النوّاب الأربعة يكنّى أباعمرو السمان ، ويقال له الزيات والعسكري ، ذكره الشيخ الطوسي في عداد أصحاب الهادي عليه السلام ص ٤٢٠ وقال : «... خدمه عليه السلام وله إحدى عشر سنة ، وله إليه عهد معروف» وفي أصحاب العسكري عليه السلام ص ٤٣٤ وقال : «... جليل القدر ، ثقة ، وكيله عليه السلام» وفي كتاب الغيبة ص ٢١٤ قال : «فأمّا السفراء الممدوحون في زمان الغيبة ، فأوّلهم : من نصبه أبوالحسن علي بن محمّد العسكري وأبو محمّد الحسن بن علي بن محمّد ابنه عليهما السلام وهو الشيخ الموثوق به أبو عمرو عثمان بن سعيد العمري ، وكان أسديّاً ، وإنّما سمّي العمري لما رواه أبو نصر هبةالله بن محمّد بن أحمد الكاتب أنّه ابن بنت أبي جعفر العمري رحمه الله . قال أبو نصر : كان أسديّاً فنسب إلى جدّه ، فقيل العمري ، وقد قال قوم من الشيعة : إنّ أبامحمّد الحسن بن علي عليه السلام قال : لا يجتمع على أمره بين عثمان وأبو عمرو فأمر بكسر كنيته فقيل العمري ـ إلى أن قال ـ : ويقال له : السمان ، لأنّه كان يتّجر في السمن تغطية على الأمر ، وكان الشيعة إذا حملوا إلى أبي محمّد عليه السلام ما يجب عليهم حمله من الأموال أنفذوا إلى أبي عمرو فيجعله في جراب السمن وزقاقه ويحمله إلى أبي محمّد عليه السلام تقيّة وخوفاً .

وقال العلّامة في القسم الأوّل من خلاصته ص١١٦ : «... ويقال له : الزيات الأسدي من أصحاب أبي جعفر محمّد ←

الشيعة في الخلف ، فذكر ابن أبي غانم : أنّ أبامحمّد عليه السلام مضى ولا خلف له ، ثمّ إنّهم كتبوا في ذلك كتاباً وأنفذوه إلى الناحية ، وأعلموه بما تشاجروا فيه .

فورد جواب كتابهم بخطّه صلّى الله عليه وعلى آبائه :

بسم الله الرحمن الرحيم

«عافانا الله وإيّاكم من الفتن ، ووهب لنا ولكم روح اليقين ، وأجارنا وإيّاكم من سوء المنقلب ، إنّه أُنهي إليّ ارتياب جماعة منكم في الدين ، ما دخلهم من الشك والحيرة في ولاة أمرهم ، فغمّنا ذلك لكم لا لنا ، وساءنا فيكم لا فينا ، لأنّ الله معنا فلا فاقة بنا إلى غيره ، والحقّ معنا فلن يوحشنا من قعد عنّا ، ونحن صنايع ربّنا والخلق بعد صنايعنا .

يا هؤلاء مالكم في الريب تتردّدون ، وفي الحيرة تنعسكون ، أوما سمعتم الله يقول : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيْعُوْا اللهَ وأَطِيْعُوْا الرَّسُوْلَ وَأُوْلِي الأَمْرِ مِنْكُمْ ﴾[1] ؟ أوما علمتم ما جاءت به الآثار ممّا يكون ويحدث في أئمّتكم ، على الماضين والباقين منهم السلام ؟ أوما رأيتم كيف جعل الله لكم معاقل تأوون إليها ، وأعلاماً تهتدون بها ، من لدن آدم عليه السلام إلى أن ظهر الماضي عليه السلام ، كلّما غاب علم بدا علم ، وإذا أفل نجم طلع نجم ، فلمّا قبضه الله إليه ظننتم أنّ الله أبطل دينه وقطع السبب بينه وبين خلقه ؟ كلّا ماكان ذلك ولا يكون ، حتّى تقوم الساعة ويظهر أمر الله وهم كارهون ، وإنّ الماضي عليه السلام مضى سعيداً فقيداً على منهاج آبائه عليهم السلام ، حذو النّعل بالنّعل ، وفينا وصيّته وعلمه ، ومنه خلفه ومن يسدّ مسدّه ، ولا ينازعنا موضعه إلّا ظالم آثم ، ولا يدّعيه دوننا إلّا كافر جاحد ، ولولا أنّ أمر الله لا يغلب ، وسرّه لا يظهر ولا يعلن ، لظهر لكم من حقّنا ما تبتزّ منه عقولكم ، ويزيل شكوككم ، ولكنّه ما شاء الله كان ، ولكلّ أجل كتاب ، فاتّقوا الله وسلّموا لنا وردّوا الأمر إلينا ، فعلينا الإصدار كما كان منّا الإيراد ، ولا تحاولوا كشف ما غطي عنكم ، ولا تميلوا عن اليمين

⬅ ابن علي الثاني عليه السلام خدمه وله إحدى عشر سنة وله إليه عهد معروف وهو ثقة جليل القدر وكيل أبي محمّد عليه السلام».

وفي ج ٢ من سفينة البحار ص١٥٨ : «أبو عمرو عثمان بن سعيد السمان العمري أوّل النوّاب الأربعة ، ما ورد في شأنه من الجلالة والعدالة والأمانة أكثر من أن يذكر وهو أجلّ وأشهر من أن يصفه مثلي (كش) كان باب الجواد عليه السلام ... وحكى : أنّه يقال له : العمري لأنّه ينتسب من قبل الأم إلى عمر الأطرف بن علي عليه السلام ...» . وقبره في الجانب الغربي ببغداد .

(١) النساء ٥٨.

وتعدلوا إلى اليسار ، واجعلوا قصدكم إلينا بالمودّة على السنّة الواضحة ، فقد نصحت لكم ، والله شاهد عَلَيّ وعليكم ، ولولا ما عندنا من محبّة صاحبكم ورحمتكم ، والإشفاق عليكم ، لكنّا عن مخاطبتكم في شغل ممّا قد امتحنّا به من منازعة الظالم العتل ، الضال المتتابع في غيّه ، المضادّ لربّه ، المدّعي ما ليس له ، الجاحد حقّ من افترض الله طاعته ، الظالم الغاصب ، وفي ابنة رسول الله صلّى الله عليه وآله إليّ أُسوة حسنة ، وسيردي الجاهل رداء عمله ، وسيعلم الكافر لمن عقبى الدّار .

عصمنا الله وإيّاكم من المهالك والأسواء ، والآفات والعاهات كلّها برحمته إنّه وليّ ذلك والقادر على ما يشاء ، وكان لنا ولكم وليّاً وحافظاً ، والسلام على جميع الأوصياء والأولياء والمؤمنين ورحمة الله وبركاته ، وصلّى الله على النبيّ محمّد وآله وسلّم تسليماً» .

وعن سعد بن عبدالله الأشعري عن الشيخ الصدوق أحمد بن إسحاق بن سعد الأشعري رحمه الله : أنّه جاء بعض أصحابنا يعلمه أنّ جعفر بن علي كتب إليه كتاباً يعرّفه نفسه ، ويعلّمه أنّه القيّم بعد أخيه ، وأنّ عنده من علم الحلال والحرام ما يحتاج إليه ، وغير ذلك من العلوم كلّها .

قال أحمد بن إسحاق : فلمّا قرأت الكتاب كتبت إلى صاحب الزمان عليه السلام وصيّرت كتاب جعفر في درجه ، فخرج إليّ الجواب في ذلك :

بسم الله الرحمن الرحيم

«أتاني كتابك أبقاك الله ، والكتاب الّذي أنفذت درجه ، وأحاطت معرفتي بجميع ما تضمّنه على اختلاف ألفاظه ، وتكرّر الخطأ فيه ، ولو تدبّرته لوقفت على بعض ما وقفت عليه منه ، والحمد لله ربّ العالمين ، حمداً لا شريك له على إحسانه إلينا وفضله علينا ، أبى الله عزّ وجلّ للحقّ إلّا إتماماً ، وللباطل إلّا زهوقاً ، وهو شاهد عَلَيّ بما أذكره ، ولي عليكم بما أقوله ، إذا اجتمعنا اليوم الّذي لا ريب فيه ، ويسألنا عمّا نحن فيه مختلفون .

وأنّه لم يجعل لصاحب الكتاب على المكتوب إليه ولا عليك ولا على أحد من الخلق جميعاً إمامة مفترضة ، ولا طاعة ولا ذمّة ، وسأُبيّن لكم جملة تكتفون بها إن شاء الله .

يا هذا يرحمك الله ! إنّ الله تعالى لم يخلق الخلق عبثاً ، ولا أهملهم سدى ، بل خلقهم بقدرته ، وجعل لهم أسماعاً وأبصاراً وقلوباً وألباً ، ثمّ بعث النبيّين عليهم السلام مبشّرين ومنذرين ، يأمرونهم بطاعته وينهونهم عن معصيته ، ويعرّفونه ما جهلوه من أمر خالقهم ودينهم ، وأنزل عليهم كتاباً وبعث إليهم ملائكة ، وباين بينهم وبين من بعثهم إليهم بالفضل الّذي جعله لهم عليهم ، وما آتاهم

الله من الدلائل الظاهرة والبراهين الباهرة ، والآيات الغالبة ، فمنهم : من جعل النّار عليه برداً وسلاماً واتّخذه خليلاً ، ومنهم : من كلّمه تكليماً وجعل عصاه ثعباناً مبيناً ، ومنهم : من أحيى الموتى بإذن الله وأبرأ الأكمه والأبرص بإذن الله ، ومنهم : من علّمه منطق الطير واُوتي من كلّ شيء .

ثمّ بعث محمّداً صلى الله عليه وآله رحمة للعالمين ، وتمّم به نعمته ، وختم به أنبياءه ، وأرسله إلى النّاس كافّة ، وأظهر من صدقه ما أظهر ، وبيّن من آياته وعلاماته ما بيّن ، ثمّ قبضه صلى الله عليه وآله حميداً فقيداً سعيداً ، وجعل الأمر من بعده إلى أخيه وابن عمّه ووصيّه ووارثه عليّ بن أبي طالب عليه السلام ، ثمّ إلى الأوصياء من ولده واحداً بعد واحد ، أحيى بهم دينه ، وأتمّ بهم نوره ، وجعل بينهم وبين إخوتهم وبني عمّهم والأدنين فالأدنين من ذوي أرحامهم فرقاً بيّناً ، تعرف به الحجّة من المحجوج ، والإمام من المأموم بأن : عصمهم من الذنوب ، وبرأهم من العيوب ، وطهّرهم من الدنس ، ونزّههم من اللبس ، وجعلهم خزّان علمه ، ومستودع حكمته ، وموضع سرّه ، وأيّدهم بالدلائل ، ولولا ذلك لكان النّاس على سواء ، ولادّعى أمر الله عزّ وجلّ كلّ أحد ، ولما عرف الحقّ من الباطل ، ولا العلم من الجهل .

وقد ادّعى هذا المبطل المدّعي على الله الكذب بما ادّعاه ، فلا أدري بأيّة حالة هي له ، رجا أن يتمّ دعواه بفقه في دين الله ؟ فوالله ما يعرف حلالاً من حرام ، ولا يفرّق بين خطأ وصواب ، أم بعلم ؟! فما يعلم حقّاً من باطل ، ولا محكماً من متشابه ، ولا يعرف حدّ الصلاة ووقتها ، أم بورع ؟! فالله شهيد على تركه الصلاة الفرض أربعين يوماً يزعم ذلك لطلب الشعوذة ، ولعلّ خبره تأدّى إليكم ، وهاتيك ظروف مسكره منصوبة ، وآثار عصيانه لله عزّ وجلّ مشهورة قائمة ، أم بآية ؟! فليأت بها ، أم بحجّة ؟! فليقمها ، أم بدلالة ؟! فليذكرها ، قال الله عزّ وجلّ في كتابه : ﴿ بِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيْمِ * حم * تَنزِيلُ ٱلْكِتَابِ مِنَ ٱللهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ * مَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَاوَاتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالحَقِّ وَأَجَلٍ مُسَمّىً وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا عَمَّا أُنذِرُوا مُعْرِضُونَ * قُلْ أَرَأَيْتُم مَّا تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللهِ أَرُونِي مَاذَا خَلَقُوا مِنَ ٱلْأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِي ٱلسَّمَاوَاتِ ٱئْتُونِي بِكِتَابٍ مِن قَبْلِ هٰذَا أَوْ أَثَارَةٍ مِنْ عِلْمٍ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ * وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُوا مِن دُونِ ٱللهِ مَن لَا يَسْتَجِيبُ لَهُ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَامَةِ وَهُمْ عَن دُعَائِهِمْ غَافِلُونَ * وَإِذَا حُشِرَ ٱلنَّاسُ كَانُوا لَهُمْ أَعْدَاءً وَكَانُوا بِعِبَادَتِهِمْ كَافِرِينَ ﴾[1] .

فالتمس تولّى الله توفيقك من هذا الظالم ما ذكرت لك ، وامتحنه واسأله عن آية من كتاب الله

(١) الأحقاف ١ـ٦.

يفسّرها ، أو صلاة يبيّن حدودها وما يجب فيها ، لتعلم حاله ومقداره ، ويظهر لك عواره ونقصانه ، والله حسيبه .

حفظ الله الحقّ على أهله ، وأقرّه في مستقرّه ، وأبى الله ﷻ أن تكون الإمامة في أخوين إلّا في الحسن والحسين ، وإذ أذن الله لنا في القوم ظهر الحق واضمحلّ الباطل ، وانحسر عنكم ، وإلى الله أرغب في الكفاية ، وجميل الصنع والولاية ، وحسبنا الله ونعم الوكيل ، وصلّى الله على محمّد وآل محمّد» .

محمّد بن يعقوب الكليني[1] عن إسحاق بن يعقوب قال : سألت محمّد بن عثمان العمري ﵁[2]

---

(١) قال المحقّق الشيخ عبّاس القمي في ج٣ من الكنى والألقاب ص٩٨: «هو الشيخ الأجل، قدوة الأنام، وملاذ المحدّثين العظام، ومروج المذهب في غيبة الإمام ﵇، أبو جعفر محمّد بن يعقوب بن إسحاق الكليني الرازي الملقّب: «ثقة الإسلام» ألّف الكافي الّذي هو أجلّ الكتب الإسلاميّة وأعظم المصنّفات الإماميّة والّذي لم يعمل للإماميّة مثله.

قال المولى محمّد أمين الإسترابادي في محكي فوائده: سمعنا مشايخنا وعلمائنا أنّه لم يصنّف في الإسلام كتاب يوازيه أو يدانيه.

وكان خاله علان الكليني الرازي».

وقال النجاشي ص٢٩٢: «شيخ أصحابنا بالري، ووجههم، وكان أوثق النّاس في الحديث وأثبتهم ...».

وقال العلّامة في القسم الأوّل من الخلاصة ص١٤٥: «... صنّف كتاب الكافي في عشرين سنة ومات ببغداد سنة ثمان وعشرين وثلاثمائة».

وقال الشيخ الطوسي وقال النجاشي: في سنة تسع وعشرين وثملاثمائة، سنة تناثر النجوم، وصلّى عليه محمّد بن جعفر الحسيني أبو قيراط ودفن بباب الكوفة في مقبرتها ...».

(٢) محمّد بن عثمان العمري ﵁ هو ثاني الوكلاء الأربعة، ذكره الشيخ في رجاله ص٥٩ وقال: «... يكنّى أباجعفر، وأبوه يكنّى أباعمرو، جميعاً وكيلان من جهة صاحب الزمان ﵇، ولهما منزلة جليلة عند الطائفة».

وقال في الغيبة ص٢١٨: «فلمّا مضى أبو عمرو عثمان بن سعيد قام ابنه أبو جعفر محمّد بن عثمان مقامه بنصّ أبي محمّد ﵇ عليه، ونصّ أبيه عثمان عليه بأمر القائم ﵇».

وفي ج١ من سفينة البحار ص٣٢٨: «... أبو جعفر باب الهادي، وهو وكيل الناحية في خمسين سنة، الّذي ظهر على يديه من طرف المأمول المنتظر ﵇ معاجز كثيرة ... وكان محمّد ﵁ شيخناً متواضعاً في بيت صغير ليس له غلمان .. وروي عنه قال: إنّ صاحب هذا الأمر ليحضر الموسم مع النّاس كلّ سنة، يرى النّاس فيعرفهم ويرونه ولا يعرفونه.

وروي أنّه قيل له: رأيت صاحب هذا الأمر ؟ قال: نعم وآخر عهدي به عند بيت الله الحرام وهو ﵇ يقول: «اللّهمّ أنجز لي ما وعدتني».

وعنه أيضاً قال: رأيته صلوات الله عليه متعلّقاً بأستار الكعبة في المستجار وهو ﵇ يقول: «اللّهمّ انتقم بي من

أن يوصل لي كتاباً قد سألت فيه عن مسائل أشكلت عَلَيّ ؛ فورد التوقيع بخطّ مولانا صاحب الزمان عليه السلام :

«أمّا ما سألت عنه أرشدك الله وثبّتك ، ووقاك من أمر المنكرين لي من أهل بيتنا وبني عمّنا .

فاعلم : أنّه ليس بين الله عزّ وجلّ وبين أحد قرابة ، ومن أنكرني فليس منّي وسبيله سبيل ابن نوح .

وأمّا سبيل ابن عمّي جعفر وولده ، فسبيل إخوة يوسف عليه السلام .

وأمّا الفقاع فشربه حرام ولا بأس بالشلماب[1] .

وأمّا أموالكم فلا نقبلها إلّا لتطهّروا ؛ فمن شاء فليصل ومن شاء فليقطع ، وما آتانا الله خير ممّا آتاكم .

وأمّا ظهور الفرج فإنّه إلى الله ، وكذب الوقّاتون .

وأمّا قول من زعم أنّ الحسين لم يقتل ، فكفر وتكذيب وضلال .

وأمّا الحوادث الواقعة فارجعوا فيها إلى رواة حديثنا ، فإنّهم حجّتي عليكم وأنا حجّة الله .

وأمّا محمّد بن عثمان العمري ، فرضي الله عنه وعن أبيه من قبل ، فإنّه ثقتي وكتابه كتابي .

وأمّا محمّد بن علي بن مهزيار الأهوازي ، فسيصلح الله قلبه ، ويزيل عنه شكّه .

وأمّا ما وصلتنا به ، فلا قبول عندنا إلّا لما طاب وطهر .

وثمن المغنّية حرام .

وأمّا محمّد بن شاذان بن نعيم ، فإنّه رجل من شيعتنا أهل البيت .

وأمّا أبوالخطّاب محمّد بن أبي زينب الأجدع ، ملعون وأصحابه ملعونون ؛ فلا تجالس أهل

أعدائي» .

وروي أنّه حفر لنفسه قبراً وسوّاه بالساج ونقّش فيه آيات من القرآن وأسماء الأئمّة عليهم السلام على حواشيه ، قيل : سئل عن ذلك ، فقال : للنّاس أسباب .

وكان في كلّ يوم ينزل في قبره ويقرأ جزءاً من القرآن ثمّ يصعد» .

قال العلّامة في القسم الأوّل من الخلاصة ص١٤٩ ، ثمّ سئل بعد ذلك فقال : قد أمرت أن أجمع أمري . فمات بعد شهرين من ذلك في جمادى الأولى سنة خمس وثلاثمائة ، وقيل : سنة أربع وثلاثمائة ... وقال عند موته : أمرت أن أُوصي إلى أبي القاسم الحسين بن روح وأوصى إليه ...» وقبره ببغداد مشيّد ويعرف بـ«الشيخ الخلاني» .

(١) الشَلْماب ـ بفتح أوّله وسكون ثانيه ـ : شربة تتّخذ من مطبوخ الشلجم ، وربّما يطلق على مائه . إنّ الشلماب شراب يتّخذ من الشيلم وهو حبّ شبيه بالشعير ، وفيه تخدير نظير البنج ، وإن اتّفق وقوعه في الحنطة وعمل منه الخبز ، أورث السدر والدوار والنوم ، ويكثر نباته في مزارع الحنطة ويتوهّم حرمته ، لمكان التخدير بالإسكار عند العوام .

مقالتهم ، فإنّي منهم بريء ، وآبائي عليهم السلام منهم براء .

وأمّا المتلبّسون بأموالنا ؛ فمن استحلّ منها شيئاً فأكله فإنّما يأكل النيران .

وأمّاالخمس فقد أُبيح لشيعتنا وجعلوا منه في حلّ إلى وقت ظهور أمرنا لتطيب ولادتهم ، ولا تخبث.

وأمّا ندامة قوم شكّوا في دين الله على ما وصلونا به ، فقد أقلنا من استقال فلا حاجة إلى صلة الشاكّين.

وأمّا علّة ما وقع من الغيبة ، فإنّ الله عزّ وجلّ يقول : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَسْأَلُوا عَنْ أَشْيَاءَ إِنْ تُبْدَ لَكُمْ تَسُؤْكُمْ ﴾[1] إنّه لم يكن أحد من آبائي إلّا وقد وقعت في عنقه بيعة لطاغية زمانه ، وإنّي أخرج حين أخرج ولا بيعة لأحد من الطواغيت في عنقي .

وأمّا وجه الإنتفاع بي في غيبتي ، فكالإنتفاع بالشمس إذا غيّبها عن الأبصار السحاب ، وإنّي لأمان لأهل الأرض كما أنّ النّجوم أمان لأهل السّماء ، فأغلقوا أبواب السؤال عمّا لا يعنيكم ، ولا تتكلّفوا علم ما قد كفيتم ، وأكثروا الدعاء بتعجيل الفرج ، فإنّ ذلك فرجكم ، والسلام عليك يا إسحاق وعلى من اتّبع الهدى» .

أبوالحسن عليّ بن أحمد الدلال القمي[2] قال : اختلفت جماعة من الشيعة في أنّ الله عزّ وجلّ فوّض إلى الأئمّة صلوات الله عليهم أن يخلقوا ويرزقوا ، فقال قوم : هذا محال لا يجوز على الله تعالى ، لأنّ الأجسام لا يقدر على خلقها غير الله عزّ وجلّ ، وقال آخرون : بل الله أقدر الأئمّة على ذلك وفوّض إليهم فخلقوا ورزقوا ، وتنازعوا في ذلك نزاعاً شديداً ، فقال قائل : ما بالكم لا ترجعون إلى أبي جعفر محمّد بن عثمان فتسألوه عن ذلك ليوضّح لكم الحقّ فيه ، فإنّه الطريق إلى صاحب الأمر ، فرضيت الجماعة بأبي جعفر وسلّمت وأجابت إلى قوله ، فكتبوا المسألة وأنفذوها إليه ، فخرج إليهم من جهته توقيع ، نسخته :

«إنّ الله تعالى هو الّذي خلق الأجسام ، وقسّم الأرزاق لأنّه ليس بجسم ولا حالّ في جسم ، ليس كمثله شيء ، وهو السميع البصير .

وأمّا الأئمّة عليهم السلام ، فإنّهم يسألون الله تعالى فيخلق ، ويسألونه فيرزق ؛ إيجاباً لمسألتهم ، وإعظاماً لحقّهم» .

---

(١) المائدة ١٠٤.

(٢) ج٣ من رجال المامقاني ص١١ باب الكنى : أبوالحسن الدلال ليس له ذكر في كَلمات أصحابنا الرجاليين ، وإنّما الّذي عثرنا عليه رواية الكليني رحمه الله في باب تربيع القبر من الكافي عن أحمد بن محمّد بن أبي نصر عن إسماعيل عنه عن يحيى بن أبي عبدالله .

عن أبي جعفر محمّد بن عليّ بن الحسين بن بابويه القمّي رحمه الله[1] قال: حدّثني محمّد بن إبراهيم بن إسحاق الطالقاني[2] قال: كنت عند الشيخ أبي القاسم الحسين بن روح رضي الله عنه[3] مع جماعة منهم

(١) قال الشيخ عبّاس القمي في ج ١ من الكنى والألقاب ص ٢١٢: «أبو جعفر محمّد بن علي بن الحسين بن موسى بن بابويه القمي، شيخ الحفظة، ووجه الطائفة المستحفظة، رئيس المحدّثين، والصدوق فيما يرويه عن الأئمّة الطاهرين عليهم السلام، ولد بدعاء مولانا صاحب الأمر عليه السلام، ونال بذلك عظيم الفضل والفخر، فعمّت بركته الأنام، وبقيت آثاره ومصنّفاته مدى الأيّام، له نحو من ثلاثمائة مصنّف.

قال ابن إدريس في حقّه رحمه الله: إنّه كان ثقة، جليل القدر، بصيراً بالأخبار، ناقداً للآثار، عالماً بالرجال، وهو أستاذ المفيد محمّد بن محمّد بن النعمان رحمه الله.

وقال العلّامة في ترجمته: شيخنا وفقيهنا، ووجه الطائفة بخراسان، ورد بغداد سنة ٣٥٥، وسمع منه شيوخ الطائفة وهو حدث السن، كان جليلاً، حافظاً للأحاديث، بصيراً بالرجال، ناقداً للأخبار، لم ير في القمّيّين مثله في حفظه وكثرة علمه، له نحو من ثلاثمائة مصنَّف، ذكرنا أكثرها في كتابنا الكبير، مات رحمه الله بالري سنة إحدى وثمانين وثلاثمائة، إنتهى.

وقال الأُستاذ الأكبر في التعليقة: نقل المشايخ معنعناً عن شيخنا البهائي وقد سُئل عنه فعدّله ووثّقه وأثنى عليه، وقال: سئلت قديماً عن زكريّا بن آدم والصدوق محمّد بن علي بن بابويه أيّهما أفضل وأجلّ مرتبة، فقلت: زكريّا ابن آدم لتوافر الأخبار بمدحه، فرأيت شيخنا الصدوق رحمه الله عاتباً عَلَيّ، وقال: من أين ظهر لك فضل بن زكريّا بن آدم عَلَيّ؟ وأعرض عنّي، كذا في حاشية المحقق البحراني على بلغته.

وقبره رحمه الله في بلدة الري، قرب عبدالعظيم الحسني، مزار معروف في بقعة عالية، في روضة مونقة، وله خبر مستفيض مشهور ذكره (ضا) وعدّه من كراماته، وأطراف قبره قبور كثيرة من أهل الفضل والإيمان».

(٢) في ج ٢ من جامع الرواة ص ٤٣ محمّد بن إبراهيم بن إسحاق الطالقاني رحمه الله عنه أبو جعفر بن بابويه مترضّياً وهو عن الحسين بن روح قدّس الله روحه ما ينبئ عن حسن حاله واعتقاده (كتاب ميرزا محمّد).

(٣) الحسين بن روح: أحد النوّاب الأربعة، في الجزء الأوّل من سفينة البحار ص ٢٧١: «أخبرنا جماعة عن أبي محمّد هارون بن موسى قال: أخبرني أبو علي محمّد بن همام رضي الله عنه وأرضاه أنّ أباجعفر محمّد بن عثمان العمري قدّس الله روحه، جمعنا قبل موته وكنّا وجوه الشيعة وشيوخها، فقال لنا: إن حدث الموت فالأمر إلى أبي القاسم الحسين بن روح النوبختي، فقد أُمرت أن أجعله في موضعي بعدي، فارجعوا إليه وعوّلوا في أُموركم عليه.

وفي رواية أُخرى ما حاصلها أنّه لمّا اشتدّت حال أبي جعفر رحمه الله اجتمع جماعة من وجوه الشيعة فدخلوا عليه فقالوا له: إن حدث أمر فمن يكون مكانك؟

فقال لهم: هذا أبوالقاسم الحسين بن روح بن أبي بحر النوبختي القائم مقامي والسفير بينكم وبين صاحب الأمر، والوكيل والثقة الأمين؛ فارجعوا إليه في أُموركم وعوّلوا عليه في مهمّاتكم، فبذلك أُمرت وقد بلّغت.

وعن أمّ كلثوم بنت أبي جعفر رضي الله عنه قالت: كان الشيخ أبوالقاسم الحسين بن روح رحمه الله وكيلاً لأبي جعفر ـ أي: محمّد ابن عثمان ـ سنين كثيرة ينظر له في أملاكه، ويلقي بأسراره الرؤساء من الشيعة، وكان خصّيصاً به، حتّى أنّه كان يحدّثه ما يجري بينه وبين جواريه لقربه منه وأُنسه، وكان يدفع إليه في كلّ شهر ثلاثين ديناراً رزقاً له غير ما يصل

عليّ بن عيسى القصري ، فقام إليه رجل فقال له : اُريد أن أسألك عن شيء .

فقال له : سل عمّا بدا لك .

فقال الرجل : أخبرني عن الحسين بن علي عليهما السلام أهو وليّ الله ؟

قال : نعم .

قال : أخبرني عن قاتله لعنه الله أهو عدوّ الله ؟

قال : نعم .

قال الرّجل : فهل يجوز أن يسلّط الله عزّ وجلّ عدوّه على وليّه ؟

فقال أبوالقاسم قدّس الله روحه : إفهم عنّي ما أقول لك ! إعلم أنّ الله تعالى لا يخاطب النّاس بمشاهدة العيان ، ولا يشافههم بالكلام ، ولكنّه جلّت عظمته يبعث إليهم من أجناسهم وأصنافهم بشراً مثلهم ، ولو بعث إليهم رسلاً من غير صنفهم وصورهم لنفروا عنهم ، ولم يقبلوا منهم ، فلمّا جاؤوهم وكانوا من جنسهم يأكلون الطعام ويمشون في الأسواق ، قالوا لهم : أنتم بشر مثلنا لا نقبل منكم حتّى تأتونا بشيء نعجز من أن نأتي بمثله ، فنعلم أنّكم مخصوصون دوننا بما لا نقدر عليه ، فجعل الله عزّ وجلّ لهم المعجزات الّتي يعجز الخلق عنها :

فمنهم : من جاء بالطوفان بعد الإعذار والإنذار ؛ فغرق جميع من طغى وتمرّد .

ومنهم : من اُلقي في النّار فكانت عليه برداً وسلاماً .

ومنهم : من أخرج من الحجر الصّلب الناقة ، وأجرى من ضرعها لبناً .

ومنهم : من فلق له البحر وفجّر له من العيون ، وجعل له العصا اليابسة ثعباناً تلقف ما يأفكون .

ومنهم : من أبرأ الأكمه والأبرص وأحيى الموتى بإذن الله ، وأنبأهم بما يأكلون وما يدّخرون في بيوتهم .

ومنهم : من انشقّ له القمر وكلّمته البهائم ، مثل البعير والذئب وغير ذلك .

فلمّا أتوا بمثل ذلك وعجز الخلق من اُممهم عن أن يأتوا بمثله ، كان من تقدير الله جلّ جلاله ولطفه بعباده وحكمته أن جعل أنبياءه مع هذه المعجزات في حال غالبين واُخرى مغلوبين ، وفي حال

➲ إليه من الوزراء والرؤساء من الشيعة مثل آل الفرات وغيرهم ، ولوضعه وجلالة محلّه عندهم ، ونشر فضله ودينه وما كان يحتمله من هذا الأمر ، فتمهّدت له الحال في حياة أبي إلى أن انتهت الوصيّة إليه بالنصّ عليه ، فلم يختلف في أمره ولم يشكّ فيه أحد إلّا جاهل بأمر أبي ... وكان أبو سهل النوبختي يقول في حقّه : إنّه لو كان الحجّة تحت ذيله وقرّض بالمقاريض ماكشف الذيل ... مات رحمه الله في شعبان سنة ٣٢٦ وقبره في بغداد ..» .

قاهرين وأُخرى مقهورين ، ولو جعلهم الله في جميع أحوالهم غالبين وقاهرين ، ولم يبتلهم ولم يمتحنهم لاتّخذهم النّاس آلهة من دون الله ﷺ ، ولما عرف فضل صبرهم على البلاء والمحن والإختيار ، ولكنّه جعل أحوالهم في ذلك كأحوال غيرهم ، ليكونوا في حال المحنة والبلوى صابرين ، وفي حال العافية والظهور على الأعداء شاكرين ، ويكونوا في جميع أحوالهم متواضعين غير شامخين ولا متجبّرين ، وليعلم العباد أنّ لهم عليه السلام إلهاً هو خالقهم ومدبّرهم فيعبدوه ويطيعوا رسله ، وتكون حجّة الله ثابتة على من تجاوز الحدّ فيهم ، وادّعى لهم الربوبيّة ، أو عاند وخالف ، وعصى وجحد ،بما أتت به الأنبياء والرسل ، وليهلك من هلك عن بيّنة ، ويحيى من حيّ عن بيّنة».

قال محمّد بن إبراهيم بن إسحاق رحمه الله : فعدت إلى الشيخ أبي القاسم الحسين بن روح رحمه الله في الغد وأنا أقول في نفسي : أتراه ذكر لنا ما ذكر يوم أمس من عند نفسه ؟

فابتدأني وقال : يا محمّد بن إبراهيم ! لئن أخرّ من السماء فتختطفني الطير أو تهوي بي الريح في مكان سحيق أحبّ إليّ من أن أقول في دين الله برأيي ، ومن عند نفسي ، بل ذلك عن الأصل ، ومسموع من الحجّة صلوات الله عليه وسلامه .

وممّا خرج عن صاحب الزمان صلوات الله عليه ، ردّاً على الغلاة من التوقيع جواباً لكتاب كُتِب إليه على يدي محمّد بن علي بن هلال الكرخي :

«يا محمّد بن علي ، تعالى الله وجلّ عمّا يصفون ، سبحانه وبحمده ، ليس نحن شركاؤه في علمه ، ولا في قدرته ، بل لا يعلم الغيب غيره ،كما قال في محكم كتابه تبارك أسماؤه : ﴿ قُل لاَّ يَعْلَمُ مَن فِي ٱلسَّمَاوَاتِ وَٱلأَرْضِ ٱلْغَيْبَ إِلَّا ٱللهُ ﴾(١) ، وأنا وجميع آبائي من الأوّلين : آدم ونوح وإبراهيم وموسى ، وغيرهم من النبيّين ، ومن الآخرين محمّد رسول الله ، وعليّ بن أبي طالب ، وغيرهم ممّن مضى من الأئمّة صلوات الله عليهم أجمعين ، إلى مبلغ أيّامي ومنتهى عصري ، عبيد الله ﷻ ، يقول الله ﷻ : ﴿ مَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكاً وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ ٱلْقِيَامَةِ أَعْمَىٰ * قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَىٰ وَقَدْ كُنتُ بَصِيراً * قَالَ كَذٰلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيتَهَا وَكَذٰلِكَ ٱلْيَوْمَ تُنسَىٰ ﴾(٢) .

يا محمّد بن علي قد آذانا جهلاء الشيعة وحمقاؤهم ، ومن دينه جناح البعوضة أرجح منه .

فأُشهد الله الّذي لا إله إلّا هو وكفى به شهيداً ، ورسوله محمّد صلّى الله عليه وآله وملائكته

---

(١) النمل ٦٥.

(٢) طه ١٢٤_١٢٦.

وأنبياءه وأولياءه عليهم السلام ، وأُشهدك ، وأُشهد كلّ من سمع كتابي هذا ، أنّي بريء إلى الله وإلى رسوله ممّن يقول إنّا نعلم الغيب ، ونشاركه في ملكه ، أو يحلّنا محلّاً سوى المحلّ الّذي رضيه الله لنا وخلقنا له ، أو يتعدّى بنا عمّا قد فسّرته لك وبيّنته في صدر كتابي .

وأُشهدكم أنّ كلّ من نبرأ منه فإنّ الله يبرأ منه وملائكته ورسله وأولياءه .

وجعلت هذا التوقيع الّذي في هذا الكتاب أمانة في عنقك وعنق من سمعه أن لا يكتمه لأحد من مواليّ وشيعتي حتّى يظهر على هذا التوقيع الكلّ من الموالي لعلّ الله عزّ وجلّ يتلافاهم فيرجعون إلى دين الله الحق ، وينتهون عمّا لا يعلمون منتهى أمره ، ولا يبلغ منتهاه ، فكلّ من فهم كتابي ولا يرجع إلى ما قد أمرته ونهيته ، فقد حلّت عليه اللعنة من الله وممّن ذكرت من عباده الصّالحين» .

روى أصحابنا : أنّ أبا محمّد الحسن السريعي كان من أصحاب أبي الحسن عليّ بن محمّد عليهما السلام ، وهو أوّل من ادّعى مقاماً لم يجعله الله فيه من قبل صاحب الزمان عليه السلام ، وكذب على الله وحججه عليهم السلام ، ونسب إليهم ما لا يليق بهم وما هم منه براء ، ثمّ ظهر منه القول بالكفر والإلحاد ، وكذلك كان محمّد بن نصير النميري من أصحاب أبي محمّد الحسن عليه السلام ، فلمّا توفّي ادّعى البابيّة[1] لصاحب الزمان ، ففضحه الله تعالى بما ظهر منه من الإلحاد والغلو والتناسخ ، وكان يدّعي أنّه رسول نبيّ أرسله عليّ بن محمّد عليه السلام ، ويقول بالإباحة للمحارم .

وكان أيضاً من جملة الغلاة أحمد بن هلال الكرخي ، وقد كان من قبل في عدد أصحاب أبي محمّد عليه السلام ، ثمّ تغير عمّا كان عليه ، وأنكر بابيّة أبي جعفر محمّد بن عثمان ، فخرج التوقيع بلعنه من قبل صاحب الأمر والزمان بالبراءة ، في جملة من لعن وتبرّء منه .

وكذا كان أبو طاهر محمّد بن علي بن بلال ، والحسين بن منصور الحلّاج ، ومحمّد بن علي الشلمغاني المعروف بابن أبي العزاقر ، لعنهم الله ، فخرج التوقيع بلعنهم والبراءة منهم جميعاً ، على يد الشيخ أبي القاسم الحسين بن روح رضي الله عنه ونسخته :

«عرّف أطال الله بقاك ! وعرّفك الله الخير كلّه وختم به عملك ، من تثق بدينه وتسكن إلى نيّته من إخواننا أدام الله سعادتهم بأنّ محمّد بن علي المعروف بالشلمغاني عجّل الله له النقمة ولا أمهله ، قد ارتدّ عن الإسلام وفارقه ، وألحد في دين الله وادّعى ما كفر معه بالخالق جلّ وتعلى ، وافترى كذباً وزوراً ، وقال بهتاناً وإثماً عظيماً ، كذب العادلون بالله وضلّوا ضلالاً بعيداً ، وخسروا خسراناً

---

(١) وفي نسخ أُخرى : «النيابة» .

مبيناً . وإنّا برئنا إلى الله تعالى وإلى رسوله صلوات الله عليه وسلامه ورحمته وبركاته ، منه ولعنّاه عليه لعاين الله تترى ، في الظاهر منّا والباطن ، في السرّ والجهر ، وفي كلّ وقت وعلى كلّ حال ، وعلى كلّ من شايعه وبلغه هذا القول منّا فأقام على تولّاه بعده .

أعلمهم تولّاك الله ! أنّنا في التوقّي والمحاذرة منه على مثل ماكنّا عليه ممّن تقدّمه من نظرائه ، من : السريعي ، والنميري ، والهلالي ، والبلالي ، وغيرهم ، وعادة الله جلّ ثناؤه مع ذلك قبله وبعده عندنا جميلة ، وبه نثق وإيّاه نستعين وهو حسبنا في كلّ أُمورنا ونعم الوكيل (١) .

---

(١) قال الشيخ الطوسي رحمه الله في كتاب الغيبة ص ٢٤٤ : «ذكر المذمومين الّذين ادّعوا البابيّة لعنهم الله :

أوّلهم المعروف بالسريعي : أخبرنا جماعة عن أبي محمّد التلعكبري ، عن أبي علي محمّد بن همام قال : كان السريعي يكنّى بـ«أبي محمّد» (قال) هارون : وأظنّ اسمه كان «الحسن» ، وكان من أصحاب أبي الحسن عليّ بن محمّد ثمّ الحسن بن علي بعده عليهما السلام . وهو أوّل من ادّعى مقاماً لم يجعله الله فيه ، ولم يكن أهلاً له ، وكذب على الله وعلى حججه عليهم السلام ، ونسب إليهم ما لا يليق بهم ، وما هم منه براء ، فلعنته الشيعة وتبرّأت منه ، وخرج توقيع الإمام عليه السلام بلعنه والبراءة منه . (قال) هارون : ثمّ ظهر منه القول بالكفر والإلحاد . (قال) : وكان هؤلاء المدّعين إنّما يكون كذبهم أوّلاً على الإمام وأنّهم وكلاؤه ، فيدعون الضعفة بهذا القول إلى موالاتهم ، ثمّ يترقّى الأمر بهم إلى قول الحلاجيّة كما اشتهر من أبي جعفر الشلغماني ونظرائه عليهم جميعاً لعائن الله تترى .

(ومنهم :) محمّد بن نصير النميري : (قال ابن نوح) : أخبرنا أبو نصر هبةالله أبو محمّد (قال) : كان محمّد بن نصير النميري من أصحاب أبي محمّد الحسن بن علي عليهما السلام ، فلمّا توفّي أبو محمّد ادّعى مقام أبي جعفر محمّد بن عثمان أنّه صاحب إمام الزمان ، وادّعى له البابيّة ، وفضحه الله تعالى بما ظهر منه من الإلحاد والجهل ، ولعن أبي جعفر محمّد بن عثمان له وتبريه منه ، واحتجاجه عنه ، وادّعى ذلك الأمر بعد السريعي . (قال أبوطالب الأنباري) : لمّا ظهر محمّد بن نصير بما ظهر ، لعنه أبو جعفر رضي الله عنه وتبرّأ منه ، فبلغه ذلك فقصد أباجعفر رضي الله عنه ليعطف بقلبه عليه أو يعتذر إليه ، فلم يأن له وحجبه وردّه خائباً . (وقال) سعد بن عبدالله : كان محمّد بن نصير النميري يدّعي أنّه رسول نبيّ وأنّ عليّ بن محمّد عليه السلام أرسله ، وكان يقول بالتناسخ ، ويغلو في أبي الحسن عليه السلام ويقول فيه بالربوبيّة ، ويقول بالإباحة للمحارم ، وتحليل نكاح الرجال بعضهم بعضاً في أدبارهم ، ويزعم أنّ ذلك من التواضع والإخبات والتذلّل في المفعول به ، وأنّه من الفاعل إحدى الشهوات والطيّبات ، وأنّ الله عزّ وجلّ لا يحرّم شيئاً من ذلك ، وكان محمّد بن موسى بن الحسن بن الفرات يقوّي أسبابه ويعضده . (أخبرني) بذلك عن محمّد بن نصير أبو زكريّا يحيى بن عبدالرّحمن بن خاقان : أنّه رآه عياناً وغلام على ظهره . (قال) : فلقيته فعاتبته على ذلك فقال : إنّ هذا من اللذّات ، وهو من التواضع لله ، وترك التجبّر . (قال) سعد : فلمّا اعتلّ محمّد بن نصير العلّة الّتي توفّي فيها ، قيل له ـ وهو مثقل اللسان ـ : لمن هذا الأمر من بعدك ؟ فقال ـ بلسان ضعيف ملجلج ـ : أحمد فلم يدروا من هو ، فافترقوا بعده ثلاث فرق : قالت فرقة : إنّه أحمد ابنه ، وفرقة قالت : هو أحمد بن محمّد بن موسى بن الفرات ، وفرقة قالت : أنّه أحمد بن أبي الحسين بن بشر بن يزيد ؛ فتفرّقوا فلا يرجعون إلى شيء .

(ومنهم :) أحمد بن هلال الكرخي ، قال أبو علي بن همام : كان أحمد بن هلال من أصحاب أبي محمّد عليه السلام ، ⬅

فاجتمعت الشيعة على وكالة محمّد بن عثمان رضي الله عنه بنصّ الحسن عليه السلام في حياته، ولمّا مضى الحسن عليه السلام قالت الشيعة الجماعة له: ألا تقبل أمر أبي جعفر محمّد بن عثمان وترجع إليه وقد نصّ عليه الإمام المفترض الطاعة؟ فقال لهم: لم أسمعه ينصّ عليه بالوكالة وليس أنكر أباه - أي: عثمان بن سعيد - فأمّا إن أقطع أنّ أباجعفر وكيل صاحب الزمان فلا أجسر عليه. فقالوا: قد سمعه غيرك. فقال: أنتم وما سمعتم. ووقف على أبي جعفر فلعنوه وتبرّؤوا منه، ثمّ ظهر التوقيع على يد أبي القاسم بن روح بلعنه والبراءة منه في جملة من لعن.

(ومنهم:) أبو طاهر محمّد بن علي بن بلال، وقصّته معروفة فيما جرى بينه وبين أبي جعفر محمّد بن عثمان العمري - نضّر الله وجهه - وتمسّكه بالأموال الّتي كانت عنده للإمام، وامتناعه من تسليمها، وادّعائه أنّه الوكيل، حتّى تبرّأت الجماعة منه ولعنوه، وخرج فيه من صاحب الزمان ما هو معروف. (وحكى) أبو غالب الرازي قال: حدّثني أبوالحسن محمّد بن محمّد بن يحيى المعاذي قال: كان رجل من أصحابنا قد انضوى إلى أبي طاهر بن بلال بعد ما وقعت الفرقة، ثمّ إنّه رجع عن ذلك وصار في جملتنا، فسألناه عن السبب؟ قال: كنت عند أبي طاهر ابن بلال يوماً وعنده أخوه أبوالطيب وابن حرز وجماعة من أصحابه إذ دخل الغلام فقال: أبو جعفر على الباب، ففزعت الجماعة لذلك وأنكرته للحال الّتي كانت جرت، وقال: يدخل. فدخل أبوجعفر رضي الله عنه فقام له أبو طاهر والجماعة وجلس في صدر المجلس، وجلس أبو طاهر كالجالس بين يديه، إلى أن سكتوا، ثمّ قال: يا أباطاهر نشدتك بالله ألم يأمرك صاحب الزمان بحمل ما عندك من المال إليّ؟ فقال: اللّهمّ نعم. فنهض أبو جعفر رضي الله عنه منصرفاً، ووقعت على القوم سكتة، فلمّا تجلّت عنهم قال له أخوه أبوالطيب: من أين رأيت صاحب الزمان؟ فقال أبوطاهر: أدخلني أبوجعفر رضي الله عنه إلى بعض دوره فأشرف عليّ من علوّ داره فأمرني بحمل من عندي من المال إليه. فقال له أبوالطيب: ومن أين علمت أنّه صاحب الزمان؟ قال: قد وقع عَلَيّ ما الهيبة له، ودخلني من الرعب منه، ما علمت أنّه صاحب الزمان، فكان هذا سبب انقطاعي عنه.

(ومنهم:) الحسين بن منصور الحلّاج، أخبرنا الحسين بن إبراهيم عن أبي العبّاس أحمد بن عليّ بن نوح عن أبي نصر هبةالله بن محمّد الكاتب ابن بنت أُم كلثوم بنت أبي جعفر العمري قال: لمّا أراد الله تعالى أن يكشف أمر الحلّاج، ويظهر فضيحته ويخزيه، وقع له أنّ أباسهل بن إسماعيل بن علي النوبختي رضي الله عنه ممّن تجوّز عليه مخرقته، ووجّه إليه يستدعيه وظنّ أنّ أباسهل كغيره من الضعفاء في هذا الأمر بفرط جهله وقدر أن يستجرّه إليه فيتمخرق به، ويتسوّف بانقياده على غيره، فيستتب إليه ما قصد إليه من الحيلة والبهرجة على الضعفة لقدر أبي سهل في أنفس النّاس ومحلّه من العلم والأدب أيضاً عندهم. ويقول له في مراسلته إيّاه: إنّي وكيل صاحب الزمان عليه السلام، وبهذا أوّلاً كان يستجرّ الجهّال ثمّ يعلو منه إلى غيره - وقد أُمرت بمراسلتك وإظهار ما تريده من النصرة لك لتقوّي نفسك، ولا ترتاب بهذا الأمر. فأرسل إليه أبو سهل رضي الله عنه يقول له: إنّي أسألك أمراً يسيراً يخفّ مثله عليك، في جنب ما ظهر على يديك، من الدلائل والبراهين، وهو أنّي رجل أحبّ الجواري وأصبو إليهنّ، ولي منهنّ عدّة أتحظّاهنّ والشيب يبعدني عنهنّ، وأحتاج أن أُخضّبه في كلّ جمعة وأتحمّل منه مشقّة شديدة لأستر عنهنّ ذلك، وإلّا انكشف أمري عندهنّ، فصار القرب بعداً، والوصال هجراً، وأُريد أن تغنيني عن الخضاب وتكفيني مؤنته، وتجعل لحيتي سوداء، فإنّي طوع يديك، وصائر إليك، وقائل بقولك، وداع إلى

➲ مذهبك، مع مالي في ذلك من البصيرة ولك من المعونة. فلمّا سمع ذلك الحلّاج من قوله وجوابه، علم أنّه قد أخطأ في مراسلته، وجهل في الخروج إليه بمذهبه، وأمسك عنه ولم يردّ إليه جواباً، ولم يرسل إليه رسولاً، وصيّره أبوسهل رضي الله عنه أحدوثة وضحكة ويطنّز به (أي: يسخر) عند كلّ أحد، واشتهر أمره عند الكبير والصغير، وكان هذا الأمر سبباً لكشف أمره، وتنفير الجماعة عنه.

(ومنهم:) ابن أبي العزاقر، أخبرني الحسين بن إبراهيم عن أحمد بن نوح عن أبي نصر هبةالله بن محمّد بن أحمد الكاتب ابن بنت أمّ كلثوم بنت أبي جعفر العمري رضي الله عنه (قال): كان أبو جعفر بن أبي العزاقر وجيهاً عند بني بسطام وذلك أنّ الشيخ أباالقاسم رضي الله عنه وأرضاه كان قد جعل له عند النّاس منزلة وجاهاً، فكان عند ارتداده يحكي كلّ كذب وبلاء، وكفر لبني بسطام ويسنده عن الشيخ أبي القاسم، فيقبلونه منه ويأخذونه عنه، حتّى انكشف ذلك لأبي القاسم رضي الله عنه فأنكره وأعظمه، ونهى بني بسطام عن كلامه وأمرهم بلعنه والبراءة منه فلم ينتهوا، وأقاموا على تولّيه وذلك أنّه كان يقول لهم: إنّني أذعت السرّ وقد أخذ عَلَيّ الكتمان فعوقبت بالإبعاد بعد الإختصاص، لأنّ الأمر عظيم لا يحتمله إلّا ملك مقرّب أو نبيٌّ مرسل أو مؤمن ممتحَن، فيؤكّد في نفوسهم عظم الأمر وجلالته، فبلغ ذلك أباالقاسم رضي الله عنه فكتب إلى بني بسطام بلعنه والبراءة منه وممّن تابعه على قوله وأقام على تولّيه، فلمّا وصل إليهم أظهره عليه فبكى بكاءً عظيماً، ثمّ قال: إنّ لهذا القول باطناً عظيماً وهو أنّ اللعنة (الإبعاد) فمعنى قوله لعنه الله أي باعده الله عن العذاب والنّار، والآن قد عرفت منزلتي، ومرّغ خدّيه على التراب وقال: عليكم بالكتمان لهذاالأمر. قالت الكبيرة رضي الله عنها: وقد كنت أخبرت الشيخ أباالقاسم أنّ أمّ أبي جعفر بن بسطام قالت لي يوماً وقد دخلنا إليها فاستقبلتني وأعظمتني وزادت في إعظامي حتّى انكبّت على رجلي تقبّلها فأنكرت ذلك، وقلت لها: مهلاً يا ستّي!! فقالت لي: إنّ الشيخ أباجعفر محمّد بن علي قد كشف لنا السرّ. قالت: فقلت لها: وما السر؟ قالت: قد أخذ علينا كتمانه، وأفزع إن أنا أذعته عوقبت. قالت: وأعطيتها موثقاً أنّي لا أكشفه لأحد، واعتقدت في نفسي الإستثناء بالشيخ رضي الله عنه يعني أباالقاسم الحسين بن روح. قالت: إنّ الشيخ أباجعفر قال لنا: إنّ روح رسول الله صلى الله عليه وآله انتبلت إلى أبيك يعني أباجعفر محمّد بن عثمان رضي الله عنه وروح أميرالمؤمنين عليه السلام انتقلت إلى بدن الشيخ أبي القاسم الحسين بن روح، وروح مولاتنا فاطمة عليها السلام انتقلت إليك فكيف لا أعظّمك يا ستّنا؟! فقلت لها: مهلاً، لا تفعلي فإنّ هذا كذب يا ستّنا! فقالت لي: سرّ عظيم وقد أخذ علينا أنّنا لا نكشف هذا لأحد، فالله الله فيّ لا يحلّ لي العذاب، ويا ستّي لولا أنّك حملتني على كشفه ماكشفته لك ولا لأحد غيرك. قالت الكبيرة أمّ كلثوم رضي الله عنها: فلمّا انصرت من عندها دخلت على الشيخ أبي القاسم بن روح رضي الله عنه فأخبرته بالقصّة وكان يثق بي ويركن إلى قولي. فقال لي: يا بنيّة إيّاك أن تمضي إلى هذه المرأة بعد ما جرى منها، ولا تقبلي لها رقعة إن كاتبتك، ولا رسولاً إن أنفذته إليك، ولا تلقيها بعد قولها، فهذا كفر بالله تعالى، وإلحاد قد أحكمه هذا الرجل الملعون في قلوب هؤلاء القوم ليجعله طريقاً إلى أن يقول لهم بأنّ الله تعالى اتّحد به وحلّ فيه كما يقول النّصارى في المسيح عليه السلام، ويعدو إلى قول الحلّاج لعنه الله. قالت: فهجرت بني بسطام، وتركت المضي إليهم، ولم أقبل لهم عذراً، ولا لقيت أمّهم بعدها، وشاع في بني نوبخت الحديث فلم يبق أحد إلّا وتقدّم إليه الشيخ أبوالقاسم وكاتبه بلعن أبي جعفر الشلمغاني والبراءة منه وممّن يتولّاه ورضي بقوله أو كلّمه فضلاً عن موالاته، ثمّ ظهر التوقيع من صاحب ➲

وأمّا الأبواب المرضيّون ، والسفراء الممدوحون في زمان الغيبة :

فأوّلهم : الشيخ الموثوق به أبو عمرو عثمان بن سعيد العمري ، نصبه أوّلاً أبوالحسن عليّ بن محمّد العسكري ، ثمّ ابنه أبو محمّد الحسن ، فتولّى القيام بأُمورهما حال حياتهما عليهما السلام ، ثمّ بعد ذلك قام بأمر صاحب الزمان عليه السلام ، وكان توقيعاته وجواب المسائل تخرج على يديه .

فلمّا مضى لسبيله قام ابنه أبو جعفر محمّد بن عثمان مقامه ، وناب منابه في جميع ذلك .

فلمّا مضى هو ، قام بذلك أبوالقاسم حسين بن روح من بني نوبخت .

فلمّا مضى هو قام مقامه أبوالحسن علي بن محمّد السمري[1] ولم يقم أحد منهم بذلك إلّا بنصّ عليه من قبل صاحب الأمر عليه السلام ، ونصب صاحبه الّذي تقدّم عليه ، ولم تقبل الشيعة قولهم إلّا بعد ظهور آية معجزة تظهر على يدكلّ واحد منهم من قبل صاحب الأمر عليه السلام ، تدلّ على صدق مقالتهم ، وصحّة بابيّتهم .

فلمّا حان سفر أبي الحسن السمري من الدّنيا وقرب أجله قيل له : إلى من توصي ؟

فأخرج إليهم توقيعاً نسخته :

بسم الله الرحمن الرحيم

«يا علي بن محمّد السمري ! أعظم الله أجر إخوانك فيك ، فإنّك ميّت ما بينك وبين ستّة أيّام ،

الزمان عليه السلام بلعن أبي جعفر محمّد بن علي والبراءة منه وممّن تابعه وشايعه ورضي بقوله وأقام على تولّيه بعد المعرفة بهذا التوقيع .

وله حكايات قبيحة ننزّه كتابنا عن ذكرها ، ذكرها ابن نوح وغيره .

(١) قال في الجزء الثاني من سفينة البحار ص٢٤٩: «الشيخ الأجل علي بن محمّد السمري رضي الله عنه ، أبوالحسن ، قام بأمر النيابة بعد الحسين بن روح رضي الله عنه ، ومضى في النصب من شعبان سنة ٣٢٩ تسع وعشرين وثلاثمائة ، وأخرج إلى النّاس توقيعاً قبل وفاته بأيّام :

بسم الله الرّحمن الرّحيم

«يا علي بن محمّد السمري ، أعظم الله أجر إخوانك فيك ، فإنّك ميّت ما بينك وبين ستّة أيّام ؛ فاجمع أمرك ولا توص إلى أحد» الخ .

فلمّاكان اليوم السادس دخلوا عليه وهو يجود بنفسه ، فقيل له : من وصيّك من بعدك ؟

فقال : لله أمرٌ هو بالغه ، وقضى رضي الله عنه ...

روي أنّه قال يوماً لجمع من المشايخ عنده : آجركم الله في علي بن الحسين ـ أي : ابن بابويه ـ فقد قبض في هذه الساعة .

قالوا : فأثبتنا تاريخ الساعة واليوم والشهر ، فلمّاكان بعد سبعة عشر يوماً أو ثمانية عشر ، ورد الخبر أنّه قبض في تلك الساعة الّتي ذكرها الشيخ أبوالحسن رضي الله عنه ... وقبره ببغداد بالقرب من قبر الكليني رحمه الله» .

فاجمع أمرك ولا توص إلى أحد فيقوم مقامك بعد وفاتك ، فقد وقعت الغيبة التامّة ، فلا ظهور إلّا بعد إذن الله تعالى ذكره ، وذلك بعد طول الأمد ، وقسوة القلوب ، وامتلاء الأرض جوراً .

وسيأتي من شيعتي من يدّعي المشاهدة ؛ ألا فمن ادّعى المشاهدة قبل خروج السفياني والصيحة فهو كذّاب مفتر ، ولا حول ولا قوّة إلّا بالله العليّ العظيم» .

فنسخوا هذا التوقيع وخرجوا ، فلمّا كان اليوم السادس ، عادوا إليه وهو يجود بنفسه ، فقال له بعض الناس : من وصيّك من بعدك ؟

فقال : لله أمر هو بالغه ، وقضى ؛ فهذا آخر كلام سمع منه عليه السلام .

ذكر طرفٌ ممّا خرج أيضاً عن صاحب الزمان عليه السلام من المسائل الفقهية وغيرها في التوقيعات على أيدي الأبواب الأربعة وغيرهم

عن محمّد بن يعقوب الكليني ، رفعه إلى الزهري قال : طلبت هذا الأمر طلباً شافياً ، حتّى ذهب لي فيه مال صالح، فوقعت إلى العمري وخدمته ولزمته، فسألته بعد ذلك عن صاحب الزمان عليه السلام ؟

قال : ليس إلى ذلك وصول .

فخضعت له .

فقال لي : بكّر بالغداة .

فوافيت ، فاستقبلني ومعه شاب من أحسن النّاس وجهاً ، وأطيبهم ريحاً ، وفي كمّه شيء كهيئة التجّار ، فلمّا نظرت إليه دنوت من العمري فأومى إليه فعدلت إليه وسألته فأجابني عن كلّ ما أردت . ثمّ مرّ ليدخل الدار ، وكانت من الدور الّتي لا يكترث بها .

فقال العمري : إن أردت أن تسأل فاسأل فإنّك لا تراه بعد ذا .

فذهبت لأسأل فلم يستمع ودخل الدار وماكلّمني بأكثر من أن قال عليه السلام : «ملعون معلون من أخّر العشاء إلى أن تشتبك النجوم ، ملعون ملعون من أخّر الغداة إلى أن تنقضي النجوم» ودخل الدّار .

وعن أبي الحسن محمّد بن جعفر الأسدي قال : كان فيما ورد عَلَيّ من الشيخ أبي جعفر محمّد بن عثمان العمري قدّس الله روحه في جواب مسائل إلى صاحب الزمان عليه السلام :

«أمّا ما سألت عنه من الصلاة عند طلوع الشمس وعند غروبها ، فلئن كان كما يقول النّاس : «إنّ

الشمس تطلع بين قرني شيطان وتغرب بين قرني شيطان» فما أرغم أنف الشيطان شيء أفضل من الصلاة ؛ فصلّها وأرغم الشيطان أنفه .

وأمّا ما سألت عنه من أمر الوقف على ناحيتنا ، وما يجعل لنا ثمّ يحتاج إليه صاحبه ، فكلّ ما لم يسلّم فصاحبه فيه بالخيار ، وكلّ ما سلّم فلا خيار لصاحبه فيه ؛ أحتاج أو لم يحتج ، افتقر إليه أو استغنى عنه .

وأمّا ما سألت عنه من أمر من يستحلّ ما في يده من أموالنا ويتصرّف فيه تصرّفه في ماله من غير أمرنا ؛ فمن فعل ذلك فهو ملعون ، ونحن خصماؤه يوم القيامة ، وقد قال النّبيّ ﷺ : «المستحلّ من عترتي ما حرّم الله ملعون على لساني ولسان كلّ نبيّ مجاب» ؛ فمن ظلمنا كان في جملة الظالمين لنا ، وكانت لعنة الله عليه لقوله ﷻ : ﴿ ألا لَعْنَةُ اللهِ عَلَى الظَّالِمِيْن ﴾[1] .

وأمّا ما سألت عنه عن أمر المولود الّذي نبتت غلفته بعد ما يختتن مرّة أُخرى فإنّه يجب أن يقطع غلفته فإنّ الأرض تضجّ إلى الله تعالى من بول الأغلف أربعين صباحاً .

وأمّا ما سألت عنه من أمر المصلّي والنّار والصّورة والسّراج بين يديه ، هل تجوز صلاته ؟ فإنّ النّاس قد اختلفوا في ذلك قبلك ، فإنّه جائز لمن لم يكن من أولاد عبدة الأصنام والنّيران أن يصلّي والنّار والسراج بين يديه ، ولا يجوز ذلك لمن كان من أولاد عبدة الأوثان والنّيران .

وأمّا ما سألت عنه عن أمر الضياع الّتي لناحيتنا ، هل يجوز القيام بعمارتها وأداء الخراج منها ، وصرف ما يفضل من دخلها إلى الناحية ، احتساباً للأجر ، وتقرّباً إليكم ؟ فلا يحلّ لأحد أن يتصرّف في مال غيره بغير إذنه ، فكيف يحلّ ذلك في مالنا ، من فعل ذلك بغير أمرنا فقد استحلّ منّا ما حرّم عليه ، ومن أكل من أموالنا شيئاً فإنّما يأكل في بطنه ناراً وسيصلى سعيراً .

وأمّا ما سألت عنه من أمر الرّجل الّذي يجعل لناحيتنا ضيعة ، ويسلّمها من قيّم يقوم بها ويعمرها ، ويؤدّي من دخلها خراجها ومؤنتها ، ويجعل ما بقي من الدخل لناحيتنا فإنّ ذلك جائز لمن جعله صاحب الضيعة قيّماً عليها ، لا يجوز ذلك لغيره .

وأمّا ما سألت عنه من الثمار من أموالنا يمرّ به المارّ فيتناول منه ويأكل ، هل يحلّ له ذلك ؟ فإنّه يحلّ له أكله ويحرم عليه حمله» .

وعن أبي الحسين الأسدي أيضاً قال : ورد عَلَيّ توقيع من الشيخ أبي جعفر محمّد بن عثمان

---

(١) هود ١٨.

العمري ـ قدّس الله روحه ـ ابتداء لم يتقدّمه سؤال عنه ، نسخته :

بسم الله الرحمن الرحيم

«لعنة الله والملائكة والنّاس أجمعين ، على من استحلّ من أموالنا درهماً» .

قال أبوالحسين الأسدي رحمه الله : فوقع في قلبي أنّ ذلك فيمن استحلّ من مال الناحية درهماً دون من أكل منه غير مستحل ، وقلت في نفسي : إنّ ذلك في جميع من استحلّ محرّماً ، فأيّ فضل في ذلك للحجّة عليه السلام على غيره ؟!

قال : فوالّذي بعث محمّداً صلى الله عليه وآله بالحقّ بشيراً ، لقد نظرت بعد ذلك في التوقيع فوجدته قد انقلب إلى ماكان في نفسي :

«بسم الله الرّحمن الرّحيم ؛ لعنة الله والملائكة والنّاس أجمعين على من أكل من مالنا درهماً حراماً» .

وقال أبو جعفر بن بابويه في الخبر الّذي روي فيمن أفطر يوماً من شهر رمضان متعمّداً أنّ عليه ثلاث كفّارات ، فإنّي أفتي به فيمن أفطر بجماع محرّم عليه أو بطعام محرّم عليه لوجود ذلك في روايات أبي الحسن الأسدي رحمه الله فيما ورد عليه من الشيخ أبي جعفر محمّد بن عثمان رحمه الله .

وعن عبدالله بن جعفر الحميري[1] **قال** : خرج التوقيق إلى الشيخ أبي جعفر محمّد بن عثمان قدّس الله روحه في التعزية بأبيه رحمه الله في فصل من الكتاب :

«إنّا لله وإنّا إليه راجعون ، تسليماً لأمره ، ورضاً بقضائه ، عاش أبوك سعيداً ومات حميداً ، فرحمه الله وألحقه بأوليائه ومواليه عليهم السلام ، فلم يزل مجتهداً في أمرهم ، ساعياً فيما يقرّبه إلى الله عزّ وجلّ ، نضّر الله وجهه ، وأقاله عثرته» .

وفي فصل آخر : «أجزل الله لك الثواب ، وأحسن لك العزاء ، رزيت ورزينا ، وأوحشك فراقه وأوحشنا ، فسرّه الله في منقلبه ، كما كان من كمال سعادته أن رزقه الله ولداً مثلك يخلفه من بعده ، ويقوم مقامه بأمره ، ويترحّم عليه ، وأقول : الحمد لله ، فإنّ النفس طيّبة بمكانك ، وما جعله الله عزّ وجلّ فيك وعندك ، أعانك الله وقوّاك ، وعضّدك ووفّقك ، وكان لك وليّاً وحافظاً ، وراعياً وكافياً» .

---

(١) قال العلّامة في القسم الأوّل من الخلاصة ص٧٠٦: «عبدالله بن جعفر بن الحسين بن مالك بن جامع الحميري - بالحاء المهملة - أبوالعبّاس القمّي ، شيخ القمّيّين ووجههم ، قدم الكوفة سنة نيّف وتسعين ومائتين ، ثقة ، من أصحاب أبي محمّد الحسن العسكري عليه السلام».

وممّا خرج عن صاحب الزمان صلوات الله عليه من جوابات المسائل الفقهيّة أيضاً : ما سأله عنها محمّد بن عبدالله بن جعفر الحميري ، فيما كتب إليه ، وهو :

بسم الله الرحمن الرحيم

أطال الله بقاك ، وأدام الله عزّك ، وتأييدك ، وسعادتك ، وسلامتك ، وأتمّ نعمته عليك ، وزاد في إحسانه إليك ، وجميل مواهبه لديك ، وفضله عندك وجعلني من السوء فداك ، وقدّمني قبلك النّاس يتنافسون في الدرجات ، فمن قبلتموه كان مقبولاً ، ومن دفعتموه كان وضيعاً ، والخامل من وضعتموه ، ونعوذ بالله من ذلك وببلدنا أيّدك الله جماعة من الوجوه يتساوون ويتنافسون في المنزلة ، وورد أيّدك الله كتابك إلى جماعة منهم في أمر أمرتهم به من معاونة «ص»[(١)] .

وأخرج عليّ بن محمّد بن الحسين بن الملك المعروف بملك بادوكة وهو ختن «ص» رحمه الله من بينهم فاغتمّ بذلك ، وسألني أيّدك الله أن أُعلمك ما ناله من ذلك ، فإن كان من ذنب فاستغفر الله منه ، وإن يكن غير ذلك عرّفته ما تسكن نفسه إليه إن شاء الله .

التوقيع : «لم نكاتب إلّا من كاتبنا» .

وقد عوّدتني أدام الله عزّك من تفضّلك ما أنت أهل أن تخبرني على العادة ، وقبلك أعزّك الله فقهاؤنا قالوا : محتاج إلى أشياء تسأل لي عنها :

روي لنا عن العالم عليه السلام أنّه سُئِل عن إمام قوم صلّى بهم بعض صلاتهم وحدثت عليه حادثة كيف يعمل من خلفه ؟ فقال عليه السلام : «يؤخّر ويتقدّم بعضهم ، ويتمّ صلاتهم ، ويغتسل من مسّه» .

التوقيع : «ليس على من نحّاه إلّا غسل اليد ، وإذا لم يحدث حادثة يقطع الصلاة تمّم صلاته مع القوم» .

وروي عن العالم عليه السلام : «إنّ من مسّ ميّتاً بحرارته غسل يده ، ومن مسّه وقد برد فعليه الغسل» وهذا الإمام في هذه الحالة لا يكون إلّا بحرارة ؛ فالعمل في ذلك على ما هو ؟ ولعلّه ينحّيه بثيابه ولا يمسّه ، فكيف يجب عليه الغسل ؟

التوقيع : إذا مسّه على هذه الحال لم يكن عليه إلّا غسل يده» .

وعن صلاة جعفر : إذا سها في التسبيح في قيام أو قعود ، أو ركوع أو سجود ، وذكره في حالة

---

(١) قال العلامة المجلسي رحمه الله في بحار الأنوار ١٥٤/٥٣ : وعبّر عن المعان برمز (ص) للمصلحة ، وحاصل جوابه عليه السلام : أنّ هؤلاء كاتبوني وسألوني فأجبتهم ، وهو لم يكاتبني من بينهم ، فلذا أدخله فيهم وليس ذلك من تقصير وذنب .

أُخرى قد صار فيها من هذه الصلاة ، هل يعيد ما فاته من ذلك التسبيح في الحالة الّتي ذكرها أم يتجاوز في صلاته ؟

التوقيع :إذا سها في حالة من ذلك ثمّ ذكر في حالة أُخرى ، قضى ما فاته في الحالة الّتي ذكره» .

وعن المرأة : يموت زوجها ، يجوز أن تخرج في جنازته أم لا ؟

التوقيع : «تخرج في جنازته» .

وهل يجوز لها في عدّتها أن تزور قبر زوجها أم لا ؟

التوقيع : «تزور قبر زوجها ولا تبيت عن بيتها» .

وهل يجوز لها أن تخرج في قضاء حقّ يلزمها ، أم لا تبرح من بيتها وهي في عدّتها ؟

التوقيع : «إذا كان حقّ خرجت فيه وقضته ، وإن كانت لها حاجة ولم يكن لها من ينظر فيها خرجت بها حتّى تقضيها ، ولا تبيت إلّا في بيتها» .

وروي في ثواب «القرآن» في الفرائض وغيرها أنّ العالم عليه السلام قال : «عجباً لمن لم يقرأ في صلاته ﴿ إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ ﴾ كيف تقبل صلاته» ؟! وروي : «ما زكت صلاة من لم يقرأ ﴿ قُلْ هُوَ اللهُ أحد ﴾» . وروي : «إنّ من قرأ في فرائضه «الهمزة» أُعطي من الثواب قدر الدنيا» ؛ فهل يجوز أن يقرأ «الهمزة» ويدع هذه السور الّتي ذكرناها ، مع ما قد روي أنّه لا تقبل صلاة ولا تزكوها إلّا بهما ؟

التوقيع : «الثواب في السور على ما قد روي ، وإذا ترك سورة ممّا فيها الثواب وقرأ «قل هو الله أحد ، وإنّا أنزلناه» لفضلهما أُعطي ثواب ما قرأ ، وثواب السورة التي ترك ، ويجوز أن يقرأ غير هاتين السورتين وتكون صلاته تامّة ، ولكن يكون قد ترك الفضل» .

وعن وداع شهر رمضان : متى يكون ؟ فقد اختلف فيه أصحابنا ، فبعضهم يقول : يقرأ في آخر ليلة منه ، وبعضهم يقول : هو في آخر يوم منه إذا رأى هلال شوّال ؟

التوقيع : «العمل في شهر رمضان في لياليه ، والوداع يقع في آخر ليلة منه ، فإذا خاف أن ينقص الشهر جعله في ليلتين» .

وعن قول الله عزّ وجلّ : ﴿ إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ﴾ أرسول الله صلّى الله عليه وآله المعني به ، ﴿ ذِي قُوَّةٍ عِنْدَ ذِي الْعَرْشِ مَكِينٍ ﴾ ما هذه القوّة ؟! ﴿ مُطَاعٍ ثَمَّ أَمِينٍ ﴾[1] ما هذه الطاعة ؟ وأين هي ؟

---

(١) التكوير ٢٠ ـ ٢٣.

ما خرج لهذه المسألة جواب .

فرأيك أدام الله عزّك بالتفضّل عَلَيّ بمسألة من تثق به من الفقهاء عن هذه المسائل فأجبني عنها منعماً مع ما تشرحه لي من أمر عليّ بن محمّد بن الحسين بن الملك المقدّم ذكره بما يسكن إليه ، ويعتدّ بنعمة الله عنده ، وتفضّل عَلَيّ بدعاء جامع لي ولإخواني في الدّنيا والآخرة فعلت مثاباً إن شاء الله .

التوقيع : جمع الله لك ولإخوانك خير الدّنيا والآخرة .

كتاب آخر **لمحمّد بن عبدالله الحميري**[1] **أيضاً إليه عليه السلام في مثل ذلك** :

فرأيك أدام الله عزّك في تأمّل رقعتي والتفضّل بما أسأل من ذلك لأُضيفه إلى ساير أياديك عندي ومنّتك عَلَيّ ، واحتجت أدام الله عزّك أن يسألني بعض الفقهاء عن المصلّي إذا قام من التشهّد الأوّل إلى الركعة الثالثة هل يجب عليه أن يكبّر ؟ فإنّ بعض أصحابنا قال : لا يجب عليه التكبير ، ويجزيه أن يقول بحول الله وقوّته أقوم وأقعد ؟

الجواب : «إنّ فيه حديثين : أمّا أحدهما : فإنّه إذا انتقل من حالة إلى حالة أُخرى فعليه التكبير . وأمّا الآخر : فإنّه روي أنّه إذا رفع رأسه من السجدة الثانية فكبّر ثمّ جلس ثمّ قام فليس عليه في القيام بعد القعود تكبير ، وكذلك التشهد الأوّل يجري هذا المجرى ، وبأيّهما أخذت من جهة التسليم كان صواباً» .

وعن الفص الخماهن[2] : هل يجوز فيه الصلاة إذا كان في إصبعه ؟

الجواب : «فيه كراهية أن يصلّي فيه ، وفيه أيضاً إطلاق ، والعمل على الكراهة» .

وعن رجل اشترى هدياً لرجل غايب عنه ، وسأله أن ينحر عنه هدياً بمنى ، فلمّا أراد نحر الهدي نسي اسم الرجل ونحر الهدي ، ثمّ ذكره بعد ذلك ، أيجزي عن الرّجل أم لا ؟

الجواب : «لا بأس بذلك ، وقد أجزأ عن صاحبه» .

وعندنا حاكة مجوس ، يأكلون الميتة ، ولا يغتسلون من الجنابة ، وينجّسون لنا ثياباً ، فهل

---

(١) محمّد بن عبدالله بن جعفر بن الحسين بن جامع بن مالك الحميري ، قال العلّامة في القسم الأوّل من الخلاصة ص٥٧ : ... أبو جعفر القمي كان ثقة وجهاً ، كاتب صاحب الأمر عليه السلام وسأله مسائل في أبواب الشريعة .

قال النجاشي : قال لنا أحمد بن الحسين : وقعت هذه المسائل إليّ في أصلها والتوقيعات بين السطور ، وكان له إخوة «جعفر ، والحسين ، وأحمد كلّهم كان لهم مكاتبة .

(٢) قال العلّامة المجلسي رحمه الله : الخُماهَن ـ بالضمّ ـ كلمة فارسية ، قالوا : حجر أسود يميل إلى الحمرة ، فالظاهر أنّه حديد صيني ، وقيل : فيه سواد وبياض .

يجوز الصلاة فيها من قبل أن تغسل ؟

الجواب: «لا بأس بالصلاة فيها» .

وعن المصلّي : يكون في صلاة الليل في ظلمة ، فإذا سجد يغلط بالسجادة ويضع جبهته على «مسح أو نطع[١]» فإذا رفع رأسه وجد السجادة ، هل يعتد بهذه السجدة أم لا يعتد بها ؟

الجواب: «ما لم يستو جالساً فلا شيء عليه في رفع رأسه لطلب الخمرة[٢]» .

وعن المحرم : يرفع الظلال هل يرفع خشب العمارية أو الكنيسية ويرفع الجناحين أم لا ؟

الجواب: «لا شيء عليه في ترك رفع الخشب» .

وعن المحرم : يستظل من المطر بنطع أو غيره ، حذراً على ثيابه وما في محمله أن يبتلّ ، فهل يجوز ذلك ؟

الجواب: إذا فعل ذلك في المحمل في طريقه ، فعليه دم» .

والرجل : يحجّ عن أحد ، هل يحتاج أن يذكر الّذي يحجّ عنه عند عقد إحرامه أم لا ؟ وهل يجب أن يذبح عمّن حجّ عنه وعن نفسه أم يجزيه هدي واحد ؟

الجواب: قد يجزيه هدي واحد ، وإن لم يفصّل فلا بأس» .

وهل يجوز للرجل أن يحرم في كساء خز أم لا ؟

الجواب: «لا بأس بذلك ، وقد فعله قوم صالحون» .

وهل يجوز للرجل أن يصلّي وفي رجليه بطيط[٣] لا يغطي الكعبين أم لا يجوز ؟

الجواب: جائز .

ويصلّي الرّجل وفي كمّه أو سراويله سكّين أو مفتاح حديد ، هل يجوز ذلك ؟

الجواب: «جايز» .

وعن الرجل : يكون معه بعض هؤلاء ويكون متصلاً بهم ، يحجّ ويأخذ على الجادة ولا يحرم هؤلاء من المسلخ ، فهل يجوز لهذا الرجل أن يؤخّر إحرامه إلى ذات عرق فيحرم معهم لما يخاف

---

(١) المسح ـ بالكسر ـ: البلاس . [القاموس ٢٤٩/١] . والنطع ـ بالكسر وبالفتح وبالتحريك وكَعِنَبْ ـ: بساط من الأديم .

(٢) قال الطريحي رحمه الله : قد تكرّر في الحديث ذكر الخمرة والسجود عليها ، وهي ـ بالضمّ ـ: سجادة صغيرة تعمد من سعف النخل وتزمّل بالخيوط .

(٣) البطيط : رأس الخفّ بلا ساق .

الشهرة أم لا يجوز إلّا أن يحرم من المسلخ ؟

الجواب : «يحرم من ميقاته ثمّ يلبس الثياب ، ويلبّي في نفسه ، فإذا بلغ إلى ميقاتهم أظهر» .

وعن لبس النعل المعطون[1] ، فإنّ بعض أصحابنا يذكر أنّ لبسه كريه ؟

الجواب : «جايز ولا بأس به» .

وعن الرجل : من وكلاء الوقف ، مستحلًّا لما في يده ، ولا يرع عن أخذ ماله ، ربّما نزلت في قريته وهو فيها ، أو أدخل منزله ـ وقد حضر طعامه ـ فيدعوني إليه ، فإن لم آكل من طعامه ، عاداني وقال : فلان لا يستحلّ أن يأكل من طعامنا ، فهل يجوز لي أن آكل من طعامه وأتصدّق بصدقة ؟ وكم مقدار الصدقة ؟ وإن أهدى هذا الوكيل هديّة إلى رجل آخر فأحضر فيدعوني إلى أن أنال منها ، وأنا أعلم أنّ الوكيل لا يرع عن أخذ ما في يده ، فهل عَلَيّ فيه شيء إن أنا نلت منها ؟

الجواب : «إن كان لهذا الرجل مال أو معاش غير ما في يده فكل طعامه ، واقبل برّه ، وإلّا فلا» .

وعن الرّجل ممّن يقول بالحق ويرى المتعة ، ويقول بالرجعة ، إلّا أنّ له أهلاً موافقة له في جميع اُموره ، وقد عاهدها : ألّا يتزوّج عليها ، ولا يتمتّع ، ولا يتسرّى ، وقد فعل هذا منذ تسعة عشر سنة ، ووفى بقوله ، فربّما غاب عن منزله الأشهر فلا يتمتّع ولا تتحرّك نفسه أيضاً لذلك ، ويرى أنّ وقوف من معه من أخ وولد وغلام ووكيل وحاشية ممّا يقلّله في أعينهم ، ويحب المقام على ما هو عليه محبّة لأهله وميلاً إليها ، وصيانة لها ولنفسه ، لا لتحريم المتعة بل يدين الله بها ، فهل عليه في ترك ذلك مأثم أم لا ؟

الجواب : «يستحبّ له أن يطيع الله تعالى بالمتعة ليزول عنه الحلف في المعصية ولو مرّة واحدة» .

وفي كتاب آخر لمحمّد بن عبدالله الحميري إلى صاحب الزمان عليه السلام من جواب مسائله الّتي سأله عنها ، في سنة سبع وثلاثمائة .

سأله عن المحرم : يجوز أن يشدّ الميزر من خلفه على عقبه بالطول ، ويرفع طرفيه إلى حقويه ويجمعهما في خاصرته ويعقدهما ، ويخرج الطرفين الآخرين من بين رجليه ويرفعهما إلى خاصرته ، ويشدّ طرفيه إلى وركيه ، فيكون مثل السراويل يستر ما هناك ، فإن الميزر الأول كنّا

---

(١) عَطِنَ ـ كفرح ـ وانعطن : وضع في الدباغ وترك فأفسد وأنتن أو نضح عليه الماء فدفنه فاسترخىٰ شعره لينتف . [القاموس ٢٤٨/٤]

نتّزر به إذا ركب الرجل جمله يكشف ما هناك ، وهذا ستر ؟

فأجاب عليه السلام : «جاز أن يتّزر الإنسان كيف شاء إذا لم يحدث في الميزر حدثاً بمقراظ ولا إبرة يخرجه به عن حدّ الميزر ، وغرزه غرزاً[١] ولم يعقده ، ولم يشدّ بعضه ببعض ، وإذا غطّى سرّته وركبتيه كلاهما فإنّ السنّة المجمع عليها بغير خلاف تغطية السرّة والركبتين ، والأحب إلينا والأفضل لكلّ أحد شدّه على السبيل المألوفة المعروفة للنّاس جميعاً إن شاء الله» .

وسأل : هل يجوز أن يشدّ عليه مكان العقد تكّة ؟

فأجاب عليه السلام : «لا يجوز شدّ الميزر بشيء سواه من تكّة ولا غيرها» .

وسأل عن التوجّه للصّلاة أن يقول على ملّة إبراهيم ودين محمّد صلى الله عليه وآله وسلم ، فإنّ بعض أصحابنا ذكر أنّه إذا قال على دين محمّد فقد أبدع ، لأنّا لم نجده في شيء من كتب الصلاة خلا حديثاً في كتاب القاسم بن محمّد عن جدّه عن الحسن بن رشاد أنّ الصّادق عليه السلام قال للحسن : «كيف تتوجّه» ؟

فقال : أقول : لبّيك وسعديك .

فقال له الصّادق عليه السلام : «ليس عن هذا أسألك ، كيف تقول وجّهت وجهي للّذي فطر السّماوات والأرض حنيفاً مسلماً» ؟

قال الحسن : أقول .

فقال الصّادق عليه السلام : «إذا قلت ذلك فقل : على ملّة إبراهيم ، ودين محمّد ، ومنهاج عليّ بن أبي طالب ، والإيتمام بآل محمّد ، حنيفاً مسلماً وما أنا من المشركين» .

فأجاب عليه السلام : «التوجه كلّه ليس بفريضة ، والسنّة المؤكّدة فيه الّتي هي كالإجماع الّذي لا خلاف فيه : وجّهت وجهي للّذي فطر السّماوات والأرض ، حنيفاً مسلماً على ملّة إبراهيم ودين محمّد وهدي أميرالمؤمنين ، وما أنا من المشركين ، إنّ صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله ربّ العالمين ، لا شريك له وبذلك اُمرت وأنا من المسلمين ، اللّهمّ اجعلني من المسلمين ، أعوذ بالله السميع العليم ، من الشيطان الرجيم ، بسم الله الرّحمن الرّحيم ، ثمّ اقرأ الحمد .

قال الفقيه الّذي لا يشكّ في علمه : إنّ الدين لمحمّد والهداية لعليّ أميرالمؤمنين لأنّها له صلى الله عليه وآله وسلم وفي عقبه باقية إلى يوم القيامة ، فمن كان كذلك فهو من المهتدين ، ومن شكّ فلا دين له ، ونعوذ بالله من الضلاة بعد الهدى» .

---

(١) غرز الابرة في الشيء غرزاً وغرّزها : أدخلها .

وسأله : عن القنوت في الفريضة إذا فرغ من دعائه ، يجوز أن يردّ يديه على وجهه وصدره للحديث الّذي روى : «إنّ الله ﷻ أجلّ من أن يردّ يدي عبده صفراً بل يملأها من رحمته» أم لا يجوز ؟ فإنّ بعض أصحابنا ذكر أنّه عمل في الصلاة .

فأجاب عليه السلام : «ردّ اليدين من القنوت على الرأس والوجه غير جايز في الفرائض والذي عليه العمل فيه ، إذا رفع يده في قنوت الفريضة وفرغ من الدعاء ، أن يردّ بطن راحتيه مع صدره تلقاء ركبتيه على تمهل ، ويكبّر ويركع ، والخبر صحيح وهو في نوافل النهار والليل دون الفرائض ، والعمل به فيها أفضل» .

وسأل : عن سجدة الشكر بعد الفريضة ، فإنّ بعض أصحابنا ذكر أنّها «بدعة» فهل يجوز أن يسجدها الرجل بعد الفريضة ؟ وإن جاز ففي صلاة المغرب هي بعد الفريضة أو بعد الأربع ركعات النافلة ؟

فأجاب عليه السلام : «سجدة الشكر من ألزم السنن وأوجبها ، ولم يقل إنّ هذه السجدة بدعة إلّا من أراد أن يحدث بدعة في دين الله .

فأمّا الخبر المروي فيها بعد صلاة المغرب والإختلاف في أنّها بعد الثلاث أو بعد الأربع فإنّ فضل الدعاء والتسبيح بعد الفرائض على الدعاء بعقيب النوافل كفضل الفرائض على النوافل ، والسجدة دعاءوتسبيح ؛ فالأفضل أن تكون بعد الفرض ، فإن جعلت بعد النوافل أيضاً جاز» .

وسأل : إنّ لبعض إخواننا ممّن نعرفه ضيعة جديدة بجنب ضيعة خراب ، للسلطان فيها حصّة وأكرته بما زرعوا حدودها وتوذيهم عمّال السلطان ويتعرّضون في الكلّ من غلّات ضيعته ، وليس لها قيمة لخرابها وإنّما هي بائرة منذ عشرين سنة ، وهو يتحرّج من شرائها لأنّه يقال إنّ هذا الحصّة من هذه الضيعة كانت قبضت عن الوقف قديماً للسلطان ، فإن جاز شراؤها من السلطان ، وكان ذلك صلاحاً له وعمارة لضيعته ، وإنّه يزرع هذه الحصّة من القرية البائرة لفضل ماء ضيعته العامرة ، وينحسم عنه طمع أولياء السلطان ، وإن لم يجز ذلك عمل بما تأمره به إن شاء الله تعالى ؟

فأجاب عليه السلام : «الضيعة لا يجوز ابتياعها إلّا من مالكها أو بأمره أو رضاء منه» .

وسأل : عن رجل استحلّ امرأة خارجة من حجابها ، وكان يحترز من أن يقع ولد فجاءت بابن ، فتحرّج الرّجل ألّا يقبله فقبله وهو شاكٌّ فيه ، وجعل يجري النفقة على اُمّه وعليه حتّى ماتت الاُم ، وهو ذا يجري عليه غير أنّه شاكٌّ فيه ليس يخلطه بنفسه ، فإن كان ممّن يجب أن يخلط بنفسه

ويجعله كساير ولده فعل ذلك ، وإن جاز أن يجعل له شيئاً من ماله دون حقّه فعل ؟

فأجاب عليه السلام : «الإستحلال بالمرأة يقع على وجوه ، والجواب يختلف فيها ، فليذكر الوجه الّذي وقع الإستحلال به مشروحاً ليعرف الجواب فيما يسأل عنه من أمر الولد إن شاء الله» .

وسأله الدعاء له فخرج الجواب :

«جاد الله عليه بما هو جلّ وتعالى أهله ، إيجابنا لحقّه ، ورعايتنا لأبيه رحمه الله وقرّبه منّا ، وقد رضينا بما علمناه من جميل نيّته ، ووقفنا عليه من مخاطبته ، المقرّ له من الله التي يرضى الله عزّ وجلّ ورسوله وأولياؤه عليهم السلام والرحمة بما بدأنا ، نسأل الله بمسألته ما أمّله من كلّ خير عاجل وآجل ، وأن يصلح له من أمر دينه ودنياه ما يجب صلاحه ، إنّه وليٌّ قدير» .

وكتب إليه صلوات الله عليه أيضاً في سنة ثمان وثلاثمائة كتاباً سأله فيه عن مسائل أُخرى كتب :

بسم الله الرحمن الرحيم

أطال الله بقاك وأدام عزّك وكرامتك وسعادتك وسلامتك ، وأتمّ نعمته عليك ، وزاد في إحسانه إليك ، وجمل مواهبه لديك ، وفضله عليك ، وجزيل قسمه لك ، وجعلني من السوء كلّه فداك ، وقدّمني قبلك .

إنّ قبلنا مشايخ وعجايز يصومون رجباً منذ ثلاثين سنة وأكثر ، ويصلون بشعبان وشهر رمضان . وروى لهم بعض أصحابنا : أنّ صومه معصية ؟

فأجاب عليه السلام : «قال الفقيه : يصوم منه أيّاماً إلى خمسة عشر يوماً ، إلّا أن يصومه عن الثلاثة الأيّام الفائتة ، للحديث : «إنّ نعم شهر القضاء رجب» .

وسأل عن رجل يكون في محمله والثلج كثير بقامة رجل ، فيتخوّف إن نزل الغوص فيه ، وربّما يسقط الثلج وهو على تلك الحال ولا يستوي له أن يلبد شيئاً منه لكثرته وتهافته ، هل يجوز أن يصلّي في المحمل الفريضة ؟ فقد فعلنا ذلك أيّاماً فهل علينا في ذلك إعادة أم لا ؟

فأجاب عليه السلام : «لا بأس به عند الضرورة والشدّة» .

وسأل : عن رجل يلحق الإمام وهو راكع فيرجع معه ويحتسب تلك الركعة ، فإنّ بعض أصحابنا قال : إن لم يسمع تكبيرة الركوع فليس له أن يعتد بتلك الركعة ؟

فأجاب عليه السلام : «إذا لحق مع الإمام من تسبيح الركوع تسبيحة واحدة اعتدّ بتلك الركعة وإن لم يسمع تكبيرة الركوع» .

وسأل : عن رجل صلّى الظهر ودخل في صلاة العصر ، فلمّا أن صلّى من صلاة العصر ركعتين استيقن أنّه صلّى الظهر ركعتين ،كيف يصنع ؟

فأجاب عليه السلام : «إن كان أحدث بين الصلاتين حادثة يقطع بها الصلاة أعاد الصلاتين وإن لم يكن أحدث حادثة جعل الركعتين الآخرتين تتمّة لصلاة الظهر ، وصلّى العصر بعد ذلك» .

وسأل : عن أهل الجنّة هل يتوالدون إذا دخلوها أم لا ؟

فأجاب عليه السلام : «إنّ الجنّة لا حمل فيها للنساء ولا ولادة ، ولا طمث ولا نفاس ، ولا شقاء بالطفوليّة ، وفيها ما تشتهي الأنفس وتلذّ الأعين ،كما قال سبحانه ، فإذا اشتهى المؤمن ولداً خلقه الله بغير حمل ولا ولادة على الصورة الّتي يريد كما خلق آدم عبرة» .

وسأل : عن رجل تزوّج امرأة بشيء معلوم إلى وقت معلوم ، وبقي له عليها وقت ، فجعلها في حلّ ممّا بقي له عليها ، وقد كانت طمثت قبل أن يجعلها في حلّ من أيّامها بثلاثة أيّام ، أيجوز أن يتزوّجها رجل معلوم إلى وقت معلوم عند طهرها من هذه الحيضة أو يستقبل بها حيضة أُخرى ؟

فأجاب عليه السلام : «يستقبل حيضة غير تلك الحيضة ، لأنّ أقلّ تلك العدّة حيضة وطهرة تامّة» .

وسأل : عن الأبرص والمجذوم وصاحب الفالج هل يجوز شهادتهم ؟ فقد روي لنا : أنّهم لا يأمون الأصحّاء .

فأجاب عليه السلام : «إن كان ما بهم حادثاً جازت شهادتهم ، وإن كان ولادة لم يجز» .

وسأل : هل يجوز أن يتزوّج بنت ابنة امرأة ثمّ يتزوّج جدّتها بعد ذلك ؟

فأجاب عليه السلام : «قد نهي عن ذلك» .

وسأل : هل يجوز للرجل أن يتزوّج ابنة امرأته ؟

فأجاب عليه السلام : إن كانت ربيت في حجره فلا يجوز ، وإن لم تكن ربيت في حجره وكانت أُمّها في غير حباله ، فقد روي : أنّه جائز .

وسأل : عن رجل ادّعى على رجل ألف درهم وأقام به البيّنة العادلة ، وادّعى عليه أيضاً خمسمائة درهم في صكّ آخر ، وله بذلك بيّنة عادلة ، وادّعى عليه أيضاً ثلاثمائة درهم في صكٍّ آخر ، ومائتي درهم في صكٍّ آخر ، وله بذلك كلّه بيّنة عادلة ، ويزعم المدّعى عليه أنّ هذه الصّكاك كلّها قد دخلت في الصكّ الّذي بألف درهم ، والمدّعي ينكر أن يكون كما زعم ، فهل يجب عليه الألف الدرهم مرّة واحدة أو يجب عليه كلّما يقيم البيّنة به ؟ وليس في الصكاك استثناء إنّما هي صكاك على وجهها .

فأجاب عليه السلام : «يؤخذ من المدّعى عليه ألف درهم مرّة واحدة وهي الّتي لا شبهة فيها ، ويردّ اليمين في الألف الباقي على المدّعي فإن نكل فلا حقّ له» .

وسأل عن طيق القبر ، يوضع مع الميّت في قبره هل يجوز ذلك أم لا ؟

فأجاب عليه السلام : «يوضع مع الميّت في قبره ، ويخلط بخيوطه إن شاء الله» .

وسأل فقال : روي لنا عن الصّادق عليه السلام : أنّه كتب على إزار ابنه إسماعيل يشهد : أن لا إله إلّا الله ، فهل يجوز أن نكتب مثل ذلك بطين القبر أم غيره ؟

فأجاب عليه السلام : «يجوز ذلك» .

وسأل : هل يجوز أن يسبّح الرّجل بطين القبر ، وهل فيه فضل ؟

فأجاب عليه السلام : «يسبّح الرجل به فما من شيء من التسبيح أفضل منه ، ومن فضل أنّ الرّجل ينسى التسبيح ويدير السبحة فيكتب له التسبيح» .

وسأل : عن السجدة على لوح من طين القبر ، وهل فيه فضل ؟

فأجاب عليه السلام : «يجوز ذلك وفيه الفضل» .

وسأل : عن الرجل يزور قبور الأئمّة عليهم السلام ، هل يجوز أن يسجد على القبر أم لا ؟ وهل يجوز لمن صلّى عند بعض قبورهم عليهم السلام أن يقوم وراء القبر ويجعل القبر قبلة ، ويقوم عند رأسه ورجليه ؟ وهل يجوز أن يتقدّم القبر ويصلّي ويجعل القبر خلفه أم لا ؟

فأجاب عليه السلام : «أمّا السجود على القبر فلا يجوز في نافلة ولا فريضة ولا زيارة ، والّذي عليه العمل : أن يضع خدّه الأيمن على القبر .

وأمّا الصّلاة فإنّها خلفه ، ويجعل القبر أمامه ، ولا يجوز أن يصلّي بين يديه ولا عن يمينه ولا عن يساره ، لأنّ الإمام صلّى الله عليه وآله لا يتقدّم ولا يساوى» .

وسأل فقال: يجوز للرّجل إذا صلّى الفريضة أو النافلة وبيده السبحة أن يديرها وهو في الصّلاة؟

فأجاب عليه السلام : «يجوز ذلك إذا خاف السهو والغلط» .

وسأل : هل يجوز أن يدير السبحة بيده اليسار إذا سبّح ، أو لا يجوز ؟

فأجاب عليه السلام : «يجوز ذلك والحمد لله ربّ العالمين» .

وسأل فقال : روي عن الفقيه في بيع الوقف خبر مأثور : إذا كان الوقف على قوم بأعيانهم وأعقابهم ، فاجتمع أهل الوقف على بيعه وكان ذلك أصلح لهم أن يبيعوه ، فهل يجوز أن يشتري

من بعضهم إن لم يجتمعوا كلّهم على البيع ، أم لا يجوز إلّا أن يجتمعوا كلّهم على ذلك ؟ وعن الوقف الّذي لا يجوز بيعه ؟

فأجاب عليه السلام : «إذا كان الوقف على إمام المسلمين فلا يجوز بيعه ، وإن كان على قوم من المسلمين فليبع كلّ قوم ما يقدرون على بيعه مجتمعين ومتفرّقين إن شاء الله» .

وسأل : هل يجوز للمحرم أن يصيّر على إبطه المرتك[1] والتوتيا لريح العرق أم لا يجوز ؟

فأجاب عليه السلام : «يجو ذلك وبالله التوفيق» .

وسأل : عن الضرير إذا شهد في حال صحّته على شهادة ، ثمّ كفّ بصره ولا يرى خطّه فيعرفه ، هل يجوز شهادته أم لا ؟ وإن ذكر هذا الضرير الشهادة ، هل يجوز أن يشهد على شهادته أم لا يجوز ؟

فأجاب عليه السلام : «إذا حفظ الشهادة وحفظ الوقت ، جازت شهادته» .

وسأل : عن الرجل يوقف ضيعة أو دابّة ويشهد على نفسه باسم بعض وكلاء الوقف ، ثمّ يموت هذا الوكيل أو يتغيّر أمره ويتولّى غيره ، هل يجوز أن يشهد الشاهد لهذا الذي أُقيم مقامه إذا كان أصل الوقف لرجل واحد أم لا يجوز ذلك ؟

فأجاب عليه السلام : «لا يجوز ذلك ، لأنّ الشهادة لم تقم للوكيل وإنّما قامت للمالك ، وقد قال الله : ﴿ وَأَقِيمُوا الشَّهَادَةَ لله ﴾[2]» .

وسأل : عن الركعتين الأُخراوين قد كثرت فيها الروايات ؛ فبعض يروي : إنّ قراءة الحمد وحدها أفضل ، وبعض يروي : إنّ التسبيح فيهما أفضل ؛ فالفضل لأيّهما لنستعمله ؟

فأجاب عليه السلام : «قد نسخت قراءة أُمّ الكتاب في هاتين الركعتين التسبيح ، والّذي نسخ التسبيح قول العالم عليه السلام : كلّ صلاة لا قراءة فيها فهو خداج إلّا للعليل ، أو يكثر عليه السهو فيتخوّف بطلان الصلاة عليه» .

وسأل فقال : يتّخذ عندنا ربّ الجوز لوجع الحلق والبحبحة ، يؤخذ الجوز الرطب من قبل أن ينعقد ويدقّ دقّاً ناعماً ، ويعصر ماؤه ويصفّى ويطبخ على النصف ويترك يوماً وليلة ثمّ ينصب على

---

(١) المرتك : ما يعالج به الصنان ـ وهو الذفر تحت الإبط وغيره . وفي القاموس : المرتك : المرداسنج والتوتياء : معروف حَجَر يُكْتَحَلُ به .

(٢) الطلاق ٢ .

النّار ، ويلقى على كلّ ستّة أرطال منه رطل عسل ويغلى رغوته ، ويسحق من النوشادر والشب اليماني من كلّ واحد نصف مثقال ويداف بذلك الماء ، ويلقى فيه درهم زعفران المسحوق ، ويغلى ويؤخذ رغوته حتّى يصير مثل العسل ثخيناً ، ثمّ ينزل عن النّار ويبرد ويشرب منه ، فهل يجوز شربه أم لا ؟

فأجاب عليه السلام : «إذا كان كثيره يسكر أو يغيّر ، فقليله وكثيره حرام ، وإن كان لا يسكر فهو حلال» .

وسأل : عن الرجل تعرض له الحاجة ممّا لا يدري أن يفعلها أم لا ، فيأخذ خاتمين فيكتب في أحدهما : «نعم أفعل» وفي آخر : «لا تفعل» فيستخير الله مراراً ، ثمّ يرى فيهما ، فيخرج أحدهما فيعمل بما يخرج، فهل يجوز ذلك أم لا ؟ والعامل والتارك له أهو مثل الإستخارة أم هو سوى ذلك؟

فأجاب عليه السلام : «الذي سنّه العالم عليه السلام في هذه الإستخارة بالرقاع والصلاة» .

وسأل : عن صلاة جعفر بن أبي طالب عليه السلام في أيّ أوقاتها أفضل أن تصلّى فيه ؟ وهل فيها قنوت ؟ وإن كان ففي أيّ ركعة منها ؟

فأجاب عليه السلام : «أفضل أوقاتها صدر النهار من يوم الجمعة ، ثمّ في أيّ الأيّام شئت وأيّ وقت صلّيتها من ليل أو نهار فهو جائز ، والقنوت فيها مرّتان : في الثانية قبل الركوع ، وفي الرابعة بعد الركوع» .

وسأل : عن الرجل ينوي إخراج شيء من ماله وأن يدفعه إلى رجل من إخوانه ثمّ يجد في أقربائه محتاجاً ، أيصرف ذلك عمّن نواه له أو إلى قرابته ؟

فأجاب عليه السلام : «يصرفه إلى أدناهما وأقربهما من مذهبه ، فإن ذهب إلى قول العالم عليه السلام : «لا يقبل الله الصدقة وذو رحم محتاج» فليقسم بين القرابة وبين الذي نوى حتّى يكون قد أخذ بالفضل كلّه» .

وسأل فقال : اختلف أصحابنا في مهر المرأة ؛ فقال بعضهم : إذا دخل بها سقط المهر ولا شيء لها ، وقال بعضهم : هو لازم في الدنيا والآخرة ، فكيف ذلك ؟ وما الذي يجب فيه ؟

فأجاب عليه السلام : «إن كان عليه بالمهر كتاب فيه ذكر دين فهو الزم له في الدنيا والآخرة ، وإن كان عليه كتاب فيه ذكر الصداق سقط إذا دخل بها ، وإمن لم يكن عليه كتاب ، فإذا دخل بها سقط باقي الصداق» .

وسأل فقال : روي لنا عن صاحب العسكر عليه السلام أنّه سئل عن الصلاة في الخز الذي يغشّ بوبر

الأرانب فوقّع : يجوز ، وروي عنه أيضاً : أنّه لا يجوز ، فأيّ الخبرين يعمل به ؟

فأجاب ﷺ : «إنّما حرم في هذه الأوبار والجلود ، فأمّا الأوبار وحدها فكلّ حلال» .

وسأل فقال : يتّخذ باصفهان ثياب عتابية على عمل الوشا من قز أو إبريسم هل يجوز الصلاة فيها أم لا ؟

فأجاب ﷺ : «لا تجوز الصلاة إلّا في ثوب سداه أو لحمته قطن أو كتان» .

وسأل : عن المسح على الرجلين وبأيّهما يبدأ ؛ باليمين أو يمسح عليهما جميعاً معاً ؟

فأجاب ﷺ : «يمسح عليهما معاً فإن بدأ بإحداهما قبل الأُخرى فلا يبتدئ إلّا باليمين» .

وسأل : عن صلاة جعفر في السفر هل يجوز أن تصلّى أم لا ؟

فأجاب ﷺ : «يجوز ذلك» .

وسأل : عن تسبيح فاطمة ﷺ : من سهى فجاز التكبير أكثر من أربع وثلاثين هل يرجع إلى أربع وثلاثين أو يستأنف ؟ وإذا سبّح تمام سبعة وستّين هل يرجع إلى ستّة وستّين أو يستأنف ؟ وما الّذي يجب في ذلك ؟

فأجاب ﷺ : «إذا سها في التكبير حتّى تجاوز أربعة وثلاثين عاد إلى ثلاثة وثلاثين وبنى عليها ، وإذا سها في التسبيح فتجاوز سبعاً وستّين تسبيحة عاد إلى ستّة وستّين وبنى عليها ، فإذا جاوز التحميد مائة فلا شيء عليه» .

وعن محمّد بن عبدالله بن جعفر الحميري أنّه قال : خرج التوقيع من النّاحية المقدّسة حرسها الله ـ بعد المسائل ـ :

بسم الله الرحمن الرحيم

«لا لأمره تعقلون ، حكمة بالغة فما تغني النّذر عن قوم لا يؤمنون .

السّلام علينا وعلى عباد الله الصالحين .

إذا أردتم التوجّه بنا إلى الله وإلينا ، فقولوا كما قال الله تعالى :

﴿ سلامٌ عَلَىٰ آلِ يس ﴾[1] .

السلام عليك يا داعي الله وربّاني آياته ، السلام عليك يا باب الله وديّان دينه ، السلام عليك يا خليفة الله وناصر حقّه ، السلام عليك يا حجّة الله ودليل إرادته ، السلام عليك يا تالي كتاب الله

---

(١) الصافات : ١٣٠.

وترجمانه ، السلام عليك في آناء ليلك وأطراف نهارك ، السلام عليك يا بقيّة الله في أرضه ، السلام عليك يا ميثاق الله الّذي أخذه ووكّده ، السلام عليك يا وعد الله الذي ضمنه ، السلام عليك أيّها العَلَم المنصوب ، والعِلْم المصبوب ، والغوث والرحمة الواسعة وعداً غير مكذوب ، السلام عليك حين تقعد ، السلام عليك حين تقوم ، السلام عليك حين تقرأ وتبيّن ، السلام عليك حين تصلّي وتقنت ، السلام عليك حين تركع وتسجد ، السلام عليك حين تكبّر وتهلّل ، السلام عليك حين تحمد وتستغفر ، السلام عليك حين تمسي وتصبح ، السلام عليك في الليل إذا يغشى ، والنّهار إذا تجلّى ، السلام عليك أيّها المقدّم المأمول ، السلام عليك بجوامع السلام ، أُشهدك يا مولاي أنّي أشهد أن لا إله إلّا الله وحده لا شريك له ، وأنّ محمّداً عبده ورسوله ، لا حبيب إلّا هو وأهله ، وأشهد أنّ أميرالمؤمنين حجّته ، والحسن حجّته ، والحسين حجّته ، وعليّ بن الحسين حجّته ، ومحمّد بن عليّ حجّته ، وجعفر بن محمّد حجّته ، وموسى بن جعفر حجّته ، وعلي بن موسى حجّته ، ومحمّد بن عليّ حجّته ، وعليّ بن محمّد حجّته ، والحسن بن عليّ حجّته ، وأشهد أنّك حجّته ، أنتم الأوّل والآخر ، وأنّ رجعتكم حقّ لا شكّ فيها يوم لا ينفع نفساً إيمانها لم تكن آمن من قبل أوكسبت في إيمانها خيراً ، وأنّ الموت حقّ ، وأنّ ناكراً ونكيراً حق ، وأشهد أنّ النشر والبعث حق ، وأنّ الصراط والمرصاد حق ، والميزان والحساب حق ، والجنّة والنّار حق ، والوعد والوعيد بهما حق . يا مولاي شقي من خالفكم وسعد من أطاعكم . فاشهد على ما أشهدتك عليه ، وأنا وليّ لك ، بريء من عدوّك ، فالحقّ ما رضيتموه ، والباطل ما سخطتموه ، والمعروف ما أمرتم به ، والمنكر ما نهيتم عنه ، فنفسي مؤمنة بالله وحده لا شريك له ، وبرسوله ، وبأميرالمؤمنين ، وبأئمّة المؤمنين ، وبكم يا مولاي ، أوّلكم وآخركم ، ونصرتي معدّة لكم ، فمودّتي خالصة لكم ، آمين آمين .

الدّعاء عقيب هذا القول :

بسم الله الرحمن الرحيم

اللّهمّ إنّي أسألك أن تصلّي على محمّد نبيّ رحمتك ، وكلمة نورك ، وأن تملأ قلبي نور اليقين ، وصدري نور الإيمان ، وفكري نور الثبات ، وعزمي نور العلم ، وقوّتي نور العمل ، ولساني نور الصدق ، وديني نور البصائر من عندك ، وبصري نور الضياء ، وسمعي نور وعي الحكمة ، ومودّتي نور الموالاة لمحمّد وآله ﷺ ، حتّى ألقاك وقد وفيت بعهدك وميثاقك ، فلتسعني رحمتك يا وليّ يا حميد .

اللّهمّ صلّ على حجّتك في أرضك ، وخليفتك في بلادك ، والداعي إلى سبيلك ، والقائم بقسطك ، والثائر بأمرك ، وليّ المؤمنين ، وبوار الكافرين ، ومجلي الظلمة ، ومنير الحق ، والساطع بالحكمة والصدق ، وكلمتك التامّة في أرضك ، المرتقب الخائف ، والوليّ النّاصح ، سفينة النجاة ، وعلم الهدى ، ونور أبصار الورى ، وخير من تقمّص وارتدى ، ومجلي العمى ، الّذي يملأ الأرض عدلاً وقسطاً كما ملئت ظلماً وجوراً ، إنّك على كلّ شيءٍ قدير .

اللّهمّ صلّ على وليّك ، وابن أوليائك الّذين فرضت طاعتهم ، وأوجبت حقّهم ، وأذهبت عنهم الرّجس وطهّرتهم تطهيراً .

اللّهمّ انصر وانتصر به أوليائك وأولياءه ، وشيعته وأنصاره ، واجعلنا منهم .

اللّهمّ أعذه من شرّ كلّ باغ وطاغ ، ومن شرّ جميع خلقك ، واحفظه من بين يديه ومن خلفه ، وعن يمينه وعن شماله ، واحرسه ، وامنعه ، من أن يوصل إليه بسوء ، واحفظ فيه رسولك وآل رسولك ، وأظهر به العدل وأيّده بالنّصر ، وانصر ناصريه ، واخذل خاذليه ، واقصم به جبابرة الكفرة ، واقتل به الكفّار والمنافقين ، وجميع الملحدين ، حيث كانوا في مشارق الأرض ومغاربها ، برّها وبحرها ، واملأ به الأرض عدلاً ، وأظهر به دين نبيّك ، واجعلني اللّهمّ من أنصاره وأعوانه ، وأتباعه وشيعته ، وأرني في آل محمّد ما يأملون ، وفي عدوّهم ما يحذرون إله الحقّ آمين ، يا ذاالجلال والإكرام ، يا أرحم الراحمين» .

ذكر كتاب ورد من الناحية المقدّسة ـ حرسها الله ورعاها ـ في أيّام بقيت من صفر ، سنة عشر وأربعمائة على الشيخ المفيد أبي عبدالله محمّد بن محمّد بن النعمان قدّس الله روحه ونوّر ضريحه[1] ، ذكر موصله أنّه يحمله من ناحية متّصلة بالحجاز ، نسخته :

---

(١) قال الشيخ أبو جعفر الطوسي في رجاله ص٥١٤ : «محمّد بن محمّد بن النعمان ، جليل ، ثقة» .

وقال في الفهرست ص١٨٦ : محمّد بن محمّد بن النعمان المفيد المكنّىٰ «أباعبدالله» المعروف بـ«ابن المعلم ، من جملة متكلّمي الإماميّة ، إنتهت إليه رئاسة الإماميّة في وقته ، وكان مقدّماً في العلم وصناعة الكلام ، وكان فقيهاً متقدّماً فيه ، حسن الخاطر ، دقيق الفطنة ، حاضر الجواب ، وله قريب من مائتي مصنّف كبار وصغار ، وفهرست كتبه معروف ، ولد سنة ٣٣٨هـ ، وتوفي لليلتين خلتا من شهر رمضان سنة ٤١٣هـ ، وكان يوم وفاته يوماً لم ير أعظم منه من كثرة الناس للصلاة عليه وكثرة البكاء من المخالف والموافق . ثمّ قال : سمعنا منه هذه الكتب كلّها ، بعضها قراءة عليه ، وبعضها يقرأ عليه غير مرّة وهو يسمع ...

وقال النجاشي ص٣١١ من رجاله : «شيخنا وأُستاذنا رضي الله عنه ، فضله أشهر من أن يوصف في الفقه والكلام والرواية ⇐

والثقة ، له كتب ـ ثمّ عدّ له ١٧٤ كتاباً ورسالة ، ثمّ قال : مات رحمه الله ليلة الجمعة لثلاث ليال خلون من شهر رمضان سنة ٤١٣ ، وكان مولده يوم الحادي عشر من ذي القعدة سنة ٣٣٦ ، وصلّى عليه الشريف المرتضى أبوالقاسم عليّ بن الحسين بميدان الأشنان وضاق على النّاس مع كبره ودفن في داره سنين ، ونقل إلى مقابر قريش بالقرب من السيّد أبي جعفر عليه السلام ، وقيل : مولده سنة ٣٣٨».

وقال العلّامة الحلّي رحمه الله في القسم الأوّل من الخلاصة ص١٤٧ : «محمّد ابن محمّد بن النعمان يكنّى «أباعبدالله» يلقّب بـ«المفيد» وله حكاية في سبب تسميته بالمفيد ذكرناها في كتابنا الكبير ، ويعرف بـ«ابن المعلم» ، من أجلّ مشايخ الشيعة ورئيسهم وأُستاذهم ، وكلّ من تأخّر عنه استفاد منه ، وفضله أشهر من أن يوصف في الفقه والكلام والرواية ، أوثق أهل زمانه وأعلمهم ، انتهت رياسة الإماميّة إليه في وقته ، وكان حسن الخاطر ، دقيق الفطنة ، حاضر الجواب ، له قريب من مائتي مصنّف كبار وصغار ... إلى أن قال : ثمّ نقل إلى مقابر قريش بالقرب من السيّد الإمام أبي جعفر الجواد عليه السلام عند الرجلين إلى جانب قبر شيخه الصدوق أبي القاسم جعفر بن محمّد ابن قولويه».

وقال الشيخ عبّاس القمي رحمه الله في الجزء الثالث من الكنى والألقاب ص١٦٤ : أبو عبدالله محمّد بن محمّد بن النعمان ابن عبدالسّلام البغدادي ، شيخ المشايخ الجلّة ، ورئيس رؤساء الملّة ، فخر الشيعة ، ومحيي الشريعة ، ملهم الحق ودليله ، ومنار الدين وسبيله ، اجتمعت فيه خلال الفضل ، وانتهت إليه رياسة الكل ، واتفق الجميع على علمه وفضله ، وفقهه وعدالته وثقته وجلالته . كان رحمه الله كثير المحاسن ، جم المناقب ، حديد الخاطر ، حاضر الجواب ، واسع الرواية ، خبير بالأخبار والرجال والأشعار . وكان أوثق أهل زمانه بالحديث ، وأعرفهم بالفقه والكلام ، وكلّ من تأخّر عنه استفاد منه .

وقال علماء العامّة في حقّه : هو شيخ مشايخ الإماميّة ، رئيس الكلام والفقه والجدل ، وكان يناظر أهل كلّ عقيدة ، وكان كثير الصدقات ، عظيم الخشوع ، كثير الصلاة والصوم ، خشن اللباس ، وكان شيخناً ، ربعة ، نحيفاً ، أسمر ؛ عاش ستّاً وسبعين سنة ، وله أكثر من مائتي مصنّف ، كانت جنازته مشهورة ، شيّعه ثمانون ألفاً من الرافضة والشيعة وأراح الله منه أهل السنّة ، وكان كثير التقشّف والتخشّع ، والإكباب على العلم ، وكان يقال : له على كلّ إمامي منّة ، وقال الشريف أبو يعلى الجعفري ـ وكان تزوّج بنت المفيد رحمه الله ـ : ماكان المفيد ينام من الليل إلّا هجعة ، ثمّ يقوم يصلّي أو يطاع أو يدرس أو يتلو . وقال ابن النديم : في عهدنا انتهت رياسة متكلّمي الشيعة إليه ، مقدم في صناعة الكلام على مذهب أصحابه ، دقيق الفطنة ، ماضي الخاطر ، شاهدته فرأيته بارعاً .

توفي رحمه الله ليلة الثالث من شهر رمضان ببغداد سنه ٤١٣ ، وكان مولده يوم الحادي عشر من ذي القعدة ٣٣٦ ، وصلّى عليه الشريف المرتضى بميدان الأشنان ـ ثمّ نقل كلام الشيخ الطوسي المتقدم ـ ثمّ قال : ورثاه مهيار الديلمي بقصيدة منها قوله :

ما بعد يومك سلوة لمعلّل	منّي ولا ظفرت بسمع معذّل
سوى المصاب بك القلوب على الجوى	فيد الجليد على حشا المتململ
وتشابه الباكون فيك فلم يبن	دمع المحق لنا من المتعمّل

وتقدّم في ابن قولويه أنّ قبره في البقعة الكاظميّة عليهما السلام ، وذكر جماعة من العلماء منهم الميرزا محمّد مهدي

➲ الشهرستاني في إجازته للسيّد ميرزا مهدي ابن ميرزا محمّد تقي الطباطبائي التبريزي المتوفى سنة ١٢٤١ أنّ الشيخ المفيد ﷫ رثاه صاحب الأمر (عج) حيث وجد مكتوباً على قبره:

لا صــوّت النّــاعي بــفقدك إنّــه	يــوم عــلى آل الرّســول عــظيم
إن كنت قد غيّبت في جدث الثرى	فــالعدل والتــوحيد فــيك مقيم
والقــائم المــهدي يــفرح كــلّما	تليت عـليك مـن الدروس عـلوم

أقول: وقصيدة الديلمي هذه الّتي ذكر منها الشيخ عبّاس القمّي ﷫ ثلاثة أبيات، تبلغ ١٠١ بيتاً، وهي موجودة في ديوانه المطبوع، وفيها يقول:

يــا مــرسلاً إن كـنت مبلغ ميّت	تحت الصفائح قـول حيّ مـرسلَ
فـلج الثـرى الراوي فـقل لمحمّد	عــن ذي فــؤاد بـالفجيعة مشـعل
مــن للـخصوم اللـد بـعدك غـصّة	في الصدر لا تهوى ولا هي تعتلي
مــن للـجدال إذا الشـفاه تـقلّصت	وإذا اللســـان بــريقه لم يـبلل
مــن بـعد فـقدك ربّ كـلّ غـريبة	بكـر بك افترعت وقـولة فـيصل
ولغــامض خـاف رقـعت قـوامـه	وفتحت منه في الجـواب المـقفل
من للطروس يصوغ في صفحاتها	حليا يـقعقع كـلّما خـرس الحـلي
يــبقين للــذكر المــخلّد رحــمة	لك في فم الراوي وعين المجتلي
أيـن الفـؤاد النـدب غـير مـضعّف	أيـن اللسـان الصـعب غـير مـفلّل
تــفري بــه وتــحز كــلّ ضـريبة	مـا كــلّ حـزّة مـفصل للـمنصل
كم قد ضـممت لديـن آل مـحمّد	مـن شـارد وهـديت قـلب مـضلل
وعــقلت مــن ودّ عــليهم نـاشط	لو لم تـرضه مـلاطفاً لم يـعقل
لا تـــطبيك مـــلالة عــن قــولة	تروي عن المفضول حتّى الأفضل
فــليجزينّك عــنهم مــا لم يــزل	يـبلو القـلوب ليـجتبي وليبتلي
ولتـــنظرنّ إلى عـــليّ رافـــعاً	ضبعيك يوم البعث ينظر من عـل

ورثاه الشريف المرتضى ﷫ بقصيدة موجودة في ديوانه المطبوع، يقول فيها:

إنّ شيخ الإسـلام والديـن والعـلـ	ـــم تــولّى فأزعــج الإسـلاما
والذي كـان غـرّة فـي دجـى الأيّـ	ـــام أودى فأوحش الأيّـــاما
كمجلوت الشكوك تعرّض في نص	وصـــيّ وكـــم نـصرت إمــاما
وخـــصوم لد مــلأتهم بــالحق	فـــي حـومة الخــصام خـصاما
عاينوا منك مـصمّماً ثـغرة النحر	ومـــا أرســـلت يــداك سـهاما
وشـجاعاً يـفري المرائـر مـا كـل	شـــجاع يــفري الطـلا والهــاما
مـن إذا مـال جـانب مـن بناء الـ	ـــدين كــانت له يـداه دعـاما

➲

للأخ السديد ، والوليّ الرشيد ، الشيخ المفيد ، أبي عبدالله محمّد بن محمّد بن النعمان أدام الله إعزازه ، من مستوع العهد المأخوذ على العباد .

بسم الله الرحمن الرحيم

أمّا بعد ؛ سلام عليك أيّها الوليّ المخلص في الدّين ، المخصوص فينا باليقين ، فإنّا نحمد إليك الله الّذي لا إله إلّا هو ، ونسأله الصّلاة على سيّدنا ومولانا ونبيّنا محمّد وآله الطّاهرين ، ونعلمك ـ أدام الله توفيقك لنصرة الحق ، وأجزل مثوبتك على نطقك عنّا بالصدق ـ : أنّه قد أُذن لنا في تشريفك بالمكاتبة ، وتكليفك ما تؤدّيه عنّا إلى موالينا قبلك ، أعزّهم الله بطاعته ، وكفاهم المهمّ برعايته لهم وحراسته ، فقف أيّدك الله بعونه على أعدائه المارقين من دينه على ما أذكره ، واعمل في تأديته إلى من تسكن إليه بما نرسمه إن شاء الله .

نحن وإن كنّا ثاوين[1] بمكاننا النائي عن مساكن الظالمين ، حسب الّذي أراناه الله تعالى لنا من الصلاح ولشيعتنا المؤمنين في ذلك ما دامت دولة الدّنيا للفاسقين ، فإنّا نحيط علماً بأنبائكم ، ولا يعزب عنّا شيء من أخباركم ، ومعرفتنا بالذلّ الّذي أصابكم مذ جنح كثير منكم إلى ما كان السلف الصالح عنه شاسعاً ، ونبذوا العهد المأخوذ وراء ظهورهم كأنّهم لا يعلمون .

إنّا غير مهملين لمراعاتكم ، ولا ناسين لذكركم ، ولولا ذلك لنزل بكم اللأواء[2] أو اصطلمكم الأعداء[3] فاتّقوا الله جلّ جلاله وظاهرونا على انتياشكم[4] من فتنة قد أنافت عليكم[5] يهلك فيها من حم

وإذا ازور جائر عن هداه	قاده نحوه فكان زماما
من لفضل أخرجت منه خبيثاً	ومعان قضضت عنها ختاما
من لسوء ميزت عنه جميلاً	وحلال خلصت منه حراما
من ينير العقول من بعد ماكـ	ـنّ هموداً وينتج الأفهاما
من يعير الصديق رأياً إذا ما	سلّه في الخطوب كان حساما
فامض صفراً من العيوب فكم بـا	ن رجال اثروا عيوباً وذا ما

إلى أن يقول :

لن تراني وأنت في عدد الأمـ	ـوات إلّا ـ تجمّلاً ـ بساما

(١) ثوى : أقام . [المصباح ١/١١٠]

(٢) اللأواء : الشدة وضيق المعيشة .

(٣) اصطلمه : استأصله .

(٤) انتاشه من الهلكة : أنقذه .

(٥) أناف على الشيء : طال وارتفع عليه .

أجله[١] ويحمى عنها من أدرك أمله ، وهي إمارة لازوف حركتنا[٢] ومباثتكم بأمرنا ونهينا ، والله متمّ نوره ولو كره المشركون .

اعتصموا بالتقيّة ! من شبّ نار الجاهليّة ، يحشّشها[٣] عصب أُمويّة ، يهول بها فرقة مهديّة ، أنا زعيم بنجاة من لم يرم فيها المواطن الخفية ، وسلك في الطعن منها السبل المرضيّة ، إذا حلّ جمادى الأُولى من سنتكم هذا فاعتبروا بما يحدث فيه ، واستيقظوا من رقدتكم لما يكون في الّذي يليه . ستظهر لكم من السماء آية جليّة ، ومن الأرض مثلها بالسويّة ، ويحدث في أرض المشرق ما يحزن ويقلق ، ويغلب من بعد على العراق طوائف عن الإسلام مرّاق ، تضيق بسوء فعالهم على أهله الأرزاق ، ثمّ تنفرج الغمة من بعد ببوار طاغوت من الأشرار ، ثمّ يسرّ بهلاكه المتّقون الأخيار ، ويتّفق لمريدي الحجّ من الآفاق ما يؤمّلونه منه على توفير عليه منهم واتّفاق ، ولنا في تيسير حجّهم على الإختيار منهم والوفاق شأن يظهر على نظام واتّساق .

فليعلم كلّ امرئ منكم بما يقرب به من محبّتنا ، ويتجنّب ما يدنيه من كراهتنا وسخطنا ، فإنّ أمرنا بغتة فجاءة حين لا تنفعه توبة ولا ينجيه من عقابنا ندم على حوبة . والله يلهمكم الرشد ، ويلطف لكم في التوفيق برحمته .

نسخة التوقيع باليد العليا على صاحبها السلام :

هذا كتابنا إليك أيّها الأخ الولي ، والمخلص في ودّنا الصفي ، والناصر لنا الوفي ، حرسك الله بعينه الّتي لا تنام ، فاحتفظ به ! ولا تظهر على خطّنا الّذي سطرناه بما له ضمناه أحداً ! وأدّ ما فيه إلى من تسكن إليه ، وأوص جماعتهم بالعمل عليه إن شاء الله ، وصلّى الله على محمّد وآله الطّاهرين .

ورد عليه كتاب آخر من قبله صلوات الله عليه ، يوم الخميس الثالث والعشرين من ذي الحجّة ، سنة اثنى عشر وأربعمائة ، نسخته :

بسم الله الرحمن الرحيم

سلام الله عليك أيّها النّاصر للحق ، الداعي إليه بكلمة الصدق ، فإنّا نحمد الله إليك الّذي لا إله إلّا هو ، إلهنا وإله آبائنا الأوّلين ، ونسأله الصلاة على سيّدنا ومولانا محمّد خاتم النبيّين ، وعلى أهل بيته الطاهرين .

---

(١) حم أجله : قرب .

(٢) الأزوف : الإقتراب .

(٣) حش النار : أوقدها وهيّجها .

وبعد ؛ فقد كنّا نظرنا مناجاتك عصمك الله بالسبب الّذي وهبه الله لك من أوليائه ، وحرسك به من كيد أعدائه ، وشفّعنا ذلك الآن من مستقرّ لنا ينصب في شمراخ[1] ، من بهماء[2] صرنا إليه آنفاً من غماليل[3] ألجانا إليه السباريت[4] من الإيمان ، ويوشك أن يكون هبوطنا منه إلى صحصح[5] من غير بعد من الدهر ولا تطاول من الزمان ، ويأتيك نبأ منّا بما يتجدّد لنا من حال ، فتعرف بذلك ما نعتمده من الزلفة إلينا بالأعمال ، والله موفّقك لذلك برحمته ، فلتكن حرسك الله بعينه الّتي لا تنام أن تقابل لذلك فتنة تسبّل[6] نفوس قوم حرثت باطلاً لاسترهاب المبطلين ، ويبتهج لدمارها المؤمنون ، ويحزن لذلك المجرمون ، وآية حركتناه من هذه اللوثة حادثة بالجرم المعظم من رجس منافق مذمم ، مستحلّ للدم المحرّم ، يعمد بكيده أهل الإيمان ، ولا يبلغ بذلك غرضه من الظلم والعدوان ، لأنّنا من وراء حفظهم بالدعاء الّذي لا يحجب عن ملك الأرض والسماء ، فليطمئنّ بذلك من أوليائنا القلوب ، وليثقوا بالكفاية منه ، وإن راعتهم بهم الخطوب ، والعاقبة بجميل صنع الله سبحانه تكون حميدة لهم ما اجتنبوا المنهي عنه من الذنوب .

ونحن نعهد إليك أيّها الوليّ المخلص ، المجاهد فينا الظالمين ، أيّدك الله بنصره الّذي أيّد به السلف من أوليائنا الصالحين ، إنّه من اتّقى ربّه من إخوانك في الدين ، وأخرج ممّا عليه إلى مستحقّيه ، كان آمناً من الفتنة المبطلة ، ومحنها المظلمة المظلّة ، ومن بخل منهم بما أعاره الله من نعمته على من أمره بصلته ، فإنّه يكون خاسراً بذلك لأولاده وآخرته ، ولو أنّ أشياعنا وفّقهم الله لطاعته على اجتماع من القلوب في الوفاء بالعهد عليهم لما تأخّر عنهم اليمن بلقائنا ، ولتعجّلت لهم السعادة بمشاهدتنا على حقّ المعرفة وصدقها منهم بنا ، فما يحبسنا عنهم إلّا ما يتّصل بنا ممّا نكرهه ولا نؤثره منهم ، والله المستعان وهو حسبنا ونعم الوكيل ، وصلواته على سيّدنا البشير النذير محمّد وآله الطاهرين وسلّم .

وكتب في غرّة شوّال من سنة اثنى عشر وأربعمائة .

---

(١) الشِمراخ : رأس الجبل .

(٢) البهم ـ بالضمّ ـ : جمع البهمة ، وهو المجهول الذي لا يعرف .

(٣) الغملول ـ بالضمّ ـ : الوادي ذو الشجر وكلّ مجتمع أظلم وتراكم من شجر أو غمام أو ظلمة .

(٤) السُبروت ـ كزُنبور ـ : القفر لا نبات فيه .

(٥) الصَحْصَحُ والصَحْصاحُ والصَحْصَحان : ما استوىٰ من الأرض .

(٦) يُقال أبْسَلَهُ : أسلمه للهلكة .

نسخة التوقيع باليد العليا صلوات الله على صاحبها :

هذا كتابنا إليك أيّها الوليّ الملهم للحقّ العلي ، بإملائنا وخطّ ثقتنا ، فاخفه عن كلّ أحد ، واطوه واجعل له نسخة يطلع عليها من تسكن إلى أمانته من أوليائنا ، شملهم الله ببركتنا إن شاء الله .

الحمد لله والصّلاة على سيّدنا محمّد النّبيّ وآله الطاهرين .

احتجاج الشيخ المفيد السديد أبي عبدالله محمّد بن محمّد بن النعمان رحمه الله

حدّث الشيخ أبو علي الحسن بن محمّد الرّقّي بالرملة في شوّال سنة ثلاث وعشرين وأربعمائة عن الشيخ المفيد أبي عبدالله محمّد بن محمّد بن النعمان رحمه الله أنّه قال : رأيت في المنام سنة من السنين كأنّي قد اجتزت في بعض الطريق فرأيت حلقة دائرة فيها ناس كثير ، فقلت : ما هذا ؟

قالوا : هذه حلقة فيها رجل يقصّ .

فقلت : من هو ؟

قالوا : عمر بن الخطّاب .

ففرّقت النّاس ودخلت الحلقة ، فإذا أنا برجل يتكلّم على النّاس بشيء لم أحصله ، فقطعت عليه الكلام ، وقلت : أيّها الشيخ ما وجه الدلالة على فضل صاحبك أبي بكر عتيق بن أبي قحافة من قول الله تعالى : ﴿ ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ ﴾[1] ؟

فقال : وجه الدلالة على فضل أبي بكر من هذه الآية في ستّة مواضع :

الأوّل : إنّ الله تعالى ذكر النّبيّ وذكر أبابكر فجعله ثانيه ، فقال : ﴿ ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ ﴾ .

والثاني : إنّه وصفهما بالإجتماع في مكان واحد ، لتأليفه بينهما ، فقال : ﴿ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ ﴾.

والثالث : إنّه أضافه إليه بذكر الصحبة ليجمعه بينهما بما يقتضي الرتبة ، فقال : ﴿ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ ﴾ .

والرابع : إنّه أخبر عن شفقة النّبيّ ورفقه به لموضعه عنده فقال : ﴿ لَا تَحْزَنْ ﴾ .

والخامس : إنّه أخبر أنّ الله معهما على حدّ سواء ناصراً لهما ودافعاً عنهما ، فقال : ﴿ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا ﴾ .

---

(١) التوبة ٤٠.

والسادس : إنّه أخبر عن نزول السكينة على أبي بكر لأنّ رسول الله لم تفارقه السكينة قط ، فقال : ﴿ فَأَنْزَلَ اللهُ سَكِيْنَتَهُ عَلَيْهِ ﴾ .

فهذه ستّة مواضع تدلّ على فضل أبي بكر من آية الغار ، لا يمكنك ولا لغيرك الطعن فيها .

فقلت له : حبّرت[1] بكلامك في الإحتجاج لصاحبك عنه ، وإنّي بعون الله سأجعل جميع ما اتيت به كرماد اشتدّت به الريح في يوم عاصف :

أمّا قولك : إنّ الله تعالى ذكر النّبيّ ﷺ وجعل أبابكر ثانيه ، فهو إخبار عن العدد ، لعمري لقد كانا اثنين ، فما في ذلك من الفضل ؟ ونحن نعلم ضرورة أنّ مؤمناً ومؤمناً ، أو مؤمناً وكافراً ، اثنان ، فما أرى لك في ذكر العدد طائلاً تعتمده .

وأمّا قولك : إنّه وصفهما بالإجتماع في المكان ، فإنّه كالأوّل لأنّ المكان يجمع المؤمن والكافر ، كما يجمع العدد المؤمنين والكفّار ، وأيضاً : فإنّ مسجد النّبيّ ﷺ أشرف من الغار ، وقد جمع المؤمنين والمنافقين والكفّار ، وفي ذلك قوله ﷻ : ﴿ فَمَا لِلَّذِيْنَ كَفَرُوا قِبَلَكَ مُهْطِعِيْنَ * عَنِ الْيَمِيْنِ وَعَنِ الشِّمَالِ عِزِيْن ﴾[2] وأيضاً : فإنّ سفينة نوح قد جمعت النّبيّ ، والشيطان ، والبهيمة ، والكلب ، والمكان لا يدلّ على ما أوجبت من الفضيلة ، فبطل فضلان .

وأمّا قولك : إنّه أضافه إليه بذكر الصحبة ، فإنّه أضعف من الفضلين الأوّلين : لأنّ اسم الصحبة يجمع بين المؤمن والكافر ، والدليل على ذلك قوله تعالى : ﴿ قَالَ لَهُ صَاحِبُهُ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَكَفَرْتَ بِالَّذِي خَلَقَكَ مِن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّاكَ رَجُلاً ﴾[3] وأيضاً : فإنّ اسم الصحبة تطلق بين العاقل وبين البهيمة ، والدليل على ذلك من كلام العرب الّذي نزل «القرآن» بلسانهم ، فقال الله ﷻ : ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُوْلٍ إِلّا بِلِسَانِ قَوْمِهِ ﴾[4] إنّهم سمّوا الحمار صاحباً فقال :

إنّ الحمار مع الحمار مطيّة ... فإذا خلوت به فبئس الصاحب

وأيضاً : قد سمّوا الجماد مع الحيّ صاحباً ، قالوا ذلك في السيف شعراً :

زرت هنداً وذاك غير اختيان ... ومعي صاحب كتوم اللسان

يعني : السيف ، فإذا كان اسم الصحبة يقع بين المؤمن والكافر ، وبين العاقل والبهيمة ، وبين

---

(١) الحبر ـ بالكسر وقد يفتح ـ : الجمال والهيئة الحسنة ، وتحبير الخط والشعر وغيرهما : تحسينه .

(٢) المعارج : ٣٦ ـ ٣٧.

(٣) الكهف ٣٧.

(٤) إبراهيم ٤١.

الحيوان والجماد ، فأيّ حجّة لصاحبك فيه ؟!

وأمّا قولك : إنّه قال ﴿ لا تَحْزَنْ ﴾ فإنّه وبال عليه ومنقصة له ، ودليل على خطئه ، لأنّ قوله : ﴿ لا تَحْزَنْ ﴾ نهي ، وصورة النّهي قول القائل : «لا تفعل» لا يخلوا أن يكون الحزن وقع من أبي بكر طاعة أو معصية ، فإن كان «طاعة» فإنّ النّبيّ ﷺ لا ينهى عن الطاعات بل يأمر بها ويدعو إليها ، وإن كان معصية فقد نهاه النّبيّ ﷺ عنها ، وقد شهدت الآية بعصيانه بدليل أنّه نهاه .

وأمّا قوله : إنّه قال : ﴿ إنَّ اللهَ مَعَنَا ﴾ فإنّ النّبيّ ﷺ قد أخبر أنّ الله معه ، وعبّر عن نفسه بلفظ الجمع ، كقوله : ﴿ إنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وإنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾[1] وقيل أيضاً في هذا : إنّ أبابكر قال : يا رسول الله حزني على أخيك عليّ بن أبي طالب ما كان منه ، فقال له النّبيّ ﷺ : ﴿ لا تَحْزَنْ إنَّ اللهَ مَعَنَا ﴾ أي : معي ومع أخي عليّ بن أبي طالب عليه السلام .

وأمّا قولك : إنّ السكينة نزلت على أبي بكر ، فإنّه ترك للظاهر ، لأنّ الّذي نزلت عليه السكينة هو الّذي أيّده بالجنود ، وكذا يشهد ظاهر «القرآن» في قوله : ﴿ فَأَنْزَلَ اللهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَمْ تَرَوْهَا ﴾[2] فإن كان أبوبكر هو صاحب السكينة فهو صاحب الجنود ، وفي هذا إخراج للنّبيّ ﷺ من النبوّة على أنّ هذا الموضع لو كتمته عن صاحبك كان خيراً ، لأنّ الله تعالى أنزل السكينة على النّبيّ ﷺ في موضعين كان معه قوم مؤمنون فشركهم فيها ، فقال ـ في أحَدِ الموضعين ـ : ﴿ فَأَنزَلَ ٱللهُ سَكِينَتَهُ عَلَىٰ رَسُولِهِ وَعَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ ٱلتَّقْوَىٰ ﴾[3] وقال في الموضع الآخر : ﴿ أَنْزَلَ ٱللهُ سَكِينَتَهُ عَلَىٰ رَسُولِهِ وَعَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَأَنْزَلَ جُنُوداً لَمْ تَرَوْهَا ﴾[4] ولمّا كان في هذا الموضع خصّه وحده بالسكينة قال : ﴿ فَأَنْزَلَ اللهُ سَكِيْنَتَهُ عَلَيْهِ ﴾ فلو كان معه مؤمن لشركه معه في السكينة كما شرك من ذكرنا قبل هذا من المؤمنين ، فدلّ إخراجه من السكينة على خروجه من الإيمان .

فلم يحر جواباً وتفرّق النّاس ، واستيقظت من نومي .

---

(١) الحجر ٩.

(٢) التوبة ٤٠.

(٣) الفتح ٢٦.

(٤) التوبة ٢٦.

احتجاج السيّد الأجل علم الهدى المرتضى أبي القاسم علي رضي الله عنه وأرضاه[1]

---

(١) قال الشيخ الطوسي رحمه الله في رجاله ص٤٨٤: «علي بن الحسين الموسوي يكنّى: أبا القاسم، الملقّب بالمرتضى ذو المجدين علم الهدى، أدام الله تعالى أيّامه، أكثر أهل زمانه أدباً وفضلاً، متكلّم فقيه، جامع للعلوم كلّها، مدّ الله في عمره، يروي عن التلعكبري والحسين بن علي بن بابويه وغيرهم من شيوخنا، له تصانيف كثيرة ذكرنا بعضها في الفهرست، وسمعنا منه أكثر كتبه وقرأناها عليه».

وقال في الفهرست ص١٢٥: «علي بن الحسين بن موسى بن إبراهيم بن موسى بن جعفر بن محمّد بن علي بن الحسين بن عليّ بن أبي طالب عليه السلام كنيته: «أبو القاسم» لقبه «علم الهدى» الأجل المرتضى رضي الله عنه، متوحّد في علوم كثيرة، مجمع على فضله، مقدّم في العلوم، مثل علم الكلام والفقه وأصول الفقه والأدب والنحو والشعر ومعاني الشعر واللغة وغير ذلك، له ديوان شعر يزيد على عشرين ألف بيت، وله من التصانيف ومسائل البلدان شيء كثير، مشتمل على ذلك فهرسته المعروف، غير أنّي أذكر أعيان كتبه وكبارها ـ ثمّ عدّ قسماً من مؤلّفاته ثمّ قال: ـ توفّي في شهر ربيع الأوّل سنة ست وثلاثين وأربعمائة، وكان مولده في رجب سنة خمس وخمسين وثلاثمائة، وسنّه يومئذ ثمانون سنة وثمانية أشهر وأيّام ـ نضّر الله وجهه ـ قرأت هذه الكتب أكثرها عليه وسمعت سائرها يقرأ عليه دفعات كثيرة».

وقال النجاشي ص٢٠٦: «عليّ بن الحسين بن محمّد بن موسى بن إبراهيم بن موسى بن جعفر بن محمّد بن عليّ ابن الحسين بن عليّ بن أبي طالب عليه السلام. أبو القاسم المرتضى، حاز من العلوم ما لم يدانيه فيه أحد في زمانه، وسمع من الحديث فأكثر، وكان متكلّماً شاعراً، أديباً عظيم المنزلة في العلم والدين والدنيا، صنّف كتباً ـ ثمّ عدّد قسماً من مؤلّفاته ثمّ قال ـ مات رضي الله عنه لخمس بقين من شهر ربيع الأوّل سنة ست وثلاثين وأربعمائة، وصلّى عليه ابنه في داره ودفن فيها، وتولّيت غسله ومعي الشريف أبو يعلى محمّد بن الحسن الجعفري وسلّار بن عبدالعزيز».

وقال العلّامة الحلّي رحمه الله في القسم الأوّل من الخلاصة ص٩٤: «عليّ بن الحسين بن موسى بن محمّد بن موسى بن إبراهيم بن موسى بن جعفر بن محمّد بن عليّ بن الحسين بن عليّ بن أبي طالب عليه السلام، أبو القاسم المرتضى ذو المجدين علم الهدى رضي الله عنه، متوحّد في علوم كثيرة، مجمع على فضله، مقدّم في علوم مثل: علم الكلام والفقه وأصول الفقه والأدب من النحو والشعر واللغة وغير ذلك، وله ديوان شعر يزيد على عشرين ألف بيت، وتوفّي رحمه الله تعالى في شهر ربيع الأوّل سنة ست وثلاثين وأربعمائة وكان مولده سنة خمس وخمسين وثلاثمائة في رجب، ويوم توفي كان عمره ثمانين سنة وثمانية أشهر وأيّام، نضّر الله وجهه، وصلّى عليه ابنه في داره، ودفن فيها، وتولّى غسله أبو أحمد الحسين بن العبّاس النجاشي، ومعه الشريف أبو يعلى محمّد بن الحسن الجعفري، وسلّار بن عبدالعزيز الديلمي، وله مصنّفات كثيرة ذكرناها في كتابنا الكبير، وبكتبه استفادت الإماميّة منذ زمنه رحمه الله إلى زماننا هذا وهو سنة ثلاث وتسعين وستمائة، وهو ركنهم ومعلّمهم قدّس الله روحه وجزاه عن أجداده خيراً».

وقال الشيخ عبّاس القمّي في ج٢ من الكنى والألقاب ص٤٣٩: «هو سيّد علماء الأمّة، ومحيي آثار الأئمّة، ذو المجدين، أبو القاسم عليّ بن الحسين بن موسى بن إبراهيم بن الإمام موسى الكاظم عليه السلام، المشهور بالسيّد ←

المرتضى، الملقّب من جدّه المرتضى عليه السلام في الرؤية الصادقة السيماء بـ«علم الهدى». جمع من العلوم ما لم يجمعه أحد، وحاز من الفضائل ما تفرّد به وتوحّد، وأجمع على فضله المخالف والمؤالف، كيف لا وقد أخذ من المجد طرفيه، واكتسى بثوبيه، وتردّى ببرديه، متوحّد في علوم كثيرة، مجمع على فضله، مقدّم في العلوم مثل: علم الكلام، والفقه، وأصول الفقه، والأدب، والنحو والشعر، واللغة وغير ذلك، له تصانيف مشهورة منها: «الشافي» في الإمامة، لم يصنّف مثله في الإمامة، و«الذخيرة» و«جمل العلم والعمل» و«الذريعة» و«شرح القصيدة البديعة» وكتاب «الطيف والخيال» وكتاب «الشيب والشباب» وكتاب «الغرر والدرر» والمسائل الكثية، وله ديوان شعر يزيد على عشرين ألف بيت إلى غير ذلك.

قال آية الله العلّامة: وبكتبه استفادت الإماميّة منذ زمنه رحمه الله إلى زماننا هذا، وهو سنة ٦٩٣ وهو ركنهم ومعلّمهم قدّس الله روحه وجزاه عن أجداده خيراً.

وذكره الخطيب في تاريخ بغداد وأثنى عليه وقال: «كتبت عنه وعن جامع الأُصول أنّه عدّه ابن الأثير من مجدّدي مذهب الإماميّه في رأس المائة الرابعة».

«هنا فوائد»:

الأوّل: قال ابن خلّكان ـ في وصف علم الهدى ـ: كان نقيب الطالبيين وكان إماماً في علم الكلام والأدب والشعر، وهو أخو الشريف الرضي، وله تصانيف على مذهب الشيعة، ومكالمة في أُصول الدين، وله الكتاب الّذي سمّاه «الغرر والدرر» وهي مجالس أملاها تشتمل على فنون من معاني الأدب، تكلّم فيها على النحو واللغة وغير ذلك وهو كتاب ممتنع يدل على فضل كثير وتوسّع في الإطّلاع على العلوم، وذكره ابن بسّام في أواخر كتاب الذخيرة فقال: كان هذا الشريف إمام أئمّة العراق، إليه فزع علماؤها، ومنه أخذ عظمائها، صاحب مدارسها، وجماع شاردها وآنسها، ممّن سارت أخباره، وعرفت به أشعاره وتصانيفه في أحكام المسلمين، ممّا يشهد أنّه فرع تلك الأُصول، ومن ذلك البيت الجليل، وأورد له عدّة مقاطع، وحكى الخطيب التبريزي أنّ اباالحسن علي بن أحمد الفالي الأديب كانت له كتاب نسخة الجمهرة لابن دريد في غاية الجودة فدعته الحاجة إلى بيعها فاشتراها الشريف المرتضى أبوالقاسم المذكور بستّين ديناراً وتصفّحها فوجد بها أبياتاً بخط بايعها أبي الحسن الفالي المذكور، وهي:

آنست بها عشرين حولاً وبعتها ... لقد طال وجدي بعدها وحنيني
ومـا كـان ظنّي أنّني سأبيعها ... ولو خلّدتني في السّجون ديوني
ولكن لضعف وافتقار وصبية ... صغار عليهم تستهلّ شئوني
فقلت ولم أملك سوابق عبرة ... مقالة مكويّ الفؤاد حزين
وقد تخرج الحاجات ياأمّ مالك ... كرائم من ربّ بهنّ ضنين

فارجع النسخة إليه وترك الدنانير رحمه الله تعالى» إنتهى ملخّصاً.

الثاني: قال الشهيد رحمه الله في محكيّ أربعينه: نقلت من خطّ السيّد العالم صفيّ الدين محمّد بن معد الموسوي بالمشهد المقدّس الكاظمي في سبب تسمية السيّد المرتضى بعلم الهدى: أنّه مرض الوزير أبو سعيد محمّد بن

⬅ الحسين بن عبدالصمد في سنة عشرين وأربعمائة، فرأى في منامه أميرالمؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام يقول: قل لعلم الهدى: «يقرأ عليك حتّى تبرأ».

فقال: يا أميرالمؤمنين ومن علم الهدى؟

قال عليه السلام: «علي بن الحسين الموسوي».

فكتب الوزير إليه بذلك.

فقال المرتضى رضي الله عنه: الله الله في أمري، فإنّ قبولي لهذا اللقب شناعة عَلَيّ.

فقال الوزير: ماكتبت إليك إلّا بما لقّبك به جدّك أميرالمؤمنين عليه السلام.

فعلم القادر الخليفة بذلك فكتب إلى المرتضى: تقبل يا علي بن الحسين ما لقّبك به جدّك.

فقبل وأسمع النّاس.

الثالث: قال صاحب رياض العلماء: ونقل عن خط الشهيد الثاني رحمه الله على ظهر كتاب الخلاصة: إنّه كان السيّد المرتضى معظّماً عند العام والخاص، ونقل عن الشيخ عزّالدين أحمد بن مقبل يقول: لو حلف إنسان أنّ السيّد المرتضى كان أعلم بالعربيّة من العرب لم يكن عندي آثماً، وقد بلغني عن شيخ من شيوخ الأدب بمصر أنّه قال: والله إنّي استفدت من كتاب الغرر مسائل لم أجدها في كتاب سيبويه ولا غيره من كتب النحو وكان نصيرالدين الطوسي رحمه الله إذا جرى ذكره في درسه يقول: «صلوات الله عليه» ويلتفت إلى القضاة والمدرّسين الحاضرين درسه ويقول: كيف لا يصلّى على المرتضى؟

وقد ذكر المعرّي اسم المرتضى والرضي ومدحهما في مرثيته لوالدهما في ديوان السقط ومن أبيات تلك المرثية:

أبقيت فينا كوكَبين سناهما   في الصبح والظلماء ليس بخاف

وقال أيضاً:

ساوى الرضي والمرتضى وتقاسما   خطط العلى بتناصف ونصاف

الرابع: قال شيخنا البهائي في كشكوله: كان للشيخ أبي جعفر الطوسي أيّام قراءته على السيّد المرتضى رحمه الله كلّ شهر اثنا عشر ديناراً، ولابن البرّاج كلّ شهر ثمانية دنانير، وكان السيّد المرتضى يجري على تلامذته ... وكان السيّد رحمه الله نحيف الجسم، وكان يقرأ مع أخيه الرضي على ابن نباتة صاحب الخطب، وهما طفلان، وحضر المفيد مجلس السيّد يوماً فقام من موضعه وأجلسه فيه وجلس بين يديه، فأشار المفيد بأن يدرس في حضوره، وكان يعجبه كلامه إذا تكلّم، وكان السيّد قد وقف قريبة على كافّة الفقهاء، وحكاية رؤية المفيد في المنام فاطمة الزهراء عليها السلام وأنّها أتت بالحسن والحسين، ومجيء فاطمة بنت الناصر بولديها الرضي والمرتضى في صبيحة ليلة المنام وقولها له: علم ولدي هذين؛ مشهورة.

الخامس: حكي عن القاضي التنوخي صاحب السيّد المرتضى أنّه قال: ولد السيّد سنة ٣٥٥ وخلّف بعد وفاته ثلاثين ألف مجلّد من مقروءاته ومصنّفاته ومحفوظاته، ومن الأموال والأملاك ما يتجاوز عن الوصف، وصنّف كتاباً يقال له: الثمانين، وخلّف من كلّ شيء ثمانين، وعمّر إحدى وثمانين سنة، من أجل ذلك سمّي الثمانيني، ⬅

على أبي العلاء المعرّي الدّهري[1] في جواب ما سأل عنه مرموزاً

دخل **أبوالعلاء المعرّي** على السيّد المرتضى قدّس الله روحه فقال ، أيّها السيّد ما قولك في الكل ؟

قال السيّد : ما قولك في الجزء ؟

فقال : ما قولك في الشعرى ؟

فقال : ما قولك في التدوير ؟

قال : ما قولك في عدم الإنتهاء ؟

قال : ما قولك في التحيّز والناعورة ؟

فقال : ما قولك في السبع ؟

فقال : ما قولك في الزايد البري من السبع ؟

فقال : ما قولك في الأربع ؟

فقال : ما قولك في الواحد والإثنين ؟

فقال،: ما قولك في المؤثّر ؟

⬅ وبلغ في العلم وغيره مرتبة عظيمة ، قلّد نقابة الشرفاء شرقاً وغرباً ، وإمارة الحاجّ والحرمين ، والنظر في المظالم وقضاء القضاة ، وبلغ على ذلك ثلاثين سنة».

(١) اختلف في عقيدة أبي العلاء المعرّي ؛ فقيل : إنّه كان ملحداً ومات كذلك ، وقيل : إنّه كان مسلماً موحّداً ، وقيل : إنّه كان ملحداً ثمّ أسلم . وهذا القول الأخير يعزّزه ما قرأته في ديوان عبدالمحسن الصوري ﷺ المتوفى سنة ٤١٩ (المخطوط في مكتبة الأديب الفاضل الشيخ محمّد هادي الأميني ـ حفظه الله ـ) من قوله :

نجى المعرّي من العار ... ومن شناعات وأخبار

وافقني أمس على أنّه ... يقول بالجنّة والنّار

وأنّه لا عاد من بعدها ... يصبوا إلى مذهب بكّار

واسم أبي العلاء المعرّي «أحمد» بن عبدالله بن سليمان .

قال الشيخ عبّاس القمي في ترجمته ج٣ من الكنى والألقاب ص ٦١٠ : «الشاعر ، الأديب ، الشهير ، كان نسيج وحده بالعربيّة ، ضربت آباط الإبل إليه ، وله كتب كثيرة ، وكان أعمى ذا فطانة ، وله حكايات من ذكائه وفطانته ، حكي أنّه لمّا سمع فضائل الشريف السيّد المرتضى اشتاق إلى زيارته ، فحضر مجلس السيّد ، وكان سيّد المجالس ، فجعل يخطو ويدون إلى السيّد فعثر على رجل فقال الرجل : من هذا الكلب ؟ فقال المعرّي : الكلب من لا يعرف للكلب سبعين إسماً . فلمّا سمع الشريف ذلك منه قرّبه وأدناه فامتحنه فوجده وحيد عصره وأعجوبة دهره ، فكان ابو العلاء يحضر مجلس السيّد ، وعدّ من شعراء مجلسه ...» .

فقال : ما قولك في المؤثّرات ؟

فقال : ما قولك في النحسين ؟

فقال : ما قولك في السعدين ؟

فبهت أبوالعلاء .

(قال) : فقال السيّد المرتضى قدّس الله روحه ـ عند ذلك ـ : ألا كلّ ملحد ملهد !

فقال أبوالعلاء : من أين أخذته ؟

قال : من كتاب الله : ﴿ إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴾[1] .

وقام وخرج .

فقال السيّد ﷺ : قد غاب عنّا الرّجل وبعد هذا لا يرانا .

فسُئل السيّد ﷺ عن كشف هذه الرموز والإشارات .

فقال : سألني عن الكل ، وعنده الكل قديم ، ويشير بذلك إلى عالم سمّاه «العالم الكبير» فقال : ما قولك فيه ؟ أراد أنّه قديم .

فأجبته عن ذلك وقلت له : ما قولك في الجزء ؟ لأنّ عندهم الجزء «محدث» وهو متولّد عن «العالم الكبير» وهذا الجزء عندهم هو «العالم الصغير» وكان مرادي بذلك : أنّه إذا صحّ أنّ هذا العالم محدث ، فذلك الّذي أشار إليه إن صحّ فهو محدث أيضاً ، لأنّ هذا من جنسه على زعمه ، والشيء الواحد لا يكون بعضه قديماً وبعضه محدثاً ، فسكت لمّا سمع ما قلته .

وأمّا الشعرى : أراد أنّها ليست من الكواكب السيّارة .

فقلت له : ما قولك في التدويرات ؟ أردت «الفلك» في التدويرات والدوران والشعرى لا يقدح في ذلك .

وأمّا عدم الإنتهاء ، أراد بذلك أنّ العالم لا ينتهي لأنّه قديم .

فقلت له : قد صحّ عندي «التحيز والتدوير» وكلاهما يدلّان على الإنتهاء .

وأمّا السبع : أراد بذلك «النجوم السيّارة» الّتي هي عندهم ذوات الأحكام .

فقلت له : هذا باطل بالزايد البري الذي يحكم فيه بحكم لا يكون ذلك الحكم منوطاً بهذه الكواكب السيّارة ، الّتي هي : «الزهرة والمشتري والمريّخ وعطارد والشمس والقمر وزحل» .

---

(١) لقمان ١٣.

وأمّا الأربع أراد بها «الطبايع»[١] .

فقلت له : في الطبيعة الواحدة النارية يتولّد منها دابّة بجلدها تمس الأيدي ثمّ يطرح ذلك الجلد على النّار فتحرق الزهومات ، فيبقى الجلد صحيحاً ، لأنّ الدابّة خلقها الله على طبيعة النّار ، والنّار لا تحرق النّار ، والثلج أيضاً تتولّد فيه الديدان وهو على طبيعة واحدة ، والماء في البحر على طبيعتين يتولّد منه السموك والضفادع ، والحيّات ، والسلاحف ، وغيرها ، وعنده لا يحصل الحيوان إلّا بالأربع فهذا مناقض بهذا .

وأمّا المؤثّر ، أراد به : «الزحل» .

فقلت له : ما قولك في المؤثّرات ؟ أردت بذلك أنّ المؤثّرات كلّهنّ عنده مؤثّرات ؛ فالمؤثّر القديم كيف يكون مؤثّراً ؟!

وأمّا النحسين ، أراد بهما : أنّهما من النّجوم السيّارة ، إذا اجتمعا يخرج من بينهما سعد .

فقلت له : ما قولك في السعدين ؟ إذا اجتمعا خرج من بينهما نحس ، هذا حكم أبطله الله تعالى ، ليعلم الناظر أنّ الأحكام لا يتعلّق بالمسخّرات ، لأنّ الشاهد يشهد أنّ «العسل والسكر» إذا اجتمعا لا يحصل منهما «الحنظل» و«العلقم والحنظل» إذا اجتمعا لا يحصل منهما «الدبس والسكر» هذا دلى على بطلان قولهم .

وأمّا قولي ألا كلّ ملحد ملهد ، أردت : إنّ كلّ مشرك ظالم ، لأنّ في اللغة : ألحد الرجل إذ عدل من الدين ، وألهد إذا ظلم ، فعلم أبوالعلاء ذلك وأخبرني عن علمه بذلك ، فقرأت : ﴿ يَا بُنَيَّ لا تُشْرِكْ بِاللهِ ﴾ الآية .

وقيل : إنّ المعرّي لمّا خرج عن العراق سئل عن السيّد المرتضى ﵀ ، فقال :

يا سائلي عنه لمّا جئت أسأله   ألا هو الرّجل العاري من العار

لو جئته لرأيت النّاس في رجل   والدهر في ساعة والأرض في دار

---

(١) أي : العناصر الأربعة على رأي الفلسفة القديمة وهي : التراب ، والنار ، والماء والهواء .

احتجاجه قدّس الله روحه في التعظيم والتقديم لأئمتنا ﷺ على سائر الورى ما عدا نبيّنا ﷺ بطريقة لم يسبقه إليها أحد، ذكرها في رسالته الموسومة بـ «الرسالة الباهرة في فضل العترة الطاهرة»

قال : وممّا يدلّ أيضاً على تقديمهم وتعظيمهم على البشر : أنّ الله تعالى دلّنا على أنّ المعرفة بهم كالمعرفة به تعالى ، في أنّها «إيمان وإسلام» وأنّ الجهل بهم والشك فيهم كالجهل به والشك فيه ، في أنّه «كفر وخروج من الإيمان» وهذه منزلة ليس لأحد من البشر إلّا لنبيّنا ﷺ ، وبعده لأميرالمؤمنين والأئمّة من ولده ﷺ ، لأنّ المعرفة بنبوّة الأنبياء المتقدّمين من آدم إلى عيسى ﷺ غير واجبة علينا ، ولا تعلّق لها بشيء من تكاليفنا ، ولولا أنّ «القرآن» ورد بنبوّة من سمّي فيه من الأنبياء المتقدّمين فعرفناهم تصديقاً للقرآن ، وإلّا فلا وجه لوجوب معرفتهم علينا ، ولا تعلّق لها بشيء من أحوال تكاليفنا .

وبقي علينا أن ندلّ على أنّ الأمر على ما ادّعيناه .

والّذي يدلّ على أنّ المعرفة بإمامة من ذكرناه ﷺ من جملة الإيمان ، وأنّ الإخلال بها كفر ورجوع عن الإيمان : «إجماع» الشيعة الإماميّة على ذلك ؛ فإنّهم لا يختلفون فيه ، وإجماعهم حجّة ، بدلالة أنّ قول الحجّة المعصوم الّذي قد دلّت العقول على وجوده في كلّ زمان في جملتهم وفي زمرتهم ، وقد دللنا على هذه الطريقة في مواضع كثيرة من كتبنا ، واستوفينا ذلك في جواب المسائل التبانيات خاصّة ، وفي كتاب نصرة ما انفردت به الشيعة الإماميّة من المسائل الفقهيّة ، فإنّ هذا الكتاب مبني على صحّة هذا الأصل .

ويمكن أن يستدلّ على وجوب المعرفة بهم ﷺ : بـ «إجماع الأُمّة» مضافاً إلى ما بيّنّاه من إجماع الإماميّة ؛ وذلك : أنّ جميع أصحاب الشافعي يذهبون إلى أنّ الصّلاة على نبيّنا في التشهد الأخير فرض واجب ، وركن من أركان الصلاة ، متى أخلّ بها الإنسان فلا صلاة له ، وأكثرهم يقول : إنّ الصلاة في هذا التشهد على آل النّبيّ عليهم الصّلاة والسّلام في الوجوب واللزوم ووقوف أجزاء الصلاة عليهم كالصلاة على النّبيّ ﷺ . والباقون منهم يذهبون إلى أنّ الصّلاة على الآل مستحبّة وليست بواجبة ، فعل القول الأوّل لابدّ لكلّ من وجبت عليه الصّلاة من معرفتهم من حيث

كان واجباً عليه الصّلاة عليهم ، فإنّ الصّلاة عليهم فرع على المعرفة بهم ، ومن ذهب إلى أنّ ذلك مستحب فهو من جملة العبادة ، وإن كان مسنوناً مستحباً ، والتعبديّة يقتضي التعبّد بما لا يتمّ إلّا به من المعرفة .

ومن عدى أصحاب الشافعي لا ينكرون أنّ الصّلاة على النّبيّ وآله عليهم السلام في التشهّد مستحبّة ، وأيّ شبهة تبقى مع هذا في أنّهم عليهم السلام أفضل النّاس وأجلّهم ، وذكرهم واجب في الصّلاة ، وعند أكثر الأمّة من الشيعة وجمهور أصحاب الشافعي : إنّ الصّلاة تبطل بتركه ، وهل مثل هذه الفضيلة لمخلوق سواهم أو يتعدّاهم ؟

وممّا يمكن الإستدلال به على ذلك : أنّ الله تعالى قد ألهم جميع القلوب وغرس في كلّ النّفوس تعظيم شأنهم ، وإجلال قدرهم ، على تباين مذاهبهم ، واختلاف ديانتهم ونحلهم ، وما أجمع هؤلاء المختلفون والمتباينون مع تشتّت الأهواء وتشعّب الآراء على شيء كإجماعهم على تعظيم من ذكرنا وإكباره ، فإنّهم يزورون قبورهم ويقصدون من شاحط البلاد وشاطها مشاهدهم ، ومدافنهم ، والمواضع الّتي رسمت بصلاتهم فيها ، وحلولهم بها ، وينفقون في ذلك الأموال ، ويستنفدون الأحوال .

فقد أخبرني من لا أُحصيه كثرة أنّ أهل نيشابور ومن والاها من تلك البلدان يخرجون في كلّ سنة إلى طوس لزيارة الإمام أبي الحسن عليّ بن موسى الرّضا صلوات الله عليهما بالجمال الكثيرة ، والأهب الّتي لا يوجد مثلها إلّا للحجّ إلى بيت الله الحرام ، هذا مع أنّ المعروف من انحراف أهل خراسان عن هذه الجهة ، وازورارهم عن هذا الشعب ، وما تسخير هذه القلوب القاسية ، وعطف هذه الأُمم النائية ، إلّا كالخارقات للعادات ، والخارج عن الأُمور المألوفات ، وإلّا فما الحامل للمخالفين لهذه النحلة ، المنحازين عن هذه الجملة ، على أن يراوحوا هذه المشاهد ويغادوها ، ويستنزلوا عندها من الله تعالى الأرزاق ، ويستفتحوا بها الأغلاق ، ويطلبوا ببركتها الحاجات ، ويستدفعوا البليّات ، والأحوال الظاهرة كلّها لا توجب ذلك ، ولا تقتضيه ولا تستدعيه ، وإلّا فعلوا ذلك فيمن يعتقدونهم أو أكثرهم إمامته وفرض طاعته ، وإنّه في الديانة موافق لهم غير مخالف ، ومساعد غير معاند ، ومن المحال أن يكونوا فعلوا ذلك لداع من دواعي الدنيا ، فإنّ الدّنيا عند غير هذه الطائفة موجودة ، وعندها هي مفقودة ، ولا لتقيّة واستصلاح ، فإنّ التقيّة هي فيهم لا منهم ، ولا خوف من جهتهم ، ولا سلطان لهم ، وكلّ خوف إنّما هو عليهم ، فلم يبق إلّا داعي الدين ،

وذلك هو الأمر الغريب العجيب الّذي لا تنفذ في مثله إلّا مشيّة الله ، وقدرة القهّار الّتي تذلّل الصعاب ، وتقود بأزمّتها الرّقاب .

وليس لمن جهل هذه المزيّة أو تجاهلها أو تعامى عنها وهو يبصرها ، أن يقول : إنّ العلّة في تعظيم غير فرق الشيعة لهؤلاء القوم ليست ما عظّمتموه وفخّمتموه وادّعيتم خرقه للعادة وخروجه عن الطبيعة ، بل هي لأنّ هؤلاء القوم من عترة النّبيّ ﷺ ، وكلّ من عظّم النّبيّ ﷺ فلابدّ أن يكون لعترته وأهل بيته معظّماً ومكرّماً ، وإذا انضاف إلى القرابة الزهد ، وهجر الدّنيا ، والعفّة ، والعلم ، زاد الإجلال والإكرام لزيادة أسبابها .

والجواب عن هذه الشبهة الضعيفة : أن قد شارك أئمّتنا عليهم السّلام والصّلاة في نسبهم وحسبهم وقرابتهم من النّبيّ ﷺ غيرهم ، وكانت لكثير منهم عبادات ظاهرة وزهادة في الدّنيا بادية ، وسمات جميلة ، وصفات حسنة ، من ولد أبيهم عليه وآله السّلام ، ومن ولد عمّهم العبّاس رضوان الله عليهم ، فما رأينا من الإجماع على تعظيمهم ، وزيارة مدافنهم ، والإستشفاع بهم في الأغراض ، والإستدفاع بمكانهم للأعراض والأمراض ، ما وجدنا مشاهداً معايناً في هذا الإشتراك ، وإلّا فمن الّذي أجمع على فرط إعظامه وإجلاه من ساير صنوف العترة ، يجري في هذا الحال مجرى الباقر والصادق والكاظم والرضا صلوات الله عليهم أجمعين ، لأنّ من عدا من ذكرناه من صلحاء العترة وزهّادها ممّن يعظّمه فريق من الأُمّة ويعرض عنه فريق ، ومن عظم منهم وقدّمه لا ينتهي في الإجلال والإعظام إلى الغاية الّتي ينتهي إليها فيمن ذكرناه ولولا أنّ تفصيل هذه الجملة ملحوظ معلوم لفصّلناها على طول ذلك ، ولسمّينا من كنّينا عنه ، ونظرنا بين كلّ معظم مقدم من العترة ، ليعلم أنّ الّذي ذكرناه هو الحقّ الواضح وما عداه هو الباطل الماضح[1] .

وبعد ؛ فمعلوم ضرورة أنّ الباقر والصّادق ومن وليهما من أئمّة أبنائهما ﷨ كانوا في الديانة والإعتقاد وما يفتون به من حلال وحرام على خلاف ما يذهب إليه مخالفوا الإماميّة ، وإن ظهر شكّ في ذلك كلّه فلا شكّ ولا شبهة على منصف في أنّهم لم يكونوا على مذاهب الفرق المختلفة المجمعة على تعظيمهم والتقرّب إلى الله تعالى بهم ، وكيف يعترض ريب فيما ذكرناه ؟! ومعلوم ضرورة أنّ شيوخ الإماميّة وسلفهم في ذلك الأزمان كانوا بطانة للباقر وللصادق صلوات الله عليهما ومن وليهما أجمعين السلام ، وملازمين لهم متمسكين بهم ، ومظهرين أنّ كلّ شيء يعتقدونه وينتحلونه

---

(١) الماضح : المشين المعيب .

ويصحّحونه أو يبطلونه فعنهم تلقّوه ومنهم أخذوه ، فلو لم يكونوا عليهم السلام بذلك راضين وعليه مقرّين لأبوا عليهم نسبة تلك المذاهب إليهم ، وهم منها بريئون خليّون ، ولنفوا ما بينهم من مواصلة ومجالسة ، وملازمة وموالاة ، ومصافاة ، ومدح وإطراء وثناء ، ولأبدلوه باللوم والذم ، والبراءة والعداوة ، فلو لم يكن أنّهم عليهم السلام لهذه المذاهب معتقدون وبها راضون ، لبان لنا واتّضح ، ولو لم يكن إلّا هذه الدلالة لكفت وأغنت ، وكيف يطيب قلب عاقل ، أو يسوغ في الدين لأحد أن يعظّم في الدّين من هو على خلاف ما يعتقد أنّه الحقّ وما سواه باطل ثمّ ينتهي في التعظيمات والكرامات إلى أبعد الغايات وأقصى النهايات ؟ وهل جرت بمثل ذلك عادة ؟ أو مضت عليه سنّة ؟ أولا يرون أنّ الإماميّة لا تلتفت إلى من خالفها من العترة ، وحاد عن جادتها في الديانة ، ومحجّتها في الولاية ، ولا تسمح له بشيء من المدح والتعظيم ، فضلاً عن غايته وأقصى نهايته ، بل تبرأ منه وتعاديه ، وتجريه في جميع الأحكام مجرى من لا نسب له ولا حسب ، ولا قرابة ولا علقة ، وهذا يوقظ على أنّ الله تعالى خلق في هذه العصابة العادات ، وقلّب الجبلات ، ليبيّن من عظيم منزلتهم ، وشريف مرتبتهم ، وهذه فضيلة تزيد على الفضائل ، وتوفي على جميع الخصائص والمناقب ، وكفى به برهاناً لائحاً ، وحجاباً راجحاً .

قطعنا هذا الكتاب على كلام السيّد علم الهدى قدّس الله روحه ، والحمد لله ربّ العالمين ، والصّلاة على خير خلقه محمّد وآله الطيّبين الطاهرين المعصومين ، وحسبنا الله ونعم الوكيل .

الفهارس الفنّيّة



فهرس الآيات

فهرس الروايات والآثار

الرواية	المعصوم	الصفحة
إنّ الملائكة أشرفها عند الله أشدّها لعليّ بن أبي طالب حبّاً ...	رسول الله صلى الله عليه وآله	ج ١/ ٥٣
إنّا لم نحكّم الرّجال وإنّما حكّمنا ...	أمير المؤمنين عليه السلام	ج ١/ ٢٤٧
إنّ النّبيّ خرج في مرضه الّذي توفّي فيه ...	.....	ج ١/ ٨٩
إنّ النّبي نهى عن القيل والقال، وفساد المال ...	الإمام الباقر عليه السلام	ج ٢/ ٤٩
إنّ الوقوف عند الشبهات خير من الإقتحام في الهلكات ...	الإمام الصادق عليه السلام	ج ٢/ ٩٤
إنّ أُمّ أيمن امرأة من أهل الجنّة	رسول الله صلى الله عليه وآله	ج ١/ ١١٨
أنا مدينة العلم وعليّ بابها ...	رسول الله صلى الله عليه وآله	ج ١/ ١٠٠
أنا، وأخي علي، وأحد عشر من ولدي	رسول الله صلى الله عليه وآله	ج ١/ ١٩٧
أنا وأصحابي لا شرقيّون ولا غربيّون، نحن ناشئة القطب ...	أمير المؤمنين عليه السلام	ج ١/ ٣١٤
أنا يوم القيامة آخذ بحجزة ربّي والحجزة النّور ...	رسول الله صلى الله عليه وآله	ج ١/ ١٨٨
إنّ أبغض الخلايق إلى الله تعالى رجلان: ...	أمير المؤمنين عليه السلام	ج ١/ ٣٤٥
إنّ أكرم النّاس على النّاس من كان خيره عليهم فايضاً ...	الإمام السجّاد عليه السلام	ج ٢/ ٤٧
إنّ أمير المؤمنين كان ذات يوم جالساً في الرحبة ...	الإمام الصادق عليه السلام	ج ١/ ٣٠١
أنّ أمير المؤمنين كان يخطب فقال في خطبته: «سلوني ...	.....	ج ١/ ٣٤٤
إنّ أوحى إلى موسى بن عمران أن اتّخذ أخاً من أهلك ...	رسول الله صلى الله عليه وآله	ج ١/ ١٤٥
إنّ أهل زمان غيبته القائلين بإمامته والمنتظرين لظهوره ...	الإمام السجّاد عليه السلام	ج ٢/ ٤٤
إنّ تابوتاً من نار فيه اثنا عشر رجلاً ...	رسول الله صلى الله عليه وآله	ج ١/ ١١٠
أنت الذائد عن حوضي يوم القيامة؛ تذود ...	رسول الله صلى الله عليه وآله	ج ١/ ٣٥٨
أنت الفاروق؛ تفرّق بين الحقّ والباطل	رسول الله صلى الله عليه وآله	ج ١/ ١٨٥
أنت الهادي لمن ضلّ	رسول الله صلى الله عليه وآله	ج ١/ ١٤٥
أنت إلى خير، إنّما نزلت فيّ وفي أخي ...	رسول الله صلى الله عليه وآله	ج ١/ ١٩٧
أنت أحبّ الخلق إليّ وأقولهم بالحق	رسول الله صلى الله عليه وآله	ج ١/ ١٨٢
أنت أخي ووزيري وصاحبي من أهلي	رسول الله صلى الله عليه وآله	ج ١/ ١٨٥
أنت أفضل الخلايق عملاً يوم القيامة بعد النبيّين	رسول الله صلى الله عليه وآله	ج ١/ ١٨٥
أنت أقدمهم سلماً، وأفضلهم علماً، وأكثرهم حلماً	رسول الله صلى الله عليه وآله	ج ١/ ١٨٦
أنت أقرب الخلق منّي يوم القيامة ...	رسول الله صلى الله عليه وآله	ج ١/ ١٨٤

الرواية	المعصوم	الصفحة
شَقّوا متلاطمات أمواج الفتن بحيازيم سفن النّجاة ...	أمير المؤمنين عليه السلام	ج ١/ ١٢٣
شهدت المسجد الحرام وابن أبي العوجاء يسأل أباعبدالله ...	.....	ج ٢/ ٩١
صدقتم ، ليس كلّ النّاس يستوي في الحفظ ...	أمير المؤمنين عليه السلام	ج ١/ ١٩٦
طالما والله جلى به الكرب عن وجه رسول الله ...	أمير المؤمنين عليه السلام	ج ١/ ٢١٧
العالم كمن معه شمعة تضيء للنّاس ...	الإمام الباقر عليه السلام	ج ١/ ١٧
عجباً لابن النابغة ، يزعم لأهل الشام أنّ فيّ دعابة ...	أمير المؤمنين عليه السلام	ج ١/ ٢٤٢
عجباً لمن لم يقرأ في صلاته إنّا أنزلناه ...	العالم عليه السلام	ج ٢/ ٢٥٥
العقل يعرف به الصادق على الله فيصدّقه ...	الإمام الرضا عليه السلام	ج ٢/ ١٩٤
علماء شيعتنا مرابطون في الثغر الذي ...	الإمام الصادق عليه السلام	ج ١/ ١٧
علماء شيعتنا مرابطون في الثغر الذي يلي ...	الإمام العسكري عليه السلام	ج ٢/ ١٣٤
علمنا غابر ومزبور ، ونكت في القلوب ...	الإمام الصادق عليه السلام	ج ٢/ ١١٧
عليّ المحيي لسنّتي ، ومعلّم أمّتي ...	رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم	ج ١/ ١٤٥
علي أقضاكم	رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم	ج ١/ ١٦١
عليكم بجعفر ، فإن هلك فزيد ، فإن هلك فعبدالله بن رواحة	رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم	ج ٢/ ٥
على مثل الحسين بن النبيّ يشخب بمن لا حكم له ...	الإمام الحسن عليه السلام	ج ٢/ ١٢
عليّ مع الحقّ والحقّ مع علي ؛ يميل مع الحقّ كيف ما مال	رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم	ج ١/ ٩٦
عليّ يقضي ديني وينجز موعدي وهو ...	رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم	ج ٢/ ٢١٦
عمّار تقتله الفئة الباغية	رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم	ج ١/ ٢٤١
عنى بذلك ثلاثة عشر رجلاً خاصّة دون هذه الأمّة	رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم	ج ١/ ١٩٧
فاخر العرب وأنت أكرمهم ابن عمّاً ، وأكرمهم صهراً ...	رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم	ج ١/ ٢٠٩
فإذا علا ماء الرّجل ماء المرأة ...	رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم	ج ١/ ٦٤
فاعلموا معاشر النّاس أن الله قد نصبه لكم وليّاً ...	رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم	ج ١/ ٧٦
فأفحم أبوبكر على المنبر حتّى لم يحر جواباً ...	الإمام الصادق عليه السلام	ج ١/ ١٠١
فإنّا صنايع ربّنا ، والنّاس بعد صنايع لنا ...	أمير المؤمنين عليه السلام	ج ١/ ٢٣٥
فأنشدك بالله ، أبي برز رسول الله وبأهلي وولدي في مباهلة ...	أمير المؤمنين عليه السلام	ج ١/ ١٥١
فأنشدك بالله ، أخوك المزيّن بالجناحين يطير في الجنّة ...	أمير المؤمنين عليه السلام	ج ١/ ١٥٨

الرواية	المعصوم	الصفحة
فأنشدك بالله، ألي الوزارة مع رسول الله والمثل من هارون ...	أميرالمؤمنين عليه السلام	ج ١/ ١٥١
فأنشدك بالله، ألي الولاية مع الله مع رسوله في آية الزكاة ...	أميرالمؤمنين عليه السلام	ج ١/ ١٥٠
فأنشدك بالله، ألي ولأهلي وولدي آية التطهير من الرجس ...	أميرالمؤمنين عليه السلام	ج ١/ ١٥٢
فأنشدك بالله، أنا الّذي اختارني رسول الله وزوّجني ابنته ...	أميرالمؤمنين عليه السلام	ج ١/ ١٥٧
فأنشدك بالله، أناالّذي أطهره الله من السّفاح ...	أميرالمؤمنين عليه السلام	ج ١/ ١٥٧
فأنشدك بالله أنا الّذي أمر رسول الله أصحابه بالسّلام عليه ...	أميرالمؤمنين عليه السلام	ج ١/ ١٦٢
فأنشدك بالله، أنا الّذي بشّرني رسول الله بقتال الناكثين ...	أميرالمؤمنين عليه السلام	ج ١/ ١٦٠
فأنشدك بالله أنا الّذي دعاه رسول الله والطّير عنده ...	أميرالمؤمنين عليه السلام	ج ١/ ١٥٩
فأنشدك بالله، أنا الّذي دلّ عليه رسول الله بعلم القضاء ...	أميرالمؤمنين عليه السلام	ج ١/ ١٦١
فأنشدك بالله، أنا الّذي شهدت آخر كلام رسول الله ...	أميرالمؤمنين عليه السلام	ج ١/ ١٦٢
فأنشدك بالله، أنا المجيب لرسول الله قبل ذُكران المسلمين ...	أميرالمؤمنين عليه السلام	ج ١/ ١٤٨
فأنشدك بالله، أنا الموالي لك ولكلّ مسلم بحديث النّبيّ ...	أميرالمؤمنين عليه السلام	ج ١/ ١٤٩
فأنشدك بالله أنا صاحب آية ﴿ يُوفُونَ بالنَّذْرِ ...	أميرالمؤمنين عليه السلام	ج ١/ ١٥٣
فأنشدك بالله، أنا صاحب الأذان لأهل الموسم ...	أميرالمؤمنين عليه السلام	ج ١/ ١٤٩
فأنشدك بالله، أنا صاحب دعوة رسول الله وأهلي وولدي ...	أميرالمؤمنين عليه السلام	ج ١/ ١٥٢
فأنشدك بالله، أنا ضمنت دين رسول الله ...	أميرالمؤمنين عليه السلام	ج ١/ ١٥٩
فأنشدك بالله، أن الّذي نفّست عن رسول الله وعن المسلمين ...	أميرالمؤمنين عليه السلام	ج ١/ ١٥٥
فأنشدك بالله، أنا والد الحسن والحسين سبطيه ...	أميرالمؤمنين عليه السلام	ج ١/ ١٥٨
فأنشدك بالله، أنا وقيت رسول الله بنفسي يوم الغار أم أنت ؟	أميرالمؤمنين عليه السلام	ج ١/ ١٤٩
فأنشدك بالله، أنت الّذي ائتمنك رسول الله على رسالته إلى ...	أميرالمؤمنين عليه السلام	ج ١/ ١٥٦
فأنشدك بالله أنت الّذي أمرك رسول الله بفتح بابه في مسجده ...	أميرالمؤمنين عليه السلام	ج ١/ ١٦٥
فأنشدك بالله، أنت الّذي جعلك رسول الله على كتفه ...	أميرالمؤمنين عليه السلام	ج ١/ ١٦٤
فأنشدك بالله أنت الّذي حباك الله بالدينار عند حاجته إليه ...	أميرالمؤمنين عليه السلام	ج ١/ ١٦٣
فأنشدك بالله أنت الّذي حباك رسول الله برايته يوم خيبر ...	أميرالمؤمنين عليه السلام	ج ١/ ١٥٥
فأنشدك بالله، أنت الّذي رُدّت عليه الشّمس ...	أميرالمؤمنين عليه السلام	ج ١/ ١٥٣
فأنشدك بالله، أنت الّذي سبقت له القرابة من رسول الله أم أنا ...	أميرالمؤمنين عليه السلام	ج ١/ ١٦٣



فهرس الأعلام

فهرس القبائل والطوائف

فهرس الأماكن والبقاع

فهرس الكتب

فهرس الوقائع والأيام

الأشعار

قــد كــان بـعدك أنـباء وهـنبثة — لو كـانت شـاهدها لم تكـثر الخـطب

إنّـا فـقدناك فـقد الأرض وابـلها — واخـتلّ قـومك فـاشهدهم ولا تـغب

قـد كـان جـبريل بـالآيات يـؤنسنا — فـغاب عـنّا فكـلّ الخير مـحتجب

وكـنت بـدراً ونـوراً يسـتضاء بـه — عـليك يـنزل مـن ذي العـزّة الكـتب

تـجهّمتنا رجـال واسـتخفّ بـنا — إذ غـبت عـنّا فـنحن اليـوم نـغتصب

فسوف نـبكيك مـا عشـنا ومـا بـقيت — مـنّا العـيون بـتهمال لهـا سكـب

القائلة: فاطمة الزهراء عليها السلام ـ ١/١٢٠

«قـد كـان بـعدك أنـباء وهـنبثة — لو كـنت شـاهدها لم تكـثر الخـطب

إنّـا فـقدناك فـقد الأرض وابـلها — واخـتلّ قـومك فـاشهدهم ولا تـغب

وكـلّ أهـل له قـربى ومـنزلة — عـند الإله عـلى الأدنـين مـقترب

أبـدت رجـال لنـا نـجوى صـدورهم — لمّـا مـضيت وحـالت دونك التـربق

تَـهَجّمَتْنا رجـال واسـتخفّ بـنا — لمّـا فـقدت وكـلّ الأرض مـغتصب

وكـنت بـدراً ونـوراً يسـتضاء بـه — عـليك يـنزل مـن ذي العـزّة الكـتب

وكـان جـبريل بـالآيات يـؤنسنا — فـقد فـقدت وكـلّ الخـير مـحتجب

فـليت قـبلك كـان المـوت صـادفنا — لمّـا مـضيت وحـالت دونك الكـثب»

القائلة: فاطمة الزهراء عليها السلام ـ ١/١٣٦ ـ ١٣٧

تـرك الأُمـور الّـتي تـخشى عـواقبها — لله أجـمل فـي الدّنـيا وفـي الدّيـن

أتـى عـليّ بأمـر كـنت أعـرفه — قـد كـان عـمر أبـيك الخـير مـذ حـين

فـقلت حسـبك مـن عـذل أبـاحسن — بعض الّـذي قـلت هـذا اليـوم يكـفيني
فـاخترت عـاراً عـلى نـار مـؤجّجة — أنّـى يـقوم لهـا خـلق مـن الطّـين
نـبّئت طـلحة وسـط النـقع منجدلاً — مأوى الضـيوف ومأوى كـلّ مسكـين
قـد كـنت أنـصر أحـياناً ويـنصرني — فـي النـائبات ويـرمي مـن يـراميني
حـتّى ابـتُلينا بأمـر ضـاق مـصدره — فأصـبح اليـوم مـا يـعنيه يـعنيني

القائل: زبير بن العوام ـ ١/٢١٦

لو كـان مـعتصماً مـن زلّـة أحـد — كـانت لعـائشة الرتـبىٰ عـلى النّاس
مـن زوجـة لرسـول الله فـاضلة — وذكـر آي مـن «القـرآن» مـدراس
وحكـمة لم تكـن إلّا لهـاجسها — في الصدر يذهب عنها كلّ وسـواس
يسـتنزع الله مـن قـوم عـقولهم — حتّى يـمرّ الّـذي يـقضي عـلى الراس
ويـرحـم الله أمّ المـؤمنين لقـد — تـبدّلت لي إيـحاشاً بـايناس

القائلة: أم سلمة ـ ١/٢٢٣

مستقبلين رياح الصيف تـضربهم — بـحاصب بـين أغـوار وأنـجاد

القائل: أخو بني أسد ـ ١/٢٣٨

مـحمّد النّـبيّ أخـي وصـنوي — وحـمزة سيّدالشـهداء عـمّي
وجعفر الّذي يضحي ويـمسي — يـطير مـع المـلائكة ابـن أمّـي
وبنت محمّد سكـني وعـرسي — مسوط لحمها بـدمي ولحـمي
وسـبطا أحـمد ولداي مـنها — فأيّكـم له سـهم كسـهمي
سـبقتكم إلى الإسـلام طـرّاً — غـلاماً مـا بـلغت أوان حـلمي
وصلّيت الصلاة وكـنت طـفلاً — مـقرّاً بـالنّبي فـي بـطن أمّـي
وأوجب لي ولايـته عـليكم — رسـول الله يـوم غـدير خـمّ
أنـا الرّجـل الذي لا تـنكروه — ليـوم كـريهة أو يـوم سـلم

فـويل ثـمّ ويـل ثـمّ ويـل ... لمن يـلقى الإله غـداً بـظلمي»

القائل: أميرالمؤمنين عليه السلام ـ ١/٢٣٩ ـ ٢٤٠

شتّان ما يومي على كـورها ... ويـوم حـيّان أخـي جـابر

القائل: الأعشى ـ ١/٢٥٤

أنت الإمام الّـذي نـرجـو بـطاعته ... يوم النشور من الرّحمن رضوانـا
أوضحت من ديننا ما كان مـلتبساً ... جـزاك ربّك عـنّا فـيه إحسـانا
وليس مـعذرة فـي فـعل فـاحشة ... قد كنت راكـبها فسـقاً وعـصيانا
كـلّا ولا قـائلاً نـاهيه أوقـعه ... فـيه عـبدت إذاً يـا قـوم شـيطانا
ولا أحبّ ولا شـاء الفسـوق ولا ... قـتل الوليّ له ظـلماً وعـدوانـا
أنّى يحبّ وقـد صـحّت عـزيمته ... على الّذي قال أعلن ذاك إعـلانا»

القائل: رجل من أصحاب أميرالمؤمنين عليه السلام ـ ١/٢٧٥ ـ ٢٧٦

شفينا أنفساً طـابت وقـوراً ... فنالت عـزّها فـيمن يـلينا
فـابنا بـالغنيمة حـيث أبـنا ... وابـنا بـالملوك مـقرّنينا

القائل: مروان بن الحكم ـ ١/٣٦٧

«فإن نهزم فهزّامـون قـدماً ... وإن نـهزم فـغير مـهزّمينا
وما إن طبّنا جـبن ولكـن ... مـنايانا ودولة آخـرينا
فلو خلد الملوك إذاً خلدنا ... ولو بـقي الكـرام إذاً بـقينا
فقل للشـامتين بـنا أفـيقوا ... سيلقى الشامتون بما لقينا»

القائل: الإمام الحسين عليه السلام ـ ٢/٢١

«كفر القوم وقدماً رغبوا — عن ثواب الله ربّ الثقلين
قتلوا قدماً علياً وابنه — حسن الخير كريم الطرفين
حنقاً منهم وقالوا أجمعوا — نفتك الآن جميعاً بالحسين
يالقوم من أُناس رذّل — جمعوا الجمع لأهل الحرمين
ثمّ صاروا وتواصوا كلّهم — باحتياج لرضاء الملحدين
لم يخافوا الله في سفك دمي — لعبيدالله نسل الكافرين
وابن سعد قد رماني عنوة — بجنود كوكوف الهاطلين
لا لشيء كان منّي قبل ذا — غير فخري بضياء الفرقدين
بعليّ الخير من بعد النّبي — والنبيّ القرشيّ الوالدين
خيرة الله من الخلق أبي — ثمّ أُمّي فأنا ابن الخيرتين
فضّة قد خلقت من ذهب — فأنا الفضّة وابن الذهبين
من له جدّ كجدّي في الورى — أو كشيخي فأنا ابن القمرين
فاطم الزهراء أُمّي وأبي — قاصم الكفر ببدر وحنين
عروة الدّين عليّ المرتضى — هادم الجيش مصلّى القبلتين
وله في يوم أُحد وقعة — شفت الغل بقبض العسكرين
ثمّ بالأحزاب والفتح معاً — كان فيها حتف أهل القبلتين
في سبيل الله ماذا صنعت — أُمّة السوء معاً بالعترتين
عترة البرّ التقيّ المصطفى — وعليّ القرم يوم الجحفلين
عَبَدَ الله غلاماً يافعاً — وقريش يعبدون الوثنين
وقلى الأوثان لم يسجدْ لها — مع قريش لا ولا طرفة عين
طعن الأبطال لمّا برزوا — يوم بدر وتبوك وحنين»

القائل: الإمام الحسين عليه السلام ـ ٢/٢٢ ـ ٢٣

«أنا ابن عليّ الطهر من آل هاشم — كفاني بهذا مفخراً حين أفخر
وجدّي رسول الله أكرم من مشى — ونحن سراج الله في الخلق نزهر

وفـاطم أمّـي مـن سـلالة أحـمد / وعمّي يدعى ذوالجناحين جعفر
وفـينا كـتاب الله أنـزل صـادقاً / وفينا الهدى والوحي بالخير تذكر
ونـحن أمـان الله للـنّاس كـلّهم / نـطول بـهذا فـي الأنـام ونـجهر
ونحن حماة الحوض نسقي ولاتنا / بكأس رسـول الله مـا ليس يـنكر
وشيعتنا فـي الحشـر أكـرم شـيعة / ومـبغضنا يـوم القـيامة يـخسر

القائل: الإمام الحسين عليه السلام ـ ٢/٢٣

نحن قتلنا عـليّاً وبـني عـليّ / بسـيوف هـنديّة ورمـاح
وسبينا نساءَهم سـبيَ تـرك / ونـطحناهم فأيّ نـطاح

القائل:... ـ ٢/٢٥

فـما ذنـبنا إن جـاش دهـر بـحورنا / وبحرك ساج لا يـواري الدعـامصا

القائل:... ـ ٢/٢٥

«مـاذا تـقولون إذ قـال النّبيّ لكـم / مـاذا صـنعتم وأنـتم آخـر الأمـم
بأهـل بـيتي وأولادي وتكـرمتي / منهم أسارى ومنهم ضرّجوا بـدم
ما كان ذاك جزائي إذ نصحت لكم / أن تخلفوني بسوء في ذوي رحـم
إنّي لأخشى عليكم أن يـحلّ بكـم / مثل العذاب الّذي أودى عـلى إرم»

القائل: زينب الكبرى عليها السلام ـ ٢/٢٧

كهولكم خير الكهول ونسلكم / إذا عدّ نسل لا يبور ولا يخزى

القائل: شيخ من أهل الكوفة ـ ٢/٢٧

«لا غرو إن قتل الحسين وشـيخه / قد كان خيراً من حسـين وأكـرما
فلا تفرحوا يا أهـل كـوفة بـالّذي / أصيب حسـين كـان ذلك أعـظما

قـتيل بشـطّ النـهر نـفسي فـداؤه   جـزاء الّـذي أرداه نـار جـهنّما»

القائل: الإمام السجّاد عليه السلام ـ ٢/٢٨

لعـبت هـاشم بـالملك فـلا   خـبر جـاء ولا وحـي نـزل
ليت أشـياخي بـبدر شـهدوا   جزع الخزرج من وقع الأسـل
لأهـلّوا واسـتهلّوا فـرحـاً   ولقـالوا يـا يـزيد لا تشـل
فـجزيناهم بـبدرٍ مـثلاً   وأقـمنا مـثل بـدر فـاعتدل
لست من خـندف إن لم أنـتقم   من بـني أحـمد مـا كـان فـعل

القائل: يزيد لعنه الله ـ ٢/٣٠

لأهـلّوا واسـتهلّوا فـرحـاً   ولقـالوا يـا يـزيد لا تشـل

القائل: يزيد لعنه الله ـ ٢/٣٢

يا صيحة تحمد من صوايح   ما أهون الموت على النوائح

القائل: يزيد لعنه الله ـ ٢/٣٣

«من عرف الربّ فلم تـغنه   معرفة الربّ فـذاك الشـقي
ما ضرّ في الطـاعة مـا نـاله   فـي طـاعة الله ومـاذا لقـي
ما يصنع العبد بـغير التـقى   والعـزّ كـلّ العـزّ للـمتّقي»

القائل: الإمام السجّاد عليه السلام ـ ٢/٤٢ ـ ٤٣

تـجمّلت تـبغّلتِ وإن عشتِ تـفيّلتِ   لكِ التّسع مـن الثمن وبـالكلّ تـملّكتِ

القائل: محمّد بن أبي بكر ـ ٢/١٢٦

لم تخل أفعالنا اللّاتي نـذمّ بـها إحدى ثلاث معان حين نأتـيها
إمّـا تـفرّد بـارينا بـصنعتها فيسقط اللوم عنّا حين نـنشيها
أو كـان يشـركنا فـيها فـيلحقه ما سوف يلحقنا من لائـم فـيها
أو لم يكـن لإلهي فـي جـنايتها ذنب فما الذنب إلّا ذنب جانيها

القائل:... ـ ٢/١٣٨

أنّى يكون ولا يكـون ولم يكـن لبـني البـنات وراثـة الأعـمام

القائل: مروان بن أبي حفصة ـ ٢/١٤٤

أنّى يكـون ولا يكـون ولم يكـن للـــمشركين دعــائم الإســلام
لبني البنات نصيبهم مـن جـدّهم والعـــم مـتروك بـغير سـهام
مــــا للـطليق وللـتراث وإنّـما سجد الطـليق مخافة الصـمصام
وبــقى ابــن نـثلة واقـفاً متلدداً فـــيه ويــمنعه ذوو الأرحــام
إنّ ابــن فــاطمة المـنوّه بـاسمه حاز التراث سوى بـني الأعـمام

القائل: هاتف ـ ٢/١٤٤ ـ ١٤٥

إنّ الحـمار مـع الحـمار مـطيّة فإذا خلوت به فبئس الصاحب

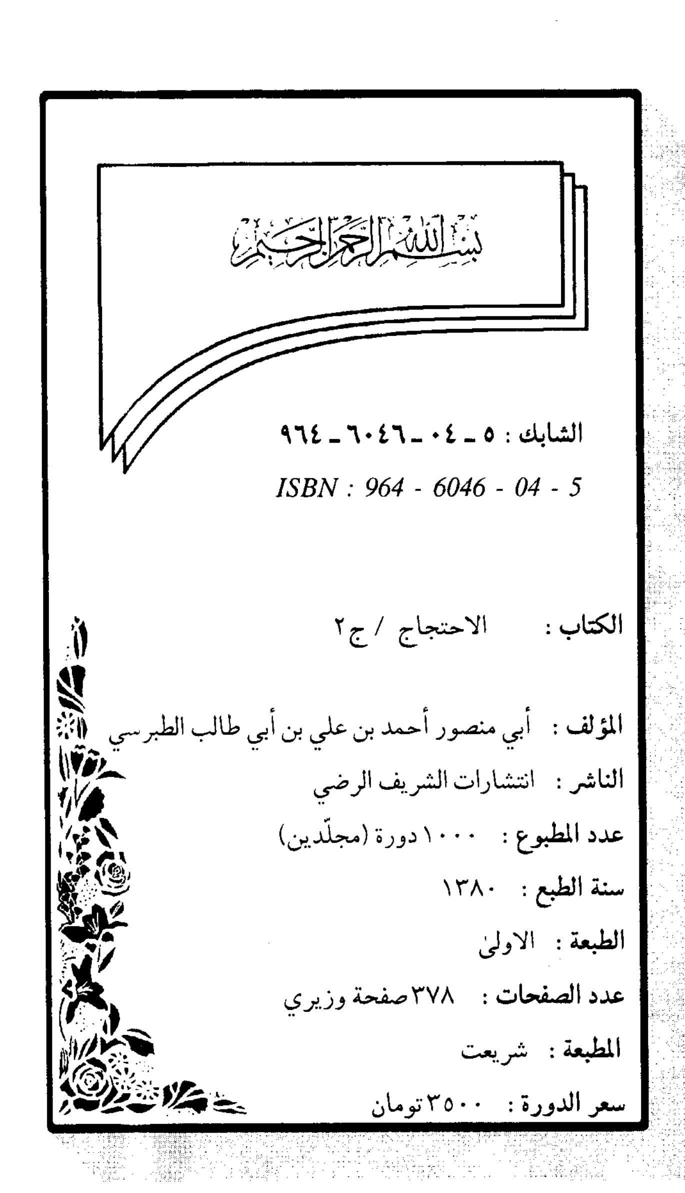
القائل:... ـ ٢/٢٧٥

زرت هنداً وذاك غير اختيان ومعي صاحب كـتوم اللسـان

القائل:... ـ ٢/٢٧٥

يا سـائلي عـنه لمّـا جـئت أسأله ألا هو الرّجل العاري مـن العـار
لو جئته لرأيت النّاس فـي رجـل والدهر في ساعة والأرض في دار

القائل: أبو العلاء المعرّي ـ ٢/٢٨٢



الشابك : ٥ ـ ٠٤ ـ ٦٠٤٦ ـ ٩٦٤

ISBN : 964 - 6046 - 04 - 5

الكتاب : الاحتجاج / ج ٢

المؤلف : أبي منصور أحمد بن علي بن أبي طالب الطبرسي

الناشر : انتشارات الشريف الرضي

عدد المطبوع : ١٠٠٠ دورة (مجلّدين)

سنة الطبع : ١٣٨٠

الطبعة : الاولىٰ

عدد الصفحات : ٣٧٨ صفحة وزيري

المطبعة : شريعت

سعر الدورة : ٣٥٠٠ تومان